

المبطل الكافي

كتاب الصَّيَافِي
في
تفسير القرآن



الشيخ العلامة

Country	1950	1960	1970	1980	1990	2000	2010	2020	2030	2040	2050
Japan	7.0	8.0	9.0	10.0	11.0	12.0	13.0	14.0	15.0	16.0	17.0
Germany	10.0	11.0	12.0	13.0	14.0	15.0	16.0	17.0	18.0	19.0	20.0
France	11.0	12.0	13.0	14.0	15.0	16.0	17.0	18.0	19.0	20.0	21.0
Italy	12.0	13.0	14.0	15.0	16.0	17.0	18.0	19.0	20.0	21.0	22.0
Spain	13.0	14.0	15.0	16.0	17.0	18.0	19.0	20.0	21.0	22.0	23.0
Sweden	14.0	15.0	16.0	17.0	18.0	19.0	20.0	21.0	22.0	23.0	24.0
Belgium	15.0	16.0	17.0	18.0	19.0	20.0	21.0	22.0	23.0	24.0	25.0
United Kingdom	16.0	17.0	18.0	19.0	20.0	21.0	22.0	23.0	24.0	25.0	26.0
United States	17.0	18.0	19.0	20.0	21.0	22.0	23.0	24.0	25.0	26.0	27.0
Canada	18.0	19.0	20.0	21.0	22.0	23.0	24.0	25.0	26.0	27.0	28.0
Australia	19.0	20.0	21.0	22.0	23.0	24.0	25.0	26.0	27.0	28.0	29.0
South Africa	20.0	21.0	22.0	23.0	24.0	25.0	26.0	27.0	28.0	29.0	30.0
India	21.0	22.0	23.0	24.0	25.0	26.0	27.0	28.0	29.0	30.0	31.0
China	22.0	23.0	24.0	25.0	26.0	27.0	28.0	29.0	30.0	31.0	32.0
South Korea	23.0	24.0	25.0	26.0	27.0	28.0	29.0	30.0	31.0	32.0	33.0
Indonesia	24.0	25.0	26.0	27.0	28.0	29.0	30.0	31.0	32.0	33.0	34.0
Philippines	25.0	26.0	27.0	28.0	29.0	30.0	31.0	32.0	33.0	34.0	35.0
Thailand	26.0	27.0	28.0	29.0	30.0	31.0	32.0	33.0	34.0	35.0	36.0
Malaysia	27.0	28.0	29.0	30.0	31.0	32.0	33.0	34.0	35.0	36.0	37.0
Singapore	28.0	29.0	30.0	31.0	32.0	33.0	34.0	35.0	36.0	37.0	38.0
Brunei	29.0	30.0	31.0	32.0	33.0	34.0	35.0	36.0	37.0	38.0	39.0
Maldives	30.0	31.0	32.0	33.0	34.0	35.0	36.0	37.0	38.0	39.0	40.0
Yemen	31.0	32.0	33.0	34.0	35.0	36.0	37.0	38.0	39.0	40.0	41.0
Algeria	32.0	33.0	34.0	35.0	36.0	37.0	38.0	39.0	40.0	41.0	42.0
Libya	33.0	34.0	35.0	36.0	37.0	38.0	39.0	40.0	41.0	42.0	43.0
Chad	34.0	35.0	36.0	37.0	38.0	39.0	40.0	41.0	42.0	43.0	44.0
Niger	35.0	36.0	37.0	38.0	39.0	40.0	41.0	42.0	43.0	44.0	45.0
Burkina Faso	36.0	37.0	38.0	39.0	40.0	41.0	42.0	43.0	44.0	45.0	46.0
Senegal	37.0	38.0	39.0	40.0	41.0	42.0	43.0	44.0	45.0	46.0	47.0
Gambia	38.0	39.0	40.0	41.0	42.0	43.0	44.0	45.0	46.0	47.0	48.0
Sierra Leone	39.0	40.0	41.0	42.0	43.0	44.0	45.0	46.0	47.0	48.	

1. *Staphylococcus aureus* (Staph aureus)
 2. *Staphylococcus epidermidis* (Staph epidermidis)
 3. *Staphylococcus saprophyticus* (Staph saprophyticus)
 4. *Staphylococcus carnosus* (Staph carnosus)
 5. *Staphylococcus sciuri* (Staph sciuri)
 6. *Staphylococcus hyicus* (Staph hyicus)
 7. *Staphylococcus pasteuri* (Staph pasteuri)
 8. *Staphylococcus saprophilus* (Staph saprophilus)
 9. *Staphylococcus albus* (Staph albus)
 10. *Staphylococcus citreus* (Staph citreus)

1940

Journal of Management Education 30(6)

کتاب الصیافی

یہ

تفسیر القرآن

الجزء الثامن

تألیف

العارف الحکیم والمحدث الفقیہ

محمد بن ابرہیہ المرفی

بالمولیٰ محسن الکاشانی (رحمہ اللہ)

۱۰۰۷-۱۰۹۱ھ

تحقیق

السید محسن الدینی (رحمہ اللہ)

﴿الجزء الثالث﴾

※ هوية الكتاب:

※ اسم الكتاب: كتاب الصافي في تفسير القرآن.

※ المؤلف: العارف الحكيم والمحدث الفقيه محمد بن مرتضى

المدعو بـ «المولى محسن» الملقب بالفيض الكاشاني.

※ تحقيق: العلامة السيد محسن الحسيني الأميني.

※ الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٣٧٧ ش.

※ المطبعة: مروى.

※ الكمية: ٢٠٠٠

※ الناشر: دار الكتب الإسلامية - إيران - طهران - بازار سلطاني رقم ٩٩

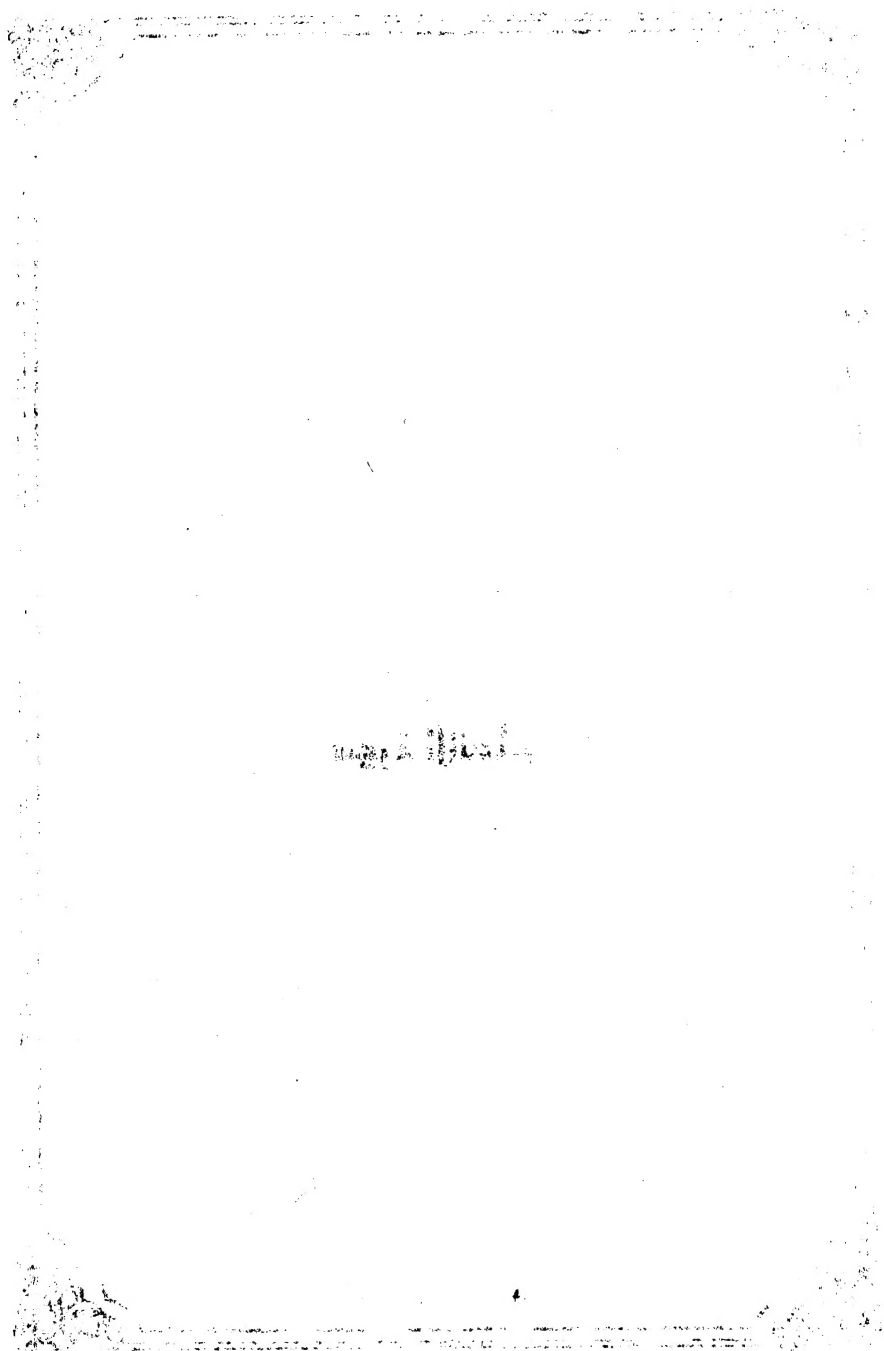
※ تلفون: ٥٦٢٧٤٤٩ - ٥٦٢٠٤١٠ فاكس: ٣٩١٦٩٤٤

※ شابك الجزء الثالث: ٠٨٢ - ٤٤٠ - ٩٦٤. ISBN: 964 - 440 - 082.

※ شابك الدورة الكاملة سبعة أجزاء: ٩ - ٠٨٧ - ٤٤٠ - ٩٦٤

ISBN - SFT: 964 - 440 - 087 - 9 VOL: 7.

سورة الأنعام



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
 وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾

سورة الأنعام: هي مكيّة غير ست آيات «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ»^(١) إلى آخر ثلاث آيات، «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ»^(٢) إلى آخر ثلاث آيات فإنّهن نزلن بالمدينة وعدد آياتها مائة وخمس وستون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: وصف نفسه بما نبّه به على أنّه المستحقّ للحمْد، حمْدٌ أو لم يُحمْد ليكون حجّة على العادلين به^(٣).
 ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾: أنشأهما، والفرق بين الخلق والجعل؛ أنّ الخلق فيه معنى التقدير، والجعل فيه معنى التّصيير كأنشاء شيء من شيء.
 ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يعني أنّه خلق ما لا يقدر عليه أحد سواه، ثمّ هم يسوون به ما لا يقدر على شيء منه، ومعنى «ثمّ» استبعاد عدوهم بعد هذا الوضوح.

١- الأنعام: ٩١.

٢- الأنعام: ١٥١.

٣- العادل: الواضع كل شيء موضعه. وعدلوا بالله: أشركوا به وجعلوا له مثلاً، ومنه حديث علي عليه السلام: كذب العادلون بك، إذ أشبهوك بأصنامهم. وفي الدعاء: نعوذ بك من العديلة عند الموت: أي العدول عن الحق. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٢١- مادة «عدل».

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ
أَنْتُمْ مَقْتَرُونَ ﴿١﴾

في الإحتجاج: عن الصادق عليه السلام في حديث في نزول هذه الآية إنها رَدَّ على ثلاثة أصناف لما قال: «الحمد لله الذي خلق السموات والأرض» كان ردًّا على الدهرية الذين قالوا إن الأشياء لا بدوها وهي قائمة، ثم قال: «وجعل الظلمات والنور» فكان ردًّا على الثنوية^(١) الذين قالوا إن النور والظلمة هما المدبران، ثم قال: «ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» فكان ردًّا على مشركي العرب الذين قالوا إن أوثاننا آلهة^(٢).

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾: أي ابتداء خلقكم منه.

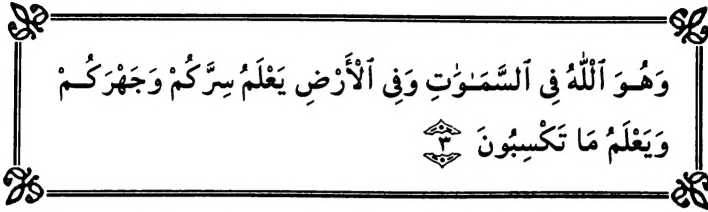
﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾: كتب وقدر أجلاً محتملاً لموتكم لا يتقدم ولا يتأخر.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾: لموتكم أيضاً يحويه ويشبث غيره لحكمة الصدقة والدعاء وصلة الرحم، وغيرها مما يحقق الخوف والرَّجاء، ولوازم العبودية، فإنَّ بها وبأضدادها يزيد العمر وينقص، وفيه سرُّ البدء وقد بيَّناه في كتابنا الموسوم^(٣) بالوافي مستوفى^(٤).

١ - الثنوية: هؤلاء أصحاب الإثنين الأزليين، يزعمون أنَّ النور والظلمة أزليَّان قديمان، بخلاف المجوس فإنَّهم قالوا بحدوث الظلام، وذكروا سبب حدوثه، وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم، واختلافهما في الجوهر، والطبع، والفعل، والخير، والمكان، والأجناس، والأبدان، والأرواح. قاله الشهرستاني في الملل والنحل: ج ٣، ص ٧٢. وذكر الطريحي: الثنوية من ثبت مع القديم قديماً غيره، قيل: وهم فرق المجوس يشبثون مبدأين: مبدأ للخير، ومبدأ للشر، وهما النور والظلمة، ويقولون: بنو إبراهيم عليه السلام. وقيل: هم طائفة يقولون: إنَّ كل مخلوق مخلوق للخلق الأوَّل وقد شهد ببطان قولهم قوله عليه السلام في وصف الحق تعالى «لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان» وهذا يطيل جميع حجج الثنوية وشبههم. مجمع البحرين: ج ١، ص ٧٨ مادة «ثنا».

٢ - الإحتجاج: ج ١، ص ٢٤ - ٢٥ - إحتجاج النبي ﷺ على جماعة من المشركين.

٣ - وفي نسخة: [المسمى]. ٤ - الوافي: ج ١، ص ٥٠٧ - ٥١٦، باب ٥٠ - البدء.



في الكافي: عن الباقر عليه السلام في تفسيرها قال: أعلان: أجل محتوم، وأجل موقوف ^(١).
والقمي: عن الصادق عليه السلام الأجل المقضي: هو المحتوم الذي قضاه الله وحتمه، والمسمى:
هو الذي فيه البدء يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير ^(٢).
﴿ثُمَّ أَنْتُمْ مُّتَرُونَ﴾: تشكّون فيه، وفي بعثه إياكم إستبعاداً لإمترائهم بعد ما ثبت أنه
خالقهم وخالق أصولهم، ومُحييهم إلى آجالهم، فإنّ من قدر على خلق الأصول وجمعها
وإبداع الحياة فيها وإبقائها ما يشاء وتوقيفهم في الأجل بعد حتمه إياه في الخوف والرجاء
بعد قضائه الأمر كان حقيقاً بأن يعبد، وكان أقدر على جمع الأصول وإحيائها ثانياً. فالآية
الأولى: دليل التوحيد، والثانية: دليل التوحيد والبعث جميعاً.
﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾: هو المعبود فيها، والمعروف بالإنهية
والوحدانية مثل قوله: «وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله» ^(٣).

في التوحيد: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية كذلك هو في كلّ مكان، قيل: بذاته، قال:
ويحك الأماكن أقدار فإذا قلت: في مكان بذاته لزمك أن تقول: في أقدار وغير ذلك، ولكن
هو بائن من خلقه، محيط بما خلق علماً وقدرةً، وإحاطةً، وسلطاناً، وليس علمه بما في
الأرض بأقلّ ممّا في السماء لا يبعد عنه شيء، والأشياء عنده سواء، علماً، وقدرةً، وسلطاناً،
وملكاً وإحاطة ^(٤).

١ - الكافي: ج ١، ص ١٤٧، ح ٤، باب البدء. ٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٤.

٣ - الزخرف: ٨٤.

٤ - التوحيد: ص ١٣٢ - ١٣٣، ح ١٥، باب ٩ - القدرة.

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا
 مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ
 أَنْبَؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ
 قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا
 السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ
 فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾

﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرُكُمْ﴾: القمي: قال: السر: ما أسر في نفسه، والجهر: ما أظهره^(١).

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾: من خير وشر فيصيب عليه ويعاقب.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: تاركين

النظر فيها غير ملتفتين إليها.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: بما جاء به محمد ﷺ.

﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾: فكيف لا يعرضون عن غيره.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: فسيظهر لهم ما كانوا به

يستهزئون عند نزول العذاب بهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾: من أهل زمان.

﴿مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أعطيناهم من البسطة في الأجسام، والسعة في

الأموال.

﴿مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ﴾: ما لم نعطكم يا أهل مكة، وفي الكلام التفتات.

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾

﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾: المطر.

﴿عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾: مغزاراً.

﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾: فعاشوا في الخصب بين الأنهار والتمار.

﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِدُنُوهِمْ﴾: ولم يغن ذلك عنهم شيئاً.

﴿وَأَنْشَأْنَا﴾: وأحدثنا.

﴿مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾: بدلاً منهم يعني إننا كما قدرنا أن نهلك من قبلكم كعاد

وثمود ونشئ مكانهم آخرين، قدرنا أن نفعل ذلك بكم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾: مكتوباً في ورق.

﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾: ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا: سكرت أبصارنا.

﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: لعظم عنادهم وقسوة قلوبهم.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾: يصدقه ويكلمنا إنه نبي لقوله: «لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ

ملك فيكون معه نذيراً»^(١).

﴿وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾: لحق إهلاكهم، فإن سنّه الله جرت بذلك فيمن

قبلهم.

﴿ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾: لا يُمهّلون بعد نزوله طرفة عين.

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمَ مَا

يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾: جواب ثانٍ أو جواب لإقتراح ثانٍ فإنهم كانوا تارة يقولون: لولا أنزل عليه ملك، وتارة يقولون: لو شاء ربنا لأنزل ملائكة، والمعنى لو جعلنا قريبا لك ملكاً يصدقك ويعاينوه أو جعلنا مكانك ملكاً كما اقترحوه لمثلناه رجلاً كما مثل جبرئيل في صورة دحية. فإن القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته. ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمَ مَا يَلْبَسُونَ﴾: ولخاطنا عليهم ما يخطئون على أنفسهم فيقولون: ما هذا إلا بشر مثلنا وكذبوه كما كذبوك. في تفسير الإمام عليه السلام في سورة البقرة (١).

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام: قال قلت لأبي علي بن محمد عليه السلام: هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله ينظر اليهود والمشركين إذا عاتبوه ويحاجهم؟ قال: بلى مراراً كثيرة، إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قاعداً ذات يوم بفناء الكعبة إذ ابتدأ عبدالله بن أبي أمية الخزومي فقال: يا محمد لقد ادّعت دعوى عظيمة، وقلت مقالاً هائلاً زعمت أنك رسول رب العالمين، وما ينبغي لرب العالمين وخالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله بشراً مثلنا، ولو كنت نبياً لكان معك ملك يصدقك ونشاهده، بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبياً لكان إنما يبعث إلينا ملكاً لا بشراً مثلنا، ما أنت يا محمد إلا مسحوراً، ولست بنبي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم أنت السامع لكل صوت، والعالم بكل شيء، تعلم ما قاله عبادك، فأنزل عليه يا محمد «وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر» إلى قوله تعالى: «وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمَ مَا يَلْبَسُونَ» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وأما قولك لي ولو كنت نبياً لكان معك ملك يصدقك ونشاهده بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبياً لكان إنما يبعث إلينا

وَلَقَدْ اسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا
كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

ملكاً لا بشراً مثلاً، فالملك لم تشاهده حواسكم لأنّه من جنس هذا الهواء لا عيان منه، ولو شاهدتموه بأن يزداد في قوى أبصاركم لقلتم ليس هذا ملكاً بل هذا بشر، لأنّه إنّما كان يظهر لكم بصورة البشر الذي ألقتموه لفهموا عنه مقالاته وتعرفوا خطابه ومراده فكيف كنتم تعرفون^(١) صدق الملك وإنّ ما يقوله حقّ بل إنّما بعث الله بشراً^(٢) وأظهر على يده المعجزات التي ليست في طبائع البشر الذين قد علمتم ضماير قلوبهم فتعلمون بعجزكم عما جاء به أنّه معجزة، وأنّ ذلك شهادة من الله بالصدق له، ولو ظهر لكم ملك وظهر على يده ما يعجزه^(٣) البشر لم يكن في ذلك ما يدلّكم أنّ ذلك ليس في طبائع سائر أجناسه من الملائكة حتى يصير ذلك معجزاً. ألا ترون أنّ الطيور التي تطير ليس ذلك منها بمعجز لأنّها أجناساً يقع منها مثل طيرائها، ولو أنّ آدمياً طار كطيرائها كان ذلك معجزاً فالله عزّ وجلّ سهّل عليكم الأمر وجعله منكم بحيث تقوم عليكم حجّته وأنتم تقترحون عمل الصّعب الذي لا حجّة فيه^(٤)، الحديث بطوله، ويأتي بُد منه في سورة الإسراء، وآخر في سورة الفرقان، وآخر في سورة الزخرف إن شاء الله تعالى.

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾: تسلية لرسول الله ﷺ على ما يرى من قومه.
﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: فأحاط بهم الذي

١- وفي نسخة [تعلمون] كما في المصدر. ٢- وفي نسخة [بعث الله بشراً رسولاً، وأظهر].

٣- وفي نسخة [ما يعجز عنه البشر] كما في المصدر.

٤- الاحتجاج: ج ١، ص ٢٦ - ٣٠. احتجاج النبي ﷺ على جماعة من المشركين.

قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ
الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾

يستهزؤون به من العذاب.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: قيل: أي سافروا فيها^(١).

﴿ثُمَّ أَنْظِرُوا﴾: بأبصاركم وتفكروا بقلوبكم. القمي: أي انظروا في القرآن، وأخبار
الأنبياء فانظروا^(٢)، وقد مضى نظيره عن الصادق عليه السلام في سورة آل عمران^(٣).

﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْكَذِبِينَ﴾: المستهزئين بالرسول من الأمم السالفة حيث
استأصلهم العذاب^(٤).

﴿قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: سؤال تبيكيت^(٥).

﴿قُلْ لِلَّهِ﴾: تقرير لهم أي هو الله لا خلاف بيني وبينكم في ذلك، ولا تقدر أن
تضيفوا شيئاً منه إلى غيره.

﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾: أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته، والعلم
بتوحيده بنصب الأدلة، وإنزال الكتب والإمهال على الكفر والذنوب لتدارك ما فرط.

١ - قاله الطبرسي في جوامع الجامع: ج ١، ص ٣٦٨.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٤.

٣ - ذيل الآية ١٣٧ من سورة آل عمران.

٤ - وفي نسخة: [بالعذاب].

٥ - التبيكيت: التقرع والتوبيخ، كما يقال له: يا فاسق أما استحييت، أما خفت الله، قال الهروي: ويكون باليد
والعصا، ويقال: بكته بالحجة إذا غلبه، وقد يكون التبيكيت بلفظ الخبر كما في قول إبراهيم: «بل فعله كبيرهم
هذا» الأنبياء / ٦٣ فإنه تبيكيت، وتوبيخ على عبادتهم الأصنام. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٩٢. مادة «بكت».

وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْآلِئِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ
 أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا
 يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾

﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾: قرناً بعد قرن.

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: قيل: استيناف، ووعيد على إشراكهم، وإغفالهم
 النظر^(١).

وقيل: بدل من الرحمة فإنه منها^(٢).

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بتضييع رأس ما لهم الذي هو الفطرة الأصلية.

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: فإن إبطال الفطرة أداهم إلى الإصرار على الكفر.

﴿وَلَهُ﴾: والله.

﴿مَا سَكَنَ فِي الْآلِئِ وَالنَّهَارِ﴾: ما تمكّن وحلّ من السكّنى. ذكر في الأوّل السماوات

والأرض المشتملين على الأمكنة جميعاً، وهنا الليل والنهار المشتملين على الأزمنة جميعاً
 ليعم الموجودات التي تتدرج تحت الظرفين.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: لا يخفى عليه شيء.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا﴾: إنكار لا يتخاذ غير الله وليّاً لا يتخاذ الولي، ولذلك قدّم

غير وأولى الهمزة.

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٤.

٢ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٤.

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥
يُصْرَفُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَكَذَلِكَ أَلْفَوْزُ الْمُبِينِ ١٦

﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: منشؤها ومبدعها، ابتداءً بقدرته وحكمته من غير احتذاء مثال.

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾: يرزق ولا يرزق يعني أَنَّ المنافع كُلَّهَا من عنده، ولا يجوز عليه الإنتفاع.

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ﴾: أي أمرني ربي.

﴿أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾: لَأَنَّ النَّبِيَّ سَابِقُ أُمَّتِهِ فِي الْإِسْلَامِ.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: وقيل لي: «ولا تكوننَّ من المشركين»، ويجوز عطفه على «قل» (١).

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: مبالغة أخرى في قطع أطاعهم، وتعريض لهم بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب.

العياشي: عن الصادق عليه السلام ما ترك رسول الله ﷺ «إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» حتَّى نزلت سورة الفتح فلم يعد إلى ذلك الكلام (٢).

﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾: يعني العذاب، وقرئ بالبناء للفاعل.

﴿فَكَذَلِكَ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾: وتفضل عليه.

في المجمع: عن النبي ﷺ والذي نفسي بيده ما من النَّاسِ أحدٌ يدخل الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل (٣).

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٥.

٢ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٠، ح ١٢. - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢٨٠.

وَأِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرٍ
فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ
الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَىٰ هَذَا الْقُرْآنِ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ
لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ
وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

﴿وَذَلِكَ الْقَوْزُ الْمُبِينُ﴾ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ: ببلية كمرض وفقر.
﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾: فلا قادر على كشفه.
﴿إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾: بنعمة كصحة، وغنى.
﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: يقدر على إدامته وإزالته.
﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾: تصوير لقهره وعلوه بالعلبة والقدرة يعني أنهم تحت
تسخيره وتذليله.
﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾: في أمره وتدبيره.
﴿الْخَبِيرُ﴾: بالعباد، وخفايا أحوالهم، وبكل شيء.
﴿قُلْ أَىُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾: أعظم شهادة، وأصدق.
﴿قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: قيل: الله جواب، وشهيد: مستأنف بتقدير هو^(١).
وقيل: بل الله شهيد ساد مسدّ الجواب^(٢).

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٥.

٢ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٥.

أقول: لعلّه أريد أنّه لا يحتاج إلى الجواب، ويكون معنى السؤال أنّه غير خاف أن الله هو أكبر شيء شهادة وأنتم أيضاً تعلمون ذلك، ومعنى «الله شهيد»: أن الله الذي هو أكبر شيء شهادة هو الذي يشهد لي بالنبوة، وإنّما جاز إطلاق الشيء على الله تعالى لإخراجه عن حدّ التعطيل، ولكنّه شيء بخلاف الأشياء كذا في الكافي: عن الصادق عليه السلام^(١).

القمي: عن الباقر عليه السلام أن مشركي أهل مكّة قالوا: يا محمد ما وجد الله رسولا يرسله غيرك؟ ما نرى أحدا يصدّقك بالذي تقول؟ وذلك في أول ما دعاهم، وهو يومئذ بمكّة، قالوا: ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فرغموا أنّه ليس لك ذكر عندهم فأتينا بأمر يشهد أنّك رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: الله شهيد بيني وبينكم^(٢).

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾: قيل: يعني أنذركم، وأنذر سائر من بلغه إلى يوم القيامة^(٣).

وفي الجمع^(٤)، والكافي^(٥)، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية ومن بلغ أن يكون إماماً من آل محمد (صلوات الله عليهم): فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله ﷺ^(٦).

والقمي: ما في معناه^(٧).

﴿أَنْتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى﴾: تقرير لهم مع إنكار واستبعاد.
﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾: بما تشهدون.

١ - الكافي: ج ١، ص ٨١، ذيل ح ٥، باب حدوث العالم وإثبات المحدث.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٥.

٣ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٥.

٤ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢٨٢.

٥ - الكافي: ج ١، ص ٤١٦، ح ٢١، وص ٤٢٤، ح ٦١، باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية.

٦ - تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٣٥٦ - ٣٥٧، ح ١٤.

٧ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٥.

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: بل أشهد أن لا إله إلا هو.

﴿وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾: به من الأوثان وغيرها.

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾: يعرفون رسول الله ﷺ بحليته المذكورة

في التوراة والإنجيل.

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾: بجلالهم^(١).

القمي: نزلت في اليهود والنصارى لأن الله قد أنزل عليهم في التوراة والإنجيل والزبور صفة محمد ﷺ وصفة أصحابه ومهاجره، وهو قوله تعالى: «محمد رسول الله» ﷺ إلى قوله: «ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل»^(٢)، فهذه صفة رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل وصفة أصحابه فلما بعثه الله عز وجل عرفه أهل الكتاب كما قال جل جلاله: «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به»^(٣)(٤).

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: من أهل الكتاب والمشركون.

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لتضييعهم ما به يكسب الإيمان.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: كقولهم: الملائكة بنات الله، وهؤلاء

شفعأونا عند الله.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: كأن كذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحراً، وإنما ذكر

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ
الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتْنُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ
رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾

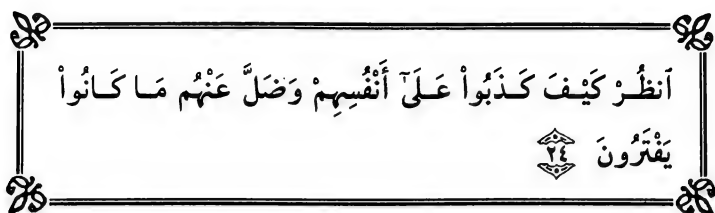
«أو» وهم قد جمعوا بين الأمرين تنبيهاً على أن كلاً منها وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم.
﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: فضلاً عمن لا أحد أظلم منه.
﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: منصوب بمضمر تهويلاً للأمر.
﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ﴾: قيل: أي آلهتكم التي جعلتموها
شركاء لله تعالى (١).

وبأني ما ورد فيه، وأن المراد بها شركاؤهم في الولاية، وقرئ يحشر، ويقول: بالياء.
﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أي تزعمونهم شركاء توبيخ لهم بعدم انتفاعهم بها.
﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتْنُهُمْ﴾: في الجمع: عن الصادق عليه السلام يعني معذرتهم (٢).
أقول: يعني معذرتهم التي يتوهمون أن يتخلصوا بها من فتنت الذَّهَب إذا خلصته،
وقرئ لم تكن بالتاء، وفتنتهم بالرفع وبالياء والنصب.
﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾: يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم
بأنه لا ينفع من فرط الحسرة (٣) والذهشة، وقرئ ربنا بالنصب.
وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام (٤)، والقمي: عن الصادق عليه السلام يعنون بولاية علي صلوات
الله وسلام عليه (٥).

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٦.

٢ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢٨٤. ٣ - وفي نسخة: [الحيرة].

٤ - الكافي: ج ٨، ص ٢٨٧، ح ٤٣٢. ٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٩.



﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: من الشركاء. في الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يذكر فيه أهوال يوم القيامة، ثم يجتمعون في موطن آخر ويستنطقون فيه، فيقولون: والله ربنا ما كنّا مشركين، وهؤلاء خاصّة هم المقرّون في دار الدّنيا بالتّوحيد فلم ينفعهم إيمانهم بالله تعالى مع مخالفتهم رسله وشكّهم فيما أتوا به عن ربّهم، ونقضهم عهودهم في أوصيائهم، واستبدالهم الَّذي هو أدنى بالَّذي هو خير فكذبهم الله فيما انتحلوه من الإيماَن بقوله: «انظر كيف كذبوا على أنفسهم»^(١).

والقّمي: مقطوعاً قال: إنّها في قدريّة^(٢) هذه الأُمّة يحشرهم الله تعالى يوم القيامة مع الصّابئين والنّصارى والمجوس فيقولون: «والله ربّنا ما كنّا مشركين» يقول الله تعالى: «انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون».

قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ لكلّ أُمّة مجوساً ومجوس هذه الأُمّة الَّذين يقولون: لا

١ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٠. احتجاجة عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بأي من القرآن متشابهة، تحتجّاج إلى التّأويل على أنّها تقتضي التناقض والإختلاف فيه، وعلى أمثاله في أشياء أخرى.

٢ - في الحديث ذكر القدرية وهم المنسوبون إلى القدر، ويزعمون أنّ كلّ عبد خالق فعله، ولا يرون المعاصي والكفر بتقدير الله ومشيئته، فنسبوا إلى القدر لأنّه بدعتهم وضلالّتهم، وفي شرح المواقف قيل: القدرية: هم المعتزلة لإسناد أفعالهم إلى قدرتهم، وفي الحديث: لا يدخل الجنّة قدري. وهو الَّذي يقول: لا يكون ما شاء الله ويكون ما شاء إبليس. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٥١، مادة «قدر».

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ
وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ
إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا
أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْوُونَ عَنْهُ وَإِنْ
يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

قَدَّرَ، ويزعمون أَنَّ المشيئة والقدرة إليهم ولهم ^(١).

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: حين تتلوا القرآن.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء.

﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: كراهة أَنْ يفقهوه.

﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ^(٢): يمنع من استماعه كناية عن نبو ^(٣) قلوبهم وأسماعهم عن

قبوله.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾: لفرط عنادهم، واستحكام التقليد فيهم.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾: يخاصمونك.

﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: الأساطير: الأباطيل،

وأصله السطر، بمعنى الخط والمعنى بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك، ويناكرونك،

ويجعلون كلام الله الذي هو أصدق الحديث خرافات الأولين، وهي غاية التكذيب.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْوُونَ عَنْهُ﴾: القمّي: قال: بنو هاشم كانوا ينصرون رسول

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٩.

٢ - الورق: بالفتح: الثقل في الأذن. الصحاح: ج ٢، ص ٨٤٨، مادة «وقر».

٣ - نيا الشيء عني يبنو: أي تجافي وتباعد. الصحاح: ج ٦، ص ٢٥٠، مادة «نبا».

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا
نُكَذِّبُ بَيَّاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا
كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾

الله ﷻ ويمنعون قريشاً عنه، وينأون عنه، أي: يباعدونه ولا يؤمنون به (١).

﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ﴾: وما يهلكون بذلك.

﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: إنَّ ضررهم لا يتعداهم إلى غيرهم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾: جوابه محذوف، يعني لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها أو حين يطلعون عليها بالدخول لرأيتهم أمراً فظيماً، وقرئ «وَقَفُوا» على البناء للفاعل.

القمي: قال: نزلت في بني أمية (٢).

﴿فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾: تمنوا أن يرجعوا إلى الدنيا.

﴿وَلَا نُكَذِّبُ بَيَّاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: عطف على نرد أو ابتداء

كلام، وقرئ بالنصب فيهما على الجواب بإضمار «أن» بعد الواو إجراء لها مجرى - الفاء -، ويرفع الأول ونصب الثاني.

﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾: من نفاقهم، وقبائح أعمالهم، فتمنوا ما

تمنوا ضجراً لا عزماً على أنهم لو ردوا لآمنوا.

﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾: أي إلى الدنيا بعد الوقوف والظهور.

وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ
تَرَىٰ إِذْ يُوقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا
قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا
يَحْسِرَتْنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ
ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾

﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾: من الكفر والمعاصي.

﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: فيما وعدوا من أنفسهم لا يفون به.

العياشي: عن الصادق عليه السلام أَنَّهُمْ مَلْعُونُونَ فِي الْأَصْلِ^(١).

﴿وَقَالُوا﴾: عطف على عادوا أو ابتداء.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: الضمير للحياة.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ * وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُوقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: للتوبيخ والسؤال كما

يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه كناية عن إطلاعهم على الربّ وجزائه، والوقوف بمعنى الإطلاع.

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾: تعيير من الله لهم على تكذيبهم بالبعث.

﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾: أقروا وأكّدوا باليمين لإنجلاء الأمر غاية الجلاء.

﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: بسبب كفرهم.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: ببلوغ الآخرة وما يتصل به من الجزاء إذ

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهَوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ
يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

فاتهم النعيم، واستوجبوا العذاب المقيم.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ﴾: غاية لكذبوا لا لحسر لأن خسراهم لا غاية له.

﴿بَغْتَةً﴾: فجأة.

﴿قَالُوا يَحْسَرَتْنَا﴾: أي تعالى فهذا أوانك.

﴿عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾: قصرنا فيها.

قيل: أي في الدنيا وإن لم يجر لها ذكر للعلم بها أو في الساعة أي في شأنها والإيمان بها أو في الجنة يعني في طلبها والعمل لها، لما روي عن النبي ﷺ في هذه الآية يرى أهل النار منازلهم من الجنة فيقولون: يا حسرتنا^(١).

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾: تمثيل لإستحقاقهم آصار الآثام.

﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾: بئس شيئاً يزرونه وزرهم.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهَوٌ﴾: وما أعمالها إلا لعب وهو يلهي الناس

ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية، وهي جواب قولهم: «إن هي إلا حياتنا الدنيا»^(٢).

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: لدوامها وخلود لذاتها ومنافعها، وقرئ

ولدار الآخرة.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أي الأمرين خير، وقرئ على الخطاب.

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَاءِيتِ اللَّهِ بِمُحَدُّونَ ﴿٣٣﴾

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾: في الحقيقة. ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَاءِيتِ اللَّهِ بِمُحَدُّونَ﴾: ولكنهم يححدون آيات الله ويكذبونه، و«الباء» لتضمن الجحود معنى التكذيب، وقرئ بالتخفيف من أكذبه إذا وجده كاذباً أو نسبه إلى الكذب.

وفي الكافي^(١): والعباشي: عن الصادق عليه السلام قرأ رجل على أمير المؤمنين عليه السلام «فإنهم لا يكذبونك»، فقال: بلى والله لقد كذبوه أشدَّ التكذيب، ولكنها مخففة «لا يكذبونك» لا يأتون بباطل يكذبون به حقك^(٢).

ونسبه القمي إلى الصادق عليه السلام إلا أنه قال: لا يأتون بحق يبطلون حقك^(٣). ويؤيد هذا ثبوت التكذيب، والعباشي: عنه عليه السلام أي لا يستطيعون إبطال قولك^(٤). وفي الجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه كان يقرأ لا يكذبونك، ويقول: إن المراد بها أنهم لا يأتون بحق أحق من حقك^(٥).

وفيه عن أكثر المفسرين لا يكذبونك بقلوبهم اعتقاداً، قال: ويشهد لهذا ما روي أن رسول الله ﷺ لقي أبا جهل فصافحه فقبل له في ذلك فقال: والله إنني لأعلم أنه صادق ولكننا متى كنّا تبعاً لعبد مناف، فأنزل الله تعالى الآية^(٦).

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٥٩، ح ٢٠.

١ - الكافي: ج ٨، ص ٢٠٠، ح ٢٤١.

٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٥٩، ح ٢١.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٦.

٦ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢٩٤.

٥ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢٩٤.

وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُذُوا
حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ
نَبِيِّنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾: تسليية لرسول الله ﷺ.

﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام

إِنَّ مِنْ صَبْرٍ صَبْرًا قَلِيلًا، وَإِنَّ مِنْ جَزَعٍ جَزَعًا قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ: وَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ
فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ وَالرَّفْقِ قَالَ: فَصَبِرْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّىٰ نَالُوهُ
بِالْعِظَامِ، وَرَمَوْهُ بِهَا فَضَاقَ صَدْرُهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا
يَقُولُونَ» ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾^(١)، ثُمَّ كَذَّبُوهُ وَرَمَوْهُ، فَحَزَنَ لَذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ: «قَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ
يَجْحَدُونَ» ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا».

فألزم النبي ﷺ نفسه الصبر الحديث^(٢).

والقمتي: عنه عليه السلام ما يقرب منه^(٣).

﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: قيل: أي لمواعيده^(٤) من قوله: «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا

لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ» ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾^(٥).

٢ - الكافي: ج ١، ص ٨٨، ح ٣، باب الصبر.

١ - الحجر: ٩٧-٩٨.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٦-١٩٧.

٤ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٨.

٥ - الصافات: ١٧١-١٧٢.

وَأِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْطِغَتْ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا
فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾: من قصصهم وما كابدوا^(١) من قومهم.

﴿وَأِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾: عظم وشق.

﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾: عنك، وعن الإيمان بما جئت به.

القمي: عن الباقر عليه السلام كان رسول الله ﷺ يحب إسلام الحارث بن نوفل بن عبد

مناف دعاه وجهد به أن يسلم فغلب عليه الشقاء فشق ذلك على رسول الله ﷺ فأنزل الله
هذه الآية^(٢).

﴿فَإِنْ أُسْطِغَتْ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾: منفذاً تنفذ فيه إلى جوف الأرض.

﴿أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾: أو مصعداً تصعد به إلى السماء.

﴿فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾: فتطلع لهم آية من الأرض أو تنزل آية من السماء يؤمنون بها

وجوابه محذوف أي فافعل، والجملة جواب الشرط الأول، والمقصود بيان حرصه البالغ على
إيمان قومه، وأنه لو قدر على ذلك لفعل، ولكنه لا يقدر نظيره «فلعلك باخع^(٣) نفسك»^(٤).

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾: بأن تأتيم آية يخضعوا لها، ولكن لا يفعل

لخروجه عن الحكمة.

١ - الكَبْدُ: بالتحريك: - الشدة والمشقة، من المكابدة للشيء، وهي تحمل المشاق في شيء. مجمع البحرين: ج ٣،

ص ١٣٥، مادة «كبد». ٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٨.

٣ - بخع نفسه بخعاً: أي قتلها غماً ووجداً. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٩٧، مادة «بخع».

٤ - الكهف: ٦.

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾

في الإكمال: عن النبي ﷺ يا علي إن الله قد قضى الفرقة والاختلاف على هذه الأمة
فلو شاء الله لجمعهم على الهدى حتى لا يختلف إثنان من هذه الأمة، ولا ينازع في شيء من
أمره، ولا يحجد المفضول لذي الفضل فضله^(١).

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: القمي: مخاطبة للنبي ﷺ والمعني الناس^(٢).
﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾: بتفهم وتدبر. يعني إن الذين تحرص على
إيمانهم بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون.

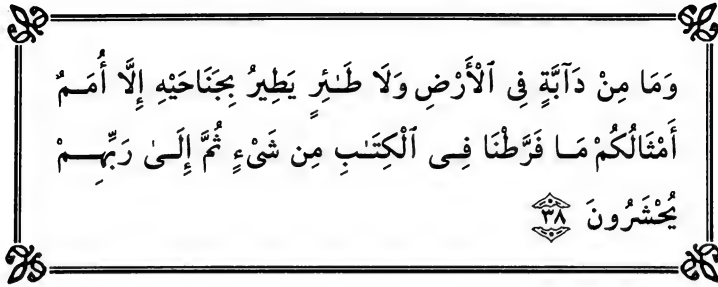
﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾: فيحكم بينهم^(٣).
﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: فحينئذ يسمعون، وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى إسماعهم.
﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: مما اقترحوه، تركوا الاعتداد بما نزلت
عليه من الآيات^(٤) والمعجزات مع كثرتها كأنه لم ينزل عليه شيء من الآيات عناداً منهم.
﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾: يخضعوا لها، وقرئ ينزل بالتخفيف.
﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: إنه يقدر عليه، وإن حكمته لا يقتضي ذلك.
القمي: قال: لا يعلمون إن الآية إذا جاءت ولم يؤمنوا بها هلكوا^(٥).

١ - إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٦٤، ح ١٠، باب ٢٤ - ما روي عن النبي ﷺ في النص على القائم عليه السلام

وأنه الثاني عشر من الأمة عليه السلام. - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٨.

٣ - وفي نسخة: [فيهم]. - وفي نسخة: [آيات الله].

٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٨.



وعن الباقر عليه السلام في هذه الآية: سيريكم في آخر الزمان آيات. منها: دابة الأرض، والدجال، ونزول عيسى بن مريم، وطلوع الشمس من مغربها^(١).

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾: تدبّ على وجهها.

﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾: في الهواء.

قيل: وصفه به قطعاً لمجاز السرعة ونحوها^(٢).

﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾: محفوظة أحوالها، مقدّرة أرزاقها، مكتوبة آجالها، مخلوقة

أبدانها، مربوبة أرواحها كما أنتم كذلك.

القمي: يعني خلق مثلكم قال: وقال: كلّ شيء ممّا خلق خلق مثلكم^(٣).

قيل: المقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره وليكون

الدليل على أنّه قادر على أن ينزل آية^(٤).

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾: شيئاً من التّفريط لأنّ «فرط» لا يتعدّى

بنفسه وقد عدّى بـ «في» إلى الكتاب، وقرئ بالتخفيف، ويعني بالكتاب: القرآن كما يستفاد

من كثير من الأخبار كحديث اختلاف العلماء في الفتيا.

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٨.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٩.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٨.

٤ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٩.

في نهج البلاغة: عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟ أم كانوا شركاء له فعليهم أن يقولوا: وعليه أن يرضى؟ أم أنزل الله ديناً تاماً فقصر الرسول عن تبليغه وأدائه؟ والله سبحانه يقول: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» وفيه تبيان كل شيء^(١).

وحديث وصف الإمامة عن الرضا عليه السلام في العيون^(٢)، وغيره: جهل القوم وخذعوا عن أديانهم إن الله لم يقبض نبيه عليه السلام حتى أكمل الدين، وأنزل عليه القرآن: فيه تفصيل كل شيء بين، فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه كمالاً، فقال عز وجل: «ما فرطنا في الكتاب من شيء»^(٣).

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾: يعني الأمم كلها.

في الفقيه: عن الصادق عليه الصلاة والسلام أي بعير حجّ عليه ثلاث سنين جعل من نعم الجنة^(٤).

قال: وروي سبع سنين^(٥).

وفيه أن النبي عليه السلام أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها فقال: أين صاحبها مروه فليستعدّ غداً للخصومة^(٦).

وفي الخصال: عن النبي عليه السلام في حديث القيامة قال: لن يركب يومئذ إلا أربعة: أنا،

١ - نهج البلاغة: ص ٦٠ - ٦١، الخطبة ١٨. في ذم اختلاف العلماء في الفتيا.

٢ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢١٦، باب ٢٠.

٣ - إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٦٧٥، ح ٣١، باب ٥٨ - في نوادر الكتاب.

٤ - من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٩١، ح ٨٧٢ / ٦، باب ٩٣ - ما يجب من العدل على الجمل وترك ضربه واجتناب ظلمه. وفيه: «يجعل من نعم الجنة».

٥ - من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٩١، ح ٨٧٣ / ٧، باب ٩٣ - ما يجب من العدل على الجمل وترك ضربه واجتناب ظلمه.

٦ - من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٩١، ح ٨٦٧ / ١، باب ٩٣ - ما يجب من العدل على الجمل وترك ضربه واجتناب ظلمه.

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَيُكْمُ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ
يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ
أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ
تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾

وعلي، وفاطمة، وصالح نبي الله. فأما أنا: فعلى البراق. وأما فاطمة ابنتي: فعلى ناقتي العضاء،
وأما صالح: فعلى ناقة الله التي عقرت، وأما علي: فعلى ناقة من نور زمامها من ياقوت عليه
حلتان خضراوان^(١).

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ﴾: عن الهدى.

﴿وَيُكْمُ﴾: لا يتكلمون بخير.

﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾: يعني ظلمات الكفر، كذا رواه القمي عن الباقر عليه السلام في تفسير الآية^(٢).

﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ﴾: يخذله فيضل لأنه ليس من أهل الهدى.

﴿وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: يرشده إلى الهدى بلطفه لأنه من أهل

الهدى واللطف.

القمي: عن الباقر عليه السلام نزلت في الذين كذبوا الأوصياء، هم صُمْ وَيُكْمُ كما قال الله: «في

الظلمات» من كان من ولد إبليس فإنه لا يصدق بالأوصياء، ولا يؤمن بهم أبداً، وهم الذين

أضلهم الله، ومن كان من ولد آدم آمن بالأوصياء وهم على صراط مستقيم^(٣).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أرايت أنفسكم معناه أخبروني.

١ - الحصال: ص ٢٠٤، ح ٢٠، باب الركبان يوم القيامة أربعة.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٨.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٩. وفيه: «بأوصيائهم».

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا
تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ
بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ
بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

﴿إِنْ أَتَيْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ﴾: في الدنيا.
 ﴿أَوْ أَتَيْتُمْ السَّاعَةَ﴾: يعني القيامة، من تدعون.
 ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾: تبيكت لهم.
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: بأن الأصنام آلهة.
 ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾: بل تخصصون الله بالدعاء دون الآلهة.
 ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾: ما تدعون إلى كشفه.
 ﴿إِنْ شَاءَ﴾: أن يتفضل عليكم بكشفه.
 ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾: وتتركون آلهتكم لما ركز في العقول أنه القادر على
 كشف الضر دون غيره أولاً تذكرونها في ذلك الوقت من شدة الأمر وهو له.
 ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾: يعني الرسل فكذبوهم.
 ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: بالشدة والفقر.
 ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: المرض، وتقصان الأنفس والأموال.
 ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾: لكي يتضرعوا، ويخضعوا، وينذلّوا، ويتوبوا عن ذنوبهم.
 ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت جاء بـ«لولا» ليدل على أنه

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا
فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَابِرَ
الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾

لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم.

في نهج البلاغة: من كلامه عليه السلام ولو أن الناس حين تنزل بهم النقم، وتزول عنهم النعم فزعوا إلى ربهم بصدق من نياتهم ووليه من قلوبهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد^(١).

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: من البأساء والضراء يعني تركوا الإعتاظ به.
﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من الصحة والتوسعة في الرزق، وقرئ فتحننا بالتشديد حيث وقع.

﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾: من الخير والنعم واشتغلوا بالنعم عن المنعم.
﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾: مفاجأة من حيث لا يشعرون.

﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾: آيسون من النجاة والرحمة متحسرون^(٢).
﴿فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي آخرهم لم يترك منهم أحد من دبره إذا تبعه.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: على إهلاك أعدائه وإعلاء كلمته فإن تخلص أهل الأرض من سوء عقائد الكفار وقبيح أعمال العصاة والفجار نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها.

١ - نهج البلاغة: ص ٢٥٧، الخطبة ١٧٨. في الشهادة والتقوى.

٢ - وفي نسخة: [متحIRON].

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ
مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ
هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾

في الجمع: عن النبي ﷺ إذا رأيت الله تعالى يعطي على المعاصي فإن ذلك استدراج منه، ثم تلا هذه الآية، وعن أمير المؤمنين عليه السلام يا ابن آدم إذا رأيت ربك تتابع عليك نعمه فاحذره^(١).

القمي: عن الباقر عليه السلام «فلما نسوا ما ذكروا به» يعني فلما تركوا ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وقد أمروا بها «فتحنا عليهم أبواب كل شيء» دولتهم في الدنيا وما بسط لهم فيها «أخذناهم بغتة» يعني بذلك قيام القائم (صلوات الله عليه) حتى كأنهم لم يكن لهم سلطان قط^(٢).

والعياشي: عنه عليه السلام لما تركوا ولاية علي صلوات الله عليه وقد أمروا بها «أخذناهم بغتة» الآية قال: نزلت في ولد العباس^(٣).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ﴾: بأن يصمكم ويعميكم.
﴿وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾: بأن يغطي عليها ما يذهب عقلكم ويسلب تمييزكم.
﴿مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾: بذلك. القمي: عن الباقر عليه السلام إن أخذ الله منكم الهدى^(٤).

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: قال: يعرضون.

١ - جمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٠٢.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٠.

- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٠، ح ٢٣.

٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠١.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا
 الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ
 وَمُنذِرِينَ فَنَنْصَلِحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا
 يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾: من غير مقدّمة وظهور إمارة.
 ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾: بتقدّم أمانة، قابل البغته بالجهره لما في البغته من معنى الخفية.
 ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾: ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا الذين
 ظلموا بكفرهم وفسادهم.

القمي: نزلت لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأصاب أصحابه الجهد والعلل
 والمرض. فشكوا ذلك إليه يعني لا يصيبكم إلا الجهد والضّر في الدنيا، فأما العذاب الأليم
 الذي فيه (١) هو الهلاك فلا يصيب إلا القوم الظالمين (٢).

العبّاشي: عن الصادق عليه السلام يؤخذ بني أميّة بغته، وبني العبّاس جهرة (٣).

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾: المؤمنين بالجنة.

﴿وَمُنذِرِينَ﴾: الكافرين بالنار.

﴿فَنَنْصَلِحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ﴾: من العذاب.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: بفوت الثواب.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠١.

١ - وفي نسخة: [الذي هو الهلاك].

٣ - تفسير العبّاشي: ج ١، ص ٣٦٠، ح ٢٤.

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ
لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ
وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُمْسُهُمُ الْعَذَابُ﴾: جعل العذاب ماساً لهم كأنه

الطالب للوصول إليهم يفعل بهم ما يريد.

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة.

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾: في التوحيد^(١)، والمعاني^(٢)، والمجالس:

عن الصادق عليه السلام لما صعد موسى على نبينا وآله وعليه السلام إلى الطور فنادى ربه عز وجل قال: يا رب أرني خزائلك، فقال تعالى: يا موسى إنما خزائني إذا أردت شيئاً أن أقول له كن فيكون^(٣).

﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: الذي اختص الله بعلمه، وإنما أعلم منه ما يعلمني الله.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾: من جنس الملائكة أقدر على ما يقدرون عليه.

﴿إِنَّا أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾: ما أنبتكم بما كان وما يكون إلا بالوحي تبرأ من

دعوى الألوهية والملكية، وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر رداً لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه.

في العيون: عن الرضا عليه السلام أنه سئل يوماً وقد اجتمع عنده قوم من أصحابه، وقد كانوا

يتنازعون في الحديثين المختلفين عن رسول الله صلى الله عليه وآله في الشيء الواحد فقال عليه السلام: إن الله عز وجل حرم حراماً وأحلّ حلالاً، وفرض فرائض، فما جاء في تحليل ما حرم الله أو تحريم

١ - التوحيد: ص ١٣٢، ح ١٧، باب ٩ - القدرة. ٢ - معاني الأخبار: ص ٤٠٢، ح ٦٥.

٣ - الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٤١٣، ح ٤، المجلس السابع والسبعون.

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ
 دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ
 رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ
 مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ
 الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

ما أحلَّ الله أو رفع فريضة في كتاب الله رسمها قائم بلا نسخ ذلك فذلك شيء لا يسع
 الأخذ به لأنَّ رسول الله ﷺ لم يكن ليحرِّم ما أحلَّ الله ولا ليحلَّ ما حرَّم الله، ولا ليغيِّر فرائض
 الله وأحكامه، وكان في ذلك كله متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله عزَّ وجلَّ، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ:

«إِنْ أَتَبَعَ إِلَّا مَا يَوْحَىٰ إِلَيَّ» فكان متبعاً لله مؤدياً عن الله ما أمر به من تبليغ الرسالة^(١).

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾: قيل: الضالَّ والمهتدي^(٢).

والقَمِي: قال: من لا يعلم، ومن يعلم^(٣). ونسبه في المجمع إلى أهل البيت عليه السلام^(٤).

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾: فلا تكونوا ضالِّين أشباه العميان وتنصفوا من أنفسكم.

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا
 شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: في المجمع: عن الصادق عليه السلام وأنذر بالقرآن الذين يرجون الوصول إلى
 ربهم، وترغبهم فيما عنده فإنَّ القرآن شافع مشفع^(٥).

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: يعيدونه على الدوام.

١ - عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٢٠، ح ٤٥، باب ما جاء في الحديثين المختلفين.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١١، س ١٠.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠١، س ٢٠. ٤ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٠٤، س ١٨.

٥ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ
بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: يبتغون مرضاته مخلصين له، وقرئ بالعذوة.

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ
فَتَطْرُدَهُمْ﴾: جواب النفي.

﴿فَتَكُونَنَّ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: جواب النهي، القمي: قال: كان سبب نزولها أنه كان
بالمدينة قوم فقراء مؤمنون يسمون أصحاب الصفة وكان رسول الله ﷺ أمرهم أن يكونوا في
الصفة يأوون إليها وكان رسول الله ﷺ يتعاهدكم بنفسه، وربما يحمل إليهم ما يأكلون، وكانوا
يختلفون إلى رسول الله ﷺ فيقرهم ويقعد معهم ويؤنسهم، وكان إذا جاء الأغنياء والمترفون
من أصحابه ينكرون عليه ذلك، ويقولون: له أطردهم عنك، فجاء يوماً رجل من الأنصار إلى
رسول الله ﷺ وعنده رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من أصحاب الصفة قد لزم برسول
الله ﷺ ورسول الله ﷺ يحدثه فقعد الأنصاري بالبعد منها، فقال له رسول الله ﷺ: تقدم فلم
يفعل، فقال له رسول الله ﷺ: لعلك خفت أن يلزم فقره بك، فقال الأنصاري: أطرده هؤلاء
عنك، فأنزل الله، ولا تطرد الذين يدعون ربهم^(١)، الآية.

﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الفتن، وهو اختلاف أحوال الناس في أمور الدنيا.

﴿فَتَنَّا﴾: ابتلينا.

﴿بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ﴾: في أمر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على أشرف قريش

بالسبق إلى الإيمان.

﴿لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾: أي هؤلاء من أنعم الله عليهم

وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ
تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾

بألهداية والتوفيق لما يسعده دوننا ونحن الأكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء، وهو إنكار لأن يخص هؤلاء من بينهم بإصابة الحق والسبق إلى الخير كقولهم: «لو كانوا خيراً ما سبقونا إليه» واللام للعاقبة.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾: بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوقفه، وبمن لا يقع منه فيخذله.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾: قيل: نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم، وكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام، وقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام^(١). وقيل: نزلت في حمزة، وجعفر، وعمار، ومصعب بن عمير، وغيرهم^(٢).

وقيل: إن جماعة أتوا رسول الله ﷺ وقال: إنا أصبنا ذنوباً كثيرة فسكت عنهم فنزلت^(٣). وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام إنها نزلت في التائبين^(٤). ويؤيده تمام الآية، ولا تنافي بين الروايات. ﴿أَنَّهُ﴾: استيناف يفسر الرحمة، وقرئ بالفتح على البدل منها.

١ - قاله عكرمة، كما ذكره الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٠٧، في شأن نزول الآية.

٢ - قاله عطا كما ذكره الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٠٧ في شأن نزول الآية.

٣ - قاله أنس بن مالك كما ذكره الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٠٧ في شأن نزول الآية.

٤ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٠٧ في شأن نزول الآية.

وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَتِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي
نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ
قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾: بالتدراك.

﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: وقرئ بالفتح.

﴿وَكَذَلِكَ﴾: ومثل ذلك التفصيل الواضح.

﴿نَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾: آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصيرين منهم والأوابين.

﴿وَلِتَسْتَتِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾: قرئ بالتاء، ونصب السبيل على الخطاب وبالتاء

ورفعها^(١).

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ﴾: صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة، وأنزل علي من الآيات

في أمر التوحيد.

﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾: تأكيد لقطع أطعاهم، وإشارة إلى الموجب

للنهي وعلّة الإمتناع من متابعتهم وإستجھالهم، وبيان مبدأ ضلالهم، وإنّ ما هم عليه

هوى وليس بهدى، وتنبيه لمن تحرى الحق على أن يتبع الحجة ولا يقلّد.

﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾: أي إن اتبعت أهواءكم فقد ضللت.

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾: أي في شيء من الهدى حتّى أكون من عدادهم، وفيه

١ - قرأ أهل المدينة: «وَلِتَسْتَتِينَ» بالتاء. «سبيل» بالنصب، وقرأ أهل الكوفة غير حفص «وَلَيْسَتَيْنِ» بالياء.

«سبيل» بالرفع، وقرأ زيد عن يعقوب «وليستين» بالياء. «سبيل» بالنصب، وقرأ الباقون «ولتستين» بالتاء.

«سبيل» بالرفع. مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٠٨، في القراءة.

قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ
 إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ
 عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾

تعريض بأنّه كذلك.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: على حجة واضحة.

﴿مِّن رَّبِّي﴾: من معرفة ربّي، وأنّه لا معبود سواه، أو صفة لبينة.

﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾: أنتم حيث أشركتم به غيره.

﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾: قيل: يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم:

«فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَازَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» (١١)(٢).

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾: في تعجيل العذاب وتأخيره.

﴿يَقْضُ الْحَقُّ﴾: أي قضاء الحق في كلّ ما يقضي من التأخير والتعجيل، وقرئ

يقض الحق أي يتبعه من قص أثره (٣).

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾: القاضين.

﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾: من العذاب.

﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: لأهلكتم عاجلاً غضباً لربّي، وانقطع ما بيني وبينكم.

١- الأنفال: ٣٢.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١٣.

٣- وفي مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٠٩ - في القراءة - قال: قرأ أهل الحجاز وعاصم «يَقْضُ الْحَقُّ» بالصاد، والباقيون «يَقْضَى الْحَقُّ». منه يُقْضَى.

وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ الْأَرْضِ
وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾: في معنى الإستدراك كأنه قال: ولكن الأمر إلى الله وهو أعلم بمن ينبغي أن يؤخذ، ومن ينبغي أن يهمل كذا قيل (١).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في حديث وقال الله عز وجل لمحمد عليه السلام: «قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم» قال: لو إني أمرت أن أعلمكم الذي أخفيت في صدوركم من استعجالكم بموتي لتظلموا أهل بيتي من بعدي فكان مثلكم كما قال الله عز وجل: «كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله» (٢) يقول: أضاءت الأرض بنور محمد عليه السلام كما تضيء الشمس الحديث (٣).

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾: خزائنه إن كان جمع المفتاح بفتح الميم بمعنى المخزن أو مفاتيحه إن كان جمع المفتاح بكسر الميم بمعنى المفتاح أي ما يتوصل به إلى المغيبات، وقرئ مفاتيح.

﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾: فيظهرها على ما اقتضته حكمته.
﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: معطوفات على ورقة.
﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: قيل: أي علم الله، أو اللوح المحفوظ، أو القرآن، بدل من

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١٣، س ١٤.

٣ - الكافي: ج ٨، ص ٣٨٠، ح ٥٧٤.

٢ - البقرة: ١٧.

الإستثناء الأول، وقرئت المعطوفات بالرفع عطفاً على محلّ من «ورقة»، أو على «الإبتداء»، والخبر «إلّا في كتاب»^(١).

في الفقيه: في خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام «وما تسقط من ورقة» من شجرة^(٢). وفي الكافي^(٣)، والمعاني^(٤)، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام^(٥) والقمي: الورقة: السقط، والحبّة: الولد، وظلمات الأرض: الأرحام، والرطب: ما يحیی الناس، واليابس: ما يقبض، وكلّ ذلك: في كتاب مبین^(٦).

والعيّاشي: عن الكاظم عليه السلام الورقة: السقط، يسقط من بطن أمّه من قبل أن يهلّ الولد، والحبّة: الولد في بطن أمّه إذا هلّ وسقط من قبل الولادة، والرطب: المضغة إذا أسكنت في الرحم قبل أن يتمّ خلقها قبل أن تنتقل، واليابس: الولد التّام، والكتاب المبین: الإمام المبین^(٧). وفي الإحتجاج: عن الصادق عليه السلام في حديث وقال: لصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب»^(٨). وقال الله عزّ وجلّ: «ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبین» وعلم هذا الكتاب عنده^(٩).

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ٣١٣.

٢ - من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٣٢٦، ح ١٤٨٦ / ٣٠، باب ٧٩ - صلاة العيدين.

٣ - الكافي: ج ٨، ص ٢٤٨ - ٢٤٩، ح ٣٤٩. وفيه: «ما يحيى من الناس... كل ذلك في إمام مبین».

٤ - معاني الأخبار: ص ٢١٥، ح ١، باب معنى الورقة، والحبّة، وظلمات الأرض، والرطب، واليابس، وفيه: «والرطب: ما يحيى، واليابس: ما يغيض».

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦١، ح ٢٨، وفيه: «والرطب: ما يحيى، واليابس: ما يغيض».

٦ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٣، وفيه: «والرطب: ما يبق ويحيى، واليابس: ما يغيض الأرحام».

أقول: غاض الشيء: يعني نقص، فيكون المراد: ما تنقص الأرحام من السقط.

٧ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦١، ح ٢٩، بتفاوت يسير.

٨ - الرعد: ٤٣.

٩ - الإحتجاج: ج ٢، ص ١٤٠. إحتجاجات الإمام الصادق عليه السلام.

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦١﴾

أقول: قد مضى معنى الكتاب من جهة التأويل في أول سورة البقرة.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ﴾: يقبض أرواحكم عن التصرف بالنوم كما يقبضها بالموت.

﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾: أي ما كسبتم من الأعمال.

﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾: ثم ينهبكم من نومكم في النهار.

﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: لتستوفوا آجالكم. القمّي: عن الباقر عليه السلام في قوله:

«لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى» قال: هو الموت (١).

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: بالموت.

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالمجازاة.

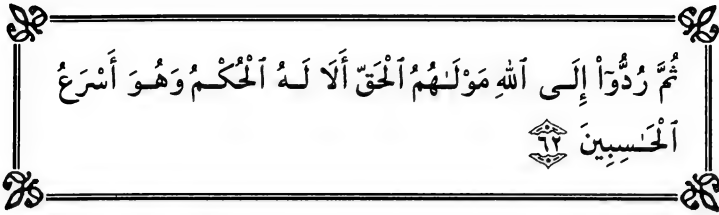
﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾: المقتدر المستعلي على عباده.

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾: يحفظونكم ويحفظون أعمالكم، ويذبّون عنكم مرده

الشياطين، وهوام الأرض، وسائر الآفات، ويكتبون ما تفعلون.

قيل: الحكمة في كتابة الأعمال: أن العباد إذا علموا أن أعمالهم تكتب عليهم وتعرض

على رؤوس الأشهاد كانوا أزجر من القبائح، وأن العبد إذا وثق بلطف سيّده واعتمد على



عطفه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمة المتطلعين عليه^(١).

ويأتي ما يقرب منه عن الصادق عليه السلام في سورة الإنفطار^(٢) إن شاء الله.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾: ملك الموت وأعوانه كما سبق بيانه

في سورة النساء^(٣)، وقرئ توفاه بألف مماله.

﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾: لا يقصرون بالتواني والتأخير.

﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾: إلى حكمه وجزائه.

﴿مَوْلَاهُمْ﴾: الذي يتولى أمرهم.

﴿الْحَقَّ﴾: العدل الذي لا يحكم إلا بالحق.

﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾: يومئذ لا حكم لغيره.

﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِبِينَ﴾: يحاسب الخلائق في مقدار لمح البصر كما مر في سورة

البقرة^(٤).

وفي الاعتقادات: إن الله تعالى يخاطب عباده من الأولين والآخرين يوم القيامة

بمجمّل حساب عملهم مخاطبة واحدة يسمع منها كل واحد قضيته دون غيره، ويظنّ أنّه

المخاطب دون غيره، لا يشغله عزّ وجلّ مخاطبة عن مخاطبة، ويفرغ من حساب الأولين

والآخرين في مقدار نصف ساعة من ساعات الدّنيا^(٥).

١ - قاله البضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١٤.

٢ - سورة النساء: ذيل الآية ٩٧.

٣ - سورة الإنفطار، ذيل الآية: ١٢.

٤ - سورة البقرة: ذيل الآية ٢٠٢.

٥ - الاعتقادات في دين الإمامية: ص ٥٢.

قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا
وْخُفْيَةً لَّئِنْ أَفْجَأْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ
اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ
الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ
أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ
كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: من شداثدهما استعيرت الظلمة
للشدة لمشاركتها في الهول وإبطال الأبصار، فقيل: لليوم الشديد: يوم مظلم^(١).
﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا﴾: متضرعين بالسنتكم.
﴿وْخُفْيَةً﴾: ومسررين في أنفسكم.
﴿لَّئِنْ أَفْجَأْنَا مِنْ هَذِهِ﴾: على إرادة القول أي قائلين لئن أنجيتنا من هذه الظلمة
والشدة، وقرئ «لئن أنجانا» لتوافق قوله: «تدعون».
﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا﴾: وقرئ بالتخفيف.
﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾: غم سواها.
﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾: تعودون إلى الشرك، ولا توفون بالعهد بعد قيام الحجة
عليكم.
﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ﴾: يرسل.

﴿عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾: كما أمطر على قوم لوط، وعلى أصحاب الفيل

الحجارة.

﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: كما أغرق فرعون، وخسف بقارون.

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾: يخلطكم.

﴿شَيْعًا﴾: فرقا مختلني الأهواء، كل فرقة منكم متابعة للإمام^(١)، ومعنى خلطهم أن

يختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال.

﴿وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾: يقتل بعضكم بعضاً.

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ﴾: بالوعد والوعيد.

﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: العياشي^(٢)، والقمي: عن الباقر عليه السلام «عذاباً من فوقكم»: هو

الدخان، والصيحة، «أو من تحت أرجلكم»: هو الخسف، «أو يلبسكم شيعاً»: هو الاختلاف

في الدين، وطعن بعضكم على بعض، «ويذيق بعضكم بأس بعض»: هو أن يقتل بعضكم

بعضاً، وكل هذا في أهل القبلة، يقول الله: «انظر كيف نصرّف آيات لعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ»^(٣).

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام، «من فوقكم»: من السلاطين الظلمة، «ومن تحت

أرجلكم»: العبيد السوء، ومن لا خير فيه، «أو يلبسكم شيعاً»: يضرب بعضكم ببعض بما

يلقيه بينكم من العداوة، والعصبية، «ويذيق بعضكم بأس بعض»: هو سوء الحوار^(٤).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سألت ربي أن لا يظهر على أمتي أهل دين غيرهم، فأعطاني، وسألته

أن لا يهلكهم جوعاً فأعطاني، وسألته أن لا يجمعهم على ضلال فأعطاني، وسألته أن لا

يلبسهم شيعاً فنعني^(٥).

قال: وفي الخبر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة^(٦).

١- وفي نسخة: [مشايعة الإمام].

٢- لم نعثر عليه في تفسير العياشي، والظاهر إنه سهو من قلمه الشريف.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٤.

٤- مجمع البيان: ج ٣، ص ٣١٥.

٥- مجمع البيان: ج ٣، ص ٣١٥.

٦- مجمع البيان: ج ٣، ص ٣١٥.

وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾
 لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ
 يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ
 غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ
 الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾: قيل: أي بالقرآن ^(١)، وقيل: أي بالعذاب ^(٢).

﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾: الصدق أو الواقع لا بد أن ينزل.

﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾: بحفظ.

﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ﴾: وقت استقرار ووقوع.

﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: عند وقوعه.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾: بالكذيب والإستهزاء بها والطعن

فيها.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: فلا تجالسهم، وقم من عندهم.

العباشي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: الكلام في الله، والجدال في القرآن، قال: منه

القصاص ^(٣).

﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾: غير ذلك.

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١٥.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١٥.

٣ - تفسير العبّاشي: ج ١، ص ٣٦٢، ح ٣١.

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرٌ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾

﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾: التَّهْيِ، وقرئ ينسينك بالتخفيف.

﴿فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ الذِّكْرِ﴾: بعد أن تذكره.

﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أي معهم، فوضع الظاهر موضعه تنبيهاً على أنهم ظلموا

بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام.

في العلل: عن السَّجَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس لك أن تقعد مع من شئت لأن الله تبارك وتعالى

يقول: «وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ» الآية (١).

والقَمِّي: عن النَّبِيِّ ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يسب

فيه إمام أو يغتاب فيه مسلم، إن الله تعالى يقول في كتابه: «وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي

آيَاتِنَا» الآية (٢).

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم.

﴿مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: مما يحاسبون عليه من قبائح أعمالهم وأقوالهم.

﴿وَلَكِنْ ذِكْرٌ﴾: ولكن عليهم ذكرى أو عليهم أن يذكروهم ذكرى ويمنعواهم

عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: يحتنبون ذلك حباً أو كراهة لمساكنتهم.

في الجمع: عن الباقر عليه السلام لما نزل «فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» قال

١ - علل الشرائع: ص ٦٠٤ - ٦٠٥. ح ٨٠، باب ٣٨٥ - نوادر العلل.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٤.

وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَهُوَ أَوْ غَرَّتَهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

المسلمون: كيف نصنع إذا كان كلنا استهزأ المشركون قننا وتركناهم فلا ندخل إذا المسجد الحرام، ولا نطوف بالبيت الحرام فأُنزل الله: «وما على الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» أمر بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعوا^(١).

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَهُوَ﴾: حيث سخروا به واستهزؤوا منه وبنوا أمر دينهم على التشهي أو جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لعب وهو، والمعنى أعرض عنهم، ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم.

﴿وَوَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: فألهتهم عن العقبى.

﴿وَذَكَّرَ بِهِ﴾: أي بالقرآن.

﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾: مخافة أن تسلّم إلى الهلاك وترتهن بسوء عملها.

وأصل البسل: المنع.

﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾: يدفع عنها العذاب.

﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾: وإن تفد كل فداء، والعدل: الفدية، لأنها تعادل المفدى،

أريد به هاهنا الفداء.

﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾: أي سلّموا إلى العذاب بسبب

قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى
 أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي
 الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى اثْنَا قُلْ إِنْ
 هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرُنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾

أعمالهم القبيحة، وعقائدهم الزائفة.

﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾: تأكيد، وتفصيل لذلك،

والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم، ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم.

﴿قُلْ أَدْعُوا﴾: نعبد.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾: لا يقدر على نفعنا وضررنا.

﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾: ونرجع عن دين الإسلام إلى الشرك.

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾: كالذي ذهبت به مرادة الجن

في المهامة^(١) من هوى إذا ذهب، وقرئ استهواه بألف مماله.

﴿فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾: متحيراً ضالاً عن الطريق.

﴿لَهُ أَصْحَابٌ﴾: لهذا المستهوي رفقة.

﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾: إلى الطريق المستوي أو إلى أن يهدوه الطريق المستقيم.

﴿اثْنَا قُلْ﴾: يقولون له: اثنا وقد اعتسف التيه تابعا للجن لا ينجيهم ولا يأتهم وهذا

مبنى على ما تزعمه العرب أن الجن يستهوي الإنسان كذلك.

﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ﴾: الذي هو الإسلام.

﴿هُوَ الْهُدَى﴾: وحده وما سواه ضلال.

وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ
قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

﴿وَأْمُرْنَا لِتُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: من جملة المقول.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي أمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا يعني للإسلام.

ولإقامة الصلاة.

﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: فيجازي كل عامل منكم بعمله.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: قائماً بالحق والحكمة.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾: قيل: أي قوله الحق يوم يقول: كقولك:

القتال يوم الجمعة، واليوم: بمعنى الحين، والمعنى: أنه خالق السماوات والأرض، وقوله:

«الحق» نافذ في الكائنات، أو يوم معطوف على السماوات، وقوله: «الحق» مبتدأ وخبر أو

فاعل يكون على معنى، وحين يقول: لقوله: «الحق» أي لقضائه «كن فيكون»، والمراد حين

يكون الأشياء ويجدتها^(١).

﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: كقوله: «لمن الملك اليوم لله الواحد القهار»^(٢).

والصور: قرن من نور التقمه إسرافيل فينفخ فيه كذا عن النبي ﷺ^(٣).

١- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١٧. ٢- غافر: ١٦.

٣- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ج ٧، ص ٢٠، ح ١٣، ص ٢٣٩، وجمع البيان: ج ٣، ص ٤، ص ٣٢١، وج ٥-٦، ص ٤٩٦، س ٢٦، وروح المعاني (تفسير الألوسي): ج ٧، ص ١٩١، وج ٢٠، ص ٣٠، وتفسير أبي السعود: ج ٦، ص ٣٠٣، وتفسير القرآن العظيم (ابن كثير): ج ٢، ص ١٢٨، وج ٣، ص ٣٢٤.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَاذَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءِلهَةً إِنِّي أَرَاكَ
وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾

وروي أن فيه بعدد كل إنسان ثقبه فيها روحه^(١)، ووصف بالسعة والضيق واختلف في أن أعلاه ضيق وأسفله واسع أو بالعكس ولكل وجه، ويأتي في بيانه وصفة التفخ فيه حديث في سورة الزمر^(٢). إن شاء الله.

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي هو عالم الغيب والشهادة.

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾: وهذا كالفذلكة للآية.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَاذَرَ﴾: في المجمع: قال عن الزجاج: ليس بين النسابين اختلاف في أن اسم أبي إبراهيم تاريخ.

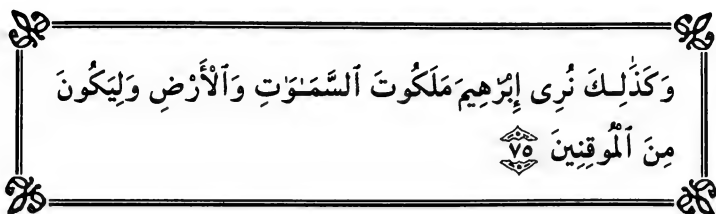
قال: وهذا يقوي ما قاله أصحابنا إن آزر كان جد إبراهيم لأمه أو كان عمه من حيث صح عندهم أن آباء النبي ﷺ إلى آدم عليه السلام كان كلهم موحدين وأجمعت الطائفة على ذلك، ورووا عن النبي ﷺ أنه قال: لم يزل ينقلني الله تعالى من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية ولو كان في آباءه كافر لم يصف جميعهم بالطهارة مع قوله: «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ»^(٣)»^(٤).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام أن آزر^(٥) أبا إبراهيم عليه السلام كان منجماً لنرود، وساق

١ - الدر المنثور: ج ٣، ص ٢٣، س ١٣. ٢ - ذيل الآية: ٦٨.

٣ - التوبة: ٢٨. ٤ - مجمع البيان: ج ٣، ص ٤، ص ٣٢١.

٥ - يمكن أن يقال: إن آزر يكتم إيمانه ولم يؤمر بإظهاره لأحد حتى إبراهيم عليه السلام، أو علم هو بإيمانه وكان نزاعها من باب المصناعة مع الناس لمصالح خفية عندها. منه رحمه الله.



الحديث إلى أن قال: ووقع آزر بأهله فعلمت بإبراهيم الحديث (١).

والعياشي: عنه عليه السلام أنه سئل عن قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ» قال: كان إسم أبيه آزر (٢)، والعلم عند الله.

﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءِلَٰهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ عَنَ الْحَقِّ﴾

﴿مُبِينٍ﴾: ظاهر الضلالة.

﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ﴾: مثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية.

﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ربوبيتها وملكها، والملكوت أعظم الملك،

والتاء فيه للمبالغة.

﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾: أي ليراه، وليكون، أو فعلنا ذلك ليكون.

في الجمع: عن الباقر عليه السلام كشط (٣) الله عن الأرضين حتى رآهن وما تحتهن، وعن السماوات حتى رآهن وما فيهن من الملائكة وحملة العرش (٤).

والعياشي (٥)، والقمي: عن الصادق عليه السلام كشط له عن الأرض ومن عليها، وعن

السما ومن فيها، والمملك الذي يحملها والعرش ومن عليه (٦).

١ - الكافي: ج ٨، ص ٣٦٦ - ٣٦٨، ح ٥٥٨.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٢، ح ٣٢.

٣ - الكشط: الكشف. وإذا السماء كشطت أي كشفت وأزيلت. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٧٠، مادة

«كشط».

٤ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٢٢.

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٣، ح ٣٣.

٦ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٥.

وزاد القمي وفعل ذلك برسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام (١): وفي رواية والأئمة عليهم السلام (٢).

وفي رواية العياشي: عن الباقر عليه السلام وفعل بمحمد ﷺ كما فعل بإبراهيم عليه السلام وإني لأرى صاحبكم قد فعل به مثل ذلك (٣).

وعنه عليه السلام قال: أعطى بصره من القوة ما نفذ السماوات فرأى ما فيها، ورأى العرش وما فوقه، ورأى ما في الأرض وما تحتها (٤).

وفي المناقب: عنه عليه السلام أنه سأله جابر بن يزيد عن هذه الآية فرفع بيده وقال: إرفع رأسك قال: فرفعته فوجدت السقف متفرقاً، ورمق ناظري في ثلم حتى رأيت نوراً حاراً عنه بصري، فقال: هكذا رأى إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض، وأنظر إلى الأرض ثم ارفع رأسك. فلما رفعته رأيت السقف كما كان، ثم أخذ بيدي وأخرجني من الدار، وألبسني ثوباً وقال: غمض عينيك ساعة، ثم قال: أنت في الظلمات التي رأى ذو القرنين، ففتحت عيني فلم أَر شيئاً ثم تخطى خطي فقال: أنت على رأس عين الحياة للخضر عليه السلام، ثم خرجنا من ذلك العالم حتى تجاوزنا خمسة أقاليم، فقال: هذا ملكوت الأرض، ثم قال: غمض عينيك، وأخذ بيدي فإذا نحن بالدار التي كُتِّف فيها، وخلع عني ما كان ألبست. قلت جعلت فداك كم ذهب من اليوم؟ فقال: ثلاث ساعات (٥).

وفي الكافي (٦)، والمجمع (٧)، والقمي (٨)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام لما رأى إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض رأى رجلاً يزني فدعا عليه فمات، ثم رأى آخر فدعا عليه فمات، ثم رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا فأوحى الله إليه يا إبراهيم إن دعوتك مستجابة فلا تدع على عبادي فإني لو شئت أن أميتهم لدعائك ما خلقتهم، فإني خلقت خلقي على

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٥.

٢ - الخرائج والجرائع: ج ٢، ص ٨٦٦-٨٦٧، ح ٨١ و ٨٣، فصل في نوادر المعجزات.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٣، ح ٣٤. ٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٤، ح ٣٦.

٥ - مناقب ابن شهر آشوب: ج ٤، ص ١٩٤. ٦ - الكافي: ج ٨، ص ٣٠٥، ح ٤٧٣.

٧ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٢٢. ٨ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٥-٢٠٦، والنص له.

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بِرِيءٍ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾

ثلاثة أصناف: صنف يعبدني ولا يشرك بي شيئاً فأثيبه، وصنف يعبد غيري فليس يفوتني، وصنف يعبد غيري فأخرج من صلبه من يعبدني^(١).

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾: أظلم عليه وستره بظلامه.

﴿رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾: على سبيل الإنكار والاستخبار لأن قومه كانوا يعبدون الكواكب أو على وجه النظر والاستدلال لأنه كان طالباً في حادثة سنّه. ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾: غاب.

﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾: فضلاً عن عبادتهم فإن الانتقال والاحتجاب والإستتار دليل الحدوث والفقر.

﴿فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِغًا﴾: مبتدئاً في الطلوع.

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾: استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق فإنه لا يهتدي إليه إلا بتوفيقه إرشاداً لقومه وتنبيهاً لهم على أن القمر أيضاً لتغير حاله لا يصلح للألوهية وإن من اتخذها إلهاً فهو ضالّ.

العياشي: عنها عليه السلام لأكونن من القوم الضالين ناسياً للميثاق^(٢).

﴿فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾: قيل: ذكر اسم الإشارة لتذكير الخبر

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

وصيانةً للرب عن شبهة التأنيث^(١).

﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾: كبره إظهاراً لشبهة الخصم أو إ استدلالاً له.

﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَقْنُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾: من الأجرام المحدثة المفتقرة إلى

محدث يحدثها ويخصّ أحوالها بما خصّت به ثم لما تبرأ عنها توجه إلى موجدتها، ومبدعها الذي دلّت هي عليه فقال.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ﴾: في العيون: عن الرضا عليه السلام أنه سأله المأمون فقال: له يا ابن رسول الله أليس من قولك أن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى. قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل: «فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ

اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي» فقال الرضا عليه السلام: إن إبراهيم عليه السلام وقع إلى ثلاثة أصناف:

صنف يعبد الزهرة، وصنف يعبد القمر، وصنف يعبد الشمس، وذلك حين خرج من السَّرَب^(٢) الَّذِي أَخْفَى فِيهِ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الزَّهْرَةَ قَالَ: «هَذَا رَبِّي» على الإنكار والاستخبار «فَلَمَّا أَفَلَتْ» الكوكب قال: «لَا أَحَبُّ الْآفَلِينَ» لأنّ الأفول من صفات المحدث لا

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١٨.

٢ - السَّرَبُ بالتحريك: - بجحر الثعلب، والأسد، والضَّبُع، والذئب. والسَّرَبُ: الموضع الذي يدخل فيه الوحشي والجمع أسراب، وانسرب الوحشي في سربه، والثعلب في جحره. وتسرب: دخل، والسَّرَبُ: الحفيرة، وقيل: بيت تحت الأرض. تاج العروس: ج ٣، ص ٤٩ - ٥٠، مادة «سرب». وقال الجوهري: السَّرَبُ أيضاً: بيت في الأرض تقول انسرب الوحش في سربه، وانسرب الثعلب في جحره وتسرب، أي دخل. الصحاح: ج ١، ص ١٤٧.

والمراد الغار الَّذِي ولد فيه هربت إليه أمّه من خوف الثمرد وولدت فيه وربته بإعانة جبرئيل عليه السلام: حتى مر عليه سنوات فخرج من الغار وبرز وشرع في الدعوة. منه سبحانه.

من صفات القديم «فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربِّي» على الإنكار والاستخبار «فلما أفل قال لنن^(١) لم يهدي ربِّي لأكونن من القوم الضالين» فلما أصبح «ورأى الشمس بازغة قال هذا ربِّي هذا أكبر» من الزهرة والقمر، على الإنكار والاستخبار لا على الإخبار والإقرار «فلما أفلت قال» للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس: «يا قوم إني بريء مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين» وإنما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال: أن يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم أن العبادة لخالقها وخالق السماوات والأرض وكان ما احتج به على قومه ما ألهمه الله وآتاه كما قال الله تعالى: «وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء»^(٢)، فقال المأمون: لله درك يا ابن رسول الله^(٣).

والقمي: عن الصادق عليه السلام إن آزر أبا إبراهيم عليه السلام كان منجماً لنمرود بن كنعان فقال له: إني أرى في حساب النجوم أن هذا الزمان يحدث رجلاً فينسخ هذا الدين، ويدعو إلى دين آخر، فقال له نمرود: في أي بلاد يكون؟ قال: في هذه البلاد، وكان منزل نمرود بكوثاريا، فقال له نمرود: قد خرج إلى الدنيا؟ قال آزر: لا، قال: فينبغي أن يفرق بين الرجال والنساء ففرق، فحملت أم إبراهيم بإبراهيم عليه السلام ولم يتبين حملها، فلما حان ولادتها قالت: يا آزر إني قد اعتللت وأريد أن أعتزل عنك، وكان في ذلك الزمان المرأة إذا اعتللت اعتزلت عن زوجها فخرجت واعتزلت في غار، ووضعت إبراهيم عليه السلام وهيئته وقطنته ورجعت إلى منزلها وسدت باب الغار بالحجارة فأجرى الله لإبراهيم عليه السلام لبناً من إبهامه، وكانت أمه تأتية ووكل نمرود بكل امرأة حامل، وكان يذبح كل ولد ذكر. فهربت أم إبراهيم بإبراهيم عليه السلام من الذبح، وكان يشب إبراهيم في الغار يوماً كما يشب غيره في الشهر حتى أتى له في الغار ثلاثة عشرة سنة، فلما كان بعد ذلك زارته أمه، فلما أرادت أن تفارقه تشبث بها فقال: يا أمي

١ - وفي نسخة [لئن لم يهدي ربي لكنت من القوم الضالين].

٢ - الأنعام: ٨٣.

٣ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٩٧، باب ١٥ - ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء.

وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَسَنَ وَلَا أَخَافُ
مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا
أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾

أخرجني، فقالت له: يا بني إن الملك إن علم أنك ولدت في هذا الزمان قتلك، فلما خرجت أمه
خرج من الغار وقد غابت الشمس نظر إلى الزهرة في السماء، فقال: «هذا ربِّي» فلما غابت
الزهرة قال: لو كان ربِّي ما تحرك وما برح، ثم قال: «لا أحب الآفلين»، والآفل: الغائب «فلما
رأى القمر بازغاً قال هذا ربِّي هذا أكبر» وأحسن، فلما تحرك وزال قال: «لئن لم يهديني ربِّي
لأكونن من القوم الضالين» فلما أصبح وطلعت الشمس ورأى ضوءها وقد أضاءت الدنيا
بطلوها^(١) «قال هذا ربِّي هذا أكبر» وأحسن فلما تحركت وزالت كشط الله له عن السماوات
حتى رأى العرش ومن عليه وأراه الله ملكوت السماوات والأرض فعند ذلك قال: «يا قوم إنِّي
برئ ممّا تشركون * إنِّي وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من
المشركين» فجاء إلى أمه وأدخلته إلى دارها وجعلته بين أولادها^(٢).

قال: وسئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول إبراهيم عليه السلام «هذا ربِّي» أشرك في قوله: هذا ربِّي؟
قال: من قال هذا اليوم فهو مشرك، ولم يكن من إبراهيم عليه السلام شرك، وإنما كان في طلب ربه،
وهو من غيره شرك^(٣).

والعياشي: مثله، وزاد عن أحدهما عليه السلام إنما كان طالباً لربه ولم يبلغ كفراً، وإنه من
فكر من الناس في مثل ذلك فإنه بمنزلة^(٤).

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾: خصموه في التوحيد.

١- وفي نسخة: [طلوعها]. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٦-٢٠٧.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٧-٢٠٨. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٤، ح ٣٨.

وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

﴿قَالَ أَتَخْجُونِي فِي اللَّهِ﴾: في وحدانيته، وقرئ بتخفيف النون.

﴿وَقَدْ هَدَانِي﴾: إلى توحيده.

﴿وَلَا أَخَافُ مَا تَشْرِكُونَ بِهِ﴾: أي لا أخاف معبوداتكم قط، لأنها لا قدرة لها

على ضر ولا على نفع^(١).

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾: أن يصيبني بمكروه وكأنه جواب عن تخويفهم إياه من

جهة آلهتهم.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: فلا يستبعد أن يكون في علمه إنزال خوف بي.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: فتميزوا بين القادر والعاجز.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾: ولا يتعلق به ضرر.

﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾: وهو حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لأنه

إشراك للمصنوع بالصانع، وتسوية بين المقدور والعاجز والقادر الضار النافع.

﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾: حجة، والمعنى وما لكم تتكبرون على الأمن في

موضع الأمن، ولا تتكبرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف.

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾: الموحّدون أو المشركون.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا: ولم يخلطوا.

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ
نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

﴿إِيمَانُهُمْ يَظْلَمُ أَوْلَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾: في المجمع: عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أنه من تمام قول إبراهيم عليه السلام (١).

وعن ابن مسعود: لما نزلت هذه الآية شقَّ على النَّاسِ، وقالوا يا رسول الله وأينالم يظلم نفسه، فقال: إنه ليس الَّذي تعنون ألم تسمعوإلى ما قال العبد الصَّالح عليه السلام «يا بنى لا تشرك بالله إنَّ الشَّركَ لظلمٌ عظيم» (٢) (٣).

والعيَّاشي: عن الصَّادق عليه السلام في هذه الآية قال: الظلم: الضَّلال فما فوقه (٤).
وعنه عليه السلام: إنه سئل: «أَلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ» الزَّنا منه قال: أعوذ بالله من أولئك لا، ولكنَّه ذنب إذا تاب تاب الله عليه، وقال: مدمن الزَّنا، والسَّرقة، وشارب الخمر، كعابد الوثن (٥).

وفي رواية قال: أولئك الخوارج، وأصحابهم (٦).
وفي الكافي (٧)، والعيَّاشي: عنه عليه السلام: إنَّ الظلم هنا: الشك (٨).

وعنه عليه السلام: «ولم يلبسوا إيمانهم بظلم» قال: آمنوا بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله من الولاية، ولم يخلطوها بولاية فلان وفلان (٩).

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾: أرشدناه إليها، وعلمناه إياها.

١ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٢٧ - ٣٢٨. ٢ - لقمان: ١٣.

٣ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٢٧. ٤ - تفسير العيَّاشي: ج ١، ص ٣٦٦، ح ٤٧.

٥ - تفسير العيَّاشي: ج ١، ص ٣٦٦، ح ٤٦. ٦ - تفسير العيَّاشي: ج ١، ص ٣٦٧، ح ٥٠.

٧ - الكافي: ج ٢، ص ٣٩٩، ح ٤، باب الشك. ٨ - تفسير العيَّاشي: ج ١، ص ٣٦٦، ح ٤٨.

٩ - تفسير العيَّاشي: ج ١، ص ٣٦٦ - ٣٦٧، ح ٤٩.

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ
وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى
وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى
وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾

﴿عَلَى قَوْمِهِ نَزَّاعٌ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾: في العلم والحكمة، وقرئ بالتثنية.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾: في رفعه وخفضه.

﴿عَلِيمٌ﴾: بجال من يرفعه واستعداده له.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾: أي كلاً منها.

﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾: يعني هديناهم لنجعل الوصية في أهل بيتهم، كذا عن

الباقر عليه السلام رواه في الكافي ^(١)، والإكمال: في حديث اتصال الوصية من لدن آدم ^(٢).

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾: العياشي: عن الصادق عليه السلام والله

لقد نسب الله عيسى بن مريم في القرآن إلى إبراهيم عليه السلام من قبل النساء، ثم تلا هذه

الآية ^(٣).

وفي العيون: عن الكاظم عليه السلام في جواب هارون في هذه المسألة إنما الحق

عيسى عليه السلام بذراري الأنبياء من طريق مريم، وكذلك الحقنا بذراري النبي صلى الله عليه وآله من قبل

١ - الكافي: ج ٨، ص ١١٦، ح ٩٢ - حديث آدم عليه السلام مع الشجرة. والحديث طويل.

٢ - إكمال الدين وإقام النعمة: ص ٢١٦، ح ٢، باب اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٧، ح ٥٢.

وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾
 وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ
 الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا
 هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيُؤْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾

أَمَّا فَاطِمَةُ عليها السلام (١).

﴿وَالْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا
 فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا: مع
 فضلهم وعلو شأنهم.

﴿لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: فكانوا كغيرهم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: يريد به الجنس.

﴿وَالْحُكْمَ﴾: والحكمة أو الحكم بين الناس.

﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾: أي بالنبوّة أو الثلاثة.

﴿هَؤُلَاءِ﴾: يعني قريشاً.

﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيُؤْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾: في المحاسن: عن الصادق عليه السلام قوماً

١ - عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٨٤، ح ٩، باب ٧ - جل من أخبار موسى بن جعفر عليه السلام مع هارون

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّ لَهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وذكرون الله كثيراً (٩١).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾: يريد الأنبياء المقدم ذكرهم.

﴿فَبِهِدَّ لَهُمْ أَقْتَدَهُ﴾: فاقترض طريقهم بالإقتداء، والهاء للوقف.

في مصباح الشريعة: عن الصادق عليه السلام لا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الإقتداء، لأنه المنهج الأوضح والمقصد الأصح قال الله لأعز خلقه محمد ﷺ: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّ لَهُمْ أَقْتَدَهُ» فلو كان لدين الله مسلک أقوم من الإقتداء لندب أنبياءه وأوليائه إليه (٩٢).

والقمي: عن النبي ﷺ وأحسن الهدى: هدى الأنبياء (٩٣).

وفي نهج البلاغة: اقتدوا بهدى نبيكم فإنه أفضل الهدى (٩٤).

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ.

﴿أَجْرًا﴾: جعلاً من جهتهم كما لم يسأل من كان قبلي من النبيين، وهذا من جملة ما

أمر بالإقتداء بهم.

﴿إِنْ هُوَ﴾: أي التبليغ.

﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾: تذكيراً وعظة لهم.

١ - المحاسن: ج ٢، ص ٤١٩، ح ٢٤٦٦ / ٩١، باب ١٧ - فضل الخبز وما يجب من إكرامه.

٢ - مصباح الشريعة: ص ١٥٧، باب ٧٤ - في الإقتداء.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩١ ذيل الآية ٤١ من سورة التوبة.

٤ - نهج البلاغة: ص ١٦٣، خطبة ١١٠ - في أركان الدين «الإسلام».

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ
قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ
تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا
أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: وما عرفوه حق معرفته، وما عظموه حق عظمتهم، وما وصفوه بما هو أهل أن يوصف به من الرحمة على عباده واللطف بهم.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام إن الله لا يوصف، وكيف يوصف وقد قال في كتابه: «وما قدروا الله حق قدره» فلا يوصف بقدر إلا كان أعظم من ذلك ^(١).

ويأتي فيه حديث آخر في سورة الزمر ^(٢) إن شاء الله تعالى.

﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾: حين أنكروا الوحي وبعثه الرسل وذلك من أعظم رحمته وأجل الطافه.

القمي: هم قريش واليهود ^(٣).

﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾: ألزموا بما لا بد لهم من الإقرار به مع توبيخهم بتحريفهم بإبداء بعض وإخفاء بعض، وجعلها ورقات متفرقة ليتمكنوا بما حاولوه.

العتاشي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية قال: كانوا يكتمون ما شاؤوا،

١ - الكافي: ج ١، ص ١٠٣، ح ١١، باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى.

٢ - ذيل الآية ٦٧، انظر الكافي: ج ٢، ص ١٨٢، ح ١٦، باب المصافحة.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٠.

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ
الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ
عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾

ويبدون ما شاؤوا^(١).

وفي رواية كانوا يكتبونه في القراطيس، ثم يبدون ما شاؤوا، ويخفون ما شاؤوا^(٢).

والقَمِي: يخفون يعني من أخبار رسول الله ﷺ^(٣)، وقرئ بالياء.

﴿وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ﴾: أي أنزله الله، قيل: أمره بأن

يجيب عنهم إشعاراً بأن الجواب متعين لا يمكن غيره، وتنبيهاً على أنهم هتوا بحيث لا
يقدر على الجواب.

﴿ثُمَّ دَرَّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾: القَمِي: يعني ما خاضوا فيه من التَّكْذِيبِ^(٤).

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ﴾: كثير التفع والفائدة.

﴿مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: الكتب التي قبله.

﴿وَلِتُنذِرَ﴾: وقرئ بالياء أي الكتاب.

﴿أُمَّ الْقُرَىٰ﴾: يعني مكة سميت بها لأنها دحيت الأرض من تحتها، فكانت تولدت

منها.

والقَمِي: قال: سميت أم القرى لأنها أول بقعة خلقها الله من الأرض^(٥).

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أهل المشرق والمغرب^(٦).

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٩، ح ٥٨. ٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٩، ح ٥٩.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٠. ٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٠.

٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٠. ٦ - وفي نسخة: [أهل الشرق والغرب].

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ
إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ
الْظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ
أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٩﴾

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: فإن من صدق بالآخرة خاف العاقبة، ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن به ويحافظ على الطاعة، وتخصيص الصلاة لأنها عماد الدين وعلم الإيمان.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: في الكافي^(١)، والعياشي: عن أحدهما عليه السلام نزلت في ابن أبي سرح^(٢) الذي كان عثمان استعمله على مصر، وهو ممن كان رسول الله ﷺ يوم فتح مكة هدر دمه، وكان يكتب لرسول الله ﷺ فإذا أنزل الله عز وجل «إن الله عزيز حكيم» كتب «إن الله عليم حكيم» فيقول له رسول الله ﷺ: دعها فإن الله عليم حكيم، وكان ابن أبي سرح يقول للمنافقين: إني لأقول من نفسي مثل ما يجيئ به فما يغير عليّ فأنزل الله تبارك وتعالى فيه الذي أنزل^(٣).

والقمي: عن الصادق عليه السلام قال: إن عبدالله بن سعد بن أبي سرح أخو عثمان بن عفان

١- الكافي: ج ٨، ص ٢٠٠-٢٠١، ح ٢٤٢.

٢- أي عبدالله بن سعد بن أبي سرح كما نص عليه بما جاء في تفسير القمي عن الصادق عليه السلام في الرواية الآتية وبما جاء في جمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٣٣٥، س ١٧.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٩-٣٧٠، ح ٦٠.

من الرضاة أسلم وقدم المدينة وكان له خط حسن، وكان إذا نزل الوحي على رسول الله ﷺ دعاه فكتب ما يمليه عليه رسول الله ﷺ فكان إذا قال له رسول الله ﷺ سمع بصير يكتب سمع عليم، وإذا قال له: والله بما تعملون خير يكتب بصير، ويفرق بين التاء والياء وكان رسول الله ﷺ يقول: هو واحد، فارتد كافرأ ورجع إلى مكة، وقال لقريش: والله ما يدري محمد ﷺ ما يقول. أنا أقول: مثل ما يقول فلا ينكر عليّ ذلك، فأنا أنزل مثل ما ينزل فأنزل الله على نبيّه في ذلك «ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله» فلما فتح رسول الله ﷺ مكة أمر بقتله فجاء به عثمان، وقد أخذ بيده ورسول الله ﷺ في المسجد فقال: يا رسول الله أعف عنه، فسكت رسول الله ﷺ، ثم أعاد فسكت، ثم أعاد فقال: هو لك، فلما مرّ قال رسول الله ﷺ: لأصحابه ألم أقل من رآه فليقتله فقال رجل: كانت عيني إليك يا رسول الله أن تشير إليّ فأقتله، فقال رسول الله ﷺ: إن الأنبياء لا يقتلون بالإشارة، فكان من الطلقاء^(١).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام في تأويله من ادعى الإمامة دون الإمام عليه السلام^(٢).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾: شدائده من غمره الماء إذا غشيه.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾: لقبض أرواحهم كالمقاضي المتسلط.

﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾: يقولون لهم: تغليظاً وتعنيفاً^(٣).

﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾: الهوان، القمّي: قال: العطش^(٤).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام العطش يوم القيامة^(٥).

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: لا

تؤمنون بها.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٠-٢١١. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٠، ح ٦١.

٣- التعنيف: التغير واللوم، والعنف - مثلث العين: الشدة والمشقة، ضد الرفق وكلها في الرفق من الخير في العنف من الشر مثله. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٠٤. مادة «عنف».

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢١١. ٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٠، ح ٦٢.

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا
خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمْ الَّذِينَ
زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَدَىٰ﴾: عن أموالكم، وأولادكم، وأوثانكم.

﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: على الهيئة التي ولدتم عليها.

في الخرائج: عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَىٰ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَتْ: وَمَا فَرَدَىٰ؟

فقال: عراة، فقالت: واسوأته، فسأل الله أن لا يبدي عورتها، وأن يحشرها بأكفانها^(١).

وفي معناها حديث في الكافي عن الصادق عليه السلام^(٢).

وعنه عليه السلام تنوَّقوا^(٣) في الأكفان فإنكم تبعثون بها^(٤).

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام أَنَّهُ سئل عن النَّاسِ أَيْحْشَرُونَ عَرَاءَ؟ قال: بل يحشرون في

أكفانهم، قيل: أتى لهم بالأكفان وقد بليت؟ قال: إِنَّ الَّذِي أَحْيَا أَبْدَانَهُمْ جَدَّدَ أَكْفَانَهُمْ، قال:

فمن مات بلا كفن؟ قال: يستر الله عورته بما يشاء من عنده^(٥).

﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾: ما ملكناكم به في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة.

﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾: لم تحتملوا منه شيئاً.

١ - الخرائج والجرائع: ج ١، ص ٩٠-٩١، ح ١٥٠، فصل من روايات الخاصة.

٢ - الكافي: ج ١، ص ٤٥٣، ح ٢، باب مولد أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

٣ - وفي الحديث: تنوَّقوا بأكفانكم فإنكم تبعثون بها: أي اطلبوا حسناتها وجودتها من قولهم: تنوَّق وتنيق في

مطعمه وملبسه: تجوَّد وبالغ: بجمع البحرين ج ٥، ص ٢٤٢، مادة «نوق».

٤ - الكافي: ج ٣، ص ١٤٩، ح ٦، باب ما يستحب من الثياب للكفن وما يكره.

٥ - الإحتجاج: ج ٢، ص ٩٨، فيما احتج الصادق عليه السلام على زنديق.

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ
مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾

﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾: أي شركاء الله في ربوبيتكم، واستحقاق عبادتكم.

﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾: أي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم - والبين - من الأضداد يستعمل للوصل والفصل، وقرئ بالنصب على إضمار الفاعل أي ما بينكم.

﴿وَوَضَّلَ عَنْكُمْ﴾: ضاع وبطل.

﴿مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: القمّي: عن الصادق عليه السلام نزلت هذه الآية في معاوية، وبني أمية وشركائهم وأئمتهم. «لقد تقطع بينكم»: يعني المودة^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾: بالنبات والشجر.

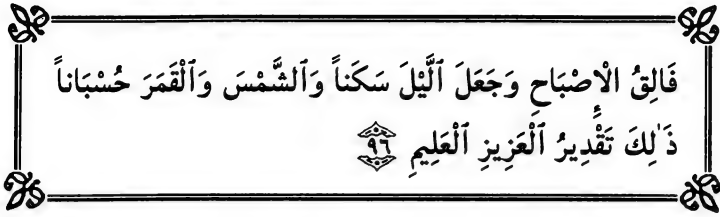
﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو كالنطفة والحب.

﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾: ومخرج ذلك من الحيوان والنبات^(٢).

في الكافي: عن الصادق عليه السلام في حديث الطينة، الحب: طينة المؤمنين التي ألقى الله عليها محبته، والنوى: طينة الكافرين الذين نأوا عن كل خير، وإنما سمي النوى من أجل أنه نأى عن كل خير وتباعد منه، فقال الله: «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ» فالحي: المؤمن الذي تخرج طينته من طينة الكافر، والميت الذي يخرج من الحي: هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن^(٣).

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١١. ٢ - وفي نسخة: [ما لا ينمو مما ينمو].

٣ - الكافي: ج ٢، ص ٥، ٧، باب طينة المؤمن والكافر.



والقمي قال: الحب: ما أحبه، والنوى: ما نأى ^(١) عن الحق، وقال أيضاً: فالفق الحب: أي يفلق العلم عن الأئمة، والنوى: ما بعد عنه ^(٢).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام الحب: المؤمن وذلك قوله: «وألقيت عليك محبة مني» ^(٣) والنوى: الكافر الذي نأى عن الحق فلم يقبله ^(٤).

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾: أي الذي يحق له العبادة.

﴿فَأَنِّي تَوْفَكُونُ﴾: تصرفون عنه إلى غيره.

﴿فَالِقُ الْأَصْبَاحِ﴾: شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل:

﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾: يسكن فيه الخلق كما قال: «لتسكنوا فيه» ^(٥).

في نهج البلاغة: ولا تسر أول الليل فإن الله جعله سكناً، وقدره مقاماً لا ظعناً ^(٦) فأراح فيه بدنك وروح ظهرك ^(٧).

١ - نأى: أي تباعد بناحيته وقربه، والثأني: البعد، يقال: نأيت عنه نأياً: أي بعدت. مجمع البحرين: ج ١، ص ٤٠٤، مادة «نأ».

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١١. وفيه: «ما نأى عن الحق».

٣ - طه: ٣٩.

٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٠، ح ٦٥.

٥ - يونس: ٦٧.

٦ - ظعن: ظفنًا وظفنًا بالإسكان والتحريك من باب نفع سار وارتحل. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٧٨. مادة «ظعن».

٧ - نهج البلاغة: ص ٣٧٢، ومن وصية له عليه السلام وصى بها معقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام.

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ
قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام تزوج بالليل، فإن الله جعله سكوناً^(١)، والعياشي: مثله^(٢).

وفي رواية: ولا تطلبوا الحوائج بالليل فإنه مظلم^(٣).

وفي الكافي: كان علي بن الحسين عليه السلام يأمر غلمانه أن لا يذبحوا حتى يطلع الفجر^(٤).

ويقول: إن الله جعل الليل سكوناً لكل شيء^(٥)، وقرئ وجاعل الليل.

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾: على أدوار مختلفة تحسب بها الأوقات.

﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾: الذي قهرهما وسيّرهما على الوجه الخاص.

﴿الْعَلِيمِ﴾: بتدبيرهما.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾: في

ظلمات الليل في البر والبحر، وإضافتها إليهما للملاسة، أو في مشتبهات الطرق، أو الأمور
سماها ظلمات على الاستعارة.

القمي: مقطوعاً قال: «النجوم»: آل محمد عليهم السلام^(٦).

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾: بينها فصلاً فصلاً.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: فإنهم منتفعون به.

١ - الكافي: ج ٥، ص ٣٦٦-٣٦٧، ح ٣، باب ما يستحب من التزويج بالليل.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٠، ح ٦٦.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧١، ح ٦٨.

٤ - الكافي: ج ٦، ص ٢٣٦، ح ٢، باب الأوقات التي يكره فيها الذبح.

٥ - الكافي: ج ٦، ص ٢٣٦، ح ٣، باب الأوقات التي يكره فيها الذبح.

٦ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١١.

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾: وهو آدم ﷺ.
﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾: وقرئ بكسر القاف أي قَارَ.

﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: والعياشي: عن الباقر ﷺ إنه قال لأبي بصير حين سأله عن هذه الآية: ما يقول أهل بلدك الذي أنت فيه؟ قال: يقولون: مستقرٌّ: في الرَّحْم، ومستودع: في الصَّلْب، فقال: كذبوا، المستقرُّ: من استقرَّ الإيمان في قلبه فلا ينزع منه أبداً، والمستودع: الذي يستودع الإيمان زماناً ثمَّ يسلبه، وقد كان الزَّبير منهم^(١).

وعن الصادق ﷺ: أنه سئل عنها؟ فقال: مستقرٌّ: في الرَّحْم، ومستودع: في الصَّلْب، وقد يكون مستودع الإيمان ثمَّ ينزع منه، ولقد مشى الزَّبير في ضوء الإيمان ونوره حين قبض رسول الله ﷺ حتَّى مشى بالسَّيف، وهو يقول: لا نبائع إلاَّ عليّاً^(٢).

وفي رواية: قال: المستقرُّ: الثَّابِت، والمستودع: المعار^(٣).

وعن الكاظم ﷺ في هذه الآية: ما كان من الإيمان المستقرُّ: فستقرَّ إلى يوم القيامة أبداً، وما كان من الإيمان المستودع^(٤) سلبه الله قبل الممات^(٥).

وفي الكافي: عنه ﷺ إنَّ الله خلق التَّيَّيْنِ على التَّبوَّة فلا يكونون إلاَّ أنبياء، وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلاَّ مؤمنين، وأعار قوماً إيماناً فإن شاء نَمَحَهُ لهم وإن شاء

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧١، ح ٦٩.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧١، ح ٧١. ٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٢، ح ٧٤.

٤ - وفي نسخة: [وما كان مستودعاً سلبه الله] كما في المصدر.

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧١ - ٣٧٢، ح ٧٢.

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ
فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مَتْرَاقِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ
طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ
مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُمْتَسِّبٍ أَنْظِرُوا إِلَى قَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

سلبهم إياه. قال: وفيهم جرت «فستقر ومستودع»، وقال: إن فلاناً كان مستودعاً إيمانه فلما كذب علينا سلب إيمانه ذلك^(١).

أقول: وكفى بفلان عن أبي الخطاب محمد بن مقلص العالي كما يستفاد من حديث آخر^(٢).

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾: قيل: ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لأن أمرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لأن إنشاءهم من نفس واحدة، وتصريفهم بين أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج إلى استعمال فطنة وتدقيق نظر^(٣).

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾: على تلوين الخطاب^(٤).
﴿بِهِ﴾: بالماء.

﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: نبت كل شيء من أصناف النباتات، والمعنى إظهار القدرة في إنبات الأنواع المختلفة بماء واحد كما قال: «يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على

١ - الكافي: ج ٢، ص ٤١٨، ح ٤، باب المعارين. ٢ - الكافي: ج ٢، ص ٤١٨، ح ٣، باب المعارين.

٣ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٣.

٤ - تلوين الخطاب لغيره: من أسلوب إلى آخر، وهو من البلاغة. منه بَيِّنَاتٌ.

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ
 تُبَحِّثُنهٖ وَتَعْلٰى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾

بعض في الأكل» (١).

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾: نباتاً غصّاً أخضر، وهو الخارج من الحبّة المشعّبة.

﴿مُخْرَجٌ مِنْهُ﴾: من الخضر.

﴿حَبًّا مَّتْرَاكِبًا﴾: قد ركب بعضه على بعض، وهو السنبّل.

﴿وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾: أعذاق (٢): جمع قنو، كصنوان: جمع صنو.

﴿دَانِيَةٌ﴾: قريبة من التناول.

﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مَتَشَبِهٍ﴾: بعضها

متشابه في الهيئة والمقدار واللون والطعم، وبعضها غير متشابه.

﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾: إلى ثمر كل واحد من ذلك، وقرئ بضمّ الثاء على الجمع.

﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾: إذا أخرج ثمره كيف يكون صغيراً حقيراً لا يكاد ينتفع به.

﴿وَيَنْعِهِ﴾: وإلى حال نضجه أو إلى نضيجه كيف يعود ضخماً ذا نفع ولذة مصدر

ينعت الثمرة: إذا أدركت أو جمع يانع.

﴿إِنِّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ﴾: على وجود صانع عليم حكيم قدير، يقدره، ويدبره،

وينقله من حال إلى حال.

﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: فإنهم المنتفعون.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾: الملائكة جعلوهم أنداداً لله فعبدوهم وقالوا: إنهم

١ - الرعد: ٤.

٢ - الغدق كفلس: النخلة يحملها وأما العذق بالكسر فالكباسة وهي عنقود التمر. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢١٢.

بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اَنّٰى يَكُوْنُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ
صَحِيْبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴿١٠١﴾

بنات الله، سأمهم جنّاً لا جنتناهم^(١)، وتحقيراً لسانهم^(٢) ونحوه وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً. وقيل: بل أريد بالجنّ: الشياطين لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله، أو عبدوا الأوثان بتسويلهم، أو قالوا إنّ الله خالق الخير، وإبليس خالق الشر^(٣).

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾: أي وقد علموا أنّ الله خالقهم دون الجنّ، وليس من يخلق كما لا يخلق. ﴿وَخَرَقُوا لَهُ﴾: واختلقوا الله.

﴿بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾: فإنّ المشركين قالوا: الملائكة بنات الله، وأهل الكتابين: عزيز ابن الله، والمسيح: ابن الله، وقرئ وخرقوا للتكثير.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه، ولكن جهلاً منهم بعظمة الله. ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾: وهو أنّ له شريكاً وولداً.

﴿بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾: أي هو مبدعها ومنشؤها بعلمه ابتداء لا من شيء ولا على مثال، سبق كذا في الجمع: عن الباقر عليه السلام^(٤).

﴿اَنّٰى يَكُوْنُ لَهُ وَلَدٌ﴾: من أين وكيف يكون له ولد.

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَحِيْبَةً﴾: يكون منها الولد.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ﴾: ومن كان بهذه الصفة^(٥) فهو غني عن كلّ شيء.

١ - أي لاستارهم من جنة الليل، وعليه جنّاً وأجنه ستره وكل ماستره وكل ماستر عنك فقد جن عنك. منه عليه السلام.

٢ - إن أريد التثني بهم، منه عليه السلام.

٣ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٤.

٤ - وفي نسخة: [الصفات].

٥ - جمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٤٣.

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

﴿ذَلِكُمْ﴾: الموصوف بهذه الصفات.

﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: في الحصال: عن الباقر عليه السلام ^(١)، وفي

العيون: عن الرضا عليه السلام: أفعال العباد مخلوقة، خلق تقدير لا خلق تكوين، والله خالق كل شيء، ولا نقول بالجبر والتفويض ^(٢).

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾: فإن من استجمع هذه الصفات استحقَّ العبادة.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: حفيظ مدبّر.

وقيل: هو مع تلك الصفات متولّي أموركم فكلوها إليه، وتوسّلوا بعبادته إلى انجاح مآربكم، ورقب على أعمالكم فيجازيكم عليها ^(٣).

﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾: في الكافي ^(٤)، والتّوحيد: عن

الصادق عليه السلام في هذه الآية يعني إحاطة الوهم، ألا ترى إلى قوله: «وقد جاءكم بصائر من ربكم» ^(٥) ليس يعني بصر العيون فمن أبصر فلنفسه ليس يعني من البصر بعينه، ومن عمى

الحصال: ص ٦٠٨، ح ٩، باب خصال من شرائع الدين من أبواب المائة فما فوقه.

- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٣١٥، ح ٩٠، باب ٢٨ - فإما جاء عن الإمام علي بن موسى عليه السلام من نبار المتفرقة.

قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٥، س ٤.

- الكافي: ج ١، ص ٩٨، ح ٩، في قوله تعالى: «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار».

الأنعام: ١٠٤.

فعلينا لم يعن عمى العيون إنما عنى إحاطة الوهم كما يقال: فلان بصير بالشعر، وفلان بصير بالفقه، وفلان بصير بالدرهم، وفلان بصير بالثياب، الله أعظم من أن يرى بالعين^(١).

وعن الباقر عليه السلام في هذه الآية: أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهك السند، والهند، والبلدان التي لم تدخلها ولم تدركها ببصرك، وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون؟^(٢).

وفي التوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام: وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات، وأما قوله: «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» فهو كما قال: «لا تدركه الأبصار» لا تحيط به الأوهام، وهو يدرك الأبصار يعني يحيط بها^(٣).

وفي المجمع^(٤)، والعياشي: عن الرضا عليه السلام إنه سئل عما اختلف الناس من الرؤية فقال: من وصف الله سبحانه بخلاف ما وصف به نفسه فقد أعظم الفرية على الله تعالى وهو كما قال: «لا تدركه الأبصار» وهذه الأبصار ليست هذه الأعين إنما هي الأبصار التي في القلوب، لا يقع عليه الأوهام^(٥).

﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾: في الكافي^(٦)، والتوحيد^(٧)، والعيون: عن الرضا عليه السلام وأما اللطيف فليس على قلة وقضاة^(٨) وصغر، ولكن ذلك على النفاذ في الأشياء، والإمتناع من أن يدرك، كقول الرجل: لطف عني هذا الأمر، ولطف فلان في مذهبه، وقوله:

١ - التوحيد: ص ١١٢، ح ١٠، باب ٨ - ما جاء في الرؤية.

٢ - التوحيد: ص ١١٣، ح ١٢، باب ٨ - ما جاء في الرؤية.

٣ - التوحيد: ص ٢٦٢، ح ٥، باب ٣٦ - الرد على الثنوية والزنادقة.

٤ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٤٤. ٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٣، ح ٧٩.

٦ - الكافي: ج ١، ص ١٢٢، ح ٢، باب آخر الفرق ما بين المعاني التي تحت أسماء الله وأسماء المخلوقين.

٧ - التوحيد: ص ١٨٩، ح ٢، باب ٢٩ - أسماء الله تعالى والفرق بين معانيها وبين معاني أسماء المخلوقين.

٨ - القضاة - بالضم - والقصف - محركة - - النحافة، والقصف: الدقة. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٠٩،

قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ
وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾

يخبرك أنه غمض فيه العقل وفات الطلب وعاد متعمقاً متلطفاً لا يدركه الوهم فكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدرك بحد أو يحد بوصف، واللطافة من الصغر والقلّة فقد جمعنا الإسم واختلف المعنى، قال: وأما الخبير: فالذي لا يعزب عنه شيء، ولا يفوته شيء، ليس للتجربة ولا للإعتبار بالأشياء فتفيده التجربة والإعتبار علماً، ولولاهما ما علم لأن من كان كذلك كان جاهلاً، والله تعالى لم يزل خبيراً بما يخلق، والخبير من الناس المستخبر عن جهل المتعلم فقد جمعنا الإسم واختلف المعنى (١).

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: البصيرة للقلب كالبصر للبدن.

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾: الحق وأمن به.

﴿فَلِنَفْسِهِ﴾: أبصر لأن نفعه لها.

﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾: عن الحق وضلّ.

﴿فَعَلَيْهَا﴾: وباله.

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾: وإنما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ أعمالكم

ويجازيكم عليها، وهذا كلام ورد على لسان الرسول ﷺ (٢).

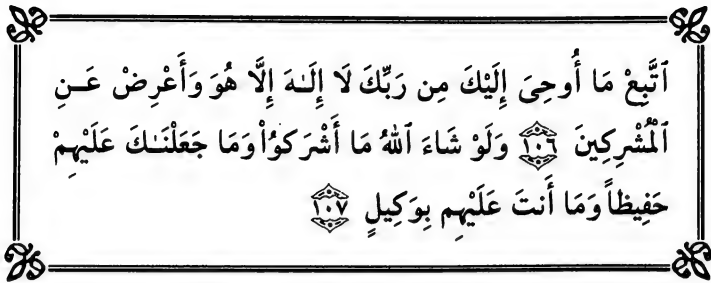
﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: ومثل ذلك التصريف نصرف وهو إجراء المعنى

الدائر في المعاني المتعاقبة من الصّرف وهو نقل الشيء من حال إلى حال.

١ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٤٨، ح ٥٠، باب ١١ - ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليه السلام من الأخبار

٢ - اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٥.

في التوحيد.



﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾: أي «وليقولوا درست» صرفنا، واللام للعاقبة، والدَّرس: القراءة والتعلُّم، وقرئ «دارست» أي دارست أهل الكتاب وذاكرتهم، ودرست: من الدَّروس أي: قدمت هذه الآيات، وعفت كقولهم: «أساطير الأولين»^(١).

القمي: كانت قريش تقول لرسول الله ﷺ: إنَّ الذي تخبرنا به من الأخبار تتعلَّمه من علماء اليهود وتدرسه^(٢).

﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾: و«اللام» هنا على أصله، لأنَّ التبيين مقصود التصريف، والضَّمير للآيات باعتبار المعنى.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: فإنَّهم المنتفعون به.

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: بالتَّدين به.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: اعتراض.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾: ولا تحفل^(٣) بأقوالهم، ولا تلتفت إلى آرائهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾: في المجمع: في تفسير أهل البيت عليه السلام ولو شاء الله أن

يجعلهم كلَّهم مؤمنين معصومين حتَّى كان لا يعصيه أحد لما كان يحتاج إلى جنة ولا إلى نار، ولكنَّه أمرهم ونهاهم وامتنحهم وأعطاهم ما له عليهم به الحجَّة من الآلة والإستطاعة

١- الأنعام: ٢٥، والأنفال: ٣١، والنحل: ٢٤، والمؤمنون: ٨٣، والفرقان: ٥.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٢.

٣- أي تعتن كمال الإعتناء بأقوالهم من الإحتفال بمعنى حسن القيام بالأمور. منه ﷺ.

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ
 عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ
 بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾

ليستحقوا الثواب والعقاب (١). القمي: ما يقرب منه (٢).

﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾: رقيباً.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: تقوم بأمورهم.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما

فيها من القبائح.

﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾: تجاوزاً عن الحق إلى الباطل.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به.

في المجمع (٣)، والقمي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قول النبي ﷺ: إِنَّ الشِّرْكَ

أَخْفَى مِنْ دَيْبِ التَّمَلِّ عَلَى صَافٍ سَوْدَاءٍ، فِي لَيْلَةِ ظُلُمَاءٍ فَقَالَ: كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَسُبُّونَ مَا يَعْبُدُ

الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ. فَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَسُبُّونَ مَا يَعْبُدُ الْمُؤْمِنُونَ، فَهِيَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ سَبِّ

أَهْلِهِمْ لِكَيْلَا يَسْبُ الْكَفَّارُ إِلَهُ الْمُؤْمِنِينَ فَيَكُونُ الْمُؤْمِنُونَ قَدْ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا

يَعْلَمُونَ (٤).

وفي الكافي: عنه عليه السلام في حديث طويل وإياكم وسب أعداء الله حيث يسمعونكم

فيسبوا الله عدواً بغير علم (٥).

١ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٤٦. ٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٢.

٣ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٤٧. ٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٣.

٥ - الكافي: ج ٨، ص ٧، س ١٤، ح ١، رسالة أبي عبد الله عليه السلام إلى جماعة الشيعة.

والعياشي: عنه عليه السلام إنه سئل عن هذه الآية فقال: أرايت أحداً يسب الله؟ ف قيل: لا، وكيف؟ قال: من سب ولي الله فقد سب الله ^(١).

وفي إعتقادات الصدوق عليه السلام: عنه عليه السلام إنه قيل: إنا نرى في المسجد رجلاً يعلن بسب أعدائكم ويسبهم، فقال: ما له لعنه الله تعرض بنا، قال الله: «ولا تسبوا الذين يدعون» الآية ^(٢).

قال: وقال الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: لا تسبّوهم فإنهم يسبّون عليكم ^(٣).

وقال: من سبّ ولي الله فقد سبّ الله ^(٤).

قال النبي صلى الله عليه وآله لعلّي صلوات الله عليه: من سبك فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله فقد كبه ^(٥) الله على منخره في نار جهنم ^(٦).

﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾: في الخير والشر ^(٧).

والقمتي: يعنى بعد اختبارهم ودخولهم فيه، فنسبه الله إلى نفسه والدليل على أن ذلك لفعلهم المتقدم: قوله «بما كانوا يعملون» ^(٨).

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بالمحاسبة والمجازاة.

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٣ - ٣٧٤، ح ٨٠.

٢ - الإعتقادات في دين الإمامية: ص ٨٢، باب ٣٩ - الإعتقاد في التقية.

٣ - الإعتقادات في دين الإمامية: ص ٨٢، ب ٣٩ - الإعتقاد في التقية.

٤ - الإعتقادات في دين الإمامية: ص ٨٢، باب ٣٩ - الإعتقاد في التقية.

٥ - يقال كببت فلاناً كبّاً: ألقيته على وجهه فأكب هو بالألف. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٥١، مادة «كب».

٦ - الإعتقادات في دين الإمامية: ص ٨٢، باب ٣٩ - الاعتقاد في التقية.

٧ - قيل: أي مثل ذلك التّرين: زَيْنًا لكل أمة من أُمم الكفار عملهم، أي خليتهم وما عملوا، ولم نمنعهم حتّى حسن عندهم عملهم السيّء، والتعميم كما فعلناه أظهر وأصوب، منه عليه السلام.

٨ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٣.

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا
الْآيَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾: حلفوا به مجدين مجتهدين، القمّي: يعني قریشاً^(١).

﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾: من مقترحاتهم.

﴿لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَةُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء على مقتضى الحكمة، ليس شيء منها بقدرقي وإرادتي.

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾: وما يدریکم استفهام إنكار.

﴿أَنَّهَا﴾: إن الآية المقترحة.

﴿إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بها يعني أنا أعلم إنها إذا جاءت لا يؤمنون بها، وأنتم لا تدرون بذلك.

قيل: وذلك أن المؤمنين كانوا يطمعون في إيمانهم عند مجيء الآية، ويتمنون مجيئها فأخبرهم الله سبحانه أنهم ما يدرون ما سبق علمه به من أنهم لا يؤمنون، ألا ترى إلى قوله: «كما لم يؤمنوا به أول مرة»^(٢) وقيل: «لا» مزیدة^(٤).

وقيل: «إن» بمعنى «لعل» ويؤيده قراءة أبي لعلها، وقرئ «إنها» بالكسر، على أن الكلام قد تم قبله، ثم أخبرهم بعلمه فيهم وهذا أوضح، ولا تؤمنون - بالتاء - على أن

١ - تفسير القمّي: ج ١، ص ٢١٣.

٢ - الأنعام: ١١٠.

٣ - قاله الزمخشري في تفسيره الكشف: ج ٢، ص ٥٧، س ٣.

٤ - انظر أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٦، س ١٦، والكشاف: ج ٢، ص ٥٧ - ٥٨.

وَتُقَلَّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ
 فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ
 وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا
 لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾

الخطاب للمشركين^(١).

﴿وَتُقَلَّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾: عطف على لا يؤمنون، أي وما يشعركم إننا حينئذٍ نقَلِّبُ أفئدتهم عن الحق فلا يفقهونه، وأبصارهم فلا يبصرونه، فلا يؤمنون بها. ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: أي بما أنزل الله من الآيات. والقمي: يعني في الذر، والميثاق^(٢).

﴿وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: وندهم متحيرين، ولا نهديم هداية المؤمنين. القمي: عن الباقر عليه السلام «وَتُقَلَّبُ أَفْئِدَتَهُمْ»، يقول: ننكس قلوبهم فيكون أسفل قلوبهم أعلاها، ونعمي أبصارهم فلا يبصرون الهدى، وقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: إن أول ما يقلبون عليه من الجهاد: الجهاد بأيديكم، ثم الجهاد بألسنتكم، ثم الجهاد بقلوبكم، فمن لم يعرف قلبه معروفاً، ولم ينكر منكراً، نكس قلبه، وجعل أعلاه أسفله، فلم يقبل خيراً أبداً^(٣). ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾: كما اقترحوا فقالوا: «لولا أنزل علينا الملائكة»^(٤) «فأتوا بآبائنا»^(٥) «أو تأتي بالله والملائكة

١ - الكشف: ج ٢، ص ٥٧، أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٦.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٣.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٣. وفيه: «إن أول ما يغلبون عليه».

٤ - الفرقان: ٢١.

٥ - الدخان: ٣٦.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ
فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾

قبيلًا^(١) (٢). القمّي: قُبَلًا: أي عيانًا^(٣).

وفسر بمعانٍ أخر، وقرئ «قَبَلًا» بكسر القاف وفتح الباء وهو بمعناه المذكور.
﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يُجْهَلُونَ﴾: إنهم لو اتوا
بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون، ولذلك اسند الجهل إلى
أكثرهم مع أن مطلق الجهل يعتمهم، ولكن أكثر المسلمين يجهلون إنهم لا يؤمنون، فيتمنون
نزل الآية طمعاً في إيمانهم كذا قيل^(٤).

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾: أي كما جعلنا لك عدوًّا جعلنا لكل نبي سببك
عدوًّا بمعنى التخلية بينهم وبين أعدائهم للإمتحان.

القمّي: عن الصادق عليه السلام ما بعث الله نبيًّا قط إلا وفي أمته شيطانان يؤذيانه ويضلّان
الناس بعده، فأما صاحبنا نوح فيعطوش^(٥)، وحزام، وأما صاحبنا إبراهيم فكتل^(٦)، ورزام،
وأما صاحبنا موسى فالسامري ومرعيبا، وأما صاحبنا عيسى فبولينس^(٧)، ومريتون^(٨)، وأما

١- الإسراء: ٩٢.

٢- أي قبيلًا قبيلًا، وقيل: عيانًا وقبلاً: أي أصنافاً جمع قبيل أي صنف صنف. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٤٦.

٣- تفسير القمّي: ج ١، ص ٢١٣.

مادة «قبل».

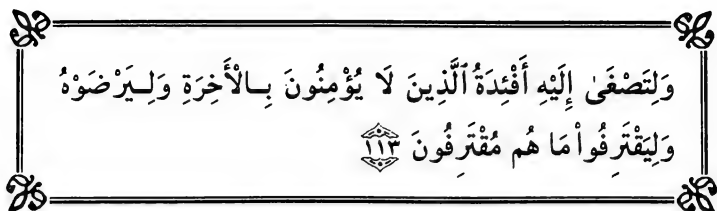
٤- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٧.

٥- وفي نسخة [ففيطيقوس] وفي المصدر فقتيفوص.

٦- وفي نسخة كما في المصدر [مكيل].

٧- وفي نسخة: [فبولس] وفي المصدر فبولس.

٨- وفي نسخة كما في المصدر [مريبون].



صاحباً محمد ﷺ فحبر وزيريق (١).

وقيل: زريق: بتقديم الرّاء على الرّاء مصغر زرق، والحبر بتقديم المهملة ثمّ الموحدة ثمّ المثناة من فوق ثمّ الرّاء على وزن - جعفر -، الثعلب، وإنما كتبت عنهما بهما لزرقة عين أحدهما، ولشبه الآخر بالثعلب في الحيلة (٢).

﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾: مردتها.

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾: الأباطيل المتوهة (٣) من زُخْرَفُهُ: إذا زينته.

القمي: يقول بعضهم إلى بعض: لا تؤمنوا بزخرف القول، فهذا الوحي كذب (٤).

في الكافي: عن الصادق عليه السلام في حديث طويل من لم يجعله الله من أهل صفة الحق فأولئك شياطين الإنس والجن (٥).

وفي الحاصل: عنه عليه السلام الإنس على ثلاثة أجزاء: فجزء تحت ظلّ العرش يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه، وجزء عليهم الحساب والعذاب، وجزء وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين (٦).

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ * وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ﴾: تميل.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٤، س ٥. ٢- وفي نسخة: [وتشبيه الآخر بالثعلب في حيلته].

٣- مؤهت الشيء - بالتشديد: - إذا طليته بفضّة أو ذهب وتحت ذلك نحاس أو حديد، ومنه التزييه: وهو التلييس. وقول مُؤَوِّه: أي مزخرف أو ممزوج من الحق والباطل. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٣٦٣، مادة «موه».

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٤. ٥- الكافي: ج ٨، ص ١١، ح ١، رسالة أبي عبدالله عليه السلام إلى جماعة الشيعة.

٦- الحاصل: ص ١٥٤، ح ١٩٢، باب الثلاثة. الجن على ثلاثة أجزاء، والإنس على ثلاثة أجزاء.

أَفْعَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا
وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا
مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾

﴿أَفْعِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِرِضْوَةٍ﴾: لأنفسهم.

﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾: وليكتسبوا.

﴿مَا هُمْ مَقْتَرُونَ﴾: من الآثام.

﴿أَفْعَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾: يعني قل لهم: أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم،

وبفصل الحق منا من المبطل؟

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن.

﴿مُفَصَّلًا﴾: مبيناً فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والإلتباس.

﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾: التوراة والإنجيل.

﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾: لتصدق ما عندهم إياه ولتصدقه ما

عندهم مع أنه ﷺ لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم، وقرئ منزل بالتشديد.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: في أنهم يعلمون ذلك أو في أنه منزل بجهود أكثرهم

فيكون من باب التهميش كقوله: «ولا تكونن من المشركين»^(١) ومن قبيل إياك أعني واسمعي يا جارة.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: ما تكلم به من الحجة وقرئت «كلمات ربك».

قيل: يعني بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده^(٢).

١ - الأنعام: ١٤.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٨، س ٦.

وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ
إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢١٦﴾

﴿صِدْقًا﴾: في الأخبار والمواعيد.

﴿وَعَدْلًا﴾: في الأقضية والأحكام.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾: لا أحد يبدل شيئاً منها بما هو أصدق وأعدل.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لما يقولون.

﴿أَلْعَلِيمُ﴾: بما يضمرون. في الكافي: عن الصادق عليه السلام إِنْ الْإِمَامَ يَسْمَعُ فِي بطنِ أُمِّهِ فَإِذَا وَلَدَ خَطَّ بَيْنَ كَتِفَيْهِ^(١)، وفي رواية بين عينيه^(٢).

وفي أخرى: على عضده الأيمن «وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا» الآية فإذا صار الأمر إليه جعل الله له عموداً من نور يبصر به ما يعمل أهل كل بلدة^(٣).

وفي رواية فهذا^(٤) يحتج الله على خلقه^(٥). والقمي^(٦)، والعباشي: ما يقرب منه^(٧).

﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: لأن الأكثر في الغالب يتبعون الأهواء.

١ - الكافي: ج ١، ص ٣٨٧، ح ٤، باب مواليد الأئمة عليه السلام.

٢ - الكافي: ج ١، ص ٣٨٨، ح ٦، باب مواليد الأئمة عليه السلام.

٣ - الكافي: ج ١، ص ٣٨٧، ح ٣، باب مواليد الأئمة عليه السلام.

٤ - أي فيمن يكون على هذه الصفة. منه عليه السلام.

٥ - الكافي: ج ١، ص ٣٨٧، ح ٢، باب مواليد الأئمة عليه السلام.

٦ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٤ - ٢١٥.

٧ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٤، ح ٨٢ و ٨٣.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
 بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ
 بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ مَّا نُهُتُمْ عَنْهُ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ
 عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ
 وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بَغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
 بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: وهو ظنهم أن آباءهم كانوا محققين وهم يقلدوهم، أو جهالاتهم وآراءهم الفاسدة^(١).

﴿وَأِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يقولون: عن تخمين.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: أي من يضل أو استفهام.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾: أي أعلم بالفريقين.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: مسبب عن إنكار اتباع المضللين الذين يحرمون

الحلال ويحلون الحرام وذلك أنهم قالوا للمسلمين: أأأكلون مما قتلتم أنتم ولا تأكلون مما قتل ربكم؟ فقل: كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره، أو مات حتف أنفه.

﴿إِنْ كُنْتُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ مَّا نُهُتُمْ عَنْهُ﴾: فإن الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحله الله واجتناب ما حرّمه.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: وأي غرض لكم بأن تتحرّجوا عن

١ - بمعنى أن الظن يطلق على ما يقابل العلم. كما ورد في أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٨.

وَذَرُوا ظَهْرَ الْأَئِمَّةِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَئِمَّةَ سَيُجْزَوْنَ
بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ
وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخَذَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْنِدُواكُمْ
وَإِنَّ أَطْعَمْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

أكله وما يمنعكم منه.

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾: مما لم يحرم بقوله: «حرمت عليكم الميتة»^(١).

وقرى «فُصِّلَ» على البناء للمفعول و«حَرَّمَ» على البناء للفاعل.

﴿إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾: مما حرم عليكم فإنه أيضاً حلال حال الضرورة.

﴿وَإِنْ كَثِيراً لِيُضِلُّوا﴾: بتحليل الحرام، وتحريم الحلال، وقرئ بضم الياء.

﴿بِأَهْوَائِهِمْ بَغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُفْتَدِينَ﴾: المتجاوزين الحق إلى

الباطل، والحلال إلى الحرام.

﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْأَئِمَّةِ وَبَاطِنَهُ﴾: ما يعلن وما يسر. القمي: قال: الظاهر من الإثم:

المعاصي، والباطن: الشرك والشك في القلب^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَئِمَّةَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾: القمي: يعملون^(٣).

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: في الفقيه^(٤)، والتهميز: عن

الباقر عليه السلام: قال: بسم الله وذبح؟ فقال: كل، فقيل: مسلم ذبح ولم يسم؟

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٥.

١- البقرة: ١٧٣.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٥.

٤- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢١٠، ح ٩٧٣/٦٣- باب ٩٦- الصيد والذباحة.

فقال: لا تأكل إنَّ الله يقول: «فكلوا مما ذكر اسم الله عليه»^(١) «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه»^(٢).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام أنَّه سئل عن ذبائح أهل الكتاب؟ فقال: لا بأس إذا ذكر اسم الله عليه، ولكنِّي أعني منهم من يكون على أمر موسى وعيسى عليه السلام^(٣).
وعنه عليه السلام: إنَّه سئل عن ذبائح اليهود والنصارى؟ فقال: الذبيحة اسم ولا يؤمن على الاسم إلَّا مسلم^(٤).

وفي التهذيب: عن الباقر عليه السلام في ذبيحة الناصب واليهودي والنصراني، قال: لا تأكل ذبيحته حتَّى تسمعه يذكر اسم الله عليه أما سمعت قول الله: «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه»^(٥).

أقول: هذا الحديث يوضِّح سابقه ويحكم عليهما، ويفصل إجمالهما، كما أنَّ أولهما يحكم عليه، والثلاثة توفِّق بين كلِّ ما ورد في هذا المعنى مع كثرته واختلافه.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام أنَّه سئل عن رجل ذبح ولم يسم، فقال: إن كان ناسياً فليس يذبح، ويقول بسم الله على أوله وآخره^(٦).

وعنه عليه السلام: إذا ذبح المسلم ولم يسم ونسي فكل من ذبيحته وسمَّ الله على ما تأكل^(٧). وفيه: عنه عليه السلام أنَّه سئل عن رجل ذبح فسبَّح أو كَبَّر أو هَلَّل أو حمد الله، قال: هذا كلُّه

١- الأنعام: ١١٨.

٢- تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٦٩، ح ٢٩٣/٢٨، باب ٢- الذبائح والأطعمة وما يحل من ذلك وما يحرم منه.

٣- الكافي: ج ٦، ص ٢٤٠-٢٤١، ح ١٤، باب ذبائح أهل الكتاب.

٤- الكافي: ج ٦، ص ٢٤٠، ح ١٢، باب ذبائح أهل الكتاب.

٥- تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٦٨، ح ٢٨٧/٢٢، باب ٢- الذبائح والأطعمة وما يحل من ذلك وما يحرم منه.

٦- الكافي: ج ٦، ص ٢٣٣-٢٣٤، ح ٤، باب ما ذبح لغير القبلة أو ترك التسمية والجنب يذبح.

٧- تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٢٢٢، ح ٧٤٧/٨٦، باب ١٦- الذبيح.

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ
مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

من أسماء الله تعالى، ولا بأس به^(١).

﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾: فإنَّ الفسق: ما أهل لغير الله به لقوله تعالى: «أو فسقاً أهل لغير الله به»^(٢).

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾: ليوسوسون.

﴿إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾: من الكفار.

﴿لِيُحْدِثُوا كُفْرًا﴾: بقولهم: تأكلون ما قتلتم أنتم، وجوارحكم، وتدعون ما قتل الله.

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾: في إستحلال ما حرّم.

﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾: فإن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد

أشرك بالله.

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا﴾: وقرئ بالتشديد.

﴿فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ

بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾: يعني مثل من هداه الله وأنقذه من الضلالة وجعل له حجة يهتدي بنور ربها

كمن صفته البقاء في الضلالة لا يفارقها بحال أبداً.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام «ميتاً»: لا يعرف شيئاً، و «نوراً يمشي به في الناس»: إماماً

١ - الكافي: ج ٦، ص ٢٣٤، ح ٥، باب ما ذبح لغير القبلة أو ترك التسمية، والجنب يذبح.

٢ - الأنعام: ١٤٥.

يؤتم به، «كمن مثله في الظلمات»: الذي لا يعرف الإمام^(١). والعياشي: مثله^(٢).

وعنه عليه السلام الميت: الذي لا يعرف هذا الشأن يعني هذا الأمر، و«جعلنا له نوراً» إماماً يأتّم به يعني علي بن أبي طالب صلوات الله عليه «كمن مثله في الظلمات» قال: بيده هكذا هذا الخلق الذي لا يعرفون شيئاً^(٣).

وفي المناقب: عن الصادق عليه السلام كان ميتاً عتاً فأحييناه بنا^(٤).

والقمي: كان جاهلاً عن الحق والولاية فهديناه إليها، قال: «التور»: الولاية، «في الظلمات»: يعني ولاية غير الأئمة عليهم السلام^(٥).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في حديث قال الله تعالى: «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ» فالحيّ: المؤمن الذي يخرج طينته من طينة الكافر، والميت الذي يخرج من الحيّ: هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن، فالحيّ: المؤمن، والميت: الكافر، وذلك قوله عز وجل: «أو من كان ميتاً فأحييناه» فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، وكان حياته حين فرّق الله بينها بكلمته كذلك يخرج الله عز وجل المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها إلى التور، ويخرج الكافر من التور إلى الظلمة بعد دخوله إلى التور، وذلك قوله عز وجل: «لينذر من كان حياً» ويحقّ القول على الكافرين^(٦) «^(٧)».

﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في المجمع: عن الباقر عليه السلام إن الآية نزلت في عمار بن ياسر، وأبي جهل^(٨).

١ - الكافي: ج ١، ص ١٨٥، ح ١٣، باب معرفة الإمام والرد إليه.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٥-٣٧٦، ح ٨٩.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٦، ح ٩٠.

٤ - مناقب ابن شهر آشوب: ج ٣، ص ٢٧٠ في المفردات من مناقبه.

٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٥. ٦ - يتس: ٧٠.

٧ - الكافي: ج ٢، ص ٥-٦، ح ٧، باب طينة المؤمن والكافر.

٨ - مجمع البيان: ج ٣-٤، ص ٣٥٩ في شأن نزول الآية.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرِمِيهَا يَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ
قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ
حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ
وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرِمِيهَا﴾: أي كما جعلنا في مكة والمعنى
خليئناهم وشأنهم.

﴿يَمْكُرُوا فِيهَا﴾: ولم نكفهم عن المكر، وإنما خصص الأكابر لأنهم أقوى على استتباع
الناس والمكر بهم.

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: لأن وبالهم يحق بهم.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: ذلك.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا﴾: القمّي: قال الأكابر (١).

﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾: روي أن أبا جهل قال: تراحمنا (٢).

بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا: متنا نبي يوحى إليه والله لا
نرضى به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت (٣).

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٦.

٢ - قوله: «تراحمنا» أي ضائقنا الأمر عليهم من كل وجه، ولم نقصر عنهم في شرف حتى صرنا كالفرسين
المتسابقين في ميدان الاستباق، يهتم في سبق كل منها على الآخر، فلا نسلم أبداً لهم شرفاً لا يكون مثله لنا فلا
نؤمن بالآيات المنزلة فيهم إلا أن ينزل مثلها فينا حتى لا نقصر عنه. منه يترى.

٣ - مجمع البيان: ج ٣، ص ٤، في شأن نزول الآية، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٠.

فَن يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ
يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ
يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾

ونحوه قوله عز وجل: «بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة»^(١).
﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾: استئناف للرد عليهم بأن النبوة
ليست بالنسب والمال، وإنما هي بفضائل نفسانية يختص الله بها من يشاء من عباده
فيجتي لرسالته من علم أنه يصلح لها، وهو أعلم بالمكان الذي فيه يضعها، وقرئ
رسالاته^(٢).

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾: ذلّ وحقارة بعد كبرهم.
﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: يوم القيامة، وقيل: من عند الله^(٣).
﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾: القمي: أي يعصون الله في السر^(٤).
﴿فَن يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾: يعرفه الحق ويوفقه للإيمان.
﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾: فيتسع له ويفسح^(٥) فيه مجاله، وهو كناية عن جعل
القلب قابلاً للحق مهيناً لحلوله فيه، مصقياً عما يمنعه وينافيه.
في المجمع: قد وردت الرواية الصحيحة أنه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله ﷺ:

١ - المدثر: ٥٢. ٢ - اقتباس من تفسير أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٠.

٣ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٠.

٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٦.

٥ - الفسحة بالضم: السعة، وفسح المكان ككرم وأفسح وتفصح وانفسح فهو فسيح وفسح له كمنع وسع
كتفصح فيفسح له: أي للإسلام صدره ويفسح أي يسع في الصدر مجال الإسلام أي محل دورانه منه ﷺ.

عن شرح الصدر وما هو؟ فقال: نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له صدره وينفسح، قالوا: فهل لذلك من إمارة يعرف بها؟ فقال: نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت^(١).

﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾: بحيث ينبو^(٢) عن قبول الحق فلا يدخله الإيمان، وقرئ ضيقًا بالتخفيف، وحرَجًا بالكسر أي شديد الضيق.

في المعاني: عن الصادق عليه السلام: في هذه الآية قال: قد يكون ضيقاً وله منفذ يسمع منه ويبصر، والحرَج: هو الملتئم الذي لا منفذ له، يسمع به ولا يبصر منه^(٣).

والعياشي: عنه عليه السلام: إنه قال لموسى بن أسمر أتدري ما الحرج؟ قال: قلت: لا، فقال بيده وضّم أصابعه: كالشيء المصمت الذي لا يدخله فيه شيء، ولا يخرج منه شيء^(٤).

﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾: يتصعد، وقرئ بالتخفيف، ويصاعد بمعنى يتصاعد مبالغة في ضيق صدره. بتشبيهه بمن يزاوُل ما لا يقدر عليه فإنَّ صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ويضيق عند القدرة.

﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: العياشي: عن الصادق عليه السلام: هو الشك^(٥).

وفي الكافي: عنه عليه السلام: إنَّ القلب ليتخلخل في الجوف يطلب الحق فإذا أصابه إطمأن به وفرّ، ثم تلا «فمن يرد الله أن يهديه» الآية^(٦)، والعياشي: مثله^(٧).

١ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٦٣.

٢ - نَبَأُ السيف ينبو - من باب قتل - نبوّاً على فعول: كلّ ورجع من غير قطع. مجمع البحرين: ج ١، ص ٤٠٦، مادة «نبأ».

٣ - معاني الأخبار: ص ١٤٥، ح ١، باب معنى الحرج.

٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٧، ذيل الحديث ٩٥. وفيه: «موسى بن أشيم».

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٧، ح ٩٦.

٦ - الكافي: ج ٢، ص ٤٢١، ح ٥، باب سهو القلب: وفيه: «إنَّ القلب ليتجلجل» بمعنى التحرك مع الضوت.

٧ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٦، ح ٩٣.

وفي رواية: قال: إِنَّ القلبَ ينتقلِبُ عن موضعه إلى حنجرته ما لم يصب الحقُّ فإذا أصاب الحقُّ قَرَّ، ثم تلا هذه الآية (١)، وفي المجمع: عنه عليه السلام: مثله (٢).

أقول: يتخلخل بالخاء بين المعجمتين أو الجيمين أي يتحرك.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: إِنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور فأضاء لها سمعه وقلبه حتَّى يكون أحرص على ما في أيديكم منكم، وإذا أراد بعبد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء فأظلم لها سمعه وقلبه، ثم تلا: «فمن يرد الله أن يهديه» الآية (٣).

وفيه (٤)، وفي التوحيد (٥)، والعياشي: عنه عليه السلام: إِنَّ الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور، وفتح مسامع قلبه، ووكل به ملكاً يسدِّده، وإذا أراد بعبد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء سدَّ مسامع قلبه، ووكل به شيطاناً يضلُّه، ثم تلا هذه الآية (٦).

وفي الكافي: عنه عليه السلام: في حديث واعلموا أَنَّ الله إذا أراد بعبد خيراً شرح الله صدره للإسلام، فإذا أعطاه ذلك نطق لسانه بالحقِّ، وعقد قلبه عليه فيعمل به. فإذا جمع الله له على ذلك تمَّ له إسلامه، وكان عند الله إن مات على ذلك الحال من المسلمين حقاً، وإذا لم يرد الله بعبد خيراً وكلَّه إلى نفسه فكان صدره ضيقاً حرجاً فإن جرى على لسانه حقٌّ لم يعقد قلبه عليه، وإذا لم يعقد قلبه عليه لم يعطه الله العمل به، فإذا اجتمع ذلك عليه حتَّى يموت وهو على تلك الحال كان عند الله من المنافقين، وصار ما جرى على لسانه من الحقِّ الَّذي لم يعطه الله

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٧، ح ٩٥. ٢ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٦٤.

٣ - الكافي: ج ٢، ص ٢١٤، ح ٦، باب في ترك دعاء الناس.

٤ - الكافي: ج ٢، ص ٢١٤، ح ٧، باب في ترك دعاء الناس.

٥ - التوحيد: ص ٤١٥، ح ١٤، باب ٦٤ - التعريف والبيان والحجة والهداية.

٦ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٦ - ٣٧٧، ح ٩٤.

وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِ لِقَوْمٍ

يَذْكُرُونَ

أن يعقد قلبه عليه ولم يعطه العمل به حجة^(١) عليه فاتقوا الله وسلوه أن يشرح صدوركم للإسلام وأن يجعل ألسنتكم تنطق بالحكمة حتى يتوفاكم وأنتم على ذلك^(٢).

وفي التوحيد^(٣)، والمعاني^(٤)، والعيون: عن الرضا عليه السلام: إنه سئل عن هذه الآية فقال: من يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدنيا وإلى جنته ودار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتسليم لله، والثقة به، والسكون إلى ما وعده من ثوابه حتى يطمئن إليه، ومن يرد أن يضله عن جنته ودار كرامته في الآخرة لكفره به وعصيانه له في الدنيا يجعل صدره ضيقاً حرجاً حتى يشك في كفره ويضطرب من اعتقاد قلبه حتى يصير «كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون»^(٥).

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ﴾: قيل يعني طريقته وعادته في التوفيق والخذلان^(٦).

﴿مُسْتَقِيمًا﴾: عادلاً مطّرداً لا إعوجاج فيه.

القمي: يعني الطريق الواضح^(٧).

١ - فإن العلم إذا لم يقارن العمل فهو محاصم صاحبه. منه يشرح.

٢ - الكافي: ج ٨، ص ١٣ - ١٤، في ذيل رسالة أبي عبد الله عليه السلام: إلى جماعة الشيعة.

٣ - التوحيد: ص ٢٤٢ - ٢٤٣، ح ٤، باب ٣٥ - تفسير الهدى والضلالة والتوفيق والخذلان من الله تعالى.

٤ - معاني الأخبار: ص ١٤٥، ح ٢، باب معنى الحرج.

٥ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٣١، ح ٢٧، باب ١١ - ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليه السلام: من الأخبار في التوحيد.

٦ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٠.

٧ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٦.

لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾
 وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا نَمْعَشَرُ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ
 وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا
 أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَلِيدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا
 شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْأَيْتَ لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ﴾: فيعلمون أنَّ القادر هو الله، وأنَّ كلَّ ما يحدث من خير أو شرٍّ فهو بقضائه، وأنَّه عليم بأحوال العباد حكيم عدل فيما يفعل بهم.

﴿لَهُمْ﴾: للذين تذكروا وعرفوا الحق.

﴿دَارُ السَّلَامِ﴾: دار الله أو دار السلامة من كلِّ آفة وبليّة. القمي: يعني في الجنة، والسلام: الأمان والعافية والسرور^(١).

ويأتي في سورة يونس^(٢) فيه^(٣) حديث بالمعنى الأول.

﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: في ضمائه يوصلهم إليها لا محالة.

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾: قيل: مولاهم ومحبتهم^(٤).

القمي: أي أولى بهم^(٥).

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: وبسبب أعمالهم.

٢ - ذيل الآية ٢٥، فراجع.

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٦.

٣ - أي في قوله تعالى: «دار السلام».

٤ - لم نعثر على هذا القول، بل ورد في الكشف «مواليهم ومحبتهم» ج ٢، ص ٦٤، وهكذا في تفسير غرائب القرآن للنيسابوري: ج ٥، المجلد الثامن، ص ٢٢، وورد في تفسير أبي السعود: ج ٣، ص ١٨٤، «مولاهم

٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٦.

وناصرهم».

وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٢٢٩﴾

﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾: واذكر يوم نخشروهم أو يوم يحشروهم، وقرئ بالياء.

﴿يَمْمُشَرُ الْجَنِّ﴾: يعني الشياطين.

﴿قَدْ أَشْتَكَّرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾: أضللتهم منهم كثيراً. القمي: قال: كل من والى قوماً فهو منهم، وإن لم يكن من جنسهم^(١).

﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾: الذين اتبعوهم وأطاعوهم.

﴿رَبَّنَا أَسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: أي انتفع الإنس بالشياطين حيث دلّوهم على

الشهوات وما يوصل إليها، وانتفع الشياطين بالإنس حيث أطاعوهم وحصلوا مرادهم.

﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾: القمي: يعني القيامة^(٢).

﴿قَالَ﴾: قال الله لهم.

﴿النَّارُ مَثْوٍ لَكُمْ﴾: مقامكم.

﴿خَلِدِينَ فِيهَا﴾: مؤبدين.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾: في أفعاله.

﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمال الثقلين وأحوالهم.

﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: نكل بعضهم إلى بعض.

القمي: قال: نولي كل من يولي أولياءهم فيكونون معهم^(٣).

وفي الكافي^(٤)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام: ما انتصر الله من ظالم، إلا بظالم وذلك قوله

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٦.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٦.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٣٣٤، ح ١٩، باب الظلم.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٦.

يَمْعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ
ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا
وَعَرَّيْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾

عَزَّ وَجَلَّ: «وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً» (١).

﴿يَمْعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: يعني يوم القيامة. في العيون: في خبر الشامي أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام: هل بعث الله نبياً إلى الجن؟ فقال: نعم. بعث الله نبياً يقال له: يوسف فدعاهم إلى الله فقتلوه (٢).

وعن الباقر عليه السلام: في حديث أن الله عزَّ وجلَّ أرسل محمداً عليه السلام: إلى الجن والإنس (٣). أقول: وعموم رسالته عليه السلام للتقلين مستفيض.

﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾: بالجرم والعصيان، وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب.

﴿وَعَرَّيْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾: ذمَّ لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فإتهم اغتروا بالحياة الدنيا واللذات

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٦، ح ٩٢.

٢ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٤٢، ح ١، باب ٢٤ - ما جاء عن الرضا عليه السلام: من خبر الشامي وما سأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام: في جامع الكوفة.

٣ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٥٥ - ٥٦، ح ٢١، باب ٦ - النصوص على الرضا عليه السلام: بالإمامة في جملة الأئمة الإثنا عشر عليهم السلام.

ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفِلُونَ
 ١٣١ وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَّبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا
 يَعْمَلُونَ ١٣٢ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ
 وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ
 ءَاخَرِينَ ١٣٣

المخدجة^(١) وأعرضوا عن الآخرة بالكليّة حتّى كان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشّهادة على أنفسهم بالكفر والإستسلام للعذاب المخلّد تحذيراً للسامعين من مثل حالهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي إرسال الرسل.

﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَىٰ بِظُلْمٍ﴾: ظالماً أو بسبب ظلم فعلوه.

﴿وَأَهْلُهَا غَفِلُونَ﴾: لم ينبهوا برسول.

﴿وَلِكُلِّ﴾: من المكلفين.

﴿دَرَجَتٍ﴾: مراتب.

﴿مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَّبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: فيخفى عليه عمل أو قدر ما يستحقّ

به من ثواب أو عقاب، وقرئ بالخطاب.

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾: عن عباده، وعن عبادتهم.

﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾: يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع العظيمة التي لا يحسن

إيصالهم إليها إلا بالاستحقاق.

١ - خدجت الناقة فهي خادج: إذا ألت ولدها قبل تمام الأيّام وإن كان تام الخلق. يجمع

البحرين: ج ٢، ص ٢٩٠، مادة «خدج».

إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَسْقُومُ
أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ
لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: أيها العصاة.

﴿وَيَسْتَخْلِفَ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾: وينشئ من بعد هلاككم وإذهابكم خلقاً

غيركم يطيعونه يكونوا خلفاً لكم.

﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾: قرناً بعد قرن.

﴿إِنْ مَا تُوْعَدُونَ﴾: من الحشر والثواب والعقاب.

﴿لَأَتٍ﴾: لكائن لا محالة.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: بخارجين من ملكه يقال: أعجزني كذا أي فاتني وسبقني.

﴿قُلْ يَسْقُومُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: قيل: على غاية تمكّنكم واستطاعتكم أو

على حالتكم التي أنتم عليها، وقرئ مكاناتكم حيث ما وقع (١).

﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾: على مكاني التي أنا عليها وهو تهديد، والمعنى أثبتوا على كفركم

وعداوتكم فإنّي ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ﴾: أيّنا تكون له العاقبة الحسنى التي

خلق الله لها هذه الدار؟ وقرئ يكون بالياء، والتهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد

وتسجيل على المأمور بأنّه لا يأتي منه إلا الشرّ وهذا كقوله تعالى: «اعملوا ما شئتم» (٢).

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: وضع الظالمين موضع الكافرين لأنّه أعمّ وأكثر فائدة.

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٢.

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ
بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ﴾: يعني مشركي العرب.

﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾: مما خلق الله.

﴿مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾: من غير أن يؤمروا به،

وقرئ بضم الزاي وكذا فيما يأتي.

﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾: أصنامهم التي أشركوها في أموالهم.

﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ

مَا يَحْكُمُونَ﴾: حكمهم هذا.

روي أنهم كانوا يعيتون شيئاً من حرث ونتاج لله ويصرفونه إلى الضيفان

والمساكين، وشيئاً منها لآلهتهم وينفقون على سدنتها^(١) ويذبحون عندها ثم إن رأوا ما

عيتوا الله أركى بذلوه بما لآلهتهم وإن رأوا ما لآلهتهم أركى تركوه لها حباً لآلهتهم واعتلوا

لذلك بأن الله غني^(٢).

وفي الجمع: عن أئمتنا عليهم السلام: كان إذا اختلط ما جعل للأصنام بما جعل لله ردّوه وإذا

اختلط ما جعل لله بما جعلوه للأصنام تركوه، وقالوا: الله غني وإذا انخرق الماء من الذي لله في

الذي للأصنام لم يسدّوه وإذا انخرق من الذي للأصنام في الذي لله سدّوه وقالوا إن الله

غني^(٣).

١ - السادن بكسر الدال: خادم الكعبة، والجمع سدنة مثل كافر وكفرة والسدانة بالكسر: الخدمة. مجمع

البحرين: ج ٦، ص ٢٦٤، مادة «سدن».

٢ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٣.

٣ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٧٠.

وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ
لِيُزْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ
وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يَطْعُمُهَا
إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرْمَتُ ظُهُورِهَا وَأَنْعَمُ لَا
يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾

قيل: وفي قوله «مما ذرأ» تنبيه على فرط جهالتهم فإنهم أشركوا الخالق في خلقه
جماداً لا يقدر على شيء ثم رجّحوه عليه بأن جعلوا الزاكي له ^(١).

﴿وَكَذَلِكَ﴾: ومثل ذلك التزيين.

﴿زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ﴾: بالوأة خيفة العيلة أو العار أو بالنحر

لأهلتهم.

﴿شُرَكَائُهُمْ﴾: من الشياطين أو السدنة.

﴿لِيُزْدُوهُمْ﴾: ليهلكوهم بالإغواء.

﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: وإشارة إلى ما

جعل لأهلتهم.

﴿أَنْعَمُ وَحَرْتُ حِجْرًا﴾: حرام.

﴿لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾: من غير حجة.

وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى
أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِثْقَلُهُمْ فِيهِ شُرْكَاءٌ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾

القمي: قال: كانوا يحرمونها على قوم (١).

﴿وَأَنْعَمُ حَرَّمَ﴾: حرام.

﴿ظُهُورُهَا﴾: القمي: قال: يعني البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام (٢).

﴿وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾: في الذبح والنحر.

وقيل: لا يجنون عليها ولا يلبنون على ظهورها، والمعنى إنهم قسموا أنعامهم فقالوا:

هذه أنعام حبر، وهذه أنعام محرمة الظهور، وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها
أجناساً بدعواهم الباطلة، ونسبوا ذلك التقسيم إلى الله (٣).

﴿أَفْتَرَاءٌ عَلَيْهِ﴾: أي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء.

﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ * وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ

لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِثْقَلُهُمْ فِيهِ شُرْكَاءٌ: القمي: كانوا يحرمون
الجنين الذي يخرجونه من بطون الأنعام على النساء، فإذا كان ميتاً يأكله الرجال
والنساء (٤).

قيل: وأنث - خالصة - لأن ما في معنى الأجنة، والتاء فيه للمبالغة كما في رواية

الشعر، أو هو مصدر كالعافية، وقرئ تكن بالتاء وميته بالنصب، وبوجوه أخر (٥).

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٧.

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٧.

٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٨.

٣ - الكشف: ج ٢، ص ٧١.

٥ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا
 رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾
 وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ
 وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ
 مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا
 تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ﴾: أي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل
 من قوله: «لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ»^(١).

﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ: كانوا يقتلون بناتهم مخافة
 السبي والفقر، وقرئ «قتلوا» بالتشديد بمعنى التكنير.

﴿سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله رازق أولادهم. لا هم.

﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾: من البحائر، ونحوها.

﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: إلى الحق والصواب.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾: من الكروم.

﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾: مرفوعات على ما يحملها.

﴿وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ﴾: ملقيات على وجه الأرض.

﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ﴾: أكل ذلك أي ثمره الذي يؤكل في اللون والطعم

والحجم والرائحة.

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾: يتشابه بعض أفرادهما في

الطعم واللون والحجم ولا يتشابه بعضها.

﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾: من ثمر كل واحد من ذلك.

﴿إِذَا أُقْمِرَ﴾: وإن لم يدرك ولم يبين بعد، وقيل: فائدته رخصة المالك في الأكل منه

قبل أداء حق الله (١).

أقول: وإنما يصح ذلك إذا خرص ما يأكل.

﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: وقرئ بكسر الحاء (٢).

في قرب الإسناد: إنه قرئ عند الرضا عليه السلام: فقال للقرائي: هكذا يقرأها من كان

قبلكم؟ قال: نعم قال: افتتح الفم بالحاء (٣).

كأنه كان يقرأها: بالكسر، وكأنّ القمي أيضاً بهذا أشار حيث قال: كذا نزلت (٤).

قيل: يريد بالحق: ما يتصدق به يوم الحصاد، لا الزكاة المقدرة، لأنّ الزكاة فرضت

بالمدينة، والآية مكية (٥).

وقيل: بل هو: الزكاة أي لا تؤخّروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء، والآية مدنيّة (٦).

والمروي عن أهل البيت عليه السلام: إنه غير الزكاة (٧).

ففي الكافي (٨)، والعباشي: عن الصادق عليه السلام: في الزرع حقان: حق تؤخذ به، وحقّ

١ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٤.

٢ - قرأ أهل البصرة والشام وعاصم «حَصَادُهُ» بالفتح، والباقون «جَصَادُهُ» بالكسر. مجمع البيان: ج ٣ - ٤،

ص ٣٧٤، في القراءة. ٣ - قرب الإسناد: ص ٣٦٧ - ٣٦٨، ح ١٣١٦.

٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٨.

٥ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٤.

٦ - الكشف: ج ٢، ص ٧٣، أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٤.

٧ - جوامع الجامع: ج ١، ص ٤١٤.

٨ - الكافي: ج ٣، ص ٥٦٤، ح ١، باب الحصاد والجداد.

تعطيه، أمّا الذي تؤخذ به: فالعشر ونصف العشر، وأمّا الذي تعطيه فقول الله عزّ وجلّ: «وآتوا حقّه يوم حصاده» فالضغث^(١) تعطيه ثمّ الضغث حتى تفرغ^(٢)(٣).

وعن الباقر عليه السلام: هذا من الصدقة تعطى المساكين القبضة بعد القبضة، ومن الجداد: (٤) الحفنة (٥) بعد الحفنة (٦).

والقمي: عن الصادق عليه السلام: في هذه الآية قال: الضغث: من السنبّل، والكفّ من التمر إذا خرص (٧).

والعياشي: عنه عليه السلام: فيها قال: أعط من حضرك من مشرك وغيره (٨).
والأخبار في هذا المعنى: كثيرة (٩).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: لا تصرم^(١٠) بالليل، ولا تحصد بالليل، ولا تضع بالليل، ولا تبذر بالليل إلى قوله: وإن حصدت بالليل لم يأتك السؤال وهو قول الله: «وآتوا حقّه يوم حصاده» يعني القبضة بعد القبضة إذا حصدته فإذا خرج فالحفنة بعد الحفنة، وكذلك

١ - الضغث - بالكسر والفتح -: قبضة الحشيش المختلط رطبها ويابسها، ويقال: ملئ الكف من القضبان والحشيش أو الشاربخ. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٥٧. مادة «ضغث».

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٨، ح ١٠١.

٣ - لفظ هذا الحديث من العياشي، وفي الكافي زيادات لا مدخل لها في فهم المعنى، منه رحمه الله.

٤ - الجداد - بالفتح والكسر -: صرام النخل، وهو قطع ثمرتها، يقال جد الثمرة مجدها جداً - من باب قتل -: قطعها. وجد الشيء: قطعه. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٢، مادة «جدد».

٥ - الحفنة - بالمهمله -: الكف من الطعام، والعياشي أورد هذا الحديث هكذا نصّة: «هذا من غير الصدقة» وكأنّه عليه السلام أراد بالصدقة الزكاة لقوله تعالى: «إنما الصدقات للفقراء» الآية، فكأن هذه النسخة أصح. منه رحمه الله، راجع تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٨، ح ١٠٤. ٦ - الكافي: ج ٣، ص ٥٦٥، ح ٢، باب الحصاد والحداد.

٧ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٨. ٨ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٧، ح ٩٩.

٩ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٧ - ٣٨٠، ح ١٠٠ و ١٠٩ و ١١٢ و ١١٤.

١٠ - صرمت الشيء صراماً من باب ضرب: قطعه. والصرام: جذاذ النخل. وهذا أول الصرام بالفتح والكسر. والصرمة: القطعة من النخل نحواً من ثلاثين. مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٠١ مادة «صرم».

عند الصَّرام، وكذلك عند البذر لا تبذر بالليل لأنَّك تعطي من البذر كما تعطي في الحصاد^(١).
وعنه عليه السلام: في هذه الآية تعطي المساكين يوم حصادك الضَّعْث، ثمَّ إذا وقع في البيدر،
ثمَّ إذا وقع في الصَّاع العشر ونصف العشر^(٢).

والقَمِّي: قال: فرض الله يوم الحصاد من كل قطعة أرض قبضة للمساكين، وكذا في
جذاذ^(٣) النَّخل وفي التَّمَر، وكذا عند البذر، وإنَّ الرضا عليه السلام: سئل إن لم يحضر المساكين وهو
يحصد كيف يصنع؟ قال: ليس عليه شيء^(٤).
وأنَّ الصَّادق عليه السلام: سئل هل يستقيم إعطاؤه إذا أدخله؟ قال: لا هو أسخى لنفسه قبل
أن يدخله بيته^(٥).

﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾: في التَّصَدَّق، كقوله: «ولا تبسطها كلَّ البسط»^(٦).
﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾: لا يرتضي فعلهم. في الكافي^(٧)، والعياشي: عن
الرَّضا عليه السلام: إنَّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: كان أبي يقول: من الإسراف في الحصاد والجذاذ
أن يتصدَّق الرَّجل بكفَّيه جميعاً، وكان أبي إذا حضر شيئاً من هذا فرأى أحداً من غلمانه
يتصدَّق بكفَّيه صاح به إعط بيد واحدة القبضة بعد القبضة، والضَّعْث بعد الضَّعْث من
السَّنبل^(٨).

وعن الصَّادق عليه السلام: إنَّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: كان فلان بن فلان الأنصاري

١ - الكافي: ج ٣، ص ٥٦٥، ح ٣، باب الحصاد والجداذ.

٢ - الكافي: ج ٣، ص ٥٦٥، ح ٤، باب الحصاد والجداذ. وفيه: «تعطي المسكين».

٣ - الجذاذ: ضمّاً وكسراً والضم أفصح: قطع ما يكسر، والجذ: القطع والجذاذ بالكسر: صرام النخل لغة في
الجذاذ. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٧٨ - ١٧٩، مادة «جذذ».

٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٨. ٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٨.

٦ - الإسراء: ٢٩.

٧ - الكافي: ج ٣، ص ٥٦٦، ح ٦، باب الحصاد والجداذ.

٨ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٩، ح ١٠٦.

وَمِنَ الْأَنْعَمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُّوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ
الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الْأُنثَيَيْنِ
أَمَّا اسْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾

وسماه كان له حرث، وكان إذا أخذه تصدق به، ويبقى هو وعياله بغير شيء فجعل الله عز وجل ذلك سرفاً^(١).

وفي الكافي: عنه عليه السلام: في حديث قال: وفي غير آية من كتاب الله يقول: «إنه لا يحب المسرفين» فنهاهم عن الإسراف، ونهاهم عن التقتير، لكن أمر بين أمرين لا يعطي جميع ما عنده ثم يدعو الله أن يرزقه فلا يستجيب له^(٢).

﴿وَمِنَ الْأَنْعَمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾: وأنشأ من الأنعام ما تحمل الأثقال، وما ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش.

﴿كُلُّوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: في تحريم شيء منها من عند أنفسكم.

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهر العداوة.

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾: بدل من حمولة وفرشاً أو مفعول «كلوا»، «ولا تتبعوا» معترض، والزواج ما معه آخر من جنسه يزواجه، وقد يقال: لمجموعها.

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٩، ح ١٠٥. وفيه: «وبقى هو وعياله».

٢ - الكافي: ج ٣، ص ٦٧، ح ١، س ٨، باب دخول الصوفية على أبي عبد الله عليه السلام: واحتجاجهم عليه فيما ينهون الناس عنه من طلب الرزق.

وَمِنَ الْأَيْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ
الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ
وَصَّكُمُ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ
النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٩﴾

﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾: الأهلي والوحشي.
﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾: الأهلي والوحشي، وقرئ بفتح العين.
﴿قُلْ ءَالِ الذَّكْرَيْنِ﴾: ذكر الضأن وذكر المعز.
﴿حَرَّمَ أَمْ الْأُنثَيَيْنِ﴾: أم انثيهما.
﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾: أو ما حملته أنثا الجنسين ذكراً كان أو أنثى.

﴿نَبُؤُنِي يَعْلَمُ﴾: بأمر معلوم يدل على أن الله حرّم شيئاً من ذلك.
﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في دعوى التحريم عليه.
﴿وَمِنَ الْأَيْلِ اثْنَيْنِ﴾: العراب^(١) والبخاتي^(٢).
﴿وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾: الأهلي والوحشي، وقيل: أريد بالاثنتين الذكر والأنثى من كل صنف^(٣)، والصواب ما قلناه كما يأتي بيانه.

١ - الإبل العراب: خلاف البخاتي. والحيل العراب: خلاف البراذين: مجمع البحرين: ج ٢، ص ١١٩، مادة «عرب». وفي هامش المخطوط: الإبل العراب: العربية، والبخاتي: الخراسانية واحداً بحت بالضم، منه نبت.
٢ - البهت: نوع من الإبل، الواحد بهتي مثل روم ورومي، والأنثى بهتية، والمجمع بخاتي غير مصروف لأنّه جمع الجمع. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٩١، مادة «بخت».
٣ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٥.

﴿قُلْ أَلَذَّكَّرِينَ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ﴾: كما مرّ والمعنى إنكار أن الله حرّم من الأجناس الأربعة أهلياً كان أو وحشياً ذكراً كان أو أنثى وما تحمل أناتها رداً عليهم فإنهم كانوا يحرّمون ذكور الأنعام تارة، وأناتها تارة، وأولادها كيف كانت تارة زاعمين أن الله تعالى حرّمها.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾: بل كنتم حاضرين شاهدين.

﴿إِذْ وَصَّكُمْ اللَّهُ بِهِذَا﴾: حين وصّاكم بهذا التحريم فإنكم لا تؤمنون بالرسول فلا طريق لكم إلى معرفة أمثال ذلك إلا المشاهدة أو السماع.

﴿فَنَ أظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾: فنسب إليه تحريم ما لم يحرم، والمراد كبرأؤهم المقرّون لذلك، أو عمرو بن لحيّ المؤسّس له الذي بحرّ البحائر، وسيب السوائب. ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: فهذه التي أحلّها الله في كتابه في قوله: «وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج»^(١) ثم فسرها في هذه الآية فقال ﷺ: من الضأن اثنين عنى الأهليّ والوحشيّ «الجبليّ»، ومن المعز اثنين عنى الأهليّ والوحشيّ «الجبليّ» ومن البقر اثنين عنى الأهليّ والوحشيّ «الجبليّ»، ومن الإبل اثنين يعني البخاتي والعرا، فهذه أحلّها الله^(٢).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: حمل نوح عليه السلام في السفينة الأزواج الثمانية التي قال الله عزّ وجلّ: «ثمانية أزواج من الضأن اثنين» الآية فكان من الضأن اثنين زوج داجنة يربّيها الناس، والزّوج الآخر الضأن التي تكون في الجبال الوحشيّة أحلّ لهم صيدها، ومن المعز اثنين زوج داجنة يربّيها الناس والزّوج الآخر الظباء التي تكون في المفاوز، ومن الإبل اثنين البخاتي والعرا، ومن البقر اثنين زوج داجنة للناس، والزّوج الآخر البقر الوحشيّة، وكلّ طير طيّب وحشيّ وأنسيّ^(٣).

قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ
يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا
أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾

وفيه ^(١)، وفي الفقيه: عن داود الرقي قال: سألتني بعض الخوارج عن هذه الآية «من الضأن اثنين» الآية ما الذي أحل الله من ذلك وما الذي حرّم؟ فلم يكن عندي فيه شيء فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام: وأنا حاجّ فأخبرته بما كان، فقال: إن الله تعالى أحلّ في الأضحية بنى الضأن والمعز الأهلية، وحرّم أن يضخّى بالجبلية، وأمّا قوله: «ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين» فإن الله تعالى أحلّ في الأضحية الإبل العرب، وحرّم منها البخاتي ^(٢) وأحلّ البقر الأهلية أن يضخّى بها، وحرّم الجبلية فانصرفت إلى الرجل فأخبرته بهذا الجواب، فقال: هذا شيء حملته الإبل من الحجاز ^(٣).

أقول: لعلّ الخارجى كان قد سمع تحريم الأضحية ببعض هذه الأزواج الثمانية مع حلّها كلّها فأراد أن يمتحن بمعرفته داود، ولعلّ علّة تحريم الأضحية بالجبلية منها بنى كونها صيداً وتحريمها بالبخت لعلّة أخرى.

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾: طعاماً محرّماً.

١ - الكافي: ج ٤، ص ٤٩٢، ح ١٧، باب ما يستحب من الهدي وما يجوز منه وما لا يجوز.

٢ - الظاهر إنّ المراد بالبخاتي في هذا الخبر هو الوحشي من الإبل أيضاً ولعله كان أصلاً في إطلاق البخاتي عليه في عصر الإمام عليه السلام ثم عمّم بعض الأهليّ منه أيضاً تشبيهاً للملحق بالملحق به وإلاّ فالفتوى على خلافه. منه عليه السلام.

٣ - من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٩٣ - ٢٩٤، ح ١٤٥١/٧، باب ١٩٩ - الأضاحي.

﴿عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾: فيه إيذان بأنَّ التَّحْرِيمَ إِنَّمَا يَثْبِتُ بِالْوَحْيِ لَا بِالْهَوَى.

﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ﴾: الطعام.

﴿مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾: مصبوحاً كالدَّم في العروق، لا كالكبد والطَّحال والمختلط

باللَّحْم لا يمكن تخليصه منه.

﴿أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾: قدر.

﴿أَوْ فِسْقًا أَهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: سُمِّيَ ما ذُبِحَ عَلَى إِسْمِ الصَّنَمِ فِسْقًا لَتَوَغَّلَ فِي الْفِسْقِ.

﴿فَنَ اضْطُرَّ﴾: فن دعت الضرورة إلى تناول شيء من ذلك.

﴿غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لا يؤاخذُه بأكله، وقد مضى تفسير

البಾಗಿ والعادي في سورة البقرة (١).

فإن قيل: لم خصَّ هذه الأشياء الأربعة هنا بذكر التَّحْرِيمِ مع أنَّ غيرها محرم أيضاً،

فإنَّه سبحانه ذكر في المائدة (٢) تحريم المنخنقة والموقوذة والمتردية وغيرها، وقد وردت

الأخبار الصحيحة بتحريم كلِّ ذي مخلب من الطير، وكلِّ ذي ناب من الوحش، وما لا قشر

له من السمك، إلى غير ذلك.

قلنا: أمَّا المذكورات في المائدة فكلَّها يقع عليه اسم الميتة فيكون في حكمها

فأجمل هاهنا وفصل هناك، وأمَّا غيرها فليس بهذه المثابة في الحرمة فخصَّ هذه

الأشياء بالتحريم تعظيماً لحرمتها، وبينَّ تحريم ما عداها رسول الله ﷺ، وورد أنه ممَّا

يعاف عنه (٣).

وأما ما قيل: إنَّ هذه السُّورة مكيَّة، والمائدة مدنيَّة فيجوز أن يكون غير ما في هذه الآية

من المحرَّمات إِنَّمَا حَرَّمَ فيما بعد فلا تساعده الأخبار الواردة في ذلك عن أهل البيت عليه السلام.

وكذا ما قاله القميَّ فإنَّه قال: قد احتجَّ قوم بهذه الآية على أنَّه ليس شيء محرم

إِلَّا هَذَا وَأَحْلَوْا كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْبَهَائِمِ: الْقَرْدَةُ، وَالْكَلَابُ، وَالسَّبَاعُ، وَالذَّنَابُ، وَالْأَسَدُ، وَالْبَغَالُ، وَالْحَمِيرُ، وَالِدَوَابُ، وَزَعَمُوا أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ حَلَالٌ، وَغَلَطُوا فِي ذَلِكَ هَذَا غَلْطاً بَيِّنًا، وَإِنَّمَا هَذِهِ الْآيَةُ رَدٌّ عَلَى مَا أَحَلَّتِ الْعَرَبُ وَحَرَّمَتْ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَحَلَّلُ عَلَى نَفْسِهَا وَتَحَرَّمَ أَشْيَاءٌ فَحَكَّى اللَّهُ ذَلِكَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: مَا قَالُوا، فَقَالَ: «وَقَالُوا مَا فِي بَطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لَذِكُورِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا»^(١) الْآيَةُ فَكَانَ إِذَا سَقَطَ الْجَنِينُ أَكَلَهُ الرِّجَالُ وَحَرَّمَ عَلَى النِّسَاءِ، وَإِذَا كَانَ مَيْتًا أَكَلَهُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، انْتَهَى كَلَامُهُ^(٢).

وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ الْقَوْلَيْنِ لَا تَسَاعِدُهُ الْأَخْبَارُ لِأَنَّهَا وَرَدَتْ بِأَنَّ الْحَرَامَ لَيْسَ إِلَّا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَتَلَيْتَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَذَلِكَ حِينَ سَأَلُوا عَنْ حُرْمَةِ غَيْرِ الْمَذْكُورِ فِيهَا مِنَ الْحَيَوَانِ.

فِي التَّهْذِيبِ، عَنِ الصَّادِقِ ﷺ^(٣): وَالْعِيَّاشِي: عَنِ الْبَاقِرِ ﷺ: إِنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْجَرِيِّ^(٤) وَالْمَارْمَاهِي^(٥) وَالزَّمِيرِ^(٦) وَمَا لَيْسَ لَهُ قَشْرٌ مِنَ السَّمَكِ حَرَامٌ هُوَ؟ فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ اقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْأَنْعَامِ: «قُلْ لَا أَجِدُ فِي أُوحِي إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ» فَقَالَ: فَقَرَأْتُهَا حَتَّى فَرَعْتُ مِنْهَا، فَقَالَ: إِنَّمَا الْحَرَامُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي كِتَابِهِ، وَلَكِنَّهُمْ قَدْ كَانُوا يَعَافُونَ عَنْ أَشْيَاءٍ فَنَحْنُ نَعَافُهَا^(٧).

١- الأنعام: ١٣٩. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٩.

٣- تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٦، ح ١٦/١٦، باب ١- الصيد والذكاة.

٤- الجري بالكسر: سمك طويل أملس لا يأكله اليهود وليس عليه فصوص. القاموس المحيط: ج ١، ص ٣٨٨، مادة «جرر».

وقال الطريحي: الجري بالجيم والراء المشددة المكسورتين والياء المشددة أخيراً: ضرب من السمك عديم الفلس، ويقال له: الجريث بالثاء المثناة. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٤٤، مادة «جرر».

٥- المارماهي: هو يفتح الراء معزب، وأصله حية السمك مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٨٥، مادة «مور».

٦- الزمير: كسكت نوع من السمك، وفي بعض ما روي الزمار من المسوخ. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣١٩، مادة «زمر».

٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٢، ح ١١٩.

وعن الباقر عليه السلام ^(١)، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: إنّه سئل عن سباع الطّير والوحش حتّى ذكر له القنّافذ، والوطواط ^(٢)، والحمير، والبغال، والخيّل؟ فقال: ليس الحرام إلّا ما حرّم الله في كتابه، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله: يوم خيبر عن أكل لحوم الحمير، وإنّما نهاهم من أجل ظهورهم أن يفنوها ^(٣) وليست الحمير بحرام، ثم قال: اقرأ هذه الآية: «قل لا أجد» الآية ^(٤).

وعنه عليه السلام: إنّه سئل عن الجرّيث؟ فقال: وما الجرّيث؟ فنعت له فقال: «لا أجد» الآية ثم قال: لم يحرم الله شيئاً من الحيوان في القرآن إلّا الخنزير بعينه، ويكره كلّ شيء من البحر ليس له قشر مثل الورق، وليس بحرام وإنّما هو مكروه ^(٥).
وعن أحدهما عليه السلام: إنّ أكل الغراب ليس بحرام وإنّما الحرام ما حرّم الله في كتابه، ولكنّ الأنفس تتنزّه عن كثير من ذلك تقرّزاً ^(٦) ^(٧).

قال صاحب التهذيب: قوله: «ليس الحرام إلّا ما حرّم الله في كتابه» المعنى فيه أنّه ليس الحرام المخصوص المغلّظ الشديد الحظر إلّا ما ذكره الله في القرآن وإن كان فيما عداه أيضاً محرّمات كثيرة إلّا أنّها دونه في التّغليظ ^(٨).

١ - تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٤٢، ح ١٧٦ / ١٧٦، باب ١ - الصيد والزكاة.

٢ - الوطواط: الخفاف، وقيل الخفّاش، والجمع الوطواط. ولما أحرقت بيت المقدس كانت الوطواط على ما نقل تطفيه بأجنحتها. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٧٩، مادة «وطوط».

٣ - أي من أجل ما ظهر من حالهم أنّهم لو أكلوها بتلك الأكلة الشديدة لأفنها، أو من أجل اجتماعهم على أن يفنوها أو من أجل اشتداد أكلهم خوفاً أن يفنوها وحاصل الوجه واحد. منه يُنْفَى.

٤ - تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٣٨٢، ح ١١٨.

٥ - تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٥، ح ١٥ / ١٥، باب ١ - الصيد والزكاة.

٦ - التقرّز: بالقاف والزّين المعجمتين: التّباعّد عن الدّنس، والمبالغة في التّطهير. منه يُنْفَى.

٧ - تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ١٨، ح ٧٢ / ٧٢، باب ١ - الصيد والزكاة.

٨ - تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٤٢، ذيل ح ١٧٦ / ١٧٦ فراجع.

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا
 عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ
 بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ
 فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ
 الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾: من دابة أو طير.

﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا﴾: الثروب وشحوم الكلى.

﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾: أي ما علقت بظهورها.

﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾: أو ما اشتمل على الأمعاء.

﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾: وهو شحم الإلية فإنه متصل بالعصص^(١).

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾: بسبب ظلمهم.

﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: في الإخبار والوعد والوعيد.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾: فيما تقول.

﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾: لا يعجل بالعقوبة فلا تغتروا بإمهاله فإنه لا يهمل

إذا جاء وقته.

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾: حين ينزل.

١ - العصص - بضم عينه - : عظم الذنب وهو عظم يقال له: أول ما يخلق وآخر ما يبلى. مجمع البحرين: ج ٤.

ص ١٧٥ مادة «عصص».

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا
 حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا
 قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
 تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ
 شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي مثل هذا التكذيب لك في أن الله منع من
 الشرك ولم يحرم ما حرموه «كذب الذين من قبلهم الرسل».
 ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾: الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم.
 ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾: من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم.
 ﴿فَتَخْرِصُوهُ لَنَا﴾: فتظهروه لنا.
 ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: ما تتبعون في ذلك إلا الظن.
 ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾: تكذبون على الله تعالى.
 ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾: البيّنة الواضحة التي بلغت غاية المتانة، والقوة على
 الإثبات.

﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: بالتوفيق لها والحمل عليها. القمي قال: لو شاء
 لجعلكم كلكم على أمر واحد، ولكن جعلكم على الاختلاف^(١).
 وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام أن الله على الناس حجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة،

قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فإِنْ
شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

فأما الظاهرة: فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة: فالعقول ^(١).

وعن الباقر عليه السلام: نحن الحجّة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض ^(٢).
والعياشي: عنه عليه السلام مثله ^(٣).

وفي الأمالي: عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن قوله تعالى: «فَللهِ الْحِجَّةُ الْبَالِغَةُ» فقال: إنَّ
الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبيدي أكنتم عالماً؟ فإن قال: نعم. قال له: أفلا عملت بما
علمت؟ وإن كان جاهلاً قال له: أفلا تعلّمت حتّى تعمل؟ فيخصمه. فتلك الحجّة البالغة ^(٤).
وفي رواية: عن الصادق عليه السلام الحجّة البالغة التي تبلغ الجاهل من أهل الكتاب فيعلمها
بجهله كما يعلمها العالم بعلمه ^(٥).

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَ كُمُ﴾: احضروهم.

﴿وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾: يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم
الحجّة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وأنّه لا متمسك لهم كمن يقلّدهم، ولذلك قيّد الشّهداء

١ - الكافي: ج ١، ص ١٦، ح ١٢. والحديث طويل، باب ١.

٢ - الكافي: ج ١، ص ١٩٢، ح ٣، باب إنّ الأئمة عليهم السلام ولاية أمر الله وخزنة علمه.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٣، ح ١٢٢.

٤ - الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٩، ح ١٠ / ١٠، المجلس الأوّل.

٥ - عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٢٣٨، ذيل حديث ١، باب ٥٩ - الأسباب التي من أجلها قتل المأمون علي ابن
موسى الرضا عليه السلام بالسّم، ومستدرک وسائل الشيعة: ج ١٨، ص ٣٢ - ٣٣، ح ٢، باب ٢٨ - أنّه يكره أن يقيم الحد
في حقوق الله من الله عليه حد مثله.

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ
نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ
وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

بالإضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم.

﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ﴾: فلا تصدقهم فيه ويبن لهم فسادهم.
﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾: فيه إشعار بأن التكذيب مسبب عن

متابعة الهوى، والتصديق مسبب عن متابعة الحجة.

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: كعبدة الأصنام.

﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَغْدِلُونَ﴾: يجعلون له عديلاً.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾: اقرأ.

﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾: لما أوجب ترك الشرك،

والإحسان إلى الوالدين، فقد حرم الشرك والإساءة إليهما، لأن إيجاب الشيء نهى عن
ضده، فيصح أن يقع تفصيلاً لما حرم.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: وأحسنوا بهما إحساناً، وضعه موضع النهي عن الإساءة

إليهما للمبالغة والدلالة على أن ترك الإساءة في شأنهما غير كاف.

القمي: مقطوعاً قال: الوالدين رسول الله، وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما^(١).

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا
قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ
بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾: من أجل فقر أو من خشية فقر لقوله: «خشية إِمْلَاقٍ»^(١).

﴿وَحَنُ نَزْرُقِكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْقَوَاعِشَ﴾: كبائر الذنوب أو الزنا.
﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: في الكافي^(٢)، والعياشي: عن السَّجَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما ظهر: نكاح امرأة الأب، وما بطن: الزنا^(٣).

وفي المجمع: عن الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ ما ظهر: هو الزنا: وما بطن المخالعة^(٤) (٥).
﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: كالقود، وقتل المرتد، ورجم المحسن.
﴿ذَلِكُمْ﴾: إشارة إلى ما ذكر مفصلاً.
﴿وَصَّكُمْ بِهِ﴾: بحفظه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: إلا بالخصلة التي هي أحسن مما يفعل بماله كحفظه وتثمينه.
﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: قوته، وهو بلوغ الحلم، وكمال العقل.

١ - الإسراء: ٣١. ٢ - الكافي: ج ٥، ص ٥٦٧، ح ٤٧، باب النوادر.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٣، ح ١٢٤.

٤ - المخالعة بالتشديد من الخلة يعني إتخاذ الحليل قال الله تعالى: «وَلَا مَتَخَذَاتِ أَخْدَانٍ»، منه يَنْحَلُّ. النساء: ٢٥.

٥ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٨٢.

في الفقيه^(١)، والتّهذيب: عن الصادق عليه السلام إنقطاع يَتَمَّ اليتيم: الاحتلام، وهو أشدّه، وإن احتلم ولم يؤنس منه رشدّه وكان سفيهاً أو ضعيفاً فليمسك عنه وليّه ماله^(٢).

وفيها^(٣)، وفي الكافي: عنه عليه السلام إذا بلغ أشدّه ثلاث عشرة سنة ودخل في الأربع عشرة وجب عليه ما وجب على المحتلمين احتلم أو لم يحتلم، وكتبت عليه السيئات، وكتبت له الحسنات، وجاز له كلّ شيء إلا أن يكون ضعيفاً أو سفيهاً^(٤).

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل والتسوية.

﴿لَا تَكْلَفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾: إلا ما يسعها ولا يعسر عليها في اتباع إيفاء الكيل والميزان^(٥) بذلك تنبيه على تعسره وإنّ ما وراء الوسع فيه معفو.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾: في حكومة ونحوها.

﴿فَاعْدِلُوا﴾: فيه.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾: ولو كان المقول له أو عليه من ذوي قرابتكم.

﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾: يعني ما عهد إليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ صَلَّى بِه لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون به، وقرئ بتخفيف الدال.

العيّاشي: عن الباقر عليه السلام أنّه كان متكئاً على فراشه إذ قرأ الآيات المحكمات التي لم ينسخهن شيء من الأنعام فقال: شيعها سبعون ألف ملك^(٦) «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ

١ - من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٦٣، ح ٥٦٩/١، باب ١١٣ - انقطاع يتم اليتيم.

٢ - تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ١٨٣، ح ٧٣٧/١٢، باب ٨ - وصية الصبي والمهجور عليه.

٣ - من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٦٤، ح ٥٧١/٣، باب ١٣ - انقطاع يتم اليتيم. وتهذيب الأحكام: ج ٩،

ص ١٨٣ - ١٨٤، ح ٧٣٩/١٤، باب ٨ - وصية الصبي والمهجور عليه.

٤ - الكافي: ج ٧، ص ٦٩، ح ٧، باب الوصي يدرك أيتامه فيمتنعون من أخذ ماله من يدرك ولا يؤنس منه

الرشد وحد البلوغ. ٥ - وفي نسخة: [والوزن].

٦ - إمّا خبر مبتدأ محذوف، أي هي «قل تعالوا»، وإمّا بدل من مفعول شيعهن بناء على جواز الإبدال من ضمير

الغائب، وإمّا عن مرجعه. منه يَنْبَغِي.

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» الآيات (١).

وفي المجمع: عن ابن عباس هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهي محرمات على بني آدم كلهم، وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار، وقال كعب الأحبار: والذي نفس كعب بيده إن هذا لأول شيء في التوراة «بسم الله الرحمن الرحيم «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ» الآيات (٢).

﴿وَأَنَّ﴾: ولأنّ تعليل للأمر باتباعه.

﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾: قيل: الإشارة فيه إلى ما ذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة، وبيان الشريعة، وقرئ «إِنَّ» بالكسر على الإستيناف وبالفتح والتخفيف، وصرّطي: بفتح الباء وبالسين (٣).

﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾: الأديان المختلفة المنشعبة على الأهوية المتباينة.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾: فتفرقكم وتزيلكم.

﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾: الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان.

﴿ذَلِكُمْ﴾: الإتياع.

﴿وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: الضلال، والتفرّق عن الحق، في روضة الواعظين:

عن النبي ﷺ في هذه الآية، سألت الله أن يجعلها لعلّي أفعل (٤).

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٣، ح ١٢٣. ٢ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٨٤ - ٣٨٥.

٣ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٨.

٤ - روضة الواعظين: ج ١، ص ١٠٦.

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام في خطبة الغدير معاشر الناس: إن الله قد أمرني ونهاني، وقد أمرت علياً ونهيته فعلم الأمر والنهي من ربه، فاسمعوا لأمره تسلموا، وأطيعوه تهتدوا، وانتهوا لنهيهِ ترشدوا، وصيروا إلى مراده، ولا تتفرق بكم السبل عن سبيله.

معاشر الناس: أنا الصراط المستقيم الذي أمركم باتباعه، ثم علي من بعدي، ثم ولدي من صلبه: «أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون»^(١).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام إنه قال لبريد العجلي: تدري ما يعني بـ «صراطي مستقيماً»؟ قال: قلت لا، قال: ولاية علي والأوصياء عليهم السلام، قال: وتدري ما يعني «فاتبعوه»؟ قال: قلت لا، قال: يعني علي بن أبي طالب، قال: وتدري ما يعني «ولا تتبعوا السبل»؟ قال: قلت لا، قال: ولاية فلان وفلان والله، قال: وتدري ما يعني: «فتفرق بكم عن سبيله» قال: قلت لا، قال: يعني سبيل علي عليه السلام^(٢).

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: عطف على وصاكم، و«ثم» للتراخي في الإخبار أو للفتاوت في الرتبة كأنه قيل: «ذلكم وصاكم به» قديماً وحديثاً، ثم أعظم من ذلك إننا آتينا موسى الكتاب.

﴿تَمَامًا﴾: للكرامة والتعظيم.

﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾: على من أحسن القيام به.

﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: وبياناً مفصلاً لكل ما يحتاج إليه في الدين.

١ - الإحتجاج: ج ١، ص ٧٨ - ٧٩، حديث الغدير.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٣ - ٣٨٤، ح ١٢٥.

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾
 أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَي طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ
 دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْكِتَابُ
 لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ
 يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ﴾: لعل بني إسرائيل.
 ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: ببقائه للجزاء.
 ﴿وَهَذَا كِتَابٌ﴾: يعني القرآن.
 ﴿أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾: كثير النفع.
 ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: باتباعه والعمل بما فيه.
 ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾: أنزلناه كراهة أن تقولوا.
 ﴿إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَي طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾: اليهود والنصارى.
 ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾: قراءتهم.
 ﴿لَغَفِيلِينَ﴾: لا ندري ما هي.
 ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾: لحدة أذهاننا وثقابة
 أفهامنا، ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والأشعار والخطب على إنا أميون.
 ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: حجة واضحة تعرفونها.
 ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾: لمن تأمل فيه وعمل به.
 ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بعد أن عرف صحتها أو تمكن من معرفتها.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ
يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ
ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا
مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

﴿وَصَدَفَ﴾: أعرض أو صدّ، القمّي: أي دفع^(١).

﴿عَنَهَا﴾: فضل وأضلّ.

﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾: شدّته.

﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾: بإعراضهم وصدّهم.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: إنكار يعني ما ينتظرون.

﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: ملائكة الموت أو العذاب، وقرئ بالياء.

﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾: أي أمره بالعذاب.

﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: في الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في معنى هذه

الآية إنّما خاطب نبيّنا ﷺ هل ينتظر المنافقون والمشركون «إلا أن تأتيهم الملائكة»

فيعانيهم «أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك» يعني بذلك أمر ربك والآيات هي

العذاب في دار الدنيا كما عذب الأمم السالفة والقرون الحالية^(٢).

وفيه^(٣)، وفي التوحيد: عنه عليه السلام يخبر محمداً ﷺ عن المشركين والمنافقين الذين لم

يستجيبوا لله ولرسوله فقال: «هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة» حيث لم يستجيبوا لله

١ - تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٢١.

٢ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٢، س ١٢، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في أي متشابهة.

٣ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٢ - ٣٦٣، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في أي متشابهة.

ولرسوله «أو يأتي ربك أو يأتي بعض ءايت ربك» يعني بذلك العذاب يأتيهم في دار الدنيا كما عذب القرون الأولى^(١).

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾: كأن المعنى إنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفساً غير مقدّمة إيمانها أو مقدّمة إيمانها غير كاسبة في إيمانها خيراً.

في التوحيد: في الحديث السابق «من قبل»: يعني من قبل أن تجيء هذه الآية، وهذه الآية طلوع الشمس من مغربها^(٢)، ومثله في الإحتجاج: عنه عليه السلام^(٣).

والقمي: عن الباقر عليه السلام نزلت أو اكتسبت في إيمانها خيراً قال: إذا طلعت الشمس من مغربها من آمن في ذلك اليوم لم ينفعه إيمانه أبداً^(٤).

وفي الحاصل: عنه عليه السلام فإذا طلعت الشمس من مغربها آمن الناس كلّهم في ذلك اليوم، فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها^(٥).

ومثله في الكافي^(٦)، والعياشي: عنها عليه السلام في قوله «يوم يأتي بعض آيات ربك» قال: طلوع الشمس من المغرب، وخروج الدجال، والدخان، والرجل يكون مصرّاً ولم يعمل عمل الإيمان، ثم تجيء الآيات فلا ينفعه إيمانه^(٧).

وعن أحدهما عليه السلام في قوله: «أو كسبت في إيمانها خيراً» قال: المؤمن العاصي حالت

١ - التوحيد: ص ٢٦٦، ح ٥، باب ٣٦ - الرد على الثنوية والزنادقة.

٢ - التوحيد: ص ٢٦٦، ح ٥، باب ٣٦ - الرد على الثنوية والزنادقة.

٣ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٣، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في أي متشابهة.

٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٢.

٥ - الحاصل: ص ٢٧٤، ح ١٨، باب ٥ - بعث الله النبي ﷺ بخمسة أسياف.

٦ - الكافي: ج ٥، ص ١٠، ح ٢، باب وجوه الجهاد.

٧ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٤ - ٣٨٥، ح ١٢٨.

بينه وبين إيمانه كثرة ذنوبه وقلة حسناته فلم يكسب في إيمانه خيراً^(١).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام «من قبل» يعني في الميثاق «أو كسبت في إيمانها» خيراً
قال: الإقرار بالأنبياء والأوصياء وأمير المؤمنين عليه السلام خاصة قال: لا ينفع إيمانها لأنها سلبت^(٢).
وفي الإكمال: عنه عليه السلام في هذه الآية يعني: خروج القائم المنتظر^(٣).
وعنه عليه السلام قال: «الآيات»: هم الأئمة عليه السلام، والآية المنتظرة القائم عليه السلام فيومئذ لا ينفع
نفساً إيمانها^(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يذكر فيه خروج الدجال وقاتله، يقول: في آخره
ألا إنَّ بعد ذلك الطامة الكبرى، قيل: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال خروج دابة الأرض من
عند الصفا معها خاتم سليمان عليه السلام وعصا موسى عليه السلام تضع الخاتم على وجه كل مؤمن فينطبع فيه
هذا مؤمن حقاً، وتضعه على وجه كل كافر فيكتب هذا كافر حقاً، حتى أنَّ المؤمن ليساندي
الويل لك يا كافر، وأنَّ الكافر ليساندي طوبى لك يا مؤمن وددت أني كنت مثلك فأفوز فوزاً
عظيماً، ثم ترفع الدابة رأسها فيراها من بين الخافقين^(٥) بإذن الله جلَّ جلاله وذلك بعد طلوع
الشمس من مغربها فعند ذلك ترفع التوبة فلا تقبل توبة ولا عمل يرفع «ولا ينفع نفساً إيمانها
لم تكن آمنّت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» ثم فسّر صعصعة راوي هذا الحديث طلوع
الشمس من مغربها بخروج القائم عليه السلام^(٦).

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٥، ح ١٣٠.

٢ - الكافي: ج ١، ص ٤٢٨، ح ٨١، باب فيه كنت وتنف من التنزيل في الولاية.

٣ - إكمال الدين وإقام النعمة: ص ٣٥٧، ح ٥٤، باب ٣٣، ما روي عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام من
النص على القائم عليه السلام وذكر غيبته وأنه الثاني عشر من الأئمة عليه السلام.

٤ - إكمال الدين وإقام النعمة: ص ٣٣٦، ح ٨، باب ٣٣، ما روي عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام من النص
على القائم عليه السلام وذكر غيبته وأنه الثاني عشر من الأئمة عليه السلام.

٥ - الحافقان: جانباً الجو من المشرق إلى المغرب. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٥٥. «مادة خفق».

٦ - إكمال الدين وإقام النعمة: ص ٥٢٧ - ٥٢٨، ح ١، والحديث طويل، باب ٤٧ - حديث الدجال وما يتصل
به من أمر القائم عليه السلام.

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا
أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾

﴿قُلِ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾: وعيد لهم وتهديد، أي انتظروا إتيان أحد الثلاثة
فإننا منتظرون له، وحينئذ لنا الفوز ولكم الويل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: بددوه^(١) فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه،
وقرئ فارقوا أي باينوا، ونسبها في المجمع: إلى أمير المؤمنين عليه السلام ^(٢).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام قال: كان علي عليه السلام يقرأها فارقوا دينهم، قال: فارق والله
القوم^(٣).

﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾: فرقا يشيع كل فرقة إماماً.

في المجمع: عن الباقر عليه السلام إنهم أهل الضلال وأصحاب الشبهات والبدع من هذه الأمة^(٤).

والقمي: قال: فارقوا أمير المؤمنين عليه السلام وصاروا أحزاباً^(٥).

وعن الصادق عليه السلام في هذه الآية: فارق القوم والله دينهم^(٦).

وفي الحديث النبوي: ستفرق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة
وهي التي تتبع وصيي علياً^(٧).

١ - بدد الله عظامه يوم القيامة: فرقها. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١١ مادة «بدد».

٢ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٨٨. ٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٥، ح ١٣١.

٤ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٨٩. ٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٢.

٦ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٢.

٧ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٩١ - ٣٩٢، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام في مسائل متفرقة. واعلم أن هذا الحديث مشهور بين الطائفتين مع الاختلاف في ألفاظ الحديث، فقد أخرجه الترمذي في سننه، وأحمد في مسنده، وأبي نعيم في حليته، ودواد في سننه، والطبراني، والحاكم، وغيرهم، كما أخرجه المجلسي رحمته الله في بحاره، والعلامة في نهج الحق، وابن أبي جمهور في عوالي اللئالي، والطبرسي في جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٢٣، وغيرهم.

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى
إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦﴾

﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾: قيل: أي من السؤال عنهم وعن تفرقهم^(١).

وقيل: معناه إنك على المباحة التامة من الإجتاع معهم في شيء من مذاهبهم الفاسدة^(٢).

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ﴾: والحكم بينهم في اختلافهم.

﴿إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾: بالمجازاة.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾: أي عشر حسنات أمثالها فضلاً من الله

تعالى.

في المجمع: عن الصادق عليه السلام لما نزلت هذه الآية «من جاء بالحسنة فله خير منها»^(٣)

قال رسول الله ﷺ: رب زدني فأنزل الله سبحانه: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها»

الحديث^(٤).

القمي: هذه ناسخة لقوله: «من جاء بالحسنة فله خير منها»^(٥).

أقول: هذا أقل ما وعد من الأضعاف، وقد جاء الوعد بسبعين، وسبع مائة، وبغير

حساب.

١ - قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٨٣.

٢ - قاله الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٨٩.

٣ - النمل: ٨٩.

٤ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٣٤٩.

٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٢.

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام أنه سئل هل للمؤمن فضل على المسلم في شيء من الفضائل والأحكام والحدود وغير ذلك؟ فقال: لا، هما يجريان في ذلك مجرى واحد، ولكن للمؤمن فضل على المسلم في أفعالها وما يتقربان به إلى الله عز وجل، قيل: أليس الله عز وجل يقول: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها»؟ وزعمت أنهم مجتمعون على الصلاة والزكاة والصوم والحج مع المؤمن، قال: أليس قد قال الله: «فِيضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً»^(١) فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله عز وجل لهم حسناتهم لكل حسنة سبعين ضعفاً فهذا فضل المؤمن، ويزيده الله في حسناته على قدر صحة إيمانه أضعافاً كثيرة، ويفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير^(٢).

والقمي: عنه عليه السلام في هذه الآية هي للمسلمين عامة، قال: فإن لم يكن ولاية دفع عنه بما عمل من حسنة في الدنيا «وماله في الآخرة من خلاق»^{(٣)(٤)}.

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾: عدلاً من الله سبحانه.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بنقص الثواب وزيادة العقاب. القمي: عن الصادق عليه السلام لما أعطى الله سبحانه إبليس ما أعطاه من القوة قال آدم: يا رب سلطته على ولدي وأجريته فيهم مجرى الدم في العروق وأعطيته ما أعطيته فإلي ولولدي؟ فقال: لك ولولدك السيئة بواحدة، والحسنة بعشر أمثالها، قال: رب زدني، قال: التوبة مبسوطة إلى أن تبلغ النفس الحلقوم، فقال: يا رب زدني، قال: أغفر ولا أبالي، قال: حسبي^(٥).

أقول: لعل السر في كون الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إن الجوهر الإنساني المؤمن يطبعه مائل إلى العالم العلوي لأنه مقتبس منه، وهبوطه إلى القالب الجسماني غريب من طبيعته، والحسنة إنما ترقى إلى ما يوافق طبيعة ذلك الجوهر لأنها من جنسه، والقوة التي

١- البقرة: ٢٤٥.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٢٦-٢٧، ح ٥، باب إن الإيمان يشرك الإسلام، والإسلام لا يشرك الإيمان.

٣- البقرة: ٢٠٠.

٤- تفسير القمي: ج ٢، ص ١٣١.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٤٢.

قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾

تحرك الحجر إلى ما فوق ذراعاً واحداً هي بعينها إن استعملت في تحريكه إلى أسفل حركته عشرة أذرع وزيادة، فلذلك كانت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ومنها ما يؤتى ^(١) أجرها بغير حساب، والحسنة التي لا يدفع تأثيرها سمعة أو رياء أو عجب كالحجر الذي يدور من شاطئ لا يصادفه دافع لأنه لا يتقدّر مقدار هبوطه بحساب حتى يبلغ الغاية.

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: بالوحي والإرشاد.

﴿دِينًا﴾: هداني ديناً.

﴿قِيَمًا﴾: فيعمل من قام كالسيد والهيّ، وقرئ قِيَمًا بكسر القاف خفيفة الياء على المصدر.

﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾: هداني وعرفني ملّة إبراهيم في حال حنيفيته ^(٢).

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: العياشي: عن الباقر عليه السلام ما أبقت الحنيفيّة شيئاً حتى

١- وفي نسخة: [ما يؤتى].

٢- الحنيف: المسلم المائل إلى الدين المستقيم والجمع حنفاء، والحنيف: المسلم لأنه تحف أي تحرّى الدين المستقيم، والحنف محرّكة الاستقامة ومنه قوله: «دين محمد حنيف» أي مستقيم لا عوج فيه «والحنيف» عند العرب من كان على دين إبراهيم عليه السلام وأصل الحنف الميل، ومنه: «بعثت بالحنيفية السمحة السهلة» أي المستقيمة المائلة عن الباطل إلى الحق، ومثله: «أحب دينكم إلى الله الحنيفية» أي الطريقة الحنيفيّة التي لا ضيق فيها قوله تعالى: «حنفاء» أي مانئين عن جميع الأديان إلى دين الإسلام مسلمين مؤمنين بالرسول كلهم. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٠-٤١- مادة «حنف».

قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾
لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

إِنَّ مِنْهَا قِصَّ الْأَظْفَارِ، وَالْأَخْذُ مِنَ الشَّارِبِ، وَالْحَتَّانُ (١).

وعنه عليه السلام: ما من أحد من هذه الأمة يدين بدين إبراهيم غيرنا، وغير شيعتنا (٢).
وعن السجادة عليه السلام: ما أحد على ملة إبراهيم عليه السلام إلا نحن وشيعتنا، وسائر الناس منها برء (٣).

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: عبادتي وقرباني.
﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾: وما أنا عليه في حياتي، وأموت عليه من الإيمان والطاعة.
﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خالصة له.
﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾: لا أشرك فيها غيره.
﴿وَبِذَلِكَ﴾: أي الإخلاص لله.
﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾: قيل: لأنَّ إسلام كل نبي متقدّم على إسلام أمته (٤).
أقول: بل لأنّه ﷺ أول من أجاب في الميثاق في عالم الذر كما ورد عنهم عليه السلام
فإسلامه متقدم على إسلام الخلائق كلّهم.

العياشي: عن النبي ﷺ في حديث قد ذكر فيه إبراهيم عليه السلام فقال: دينه ديني، وديني دينه، وسنّته سنّتي، وسنّتي سنّته، وفضلي فضله، وأنا أفضل منه (٥).

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٨، ح ١٤٣. ٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٨، ح ١٤٤.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٨، ح ١٤٦.

٤ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٤٠.

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٦٩، ح ٣٣.

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ
إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا﴾: فاشركه في عبادتي، وهو جواب عن دعائهم إلى عبادة
آلهتهم.

﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾: والحال إنَّ كلَّ ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية.
﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاء عمل من طاعة أو معصية.
﴿إِلَّا عَلَيْهَا﴾: فعليها عقاب معصيتها، ولها ثواب طاعتها.
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: لا تحمل نفس إثم نفس أخرى، جواب عن
قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم.

في العيون: عن الرضا عليه السلام أنه سئل ما تقول في حديث يروى عن الصادق عليه السلام أنه إذا
خرج القائم عليه السلام قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم؟ فقال عليه السلام: هو كذلك. فقيل: قول
الله تعالى: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ» ما معناه؟ قال: صدق الله تعالى في جميع أقواله، ولكن
ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاها،
ولو أن رجلاً قتل بالمشرك فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله شريك القاتل
وإنما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم^(١).

وفيه: فيما كتبه عليه السلام للمؤمن من محض الإسلام وشرائع الدين ولا يأخذ الله البريء

١ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٧٣، ح ٥، باب ٢٨ - فيما جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام من
الأخبار المتفرقة.

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ
دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ آتَانِكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

بالسَّقيم، ولا يعذب الله الأطفال بذنوب الآباء: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»^(١).

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾: يوم القيامة.

﴿فَيَنْشَأُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: بتبيين الرشد عن الغي، وتميز الحق عن المبطل.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾: قيل: أي يخلف بعضكم بعضاً، كلما مضى

قرن خلفهم قرن يجري ذلك على انتظام وإتساق إلى يوم القيامة أو خلفاء الله في أرضه يتصرفون فيها^(٢).

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾: في الشرف، والغنى، والعقل، وغير ذلك.

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم.

﴿فِي مَاءِ آتَانِكُمْ﴾: من الجاه والمال كيف تشكرون نعمه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: لمن كفر نعمه.

﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لمن قام بشكرها.

في الكافي^(٣)، وثواب الأعمال: عن الصادق عليه السلام إن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة

شيعة سبعون ألف ملك حتى نزلت على محمد ﷺ فعظموها وجعلوها فإن اسم الله فيها في

١ - عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ١٢٥، س ٧، ح ١، باب ٣٥ - ما كتبه الرضا عليه السلام للمؤمنين في محض الإسلام

وشرائع الدين.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٤٠.

٣ - الكافي: ج ٢، ص ٦٢٢، ح ١٢، باب فضل القرآن.

سبعين موضعاً ولو يعلم الناس ما في قراءتها ما تركوها^(١).

والقَمِّي: عن الرضا عليه السلام نزلت الأنعام جملة واحدة، وشيّعها سبعون ألف ملك لهم زَجَلٌ^(٢) بالتسبيح، والتَّهْلِيل، والتَّكْبِير، فمن قرأها سَبَّحَوا له إلى يوم القيامة^(٣).



١ - ثواب الأعمال: ص ١٠٥، باب ثواب من قرأ سورة الأنعام.

٢ - الزجل - بالتحريك - : الصوت، يقال: سحاب زجل أي ذو رعد ومنه لهم زجل بالتسبيح. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٨٧ - مادة «زجل».

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٣.

سورة الأعراف

1871

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْمَصَّ ۝ كَتَبَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝

سورة الأعراف مكيّة وعدد آياتها مائتان وست آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَصَّ﴾: قد مضى الكلام في تأويله في أول سورة البقرة.

وفي المعاني: عن الصادق عليه السلام في حديث و«الْمَصَّ» معناه أنا الله المقتدر الصادق^(١). وفيه^(٢)، والعيّاشي: عنه عليه السلام أنه أتاه رجل من بني أميّة وكان زنديقاً، فقال له: قول الله عز وجل في كتابه: «الْمَصَّ» أي شيء أراد بهذا؟ وأي شيء فيه من الحلال والحرام؟ وأي شيء فيه مما ينتفع به الناس؟ قال: فاعتاظ من ذلك فقال: أمسك وبجك، الألف: واحد، واللام: ثلاثون، والميم: أربعون، والصاد: تسعون، كم معك؟ فقال الرجل: مائة وأحدى وستون، فقال عليه السلام: إذا انقضت سنة إحدى وستين ومائة ينقضي ملك أصحابك، قال: فنظرنا فلما انقضت إحدى وستين ومائة يوم عاشوراء دخل المسوودة^(٣) الكوفة

١ و ٢ - معاني الأخبار: ص ٢٢، ح ١ وص ٢٨، ح ٥، باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن.

٣ - المسوودة - بكسر الواو - أي لابس السواد، ومنه الحديث «فدخلت علينا المسوودة» يعني أصحاب الدعوة العباسيّة لأنهم كانوا يلبسون ثياباً سوداً. وعيسى بن موسى أول من لبس لباس العباسيين من العلويين. استحوذ عليهم الشياطين وأغمرهم لباس الجاهليّة. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٧٤، مادة «سود».

﴿تَبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا
مَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٣ ﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا
أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ ٤

وذهب ملكهم (١).

﴿كِتَبٌ﴾: هو كتاب.

﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾: ضيق من تبليغه.

قيل: كان النبي ﷺ يخاف تكذيب قومه وإعراضهم عن قبول قوله، وأذاهم له. فكان يضيق صدره في الأداء ولا ينبسط له فأمنه الله بهذه الآية وأمره بترك مبالاته (٢).

﴿لِتُنذِرَ بِهِ﴾: أي أنزل إليك لإذارك به.

﴿وَذِكْرَى﴾: وتذكيراً.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ * ﴿تَبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾: من القرآن والوحي.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: شياطين الإنس والجن. فيحملوكم على الأهواء

والبدع، ويضلوكم عن دين الله وعمّا أُمِرْتُ بِاتِّبَاعِهِ.

﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾: تذكر أقل قليلاً تتذكرون، وقرئ خفيفة الذال ويتذكرون،

وبالغيبة خطاباً مع النبي ﷺ.

﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ﴾: وكثيراً من القرى.

﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا﴾: فجاء أهلها.

﴿بَأْسًا﴾: عذابنا.

﴿بَيِّنًا﴾: بايتين كقوم لوط.

فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنًا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ يَعْلَمُ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾

﴿أَوْ هُمْ قَاتِلُونَ﴾: أو هم قاتلين نصف النهار كقوم شعيب يعني أخذهم في غفلة منهم وأمن وفي وقتي دعة واستراحة.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾: ما كانوا يدعونه من دينهم، ودعائهم، واستغاثتهم.

﴿إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنًا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: إلا اعترافهم ببطلانه، وبظلمهم فيما كانوا عليه، وتحسرهم على ما كان منهم.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾: يعني الأمم عن قبول الرسالة، وإجابتهم الرّسل. ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾: يعني الأنبياء عن تأدية ما حملوا من الرسالة.

في الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث فيقام الرّسل فيسئلون عن تأدية الرّسالات التي حملوها إلى أمهم فيخبرون أنهم قد أدّوا ذلك إلى أمهم، وتسئل الأمم فيجحدون كما قال الله: «فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ» ^(١) الحديث، وقد مضى تمامه في سورة النساء عند تفسير «ككيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد» ^(٢).

﴿فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ﴾: على الرّسل والمرسل إليهم ما كان منهم.

﴿يَعْلَمُ﴾: عالين بأحوالهم الظاهرة والباطنة.

﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾: عنهم وعن أفعالهم وأحوالهم والغرض من السؤال: التوبيخ،

والتقرير عليهم، وازدياد سرور المثابين بالثناء عليهم، وغمّ المعاقبين باظهار قبائحهم.

١ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٠، س ٢٢، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
 أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾: أي وزن الأعمال، والتمييز^(١) بين خفيفها وراجحها.

القمي: قال: المجازاة بالأعمال إن خيراً فخييراً، وإن شراً فشرّاً، قال: وهو قوله: «فمن ثقلت موازينه»^(٢) الآية.

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: حسناته جمع موزون، في التوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنما يعني الحسنات توزن الحسنات والسيئات، والحسنات ثقل الميزان، والسيئات خفة الميزان^(٣).

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام هي قلّة الحسنات وكثرتها^(٤).

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بالنجاة والثواب.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بتضييع الفطرة

السليمة التي فطرت عليها، واقتراف ما عرضها للعذاب.

﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾: فيكذبون مكان التصديق.

القمي: قال: بالآئمة يبحدون^(٥).

١ - اقتباس من جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٢٧، وفيه: «التمييز».

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٤.

٣ - التوحيد: ص ٢٦٨، ح ٥، باب ٣٦ - الرد على الثنوية والزنادقة.

٤ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٣ - ٣٦٤. احتجاجة على زنديق في أي متشابهة.

٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٤.

في الإحتجاج: عن الصادق عليه السلام إنه سئل أوليس توزن الأعمال؟ قال: لا لأن الأعمال ليست أجساماً، وإنما هي صفة ما عملوا، وإنما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها ولا خفتها، وإن الله لا يخفى عليه شيء، قيل: فما معنى الميزان؟ قال: العدل، قيل: فما معناه في كتابه: «فمن ثقلت موازينه»؟ قال: فمن رجح عمله^(١).

أقول: وسر ذلك أن ميزان كل شيء هو المعيار الذي به يعرف قدر ذلك الشيء فيوزن الناس يوم القيامة: ما يوزن به قدر كل إنسان، وقيمته على حسب عقيدته وخلقه وعمله لتجزى كل نفس بما كسبت، وليس ذلك إلا الأنبياء والأوصياء عليهم السلام إذ بهم وباتباع شرائعهم وإقتفاء آثارهم وترك ذلك، وبالقرب من سيرتهم والبعد عنها يعرف مقدار الناس وقدر حسناتهم وسيئاتهم. فيوزن كل أمة هو نبي تلك الأمة، ووصي نبيها، والشرعية التي أقي بها، فمن ثقلت حسناته وكثرت فأولئك هم المفلحون، ومن خفت وقلت فأولئك الذين خسروا أنفسهم بظلمهم عليها من جهة تكذيبهم للأنبياء والأوصياء أو عدم إتباعهم.

في الكافي^(٢)، والمعاني: عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن قول الله عز وجل: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة» قال: هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام^(٣).

وفي رواية أخرى: نحن الموازين القسط^(٤).

وقد حققنا معنى الميزان وكيفية وزن الأعمال ووقفنا بين الأخبار المتعارضة في ذلك والأقوال بما لا مزيد عليه في كتابنا الموسوم بميزان القيامة وهو كتاب جيد لم يسبق بمثله فيما أظن يوفق لمطالعه وفهمه من كان من أهله إن شاء الله.

١ - الإحتجاج: ج ٢، ص ٩٨، فيما احتج الصادق عليه السلام على الزنديق، وفيه: «أو خفتها».

٢ - الكافي: ج ١، ص ٤١٩، ح ٣٦، باب فيه نكت ونف من التنزيل في الولاية.

٣ - معاني الأخبار: ص ٣١ - ٣٢، ح ١، باب معنى الموازين التي توزن بها أعمال العباد.

٤ - لم نعر عليه، والظاهر إنه نقل بالمعنى. انظر بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٢٦، وفيه أن الأئمة هم الموازين القسط.

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٢﴾

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: مكناكم من سكنها، وزرعها، والتصرف فيها.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشَ﴾: تعيشون بها.

﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾: فيما خلقنا لكم.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾^(١): القمي: عن الباقر عليه السلام أما خلقناكم: فنطفة،

ثم علقه، ثم مضغه، ثم عظاماً، ثم لحماً، وأما صورناكم: فالعين، والأنف، والأذنين، والفم، واليدين، والرجلين صورنا هذا ونحوه، ثم جعل الدم^(٢)، والوسيم^(٣)، والجسيم، والطويل، والقصير، وأشبه هذا^(٤).

أقول: الإقتصار على بيان الخلق والتصوير لبني آدم في الحديث لا ينافي شمول الآية لآدم لأنه خلقه طيناً غير مصور ثم صورته، فلا ينافي الحديث تمام الآية.

١ - وقيل: أي خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور، ثم صورناه، نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل.

أقول: الحامل على هذا التخصيص قوله تعالى: «اسجدوا لآدم» وهو غير لازم إذ يصح هذا مع التعميم، بل مع التخصيص ببني آدم أيضاً بتأويل ثم بتأخير الأخبار، منه عليه السلام.

اعلم: إن القائل في قوله عليه السلام: قيل: هو البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٤٢، س ٢٠، والآية تكون في سورة البقرة: ٣٤.

٢ - الدميم: القبيح المنظر. يقال: دم الرجل من باي - ضرب وتعبد -، ومن باب - قرب - لغة دمامة - بالفتح -: قبح منظره، وصغر جسمه، فهو دميم ودمام مثل كريم وكرام، مجمع البحرين: ج ٦، ص ٦٤، مادة «دمم».

٣ - وسيم الرجل - بالضم - وسامة ووساماً مثل مجل جماًلاً. مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٨٣، مادة «وسم».

٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٤.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ
نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ

﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: أي بعد خلق آدم وتصويره.
﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾: بمن سجد لآدم.
﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾: أي أن تسجد ويزاد - لا - في مثله لتأكيد معنى الفعل
الذي دخلت عليه نظيره لئلا يعلم، وفيه تنبيه على أن الموبخ عليه ترك السجود.
وقيل: الممنوع عن الشيء مضطر إلى خلافه فكأنه قيل: ما اضطررك إلى أن لا تسجد^(١)؟

١ - قال نظام الدين النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان: المجلد الخامس، ج ٨، ص ٦٦:
فظاهره يقتضي أنه تعالى طلب من إبليس ما منعه من ترك السجود، وليس الأمر كذلك فإن المقصود طلب ما منعه
من السجود كما قال في سورة «ص»: «ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي» فهذا الإشكال حصل للمفسرين
رضي الله عنهم أقوال:

أولها: وهو الأشهر أن - لا - صلة زائدة كما في: «لا أقسم»، وكما في قوله: «لئلا يعلم أهل الكتاب» أي ليعلم،
وهذا قول الكسائي، والفراء، والزجاج، والأكثرين. قال في الكشف: وفائدة زيادتها تأكيد معنى الفعل الذي
تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل: في لئلا يعلم ليتحقق علم أهل الكتاب، وفي: ما منعك أن لا تسجد، ما منعك أن
تحقق السجود وتلزمه نفسك.

قلت: لعله أراد أن زيادة - لا - إشارة إلى نفي ما عدا المذكور ليلزم منه تحقق المذكور.
وثانيها: أن إثبات الزيادة في كلام الله تعالى خارج عن الأدب، وأن الاستفهام للإنكار، أي لم يمنعك من ترك
السجود شيء، كقول القائل لمن ضربه ظلماً: ما الذي منعك من ضربي أدينك أم عقلك أم حياؤك؟ والمعنى إنه لم
يوجد أحد هذه فما امتنعت من ضربي.

وثالثها: قال القاضي: ذكر الله تعالى المنع وأراد الداعي، فكأنه قال: ما دعاك إلى أن لا تسجد، لأن مخالفة
أمر الله تعالى حالة يتعجب منها ويسأل عن الداعي إليها، وقيل: الممنوع من الشيء مضطر إلى خلاف ما منع منه،
وقيل: معناه ما الذي جعلك في منعة من عذابي وقيل: معناه من قال لك: لا تسجد.

﴿إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾: في الكافي:

عن الصادق عليه السلام إن إبليس قاس نفسه بآدم فقال: خلقتني من نار وخلقته من طين، فلو قاس الجوهر الذي خلق الله منه آدم بالنار كان ذلك أكثر نوراً وضياءً من النار^(١).

وعنه عليه السلام: إن الملائكة كانوا يحسبون أن إبليس منهم، وكان في علم الله أنه ليس منهم فاستخرج ما في نفسه من الحمية فقال: «خلقتني من نار وخلقته من طين»^(٢).

وفي الكافي^(٣)، والإحتجاج^(٤)، والعلل: عنه عليه السلام أنه دخل عليه أبو حنيفة فقال له: يا أبا حنيفة بلغني أنك تقيس، قال: نعم أنا أقيس، قال: لا تقس فإن أول من قاس إبليس حين قال: «خلقتني من نار وخلقته من طين» فقاس ما بين النار والطين، ولو قاس نورية آدم بنورية النار عرف فضل ما بين الثورين، وصفاء أحدهما على الآخر^(٥).

وعنه عليه السلام في حديث طويل: إن أول معصية ظهرت: الأنانية من إبليس اللعين، حين أمر الله ملائكته بالسجود لآدم فسجدوا وأبى اللعين أن يسجد، فقال الله عز وجل: «ما منعك ألا تسجد؟» الآية فطرده الله عز وجل عن جواره، ولعنه وسماه رجياً، وأقسم بعزته لا يقيس أحد في دينه إلا قرنه مع عدوه إبليس في أسفل درك من النار^(٦).

وَأقول: يمكن أن لا يعلق قوله: «أن لا تسجد» بقوله: «ما منعك» وإنما يكون متعلقه محذوفاً والتقدير ما منعك من السجود أن لا تسجد أي لئلا تسجد توجه عليك هذا السؤال.

والحاصل: إن عدم سجودك ما سببه «إذ أمرتك» أمر إيجاب وفائدة هذا السؤال من علام الغيوب توبيخه وإفشاء معاندته وجوده. انتهى كلامه.

١ - الكافي: ج ١، ص ٥٨، ح ١٨، باب البدع والرأي والمقائيس.

٢ - الكافي: ج ٢، ص ٣٠٨، ح ٦، باب العصية.

٣ - الكافي: ج ١، ص ٥٨، ح ٢٠، باب البدع والرأي والمقائيس.

٤ - الإحتجاج: ج ٢، ص ١١٧ - ١١٨. فيما احتج به الصادق عليه السلام على أبي حنيفة.

٥ - علل الشرائع: ص ٨٦، ح ١، باب ٨١ - علّة المראה في الأذنين، والعذوبة في الشفتين، والملوحة في العينين، والبرودة في الأنف.

٦ - علل الشرائع: ص ٦٢، س ١٢، ح ١، باب ٥٤ - العلّة التي من أجلها سمي الخضر خضراً، وعلل ما أتاه مما يسخطه موسى عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار.

قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ
الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ
الْمُنْظَرِينَ ﴿١٥﴾

والقلمي: عنه ﷺ كذب إبليس ما خلقه الله إلا من طين، قال الله عز وجل: «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا»^(١) قد خلقه الله من تلك الشجرة، والشجرة أصلها من طين^(٢).
﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾: من المنزل التي أنت عليها في السماء، وزمرة الملائكة.
﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾: فما يصح لك.
﴿أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾: وتعصي فإنها مكان الخاشع المطيع.
قيل: فيه تنبيه على أن التكبر لا يليق بأهل الجنة، وأنه تعالى إنما طرده وأهبطه من التكبر لا لمجرد عصيانه، قال النبي ﷺ: من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله^(٣).
﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾: ممن أهانه الله تعالى لكبره.
﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾: أمهلني إلى يوم القيامة فلا تميتني، ولا تعجل عقوبي.
﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾: أجابه الله إلى ما سأله من الإمهال، ولم يجبه إلى ما سأله من غايته، لأن الله تعالى يقول في موضع آخر: «فإنك من المنظرين»* إلى يوم الوقت المعلوم^(٤)، وهو النفخة الأولى، ويوم البعث والقيامة: هو النفخة الثانية.

١ - يس: ٨٠.

٢ - تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٤٥. وفيه: «جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون» خلقه الله من تلك الشجرة.

٣ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٤٣.

٤ - ض: ٨٠-٨١، والحجر: ٣٧-٣٨.

قَالَ فَمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَهْتِكُ لَهُمْ
مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ
أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾

في العلل: عن الصادق عليه السلام يموت إبليس ما بين النفخة الأولى والثانية^(١).
والعياشي: عنه عليه السلام أظهره إلى يوم يبعث فيه قائمنا^(٢)، ويأتي الخبران في سورة الحجر
إن شاء الله تعالى^(٣)، وفي إسعافه إليه ابتلاء العباد وتعريضهم للشواب بمخالفته.
﴿قَالَ فَمَا أَغْوَيْتَنِي﴾: أي فبسبب إغوائك إيتاي وهو تكليفه إيتاء ما وقع به في الغي
ولم يثبت كما ثبتت الملائكة فإنه لما أمره الله بالسجود حملته الأنفة على معصيته.
﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: لأجتهن في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما
فسدت بسببهم بأن أترصد لهم على طريق الإسلام كما يترصد القطاع على الطريق ليقطعه
على المارة، العياشي: عن الصادق عليه السلام الصراط هنا: على عليه السلام^(٤).
وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام يا زارة إنما عمد لك ولأصحابك، فأما الآخرون فقد
فرغ منهم^(٥).

وفي رواية العياشي: عنه عليه السلام إنما صمد^{(٦)(٧)}.

﴿ثُمَّ لَا تَهْتِكُ لَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾: من

١ - علل الشرائع: ص ٤٠٢، ح ٢، باب ١٤٢ - علّة وجوب الحج والطواف بالبيت وجميع المناسك.

٢ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٤٢، ح ١٤. ٣ - الحجر: ذيل الآية: ٣٧.

٤ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩، ح ٦. ٥ - الكافي: ج ٨، ص ١٤٥، ح ١١٨.

٦ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩، ح ٧. وفي نسخة (إنما عمد لك).

٧ - الصمد: التقصد، يقال صمده يصمده صمداً: قصده. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٨٩ مادة «صمد».

قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَذْخُورًا لِمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾

الجهات الأربع جُمع، في الجمع: عن الباقر عليه السلام: «ثم لَا تَبِيعَنَّ من بين أيديهم» معناه أهوّن عليهم أمر الآخرة «ومن خلفهم» أمرهم بجمع الأموال، والبخل بها عن الحقوق، لتبقى لورثتهم «وعن إيمانهم» أفسد عليهم أمر دينهم بتزوين الضلالة وتحسين الشبهة «وعن شمائلهم» بتحبيب اللذات إليهم، وتغليب الشهوات على قلوبهم ^(١) (٢).

والقَمِّي: ما يقرب منه ببيان أبسط ^(٣).

﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾: مطيعين قاله تظننا لقوله سبحانه: «وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمُ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ» ^(٤).

﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾: مذووماً من ذأمه إذا ذمه.

﴿مَذْخُورًا﴾: مطروداً.

﴿لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾: اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أي منك ومنهم فغلب المخاطب.

١ - جمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٠٣ - ٤٠٤.

٢ - قيل: المعنى من قبل دنياهم وآخرتهم، ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم عن ابن عباس، وتلخيصه إني أزيّن لهم الدنيا، وأخوّفهم بالفقر. وأقول لهم: لا جنة ولا نار، ولا بعث ولا حساب، وأثبتهم عن الحسنات وأشغلتهم عنها وأحبّبت إليهم السيئات وأحّتهم عليها، قال ابن عباس: وإِنَّمَا لم يقل من فوقهم لأن فوقهم جهة نزول الرحمة من السماء فلا سبيل له إلى ذلك ولم يكن من تحت أرجلهم لأنّ الإتيان به يوحش انتهى، وإِنَّمَا دخلت «من» في القدام والخلف وعن اليمين والشمال: لأنّ في القدام والخلف معنى طلب النهاية، وفي اليمين والشمال الإنحراف عن الجهة. منه

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٤.

مَنْزُورٌ.

٤ - سبأ: ٢٠.

وَيَسَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا
وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾

القسمي: عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «فاخرج منها فإنك رجيم * وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين»^(١) فقال إبليس: يا رب فكيف وأنت العدل الذي لا ييجور فتواب عملي بطل؟ قال: لا، ولكن سلني من أمر الدنيا ما شئت ثواباً لعملك أعطك، فأول ما سأل: البقاء إلى يوم الدين، فقال الله: قد أعطيتك، قال: سلطني على ولد آدم، قال: سلطتك، قال: أجرني فيهم مجرى الدم في العروق، قال: قد أجريتك، قال: لا يولد لهم ولد إلا ولد لي إثنان، وأراهم ولا يروني، وأتصور لهم في كل صورة شئت، فقال: قد أعطيتك، قال: يا رب زدني قال: قد جعلت لك ولذريتك صدورهم وأوطاناً، قال: يا رب حسبي، قال إبليس عند ذلك: «فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين»^(٢) «ثم لآتينهم...» إلى قوله «شاكرين»^(٣)، قيل له: جعلت فداك بماذا استوجب إبليس من الله أن أعطاه ما أعطاه؟ فقال: بشيء كان منه شكره الله عليه، قيل: وما كان منه جعلت فداك؟ قال: ركعتين ركعتهما في السماء في أربعة آلاف سنة^(٤).

﴿وَيَسَادُمُ﴾: وقلنا يا آدم.

﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: قد مضى تفسيرها في سورة البقرة^(٥).

٢- ص: ٨٢ - ٨٣

١- ص: ٧٧ - ٧٨

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٤٢

٣- الأعراف: ١٧

٥- ذيل الآية: ٣٥

فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَهُمَا
 وَقَالَ مَانِهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ
 تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَنْ النَّصِيحِينَ ﴿٢١﴾
 فَذَلَّلَهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تَهُمَا وَطَفِقَا
 يَخُصِفَانِ عَلَيْهَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَيْتُهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ
 تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾: الفرق بين وسوس إليه ووسوس له: أن الأول: بمعنى
 ألقى إلى قلبه المعنى بصوت خفي، والثاني: أنه أوهمه النصيحة له بذلك، والوسوسة في الأصل:
 الصوت الخفي.

﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾: ليظهر لهما.

﴿مَا وُورِيَ﴾: (١) ما غطي.

﴿عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَهُمَا﴾: عوراتهما.

قيل: وكانا لا يريانها من أنفسهما، ولا أحدهما من الآخر (٢).

﴿وَقَالَ مَانِهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا﴾: كراهة أن تكونا.

﴿مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ * وَقَاسَمَهُمَا: أقسم لهما.

﴿إِنِّي لَكُمَا لَنْ النَّصِيحِينَ﴾ * فَذَلَّلَهُمَا: فزلهما إلى الأكل من الشجرة، نبه به على

أنه أهبطهما بذلك من درجة عالية إلى رتبة سافلة، فإن التدلية والإدلاء: إرسال الشيء من
 أعلى إلى أسفل.

١ - قيل: تكتب براو واحدة وتلفظ براوين. مثل داود. منه يَنْبُؤ.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٤٤، س ١٣.

﴿بِعُرْوٍ﴾: بما غرهما به من القسم. فإنَّها ظنَّا أنَّ أحدًا لا يحلف بالله كاذبًا.
 ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تُهْمَا﴾: فلما وجدا طعمها آخذين في الأكل
 منها أخذتهما العقوبة فتهافت عنها لباسها وظهرت لها عوراتها.
 القمي^(١)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام كانت سواتهما لا تبدو لها فبت، يعني كانت
 داخله^(٢).

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾: (٣) وأخذا يرقعان (٤) ويلزقان ورقة فوق ورقة.
 ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾: يغطيان سوءاتهما به.
 القمي: عن الصادق عليه السلام لما أسكنه الله الجنة وأباحها له إلا الشجرة لأنه خلق خلقه
 لا تبقى إلا بالأمر والنهي والغذاء واللباس والأكنان (٥) والتناكح ولا يدرك ما ينفعه ممَّا
 يضره إلا بالتوقيف فجاءه إبليس فقال له: إنكما إن أكلتما من هذه الشجرة التي نهاكما الله
 عنها صرتما ملكين وبقيتا في الجنة أبدًا وإن لم تأكلتا منها أخرجكما الله من الجنة، وحلف لها
 أنه لها ناصح، فقبل آدم عليه السلام قوله فأكلا من الشجرة وكان الأمر كما حكى الله «بدت لهم
 سوءاتهما»، وسقط عنها ما لبسها الله من لباس الجنة، وأقبلا يستتران من ورق الجنة (٦).
 ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ
 لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: عتاب على مخالفة النهي، وتوبيخ على الإغترار بقول العدو.

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٥. ٢ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١، ح ١٢.

٣ - الخصف: وهو ضم الشيء إلى الشيء وإلصاقه به «وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة» أي يلزقان بعضه
 على بعض ليستترا به عورتها: مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٦. مادة «خصف».

٤ - الرقعة - بالضم: الخرقعة التي يرقع فيها الثوب، يقال: رقع الثوب رقعا من باب نفع: إذا جعلت مكان
 القطيع خرقعة، واسمها رقعة، وجمعها رقايع: مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٣٨ - ٣٣٩. مادة «رقع».

٥ - الأكنان: جمع كن، وهو ماكنٌ وستر من الحر والبرد. والكن: السترة. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٣٠٢. مادة
 «كن».

٦ - تفسير القمي: ج ١، ص ٤٣، س ٥. وفيه: «يستتران بورق الجنة».

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
 الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي
 الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَّعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
 تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنَئِ آدَمُ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ
 لِبَاسًا يُورَىٰ سَوْءَ تِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ
 ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
 * قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَّعٌ إِلَىٰ حِينٍ *:
 قد مضى تفسيرها مع تمام القصة في سورة البقرة^(١).

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾: بالجزاء للجزاء، وقرئ بفتح
 النَّاء.

﴿يَبْنَئِ آدَمُ﴾: العياشي: عنها عليه السلام قال: هي عامّة.
 ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورَىٰ سَوْءَ تِكُمْ﴾: ويغنيكم عن خصف الورق.
 ﴿وَرِيشًا﴾: تتجملون به، والرّيش ما يتجمل به، استعير من ريش الطائر لأنّه لباسه
 وزينته.

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾: خشية الله.
 ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾: وقرئ - لباس - بالنصب، القمي: قال: لباس التقوى ثياب
 البياض^(٢).

يَبْنَىٰ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ
يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا إِنَّهُ يَرَٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ
مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾

وعن الباقر عليه السلام: وأما اللباس: فالثياب التي تلبسون، وأما الرياش: فالمتاع والمال،
وأما لباس التقوى: فالعفاف، إن العفيف لا تبدو له عورة وإن كان عارياً من الثياب،
والفاجر: بادي العورة وإن كان كاسياً من الثياب، «ذلك خير»، يقول: والعفاف خير ^(١).

﴿ذَلِكَ﴾: أي إزال اللباس.

﴿مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾: الدالة على فضله ورحمته.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾: فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون عن القبائح.

﴿يَبْنَىٰ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾: لا يمتحنكم بأن يمنعكم دخول الجنة

بإغوائكم، والمعنى نهيمهم عن اتباعه والإفتتان به.

﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا﴾: أسند

النزاع إليه للتسبب.

﴿إِنَّهُ يَرَٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ﴾: تعليل للنهي، وتأکید للتحذير

من فتنته، وقبيله: جنوده، وفي الحديث: إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم ^(٢).

﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لما بينهم من التناسب.

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

٢ - صحيح البخاري: ج ٢، ص ٢٥٩، كتاب الصوم باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه.

وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾: فعلته متناهية في القبح كعبادة الصنم، والإتيان بإمام الجور، والطواف بالبيت عرياناً.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: القمي: قال الذين عبدوا الأصنام فردّ الله عليهم^(١).

وفي الكافي: مضمراً^(٢)، والعياشي: عن عبد صالح عليه السلام: قال: هل رأيت أحداً زعم أن الله أمرنا بالزنا وشرب الخمر وشيء من هذه المحارم؟ فقيل: لا، قال: ما هذه الفاحشة التي يدعون أن الله أمرهم بها؟ قيل: الله أعلم ووليّه، فقال: فإنّ هذا في أمّة الجور ادّعوا أن الله أمرهم بالإتيان بقوم لم يأمرهم الله بالإتيان بهم فردّ الله ذلك عليهم فأخبر أنّهم قد قالوا عليه الكذب، وسمّى ذلك منهم فاحشة^(٣).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام قال: من زعم أن الله يأمر بالفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أن الخير والشرّ إليه فقد كذب على الله^(٤).

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل والإستقامة.

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٦.

٢ - الكافي: ج ١، ص ٣٧٣، ح ٩، باب من ادعى الإمامة وليس لها بآهل، ومن جحد الأئمة أو بعضهم ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بآهل. ٣ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢، ح ١٥. والصحيح: عن العبد الصالح عليه السلام.

٤ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢، ح ١٦.

فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾: توجهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها أو
أقيموها نحو القبلة.

﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: في كل وقت سجوداً، وفي كل مكان سجود، وهو الصلاة.
في التهذيب: عن الصادق عليه السلام هذه في القبلة^(١).

وعنه عليه السلام: مساجد محدثة فأمرُوا أن يقيموا وجوههم شطر المسجد الحرام^(٢).
والعياشي: مثل الحديثين^(٣)، وزاد في الأول ليس فيها عبادة الأوثان خالصاً
مخلصاً^(٤)، وعنه عليه السلام: عند كل مسجد: يعني الأئمة^(٥).

﴿وَأَدْعُوهُ﴾: واعبدوه.

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: أي الطاعة فإن إليه مصيركم.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾: كما أنشأكم ابتداءً.

﴿تَعُودُونَ﴾: باعاداته فيجازيكم على أعمالكم.

القمي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية خلقهم حين خلقهم مؤمناً وكافراً وشقيئاً وسعيداً،
وكذلك يعودون يوم القيامة مهتدي وضال^(٦).

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾: بأن وفقهم للإيمان.

١- تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٤٣، ح ١٣٤ / ٢، باب ٥- القبلة.

٢- تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٤٣، ح ١٣٦ / ٤، باب ٥- القبلة.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢، ح ١٧ و ١٩.

٤- تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٤٢- ٤٣، ح ١٣٣ / ١، باب ٥- القبلة، وراجع تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢، ح ٢٠.

٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢، ح ١٨. ٦- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٦.

يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا
تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾

﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾: أي الخذلان إذ لم يقبلوا الهدى فضلوا.
﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أطاعوهم فيما أمرهم به.
﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾: القمي: وكأنه تمام الحديث السابق، وهم القدرية:
الذين يقولون لا قدر، ويزعمون إنهم قادرون على الهدى والضلال، وذلك إليهم إن شاؤوا
إهتدوا وإن شاؤوا ضلّوا، وهم مجوس هذه الأمة وكذب أعداء الله المشية والقدرة لله «كما
بدأهم يعودون» من خلقه شقياً يوم خلقه كذلك يعود إليه، ومن خلقه سعيداً يوم خلقه
كذلك يعود إليه سعيداً، قال رسول الله ﷺ: الشقيّ: من شقي في بطن أمه، والسعيد: من سعد
في بطن أمه (١).

وفي العلل: عنه عليه السلام: أنهم اتّخذوا الشياطين أولياء من دون الله يعني أئمة دون أئمة
الحق (٢).

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: القمي: قال: في العيدين؛ والجمعة
يغتسل ويلبس ثياباً بيضاً (٣).

وروى أيضاً: المشط عند كل صلاة (٤).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام يعني في العيدين والجمعة (٥).

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٦-٢٢٧.

٢- علل الشرائع: ص ٦١٠ ذيل ح ٨١، باب ٣٨٥- نوادر العلل.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٩. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٩.

٥- الكافي: ج ٣، ص ٤٢٤، ح ٨، باب تهيئة الإمام للجمعة وخطبته والإنصات.

وفي الجمع: عن الباقر عليه السلام أي خذوا ثيابكم التي تترتّبون بها للصلاة في الجمع والأعياد^(١).

والعياشي: عن الرضا عليه السلام هي الثياب^(٢).

وعن الصادق عليه السلام: هي الأردية في العيدين والجمعة^(٣).

وفي الجوامع^(٤)، والعياشي: كان الحسن بن علي عليه السلام إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه فقيل له: في ذلك، فقال: إن الله جميل يحبّ الجمال، فأتحمل لربي، وقرأ الآية^(٥).

وفي الفقيه: عن الرضا عليه السلام: من ذلك التمشط عند كلّ صلاة^(٦).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام مثله^(٧).

وفي الخصال: عنه عليه السلام في هذه الآية تمشطوا فإنّ التمشط يجلب الرزق، ويحسن الشعر، وينجز الحاجة، ويزيد في ماء الصّلب، ويقطع البلغم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يسرح تحت لحيته أربعين مرّة ويمرّ فوقها سبع مرّات، ويقول: إنّه يزيد في الدهن، ويقطع البلغم^(٨).

وفي التهذيب: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: الغسل عند لقاء كلّ إمام^(٩).

والعياشي: عنه عليه السلام يعني الأئمة عليهم السلام^(١٠).

وقيل: هو أمر بلبس الثياب في الصلاة والطّواف وكانوا يطوفون عراة ويقولون: لا

١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٤١٢. ٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢، ح ٢١.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٣، ح ٢٧. ٤- جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٣٣.

٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٤، ح ٢٩.

٦- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٧٥، ح ٣١٩ / ٩٥، باب ٢٢- في غسل الجمعة وآداب الحمام.

٧- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٣، ح ٢٥.

٨- الخصال: ص ٢٦٨، ح ٣، باب الخمسة- في المشط خمس خصال.

٩- تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١١٠، ح ١٩٧ / ١٣، باب ٥٢- من الزيادات.

١٠- جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٣٣.

نعبد في ثياب أذنينا فيها^(١).

القمي: إن أناساً كانوا يطوفون عراة بالبيت الرجال بالنهار والنساء بالليل. فأمرهم الله بلبس الثياب، وكانوا لا يأكلون إلا قوتاً فأمرهم الله أن يأكلوا ويشربوا ولا يسرفوا^(٢).

أقول: يعني في أيام حجّهم يعظّمون بذلك حجّهم.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾: ما طاب لكم.

﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾: بالإفراط والإتلاف، وبالتعدّي إلى الحرام، وبتحرّيم الحلال،

وغير ذلك.

قيل^(٣): لقد جمع الله الطبّ في نصف آية فقال: «كلوا واشربوا ولا تسرفوا»^(٤).

وهو ناظر إلى الإفراط في الأكل، وهو مذموم في أخبار كثيرة^(٥).

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾: لا يرضى فعلهم، العياشي: عن الصادق عليه السلام قال: أترى

الله أعطى من أعطى من كرامته عليه، ومنع من منع من هوان به عليه، لا ولكن المال مال الله يضعه عند الرجل ودائع وجوز لهم أن يأكلوا قصداً، ويشربوا قصداً، ويلبسوا قصداً، وينكحوا قصداً، ويركبوا قصداً، ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين، ويلتموا به

١ - القائل هو الزمخشري في تفسيره الكشف: ج ٢، ص ١٠٠.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

٣ - القائل هو علي بن الحسين بن واقد كما جاء في تفسير أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٤٧، س ٥.

٤ - وقد حكى أنّ الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال ذات يوم لعلي بن الحسين بن راقد: ليس في كتابكم من علم طب شيء، والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان فقال له علي: قد جمع الله الطب كلّ في نصف آية من كتابه وهو قوله: «كلوا واشربوا ولا تسرفوا» وجمع نبينا ﷺ الطب في قوله المعدة بيت الأذى والحمية رأس كلّ دواء، واعط كل بدن ما عودته، فقال الطبيب: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً منه ﷺ راجع الكشف: ج ٢، ص ١٠٠.

٥ - انظر عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٣٦، ح ٨٩، و ص ٣٨، ح ١١٣، والخصال: ص ٦٣٠، ح ٢٩، حديث الأربعاء ص ١٤.

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ
الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ
الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

شعثهم^(١)، فمن فعل ذلك كان ما يأكل حلالاً، ويشرب حلالاً، ويركب حلالاً، وينكح حلالاً، ومن عدا ذلك كان عليه حراماً، ثم قال: «ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين» أترى الله إن تمن رجلأ على مال خول له أن يشتري فرساً بعشرة آلاف درهم ويجزيه فرس بعشرين درهماً ويشتري جارية بألف دينار ويجزيه بعشرين ديناراً، وقال: «لا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين»^(٢).

وعنه عليه السلام: قال: من سأل الناس شيئاً وعنده ما يقوته يومه فهو من المسرفين^(٣).

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾: من الثياب وسائر ما يتجمل به.
﴿الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾: من الأرض كالقطن والكتان والأبريسم والصفوف والجواهر.

﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾: المستلذات من المأكول والمشرب^(٤)، وهو إنكار لتحريم هذه الأشياء.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبدالله بن العباس إلى ابن الكواء وأصحابه، وعليه قميص رقيق وحلة، فلما نظروا إليه، قالوا: يا ابن عباس أنت خيرنا في أنفسنا

١ - لم الله شعثه: أي أصلح وجمع ما تفرق، منه عليه السلام. وفي مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٦٥، ولَمْتُ شعثه لَمًّا من باب - قتل - أصلحت من حاله ما تشئت، ومنه الدعاء «اللهم ألم به شعثنا».

٢ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٣، ح ٢٣. ٣ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٤، ح ٢٨.

٤ - وفي نسخة: [المأكول والمشارب].

وأنت تلبس هذا اللباس؟ فقال: وهذا أول ما أخاصمكم فيه «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق» وقال الله: «خذوا زينتكم عند كل مسجد»^(١).
والعياشي: عنه عليه السلام ما في معناه^(٢).

وفي الكافي: عنه عليه السلام أنه رآه سفيان الثوري وعليه ثياب كثيرة القيمة حسان، فقال: والله لا تبيته ولا ويحجته فدنا منه، فقال: يا ابن رسول الله ما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا اللباس ولا علي عليه السلام ولا واحد من آبائك، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمانٍ قَترٍ^(٣) مُقَترٍ وكان^(٤) يأخذ لِقَتره وأقَطاره وأن الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها^(٥) فأحق أهلها بها أبرارها ثم تلا: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ» الآية فنحن أحق من أخذ منها ما أعطاه الله غير إني يا ثوري ما ترى علي من ثوب إنما لبسته للناس، ثم اجتذب يد سفيان فجرحها إليه، ثم رفع الثوب الأعلى وأخرج ثوباً تحت ذلك على جلده غليظاً، فقال: هذا ألبسه لنفسي وما رأيته للناس، ثم جذب ثوباً على سفيان أعلاه غليظ خشن وداخل ذلك ثوب لين، فقال: لبست هذا الأعلى للناس، ولبست هذا لنفسي تسرّها^(٦)^(٧).

١- الكافي: ج ٦، ص ٤٤١ - ٤٤٢، ح ٦، باب اللباس.

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٥، ح ٣٢.

٣- وقتر عليه قتراً وقُتوراً - من بابي ضرب وقعد -: ضيق عليه في النفقة، ومنه: قتر على عياله: إذا ضيق عليهم. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٤٧، مادة «قتر».

٤- أي وكان رسول الله يأخذ اللباس يعني يصرفه بدفع قرة واقطاره ويصرفه في حوائجه ومضائق أمور الفقراء. منه عليه السلام.

٥- العزالي: يفتح اللام وكسرهما: جمع العزلاء مثل الحمراء، وهو قم المزادة فقوله: «فأرسلت السماء عزاليها» يريد شدة وقع المطر على التشبيه بنزوله من أفواه المزادة. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٢٣، «مادة عزل». وفي هامش المخطوط: العزالي - يفتح اللام وكسرهما - جمع عزلاء: وهي مصب الماء من الراوية ونحوها وإرخاؤها ليكثر صب الماء منها، والكلام استعارة لتوسعة النعم. منه عليه السلام.

٦- يمكن اشتقاقه من السراو من السرور. منه عليه السلام.

٧- الكافي: ج ٦، ص ٤٤٢ - ٤٤٣، ح ٨، باب اللباس.

وعنه عليه السلام: إِنَّهُ كَانَ مَتَكْتَأً عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ فَلَقِيَهُ عَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ مَرْوِيَّةٌ ^(١) حَسَانٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنَّكَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبَوَّةِ، وَكَانَ أَبُوكَ ^(٢)، وَكَانَ فَمَا هَذِهِ الثِّيَابُ الْمَرْوِيَّةُ عَلَيْكَ؟ فَلَوْ لَبِسْتَ دُونَ هَذِهِ الثِّيَابِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: وَيْلَكَ يَا عَبَّادُ «مِنْ حَرَمِ زِينَةِ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ» إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدِهِ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَاهَا عَلَيْهِ لَيْسَ بِهَا بَأْسٌ، وَيْلَكَ يَا عَبَّادُ إِنَّمَا أَنَا بَضْعَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا تُؤْذُونِي، وَكَانَ عَبَّادٌ يَلْبِسُ ثَوْبَيْنِ مِنْ قُطْنٍ ^(٣).

وعنه عليه السلام: أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ ذَكَرْتَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام كَانَ يَلْبِسُ الْخَشْنَ، يَلْبِسُ الْقَمِيصَ بِأَرْبَعَةِ دِرَاهِمٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَنَرَى عَلَيْكَ اللَّبَاسَ الْحَيِّدَ؟ فَقَالَ لَهُ عليه السلام: إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام كَانَ يَلْبِسُ ذَلِكَ فِي زَمَانٍ لَا يَنْكُرُ، وَلَوْ لَبِسَ مِثْلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَشَهَرَ بِهِ، فَخَيْرَ لِبَاسٍ كُلِّ زَمَانٍ لِبَاسَ أَهْلِهِ، غَيْرَ أَنْ قَاتَمْنَا إِذَا قَامَ لِبَسَ لِبَاسَ عَلِيٍّ وَسَارَ بِسِيرَتِهِ ^(٤).
أَقُولُ: وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِنَّهُ عَلَّلَ خَشُونَةَ مَطْعَمِهِ وَمَلْبَسَهُ بِأَنَّ اللَّهَ فَضَّلَ عَلَى أُمَّةٍ الْعَدْلَ أَنْ يَقْدُرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفَةٍ ^(٥) النَّاسَ كَيْلًا يَتَّبِعُ ^(٦) بِالْفَقِيرِ فَقَرَهُ ^(٧).

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بِالْأَصَالَةِ وَأَمَّا مِشَارَكَةُ الْكُفَّارِ لَهُمْ

١- مَزُودٌ: اسْمُ بَلَدٍ، وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِ مَزُودِي عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَالثَّوْبُ مَرْوِيٌّ عَلَى الْقِيَاسِ. الصَّحَاحُ: ج ٦، ص ٢٤٩١، مَادَّةُ «مَرَا».

٢- يَعْنِي كَانَ زَاهِدًا، وَكَانَ يَلْبِسُ الْخَشْنَ وَكَانَ تَارِكًا لِنَعِيمِ الدُّنْيَا يَعْنِي بِأَبِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَفِي بَعْضِ النُّسخِ قَطْرَتَيْنِ مَكَانَ قُطْنٍ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ وَهُوَ بِالْمَهْمَلَةِ ضَرْبٌ مِنَ الْبُرُودِ. مِنْهُ عليه السلام.

٣- الْكَافِي: ج ٦، ص ٤٤٣ - ٤٤٤، ح ١٣، بَابُ اللَّبَاسِ. وَفِيهِ «فَلَا تُؤْذِنِي» وَفِيهِ أَيْضًا: «ثَوْبَيْنِ قُطْرَيْنِ».

٤- الْكَافِي: ج ٦، ص ٤٤٤، ح ١٥، بَابُ اللَّبَاسِ.

٥- الضَّعْفَةُ: جَمِيعُ ضَعِيفٍ أَوْ يَقَاسُ أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفَاءِ النَّاسِ. مِنْهُ عليه السلام.

٦- أَوْ يَتَّبِعُ بِهِ. بِجَمْعِ الْبَحْرَيْنِ: ج ٥، ص ٨، مَادَّةُ «يَبِغْ».

٧- الْكَافِي: ج ١، ص ٤١٠ - ٤١١، ذِيلُ ح ٣، بَابُ سِيرَةِ الْإِمَامِ فِي نَفْسِهِ وَفِي الْمَطْعَمِ وَالْمَلْبَسِ إِذَا وَلِيَ الْأَمْرَ.

فيها فتبع.

﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: لا يشاركهم فيها غيرهم، وقرئ بالرفع.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام بعد أن ذكر أنهار الأرض فما سقت واستقت فهو لنا، وما كان لنا فهو لشيعتنا وليس لعدونا منه شيء إلا ما غصب عليه، وإن ولينا لي أوسع فيما بين ذه وذو يعني فيما بين السماء والأرض، ثم تلا هذه الآية: «قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» المغصوبين عليها خالصة لهم يوم القيامة بلا غصب^(١).

وفي الأمالي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث واعلموا يا عباد الله أن المتقين حازوا عاجل الخير وآجله، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم أباحهم الله في الدنيا ما كفاهم به وأغناهم، قال الله عز وجل: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ» الآية، سكنوا الدنيا بأفضل ما سُكنت، وأكلوها بأفضل ما أُكلت. شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون، وشربوا من طيبات ما يشربون، ولبسوا من أفضل ما يلبسون، وسكنوا من أفضل ما يسكنون، وتزوجوا من أفضل ما يتزوجون، وركبوا من أفضل ما يركبون، وأصابوا لذة الدنيا مع أهل الدنيا، وهم غداً جيران الله يتمنون عليه فيعطيهما ما يتمنون، ولا ترد لهم دعوة، ولا ينقص لهم نصيب من اللذة فإلى هذا يا عباد الله يشقاق إليه من كان له عقل^(٢).

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ لَكَ الْأَنْبِيَاءَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر

الأحكام لهم.

١ - الكافي: ج ١، ص ٤٠٩، ح ٥، باب إن الأرض كلها للإمام عليه السلام.

٢ - الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٢٦ - ٢٧، ح ٣١ / ٣١، المجلس الأول.

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأَثَمَ
وَالْبَغْيَ يَغْيِرُ الْحَقَّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

«قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأَثَمَ وَالْبَغْيَ يَغْيِرُ الْحَقَّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا»: في الكافي^(١)، والعيّاشي: عن الكاظم عليه السلام فأما قوله: «ما ظهر منها» يعني الزنا المعلن، ونصب الزايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهليّة، وأما قوله عزّ وجلّ: «وما بطن» يعني ما نكح من أزواج الآباء لأنّ النَّاس كانوا قبل أن يبعث النَّبي ﷺ إذا كان للرَّجل زوجة ومات عنها تزوّجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمّه فحرّم الله عزّ وجلّ ذلك، وأما «الإثم» فإنّها الخمر بعينها، وقد قال الله عزّ وجلّ في موضع آخر: «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها اثم كبير ومنافع للنَّاس»^(٢) فأما الإثم في كتاب الله: فهي الخمر والميسر، واثمها كبير، وزاد العيّاشي بعد قوله: «والميسر» أخيراً فهي التَّرد، قال: «واثمها كبير» وأما قوله: «والبغي» فهي الزنا سرّاً^(٣).

أقول: وربّما تعمم الفواحش لكل ما تزايد قبحه ما علن منها، وما خفي، ويعمّ الإثم لكلّ ذنب، ويفسّر البغي بالظلم والكبر ويجعل بغير الحقّ تأكيداً، وما لم يُنْزَلْ به سلطاناً تهكماً إذ لا يجوز أن ينزل برهاناً بأن يشرك به غيره.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام إنّ القرآن له ظهر وبطن فجميع ما حرّم الله في القرآن

١- الكافي: ج ٦، ص ٤٠٦، ح ١، باب تحريم الخمر في الكتاب.

٢- تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٧، ح ٣٨.

٣- البقرة: ٢١٩.

هو الظاهر، والباطن من ذلك: أئمة الجور، وجميع ما أحلّ الله في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك: أئمة الحق^(١).

﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي تتقولوا وتفتروا.

وفيه^(٢)، وفي الخصال: عنه عليه السلام إياك وخصلتين فيها هلك من هلك، إياك أن تفتي الناس برأيك، وتدين بما لا تعلم^(٣).

وفي رواية أخرى: أن تدين الله بالباطل، وتفتي الناس بما لا تعلم^(٤).

وفيه^(٥)، وفي التوحيد عن الباقر عليه السلام إنه سئل ما حجة الله على العباد؟ فقال: أن يقولوا ما يعلمون، ويقفوا عندما لا يعلمون^(٦).

وفي الفقيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه محمد بن الحنفية: يا بني لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كلّ ما تعلم^(٧).

وفي العيون: عنه عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماوات والأرض^(٨).

١ - الكافي: ج ١، ص ٣٧٤، ح ١٠، باب من ادّعى الإمامة وليس لها بأهل ومن جحد الأئمة أو بعضهم ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل.

٢ - الكافي: ج ١، ص ٤٢، ح ٢، باب النهي عن القول بغير علم.

٣ - الخصال: ص ٥٢، ح ٦٦، باب الاثنين النهي عن خصلتين.

٤ - الخصال: ص ٥٢، ح ٦٥، باب الاثنين النهي عن خصلتين، والكافي: ج ١، ص ٤٢، ح ١، باب النهي عن القول بغير علم.

٥ - الكافي: ج ١، ص ٤٣، ح ٧، باب النهي عن القول بغير علم.

٦ - التوحيد: ص ٤٥٩، ح ٢٧، باب ٦٧ - النهي عن الكلام والجدال والمراء في الله عز وجل.

٧ - من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٨١، ح ١٦٢٧ / ١، باب ٢٢٧ - الفروض على الجوارح.

٨ - عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٤٦، ح ١٧٣، باب ٣١ - فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا
يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ
عَلَيْكُمْ ءَايَاتِيْ فَمِنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: مدّة أو وقت لنزول الموت والعذاب.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾: انقضت مدّتهم أو حان وقتهم.

﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: العياشي: عن الصادق عليه السلام هو الذي
سمي لملك الموت في ليلة القدر^(١).

وفي الكافي: عنه عليه السلام تعدّ السنين ثم تعدّ الشهور، ثم تعدّ الأيام، ثم تعدّ النّفس «فإذا
جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون»^(٢).

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾: ضُمَّت - ما - إلى إن الشرطيّة تأكيداً لمعنى
الشرط.

﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾: من جنسكم.

﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِيْ فَمِنْ أَتَقَى﴾: التّكذيب منكم.

﴿وَأَصْلَحَ﴾: عمله.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا
عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: قيل: إدخال - الفاء - في الجزاء الأول

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ
 أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا
 يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا
 عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

دون الثاني للمبالغة في الوعد، والمساحطة في الوعيد^(١).

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾: أشنع ظلماً.

﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: تقول عليه ما لم يقله أو كذب

ما قاله.

﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾: مما كتبت لهم من الأرزاق والآجال.

والقمتي: أي ينالهم ما في كتابنا من عقوبات المعاصي^(٢).

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ﴾: «حتى» غاية لنيلهم نصيبهم وإستيفائهم

إياه أي إلى وقت وفاتهم، وهي التي يبتدأ بعدها الكلام، والمراد بالرسول هنا: ملك الموت وأعوانه.

﴿قَالُوا﴾: أي الرسل.

﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي الآلهة التي تعبدونها.

﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾: غابوا عنا.

﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾: اعترفوا بأنهم لم يكونوا على

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٤٨.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٠.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
 فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آدَارُكُوا
 فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا
 فَتَأْتِهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا
 تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

شيء فيما كانوا عليه.

﴿قَالَ﴾: أي قال الله تعالى لهم.

﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: كائنين في جملة أمم مصاحبين لهم.

﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾: يعني كفار الأمم الماضية من النوعين.

﴿فِي النَّارِ﴾: متعلق بـ «ادخلوا».

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾: في النار.

﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾: التي ضلّت بالاعتداء بها.

﴿حَتَّى إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾: أي تداركوا وتلاحقوا في النار.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام في حديث برئ بعضهم من بعض، ولعن بعضهم بعضاً، يريد بعضهم أن يحجّ بعضاً رجاء الفلج فيفلتوا من عظيم ما نزل بهم، وليس بأوان بلوى ولا اختبار ولا قبول معذرة، ولات حين نجاة^(١).

﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ﴾: منزلة وهم الأتباع والسفلة.

﴿لِأُولِهِمْ﴾: منزلة أي لأجلهم إذ الخطاب مع الله لا معهم، وهم القادة والرؤساء.

وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرَسُهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾

في المجمع: عن الصادق عليه السلام يعني أئمة الجور (١).
﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾: دعونا إلى الضلال وحملونا عليه.
﴿فَقَاتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ﴾: مضاعفاً لأنهم ضلّوا وأضلّوا.
﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ﴾: أما القادة فبكفرهم وتضليلهم، وأما الأتباع فبكفرهم
وتقليدهم.

﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: ما لكل (٢)، وقرئ بالياء على الانفصال.
﴿وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرَسُهُمْ﴾: مخاطبين لهم.
﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾: عطفوا كلامهم على قول الله سبحانه للإتباع لكل
ضعف، أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا، وإنا وإياكم متساوون في الضلال واستحقاق
الضعف.

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: القمي: قال: شماتة لهم (٣).
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾: أي عن الإيمان بها.

١ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤١٧. ٢ - هكذا في الأصل، والصحيح «ما لكل فريق».

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٠، وفيه: «شماتة بهم».

لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٤٥﴾

﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾: لأدعيتهم وأعمالهم، ولنزول البركة عليهم،
ولصعود أرواحهم إذا ماتوا.

في الجمع: عن الباقر عليه السلام أما المؤمنون فترفع أعمالهم وأرواحهم إلى السماء فتفتح لهم
أبوابها، وأما الكافر فيصعد بعمله وروحه حتى إذا بلغ إلى السماء نادى مناد اهبطوا به إلى
سجين، وهو وادٍ بمحضرموت يقال له: برهوت ^(١)، وقرئ - لا تفتح - بالتخفيف، وبالياء
والتخفيف.

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾: أي لا يدخلون الجنة
حتى يكون ما لا يكون أبداً من ولوج الجمل الذي لا يلبغ إلا في باب واسع في ثقب الإبرة.
﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الجزاء الفضيع.

﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾: فراش.

﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾: أغطية.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: اعتراض بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه
طاقاتهم ويسهل عليهم.

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا
أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ
الْجَنَّةُ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ
غِلٍّ: على إخوانهم في الدنيا فسلمت قلوبهم وطهرت من الحقد والحسد والشحناء، ولم
يكن منهم إلا التعاطف والتراحم والتواد.

القمي: عن الباقر عليه السلام العداوة تنزع منهم أي من المؤمنين في الجنة ^(١).

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا
لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية إذا كان يوم
القيامة دعي بالنبي صلى الله عليه وآله، وبأمر المؤمنين، وبالأئمة عليهم السلام فينبصون للناس فإذا رأتهم شيعتهم
قالوا: «الحمد لله الذي هدانا لهذا» الآية، يعني هدانا الله في ولاية أمير المؤمنين، والأئمة عليهم السلام من
ولده ^(٢).

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾: فاهتدنا بإرشادهم، يقولون ذلك: اغتباطاً
وتبجحاً ^(٣) إذ صار علم يقينهم في الدنيا عين يقينهم في الآخرة.
﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ﴾: إذا رأوها.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣١.

٢- الكافي: ج ١، ص ١٨٤، ح ٣٣، باب فيه نكت وتنفع من التنزيل في الولاية.

٣- البجح: الفرح، يقال: بجح بالشيء بالكسر، وبالفتح لغة ضعيفة وبجحته فبجح: أي فرحته وفرح، بجمع
البحرين: ج ٢، ص ٣٤١، مادة «بجح».

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا
رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ
بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في الجمع: عن النبي ﷺ ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار، وأما المؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله: «أورثتموها بما كنتم تعملون»^(١).

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾: قالوا: تبجحاً بحالهم، وشبابة بأصحاب النار، وتحسراً لهم، وإنما لم يقل: ما وعدكم كما قال: ما وعدنا لأن ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصاً وعدهم بهم كالبعث والحساب ونعيم الجنة لأهلها.

﴿قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن﴾: وقرئ - أن - بالتشديد.

﴿لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: في الكافي^(٢)، والقمي: عن الكاظم^(٣)، والعياشي: عن الرضا عليه السلام المؤذن: أمير المؤمنين عليه السلام^(٤)، وزاد القمي يؤذن أذاناً يسمع الخلائق^(٥). وفي الجمع^(٦)، والمعاني: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنا ذلك المؤذن^(٧).

١- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٢٠.

٢- الكافي: ج ١، ص ٤٢٦، ح ٧٠، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣١. ٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٧، ح ٤١.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣١. ٦- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٢٢.

٧- معاني الأخبار: ص ٥٩، ح ٩، س ٩ باب معاني أسماء محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، والأئمة عليهم السلام.

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ
كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمْ
يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: زيفاً وميلًا عما هو عليه.
﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ * وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ: أي بين الفريقين لقوله: «فَضْرِبَ
بَيْنَهُمْ بَسُورًا»^(١) أو بين الجنة والنار ليمنع وصول إحدهما إلى الأخرى.
﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾: أعراف الحجاب أي أعاليه.
﴿رِجَالٌ﴾: من الموحدنين العارفين المعروفين.
﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾: من أهل الجنة والنار.
﴿بِسِيمَاهُمْ﴾: بعلامتهم التي أعلمهم الله بها لأنهم من المتوسمين أهل الفراسة.
في المجمع^(٢)، والجوامع: عن أمير المؤمنين عليه السلام نحن نوقف يوم القيامة بين الجنة
والنار، فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه
النار^(٣).

وفيها^(٤)، والقمي: عن الصادق عليه السلام الأعراف: كثنان^(٥) بين الجنة والنار، والرجال:

١- الحديد: ١٣. ٢- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٢٣. وفيه: «نقف»

٣- جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٤٠.

٤- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٢٣، وجوامع الجامع: ج ١، ص ٤٣٨.

٥- الكنشان: جمع كتيب: وهي تلال الزمل. الصحاح: ج ١، ص ٢٠٩، مادة «كتب».

الأئمة صلوات الله عليهم وبأقي تمام الحديث^(١).

وفي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسماهم، ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله عز وجل إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف يوقفنا الله عز وجل يوم القيامة على الصراط فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه^(٢).

ومثله في البصائر^(٣)، والإحتجاج: إلا أنه قال: نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار ولا يدخل الجنة الحديث.. وزاد في آخره وذلك بأن الله تبارك وتعالى لو شاء عرّف الناس نفسه حتى يعرفوا حده ويأتوه من بابه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله، وبابه الذي يؤتى منه^(٤).

والعياشي: ما يقرب منه^(٥)، وعن سلمان: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام: أكثر من عشر مرّات يا علي إنك والأوصياء من بعدك أعراف بين الجنة والنار، ولا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه^(٦).

وعن الباقر عليه السلام: هم آل محمد عليه السلام لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه^(٧)، ورواه في المجمع أيضاً^(٨).

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣١.

٢ - الكافي: ج ١، ص ١٨٤، ح ٩، باب معرفة الإمام والرد إليه.

٣ - بصائر الدرجات: ص ٥١٦ - ٥١٧، ح ٦، باب ١٦ - في الأئمة أنهم الذين ذكرهم الله يعرفون أهل الجنة والنار. وفيه: «حتى يعرفوه ويوحده».

٤ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٣٨. احتجاجة عليه السلام على بعض اليهود وغيره في أنواع شتى من العلوم. وفيه: «حتى يعرفوا وحده».

٥ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٩، ح ٤٩.

٦ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٨، ح ٤٥.

٧ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٨، ح ٤٤.

٨ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٢٣.

وفي البصائر: عنه عليه السلام الرجال: هم الأئمة من آل محمد عليه السلام، والأعراف: صراط بين الجنة والنار، فمن شفع له الأئمة منا من المؤمنين المذنبين نجا، ومن لم يشفعوا له هوى^(١).

وفيه عنه عليه السلام: قال: نحن أولئك الرجال، الأئمة منا يعرفون من يدخل النار، ومن يدخل الجنة كما تعرفون في قبائلكم الرجل منكم يعرف من فيها من صالح أو طالح^(٢).

والأخبار في هذا المعنى كثيرة وزاد في بعضها لأنهم عرفاء العباد عرفهم الله إياهم عند أخذ المواثيق عليهم بالطاعة فوصفهم في كتابه فقال: «وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسياهم» وهم الشهداء على الناس والنبّيون شهداؤهم بأخذهم^(٣) لهم مواثيق العباد بالطاعة^(٤).

والقمي: عن الصادق عليه السلام كل أمة يحاسبها إمام زمانها ويعرف الأئمة أولياءهم وأعداءهم بسياهم وهو قوله: «وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسياهم» فيعطون أولياءهم كتابهم بيمينهم فيمروا إلى الجنة بلا حساب، ويعطون أعداءهم كتابهم بشاهم فيمروا إلى النار بلا حساب^(٥).

وفي البصائر^(٦)، والقمي: عن الباقر عليه السلام إنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال: إنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم الأعمال وإنهم لكما قال الله عز وجل^(٧).

١- بصائر الدرجات: ص ٥١٦، ح ٥، باب ١٦- في الأئمة أنهم الذين ذكرهم الله يعرفون أهل الجنة والنار.

٢- بصائر الدرجات: ص ٥١٥- ٥١٦، ح ١، باب ١٦- في الأئمة أنهم الذين ذكرهم الله يعرفون أهل الجنة والنار. ٣- أي بأخذ النبيين للأئمة عليهم السلام. منه عليه السلام.

٤- بصائر الدرجات: ص ٥١٨، ح ٩، باب ١٦- في الأئمة أنهم الذين ذكرهم الله يعرفون أهل الجنة والنار.

٥- تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٨٤.

٦- لم نعثر عليه في بصائر الدرجات بل وجدناه في الكافي: ج ٢، ص ٤٠٣، ذيل ح ٢، باب ١ الضلال. وج ٢، ص ٤٠٨، باب أصحاب الأعراف.

٧- لم نعثر عليه في تفسير القمي بل وجدناه في الكافي: ج ٢، ص ٤٠٣، ذيل ح ٢، باب ١ الضلال. وج ٢، ص ٤٠٨، باب أصحاب الأعراف.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام إنه سئل عنهم فقال: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فإن أدخلهم النار فبذنوبهم، وإن أدخلهم الجنة فبرحمته (١).

وفي رواية العياشي: وإن أدخلهم الله الجنة فبرحمته وإن عذبهم لم يظلمهم (٢).
أقول: لا منافات بين هاتين الروايتين، وبين ما تقدمهما من الأخبار كما زعمه الأكثرون، لأن هؤلاء القوم يكونون مع الرجال الذين على الأعراف وكلاهما أصحاب الأعراف، يدل على ما قلناه صريحاً حديث الجوامع (٣)، والقمي (٤)، والآيتان في آخر هذه الآيات فإتھما تدلان على أنه يكون على الأعراف الأئمة عليهم السلام مع مذنب أھل زمانهم من شيعتهم، والوجه في إطلاق لفظ الأعراف على الأئمة عليهم السلام كما ورد في عدة من الأخبار التي سبقت: أن الأعراف إن كان اشتقاقها من المعرفة فالأنبياء والأوصياء هم العارفون والمعروفون والمعرفون الله والناس للناس في هذه النشأة وإن كان من العرف بمعنى المكان العالي المرتفع فهم الذين من فرط معرفتهم وشدة بصيرتهم كأئمتهم في مكان عال مرتفع ينظرون إلى سائر الناس في درجاتهم ودركاتهم ويميزون السعداء عن الأشقياء على معرفة منهم بهم وهم بعد في هذه النشأة، وكذلك بعض من سار سيرتهم من شيعتهم كما يدل عليه حديث حارثة بن النعمان الذي كان ينظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة، وإلى أهل النار يتعاونون في النار وكان بعد في الدنيا، وحديثه مروى في الكافي (٥).

﴿وَنَادَوْا﴾: يعني ونادى أصحاب الأعراف أريد بهم من كان مع الأئمة عليهم السلام على الأعراف من مذنب شيعتهم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم.
﴿أَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِمُ عَلَيْكُمْ﴾: أي إذا نظروا إليهم سلموا عليهم.

١- الكافي: ج ٢، ص ٣٨١، ح ١، باب أصناف الناس.

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٨، ح ٤٦. ٣- جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٣٨.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣١.

٥- الكافي: ج ٢، ص ٥٤، ح ٣، باب حقيقة الإيمان واليقين.

وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا
يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ
تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ
أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ
قَالُوا: تعوذاً بالله.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أي في النار، وفي الجمع: أن في قراءة
الصادق عليه السلام قالوا ربنا عائدنا بك أن تجعلنا مع القوم الظالمين^(١).

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾: أي الأئمة.

﴿رَجُلًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾: من رؤساء الكفار.

﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾: في الدنيا.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن الحق.

﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾: من تسعة قول الأئمة للرجال

والإشارة إلى شيعتهم الذين كانوا معهم على الأعراف الذين كانت الكفرة يحقرونهم^(٢) في
الدنيا ويحلفون أن الله لا يدخلهم الجنة.

﴿أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾: أي فالتفتوا إلى أصحابهم،

وقالوا لهم: أدخلوها لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون.

خليفة نبي مع المذنبين من أهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده وقد سبق المحسنون إلى الجنة، فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه أنظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سبقوا إلى الجنة فيسلم عليهم المذنبون وذلك قوله: «سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون» أن يدخلهم الله أيأها بشفاعته النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام وينظر هؤلاء المذنبون إلى أهل النار فيقولون: «ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين»^(١).

وينادي أصحاب الأعراف وهم الأنبياء والخلفاء رجالاً من أهل النار ورؤساء الكفار ويقولون لهم: مقرّعين «ما أغنى عنكم جمعكم» واستكباركم «أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة» إشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستضعفونهم ويحتقرونهم بفقرهم، ويستطيّلون عليهم بدنياههم، ويقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة «ادخلوا الجنة» يقول أصحاب الأعراف هؤلاء المستضعفين: عن أمر من أمر الله عز وجلّ لهم بذلك: «ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون» أي لا خائفين ولا محزونين^(٢).

والقمي عنه عليه السلام الأعراف: كتابان^(٣) بين الجنة والنار، والرجال: الأئمة عليهم السلام يقفون على الأعراف مع شيعتهم، وقد سبق المؤمنون إلى الجنة فيقول الأئمة لشيعتهم من أصحاب الذنوب: أنظروا إلى إخوانكم في الجنة وقد سبقوا إليها بلا حساب، وهو قول الله تعالى: «سلام عليكم ولم يدخلوها وهم يطمعون» ثم يقال لهم: انظروا إلى أعدائكم في النار، وهو قوله: «وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين» ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم في النار فقالوا: «ما أغنى عنكم جمعكم» في الدنيا «وما كنتم تستكبرون» ثم يقولون^(٤) لمن في النار من أعدائهم هؤلاء

١ - جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٣٨ - ٤٣٩. وفيه: «وقد سبق المحسنون»... «وقد سبقوا إلى الجنة».

٢ - جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٣٩ - ٤٤٠. ٣ - الكتيب: الرمل المستطيل المحدوب، والجمع «كُثْب»

بضمين و «كُثبان». مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٥٦، مادة «كُثْب».

٤ - أي كلّ واحد واحد من النبيين والأوصياء لمن في النار من أعدائهم في حق امتهم وشيعتهم هؤلاء... إلى آخره. منه تَبَيَّنَ.

وَنَادَىٰ أَصْحَبُ النَّارِ أَصْحَبَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ
الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى
الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هَوًىٰ وَلِعِبَاءُ وُغَرَّتُهُمْ
الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسِفُهُمْ كَمَا نَسَوْا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا
وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

شيعتي وإخواني الذين كنتم أنتم تحلفون في الدُّنْيَا «لا ينالهم الله برحمته»، ثم يقول الأئمة عليهم السلام لشيعتهم: «أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون»^(١).

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَبُ النَّارِ أَصْحَبَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾: أي صبوه وذلك لأنَّ الجنة فوق النار.

﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: من الأطعمة والفواكه، العياشي: عن أحدهما عليه السلام قال: إنَّ أهل النار يموتون عطاشاً، ويدخلون قبورهم عطاشاً، ويدخلون جهنم عطاشاً، فيرفع لهم قراياتهم من الجنة فيقولون: «أفضيفوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله»^(٢).

وعن الصادق عليه السلام: يوم التناد: يوم ينادي أهل النار أهل الجنة «أن أفضيفوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله»^(٣).

﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾: حرَّم شراب الجنة وطعامها.

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾: الذي كان يلزمهم التدين به.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣١-٢٣٢.

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٩، ح ٤٩.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٩، ح ٥٠.

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

«هُوَ وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا»: فحرموا ما شاؤوا واستحلوا^(١) ما شاؤوا. «فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا»: في العيون: عن الرضا عليه السلام: في حديث أي نتركهم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا، وقال: إنما يجازي من نسيه ونسي لقاء يومه بأن ينسيهم أنفسهم كما قال تعالى: «ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون»^{(٢)(٣)}.

وفي التوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسيره يعني بالنسيان أنه لم يشبه كما يشيب أولياءه الذين كانوا في دار الدنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا به، وبرسله وخافوه في الغيب، وقد يقول العرب في باب النسيان: قد نسينا فلان فلا يذكرنا أي أنه لا يأمرهم بخير ولا يذكرهم به^(٤).

«وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ»: وكما كانوا منكرين لا يأتنا. «وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ»: بيّنا معانيه من العقائد، والأحكام، والمواظ، مفصلة.

١ - استحلّه اتخذّه حلالاً وسأله أن يحله له، وهو المراد هاهنا لو قرئ بصيغة المجهول، والصحيح حرموا بصيغة الفاعل فالمتى حرموا ما شاؤوا مما حلل الله، وأحلوا واستحلوا ما شاؤوا مما حرم الله عليه في دار الدنيا. منه عليه السلام.

٢ - الحشر: ١٩.

٣ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٢٥، ١٨، باب ١١ - ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليه السلام من الأخبار في التوحيد.

٤ - التوحيد: ص ٢٥٩ - ٢٦٠، ح ٥، والحديث طويل، باب ٢٦ - الرد على الثنوية والزنادقة.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ
 قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا
 أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ
 عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: عالمين بوجه تفصيله حتَّى جاء حكياً.
 ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: هَلْ يَنْظُرُونَ: هل ينتظرون.
 ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾: ما يؤول إليه أمره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد
 والوعيد.

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾: قيل: يوم القيامة (١).
 والقمي: ذلك في قيام القائم ﷺ ويوم القيامة (٢).
 ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾: تركوه ترك الناسي.
 ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾: أي قد تبين أنهم جاؤوا بالحق.
 ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾: اليوم.
 ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾: إلى الدنيا.
 ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بصرف أعمارهم (٣) في
 الكفر.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: بطل عنهم فلم ينفعهم.

١- قاله العبادي في تفسيره أبي السعود: ج ٣، ص ٢٣٢.

٢- وفي نسخة: [أعالمهم].

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٦.

إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
 اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ
 وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ
 رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: القمي: قال: في
 ستة أوقات^(١).

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام ولو شاء أن يخلقها في أقل من لمح البصر لخلق
 ولكنه جعل الأناة والمدارة أمثالا لأمنائه وإيجاباً للحجة على خلقه^(٢).

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام: وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين، ولكنه عز وجل
 خلقها في ستة أيام ليظهر للملائكة ما يخلق منها شيئاً بعد شيء فيستدلّ بحدوث ما يحدث
 على الله تعالى مرة بعد مرة^(٣).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: إن الله خلق الخير يوم الأحد، وما كان ليخلق الشر قبل
 الخير، وفي الأحد والأثنين خلق الأرضين، وخلق أقواتها يوم الثلاثاء، وخلق السماوات يوم
 الأربعاء ويوم الخميس، وخلق أقواتها يوم الجمعة، وذلك قوله تعالى: «خلق السماوات
 والأرض وما بينهما في ستة أيام»^{(٤)(٥)}.

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٦.

٢ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٩. احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في أي متشابهة.

٣ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٣٤ - ١٣٥، ح ٣٣، باب ١١ - ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليه السلام من

الأخبار في التوحيد. ٤ - السجدة: ٤.

٥ - الكافي: ج ٨، ص ١٤٥، ح ١١٧. وفيه: «وفي يوم الأحد والأثنين».

أقول: هذه الآية مشتملة على قوله: «وما بينها» إنما هي في سورة الفرقان^(١)، وفي سورة السجدة التالية للقمآن^(٢) ويستفاد منها ومن هذا الحديث وأمثاله مما ورد من هذا القبيل أن ما بينها أيضاً داخل في المقصود من الآية التي نحن بصدد تفسيرها.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى خلق الدنيا في ستة أيام ثم اختزلها^(٣) عن أيام السنة، والسنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً^(٤).

وفي الفقيه^(٥)، والتّهذيب: عنه عليه السلام إن الله تبارك وتعالى خلق السنة ثلاثمائة وستين يوماً، وخلق السماوات والأرض في ستة أيام فحجزها^(٦) من ثلاثمائة وستين يوماً فالسنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً، الحديث^(٧).

وفي الخصال^(٨)، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام ما يقرب منه^(٩).

إن قيل: إن الأيام إنما تتقدّر وتمايز بحركة الفلك فكيف خلقت السماوات والأرض في الأيام المتمايزة قبل تمايزها.

قلنا: مناط تمايز الأيام وتقدّرها إنما هو حركة الفلك الأعلى دون السماوات السبع والمخلوق في الأيام المتمايزة إنما هو السماوات السبع والأرض وما بينها دون ما فوقها، ولا يلزم من ذلك خلاً لتقدّم الماء الذي خلق منه الجميع على الجميع، وليعلم

١- الفرقان: ٥٩. ٢- السجدة: ٤.

٣- انخزل الشيء: أي انقطع، والاختزال: الاقتطاع. الصحاح: ج ٤، ص ١٦٨٤. مادة «خزل».

٤- الكافي: ج ٤، ص ٧٨، ح ٢، باب النادر.

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١١٠-١١١، ح ٤٧٢/٤، باب ٥٨ النوادر.

٦- أي فصلها عنها، وجعل في طرفه منها كالحاشية للشيء. منه تبيّن.

٧- تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٧١-١٧٢، ح ٤٨٤/٥٦، باب ٤١- علامة أوّل شهر رمضان وآخره ودليل دخوله.

٨- الخصال: ص ٤٨٦، ح ٦٢، أبواب الأئني عشر- الشهور إثنا عشر شهراً.

٩- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٠، ح ٧.

إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ وَأَمْثَالَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ الَّتِي تَأْوِيلُهَا عِنْدَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ.

﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: فِي الْإِحْتِجَاجِ: عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَعْنِي أَسْتَوَى تَدْبِيرُهُ وَعَلَامَتُهُ ^(١)، وَعَنْ الْكَاطِمِ عليه السلام: أَسْتَوَى عَلَى مَا دَقَّ وَجَلَّ ^(٢).

وَفِي الْكَافِي: عَنْ الصَّادِقِ عليه السلام: أَسْتَوَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ ^(٣)، وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى أَسْتَوَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ ^(٤).
وَفِي أُخْرَى أَسْتَوَى فِي كُلِّ شَيْءٍ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ بَعِيدٌ وَلَمْ يَقْرُبْ مِنْهُ قَرِيبٌ أَسْتَوَى فِي كُلِّ شَيْءٍ ^(٥).

أَقُولُ: قَدْ يَرَادُ بِالْعَرْشِ الْجِسْمُ الْمَحِيطُ بِجَمِيعِ الْأَجْسَامِ، وَقَدْ يَرَادُ بِهِ ذَلِكَ الْجِسْمُ مَعَ جَمِيعِ مَا فِيهِ مِنَ الْأَجْسَامِ أَعْنَى الْعَالَمِ الْجِسْمَانِيِّ بِتَمَامِهِ، وَقَدْ يَرَادُ بِهِ ذَلِكَ الْمَجْمُوعُ مَعَ جَمِيعِ مَا يَتَوَسَّطُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَرْوَاحِ الَّتِي لَا تَتَقَوَّمُ الْأَجْسَامُ إِلَّا بِهَا أَعْنَى الْعَوَالِمِ كُلِّهَا بِلُكْهَا وَمَلَكُوتِهَا وَجَبَرُوتِهَا، وَبِالْجُمْلَةِ مَا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ يَرَادُ بِهِ عِلْمُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْمُتَعَلِّقُ بِمَا سِوَاهُ، وَقَدْ يَرَادُ بِهِ عِلْمُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الَّذِي أَطْلَعَ عَلَيْهِ أَنْبِيََاءَهُ وَرَسُلَهُ وَحُجَجَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ وَقَعَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى كُلِّ مَنِهَا فِي كَلَامِهِمْ عليهم السلام، وَرَبَّمَا يَفْسَّرُ بِالْمَلِكِ وَالْإِسْتِوَاءِ بِالْإِحْتِوَاءِ كَمَا يَأْتِي فِي سُورَةِ طه ^(٦)، وَيَرْجِعُ إِلَى مَا ذَكَرَ.

١- الْإِحْتِجَاجُ: ج ١، ص ٣٧٣. احْتِجَاجُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى زَنْدِيقٍ فِي آيٍ مُتَشَابِهَةٍ.

٢- مَعَانِي الْأَخْبَارِ: ص ٤، ح ١، بَابُ مَعْنَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَالتَّوْحِيدُ: ص ٢٣٠، ح ٤، بَابُ ٣١- مَعْنَى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

٣- الْكَافِي: ج ١، ص ١٢٧، ح ٦، فِي قَوْلِهِ: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى».

٤- الْكَافِي: ج ١، ص ١٢٨، ح ٧، فِي قَوْلِهِ: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى».

٥- الْكَافِي: ج ١، ص ١٢٨، ح ٨، فِي قَوْلِهِ: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى».

٦- طه: ٥.

ثم أقول: فسّر الصادق عليه السلام الإستواء في روايات الكافي: باستواء النسبة والعرش بمجموع الأشياء وضمن الإستواء في الرواية الأولى ما يتعدى به على كالأستياء والإشراف ونحوهما لموافقته القرآن فيصير المعنى استوى نسبته إلى كل شيء حال كونه مستولياً على الكلّ في الآية دلالة على أنّ نفي المكان عنه سبحانه خلاف ما يفهمه الجمهور منها، وفيها أيضاً إشارة إلى معيّته القيوميّة واتّصاله المعنويّ بكلّ شيء على السّواء على الوجه الذي لا ينافي أحديته وقُدس جلاله وإلى إفاضة الرّحمة العامّة على الجميع على نسبة واحدة وإحاطة علمه بالكلّ بنحو واحد وقربه من كل شيء على نهج سواء وأتى بلفظة «من» في الرواية الثّانية تحقيقاً لمعنى الإستواء في القرب والبعد وبلطفة «في» في الثّالثة تحقيقاً لمعنى ما يستوي فيه، وأمّا اختلاف المقرّبين كالأنبياء والأولياء مع المبعدين كالشّياطين والكفّار في القرب والبعد فليس ذلك من قبله سبحانه بل من جهة تفاوت أرواحهم في ذواتها.

وفي التّوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الجاثليق قال: إنّ الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما يظنّ كهيئة السّرير، ولكنّه شيء محدود مخلوق مدبّر وربك عزّ وجلّ مالكة لا أنّه عليه ككون الشّيء على الشّيء^(١).

﴿يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾: يغطّيه به، وقرئ بالتّشديد.

﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ﴾: يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفصل بينها شيء.

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾: وقرئ برفع الكلّ.

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾: عالم الأجسام.

﴿وَالْأَمْرُ﴾: عالم الأرواح.

﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: تعالى بالوحدانيّة في الألوهيّة، وتعظّم بالفردانيّة في

الرّبوبيّة.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾: ذوي تضرع وخفية فإن الإخفاء أقرب إلى الإخلاص، وقرئ بكسر الخاء.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره.

في المجمع: عن النبي ﷺ أنه كان في غزاة فأشرف على واد فجعل الناس يهللون ويكبرون ويرفعون أصواتهم، فقال: يا أيها الناس اربعوا^(١) على أنفسكم أما أنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً إنّه معكم^(٢).

وفي مصباح الشريعة: عن الصادق عليه السلام استعن بالله في جميع أمورك متضرعاً إليه آناً الليل والنهار، قال الله تعالى: «ادعوا ربكم تضرعاً وخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» والإعتداء من صفة قراء زماننا هذا وعلامتهم^(٣).

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: بالكفر والمعاصي.

﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾: بيعت الأنبياء، وشرع الأحكام.

في الكافي^(٤)، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام إن الأرض كانت فاسدة فأصلحها الله

١- رَيَّعَ - كَمَنَعَ -: وقف وانتظر وتحبس. ومنه قولهم: أربع عليك أو على نفسك أو على ظلمك. القاموس

المحيط: ج ٣، ص ٢٤. ٢- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٤٢٩.

٣- مصباح الشريعة: ص ٥٨. ٤- الكافي: ج ٨، ص ٥٨، ح ٢٠.

عز وجلّ بنبيّه، فقال: «ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها»^(١).

والقمتي: أصلحها برسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين عليه السلام فآفسدوها حين تركوا أمير المؤمنين عليه السلام^(٢).

﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: ذوي خوف من الرد لقصور أعمالكم، وعدم استحقاقكم وطمعاً في إجابته تفضلاً وإحساناً لفرط رحمته.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: ترجيع للطمع، وتنبيه على ما يتوصل^(٣) به إلى الإجابة، في الفقيه: في وصيّة النبيّ لعليّ (صلوات الله وسلامه عليهما) يا عليّ من خاف ساحراً أو شيطاناً فيقرأ «إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» الآية (٤)(٥).

وفي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام من بات بأرض قفر فقراً هذه الآية «إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» إلى قوله: «تبارك الله ربّ العالمين»^(٦) حرسته الملائكة وتباعدت عنه الشياطين، قال: فضى الرجل فإذا هو بقرية خراب فبات فيها ولم يقرأ هذه الآية فتغشاه الشياطين فإذا هو أخذ بخطمه فقال له صاحبه: أَنْظِرْهُ واستيقظ الرجل فقراً الآية فقال الشيطان لصاحبه: أرغم الله أنفك أحرسه الآن حتّى يصبح فلمّا أصبح رجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره، وقال له رأيت في كلامك الشفاء والصدق، ومضى بعد طلوع الشمس فإذا هو بأثر شعر الشيطان مجتمعاً في الأرض، الحديث^(٧).

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٩، ح ٥١. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٦.

٣- وفي نسخة: [يتوصل]. ٤- الأعراف: ٥٤، ويونس: ٣.

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٦٩، ح ٤، باب ١٧٦ - النوادر وهو آخر أبواب الكتاب. وفيه: «يا علي من

خاف». ٦- الأعراف: ٥٤.

٧- الكافي: ج ٢، ص ٦٢٦، ح ٢١، والحديث طويل، باب فضل القرآن.

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا يَنْ يَدَى رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ
 سَحَابًا تَقَالًا سَقْنَهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ
 الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ
 يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ
 نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾: وقرئ الريح.

﴿بُشْرًا﴾^(١): جمع نشور بمعنى ناشر، وقرئ بالتخفيف وفتح النون، وبالباء مخففة جمع

بشير.

﴿يَنْ يَدَى رَحْمَتِهِ﴾: قدام رحمته يعني المطرفان الصَّبا^(٢) تثير السحاب، والشَّمال

تجمعه، والجنوب تجلبه، والدُّبور تفرقه.

﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ﴾: حملت.

﴿سَحَابًا﴾: سحاب.

﴿تَقَالًا﴾: بالماء.

﴿سَقْنَهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾: لإحيائه، وقرئ بتخفيف الياء.

﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: من كل أنواعها.

﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾: نحْيِيهم ونخرجهم من الأجداث.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: فتعلمون أن من قدر على ذلك قدر على هذا.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾: الأرض الكريمة التربة.

١ - هكذا في المصحف، وفي النسخة المخطوطة: «بُشْرًا» جمع نشور بمعنى ناشر إلى آخر ما ذكره رحمته.

٢ - الصبا: ما يهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار، والدبور: ما يهب من مقابلة منه رحمته.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾

﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: بأمره وتيسره، عبر به عن كثرة التّبات وحسنه وغزارة^(١) نفعه بقرينة المقابلة.

﴿وَالَّذِي حَبِثَ﴾: كالحرة^(٢) والسبخة^(٣).

﴿لَا يَخْرُجُ﴾: نباته.

﴿إِلَّا نَكِدًا﴾: قليلاً عديم النّفع.

﴿كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيْتِ﴾: نردّها ونكرّرها.

﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾: نعمة الله فينتفكّرون فيها ويعتبرون بها.

قيل: الآية مثل لمن تدبّر الآيات وانتفع بها، ولمن لم يرفع إليها رأساً ولم يتأثّر بها^(٤).

والقمي: مثل للأئمة عليهم السلام يخرج علمهم بإذن ربّهم ولأعدائهم لا يخرج علمهم إلاّ كدرأ فاسداً^(٥).

وفي المناقب: قال عمرو بن العاص للحسين: ما بال لحاكم أوفر من لحانا فقراً عليه السلام هذه الآية^(٦).

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾: جواب قسم محذوف.

١- غزر الماء بالضم غَزَارًا وَغَزَارَةً: كثر فهو غزير، أي كثير: مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٢٤، مادة «غزر».

٢- الحرة - بالفتح والتشديد -: أرض ذات أحجار سود. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٦٣. مادة «حرر».

٣- السبخة - بالفتح -: واحد السبخ وهي أرض مالحة يعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلّا بعض الأشجار. مجمع

البحرين: ج ٢، ص ٤٣٣، مادة «سبخ».

٤- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٥٣.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٦.

٦- المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤، ص ٦٧، في مكارم أخلاقه عليه السلام.

قيل: هو نوح بن ملك بن متوشلخ بن إدريس أول نبي بعده^(١).

والقتي: روى في الخبر أن اسم نوح عبدالغفار، وإنما سمي نوحاً لأنه كان ينوح على نفسه^(٢).

وفي العلل: عن الصادق عليه السلام مثله^(٣)، قال: وفي رواية اسمه عبدالأعلى^(٤)، وفي أخرى عبدالمك^(٥). وفي رواية إنما سمي نوحاً لأنه بكى خمسمائة عام^(٦).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في حديث إن آدم عليه السلام بشر بنوح عليه السلام وأنه يدعو إلى الله ويكذبه قومه فيهلكهم الله بالطوفان وأوصى ولده أن من أدركه منكم فليؤمن به وليتبعه فإنه ينجو من الغرق، وكان بينهما عشرة آباء أنبياء وأوصياء، وكانوا مستخفين ولذلك خفي ذكرهم في القرآن^(٧).

وفيه^(٨)، والعياشي: عنه عليه السلام كانت شريعة نوح أن يعبد الله بالتوحيد، والإخلاص، وخلع الأنداد، وهي الفطرة التي فطر الناس عليها، وأخذ الله ميثاقه على نوح والتسبين أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأمره بالصلاة والأمر بالمعروف والنهي على المنكر والحلال والحرام ولم يفرض عليه أحكام حدود، ولا فرض موارث، فهذه شريعته^(٩).

﴿فَقَالَ يَتَقَوَّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾: اعبدوه وحده.

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٥٣.

٢ - تفسير القتي: ج ١، ص ٣٢٨.

٣ - علل الشرائع: ص ٢٨، ح ١، باب ٢٠ - العلة التي من أجلها سمي نوح عليه السلام نوحاً.

٤ - علل الشرائع: ص ٢٨، ح ٣، باب ٢٠ - العلة التي من أجلها سمي نوح عليه السلام نوحاً.

٥ - علل الشرائع: ص ٢٨، ح ٢، باب ٢٠ - العلة التي من أجلها سمي نوح عليه السلام نوحاً.

٦ - علل الشرائع: ص ٢٨، ح ٣، باب ٢٠ - العلة التي من أجلها سمي نوح عليه السلام نوحاً.

٧ - الكافي: ج ٨، ص ١١٤، ح ٩٢، والحديث طويل جداً حديث آدم عليه السلام مع الشجرة.

٨ - الكافي: ج ٨، ص ٢٨٢ - ٢٨٣، ح ٤٢٤. حديث نوح عليه السلام والسفينة.

٩ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٤٤، ح ١٨.

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَسْكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ
يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ
مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾

﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾: وقرئ بالجر.

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: إن لم تؤمنوا. و«اليوم»: يوم القيامة، أو

يوم الطوفان.

﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾: الذين.

﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾: أي الأشراف.

﴿إِنَّا لَنَرَسْكَ فِي ضَلَالٍ﴾: متمكناً في ذهاب عن الحق والصواب.

﴿مُبِينٍ﴾: بين.

﴿قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾: شيء من الضلالة بالغ في النفي كما بالغوا في الإثبات.

﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: على غاية من الهدى.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي﴾: ما أوحى إليّ في الأوقات المستطولة، وفي المعاني

لختلفة، وقرئ ابلغكم بالتخفيف، ورسالة بالوحدة.

﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾: في زيادة اللام دلالة على إحماض النصيحة.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾: من صفاته وشدة بطشه أو من جهته بالوحي.

﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أشياء لا علم لكم بها.

﴿أَوْعَجِبْتُمْ﴾: الهمة للإنكار، والواو للعطف على محذوف أي أكذبتم وعجبتم.

فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ
يَنْقُومِ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾

﴿أَنْ جَاءَكُمْ﴾: من إن جاءكم.

﴿ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: موعظة منه.

﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾: على لسان رجل.

﴿مِنْكُمْ﴾: وذلك أنهم تعجبوا من إرسال البشر.

﴿لِيُنْذِرَكُمْ﴾: ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي.

﴿وَلِتَتَّقُوا﴾: بسبب الإنذار.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْهُمُونَ﴾: بالتقوى.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: وهم من آمن به.

﴿فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: بالطوفان.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾: عمى القلب غير متبصرين، وأصله عميين ويأتي تمام

قصة نوح عليه السلام في سورة هود ^(١) إن شاء الله.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾: وأرسلنا إلى عاد.

﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾: يعني بالأخ الواحد منهم كقولهم: يا أخا العرب للواحد منهم.

والعياشي: عن السَّجَاد عليه السلام إنه قيل له: إن جدك قال: إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم

على بغيهم، فقال: ويليك أما تقرأ القرآن؟ «وإلى عاد أخاهم هوداً، وإلى مدين أخاهم شعيباً،

وإلى ثمود أخاهم صالحاً» فهم مثلهم وكانوا إخوانهم في عشيرتهم وليسوا إخوانهم في دينهم^(١).

وفي رواية أخرى: قال: فأهلك الله عاداً وأنجى هوداً، وأهلك الله ثموداً وأنجى صالحاً^(٢).

وفي الإحتجاج: ما يقرب من الروایتين^(٣).

قيل: إنما جعل واحداً منهم ليكونوا إليه أسكن، وبجمله أعرف^(٤).

وقيل: هو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن عم أبي عاد^(٥)، وقيل: عاد جد هود^(٦).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في حديث وبشر نوح ساماً بهود وقال: إن الله باعث نبياً يقال له: هود، وإنه يدعو قومه إلى الله فيكذبونه فيهلكهم بالرّيح فن أدركه منهم فليؤمن به وليتبعه وكان بينها أنبياء^(٧).

وفي الإكمال: عن الصادق عليه السلام لما حضرت نوحاً الوفاة دعا الشيعة فقال لهم: إعلموا أنه سيكون من بعدي غيبة يظهر فيها الطواغيت، وأن الله عز وجل سيفرج عليكم بالقائم من ولدي اسمه هود له سمت وسكينة ووقار يشبهني في خلقي وخلقي^(٨).
وعنه عليه السلام: إن هوداً لما بعث سلم له العقب من ولد سام، وأما الآخرون فقالوا: من

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٠، ح ٥٣. ٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٥١ - ١٥٢، ح ٤٣.

٣- الإحتجاج: ج ٢، ص ٤٠، احتجاجة عليه السلام في أشياء شتى من علوم الدين، وذكر طرف من مواعظه البليغة.

٤- أي بصدقه وأمانته لأنه منهم وهم أفهم لكلامه. راجع تفسير أبي السعود: ج ٣، ص ٢٣٧.

٥- قاله الزمخشري في تفسيره الكشف: ج ٢، ص ١١٦، س ٨، وراجع تفسير البيضاوي: ج ١، ص ٣٥٤.

٦- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٥٤.

٧- الكافي: ج ٨، ص ١١٥، ح ٩٢، والحديث طويل جداً، حديث آدم مع الشجرة.

٨- إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ١٣٥، ح ٤، باب ٢- في ذكر ظهور نوح عليه السلام بالنبوة بعد ذلك.

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا
لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي
رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أَتُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ
نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ
مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ
وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

أشدَّ منّا قوّة فأهلكوا بالريح العقيم، وأوصاهم هود، وبشّرهم بصالح^(١).

وفيه عن الباقر عليه السلام: إن الأنبياء بعثوا خاصّة وعامة، وأمّا هود: فإنّه أرسل إلى عاد
بنبوّة خاصّة^(٢).

﴿قَالَ يَتَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: عذاب الله.
﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾: متمكناً في خفة عقل
راسخاً فيها حيث فارقت دين قومك.

﴿وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ * قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ
مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ: فيما أَدْعُوكم من
توحيد الله وطاعته.

﴿أَمِينٌ﴾: ثقة مأمون في تأدية الرّسالة فلا أكذب ولا أغير.
﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾: مضى

١ - إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ١٣٦، ح ٥، باب ٢ - في ذكر ظهور نوح عليه السلام بالنبوّة بعد ذلك.

٢ - إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢١٩ - ٢٢٠، ح ١، باب ٢٢ - اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام وأن
الأرض لا تخلو من حجة الله عزّ وجلّ على خلقه إلى يوم القيامة.

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا
تَعِدُّنَا إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾

تفسيره، وفي إجابة الأنبياء ﷺ الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا، والإعراض عن مقابلتهم بمثلها مع علمهم بأنهم أضلّ الخلق، وأسفهم أدب حسن، وحكاية الله ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء ويدارونهم.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾: أي خلّفتموهم في الأرض بعد هلاكهم بالعصيان.

﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً﴾: قامة وقوة.

في المجمع: عن الباقر ﷺ كانوا كالنخل الطوال، وكان الرجل منهم ينحو الجبل بيده فيهدم منه قطعة^(١).

﴿فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لكي يفضي بكم ذكر النعم إلى الشكر المؤدي إلى الفلاح.

في الكافي: عن الصادق ﷺ أتدري ما آلاء الله؟ قيل: لا، قال: هي أعظم نعم الله على خلقه، وهي ولايتنا^(٢).

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: استبعدوا اختصاص الله تعالى بالعبادة، والإعراض عما أشرك به آبأؤهم إنهاكاً في التقليد، وحباً لما ألفوه.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُّنَا﴾: من العذاب المدلول عليه بقوله: «أفلا تتقون».

١ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٣٧.

٢ - الكافي: ج ١، ص ٢١٧، ح ٣، باب أن النعمة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه: الأئمة ﷺ.

قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَدِّلُونِي فِي
 أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ
 فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ
 بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا
 مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: فيه.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾: وجب.

﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ﴾: عذاب، من الإرتجاس وهو الإضطراب.

﴿وَوَغَضَبٌ﴾: إرادة انتقام.

﴿أَتُجَدِّلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾: في أشياء ما هي إلا أسماء.

ليس تحتها مسميات لأنكم سميتوها آلهة، ومعنى الآلهية فيها معدوم ونحوه ما تدعون من
 دونه من شيء.

﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾: من حجة، ولو استحقت للعبادة لكان استحقاقها

بإنزال آية من الله ونصب حجة منه.

﴿فَانْتَظِرُوا﴾: نزول العذاب.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾: فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ: في الدين.

﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾: عليهم.

﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾: يعني استأصلناهم

وكان ذلك بأن أنشأ الله سبحانه سحابة سوداء زعموا أنها مطهرهم فجاءتهم منها ريح عقيم
 فأهلكتهم.

وَإِلَىٰ مُؤَدَّي أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومِ الْعَبْدُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَافَةٌ لَكُمْ ءَايَةً
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ

الْأَلِيمِ ٧٣

وفي الكافي^(١)، والقمي: عن الباقر عليه السلام الرِّيحُ العقيم: تخرج من تحت الأرضين السبع، وما خرجت منها ريح قطّ إلا على قوم عاد حين غضب الله عليهم فأمر الخزان أن يخرجوا منها مثل سعة الخاتم فعمت على الخزان فخرج منها على مقدار منخر الثور تغيظاً منها على قوم عاد، فضجّ الخزنة إلى الله تعالى من ذلك فقالوا: يا ربنا إنها قد عتت عن أمرنا ونحن نخاف أن يهلك من لم يعصك من خلقك وعمّار بلادك، فبعث الله إليها جبرئيل فردّها بمجنّاحه وقال لها: إخرجي على ما أمرت به فخرجت على ما أمرت به وأهلكت قوم عاد ومن كان بحضرتهم^(٢).

وفي المجمع: عنه عليه السلام إنّ الله تبارك وتعالى بيت ريح مقفل لو فتحت لأذرت ما بين السماء والأرض ما أرسل على قوم عاد إلا قدر الخاتم، قال: وكان هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل ونبيّنا عليه السلام يتكلّمون بالعربيّة^(٣)، ويأتي تمام قصّة هود في سورة هود إن شاء الله.

﴿وَإِلَىٰ مُؤَدَّي أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾: وأرسلنا إلى مؤد.

﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾: هم قبيلة أخرى من العرب سمّوا بإسم أبيهم الأكبر مؤد، بن عابر، بن إرم، بن سام، بن نوح، وصالح من ولد مؤد.

وفي الإكمال: عن الباقر عليه السلام وأما صالح فإنه أرسل إلى مؤد، وهي قرية واحدة لا

١- الكافي: ج ٨، ص ٩٢، ح ٦٤، حديث الرياح.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٣٠، بتفاوت في بعض الألفاظ.

٣- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٤٣٩.

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا
آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
أَنْ صَلَحًا مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾

تكمل أربعين بيتاً على ساحل البحر صغيرة (١).

﴿قَالَ يَلْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾:

معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي.

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾: أضافها إلى الله لأنها خلقت بلا واسطة. ولذلك

كانت آية.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾: العشب.

﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ

عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا: في

المجمع: يروى أنهم أطول أعمارهم كانوا يحتاجون إلى أن ينحتوا في الجبال بيوتاً لأن السقوف

والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم (٢).

﴿فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: أي ولا تبالغوا في الفساد.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: أنفوا من اتباعه.

١ - إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٢٠، س ١، ح ١، باب ٢٢ - اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام وأن

الأرض لا تخلو من حجة لله عز وجل على خلقه إلى يوم القيامة.

٢ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٤٠.

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا
الْثَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ
كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جِثْمِينَ ﴿٧٨﴾

﴿مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾: للذين استضعفوه واستذلّوهم.
﴿لَمِنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾: بدل من الذين.
﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَاحِبًا مُرْسَلًا مِنْ رَبِّهِ﴾: قالوه على الإستهزاء.
﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ
بِهِ كَفِرُونَ * فَعَقَرُوا الثَّاقَةَ: أسند العقر إلى جميعهم وإن لم يعقروها إلا بعضهم لأنه كان
برضاهم.

﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: تولوا واستكبروا عن امتثالها عاتين، وهو ما أمر به على
لسان صالح فذروها تأكل في أرض الله.

﴿وَقَالُوا يُصْلِحُ أَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ: الزلزلة، وفي سورة هود: «وأخذ الذين ظلموا الصيحة»^(١)، وفي سورة الحجر: «فأخذتهم الصيحة»^(٢) ولعلها كانت من مبادئها، القمي: فبعث الله عليهم صيحة وزلزلة فهلكوا^(٣).

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾: خامدين ميتين لا يتحرّكون، يقال: الناس جثم أي قعود لا حراك بهم، وأصل الجثوم: اللزوم في المكان.

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْمٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ
وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿٧٩﴾

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْمٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾: قال: ذلك متحسراً على ما فاته من إيمانهم متحزناً لهم بعدما أبصرهم موتى صرعى.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام إن رسول الله ﷺ سأل جبرئيل عليه السلام كيف كان مهلك قوم صالح؟ فقال: يا محمد إن صالحاً بعث إلى قومه، وهو ابن ستّ عشرة سنة فلبث فيهم حتى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه إلى خير، قال: وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله فلما رأى ذلك منهم قال: يا قوم إني بعثت إليكم وأنا ابن ستّ عشرة سنة، وقد بلغت عشرين ومائة سنة، وأنا أعرض عليكم أمرين إن شئتم فاسألوني حتى أسأل إلهي فيجيبيكم فيما سألتوني الساعة، وإن شئتم سألت أهلكم فإن أجابني بالذي أسألتها خرجت عنكم فقد سئمتكم وسئمتوني^(١).

فقالوا: قد أنصفت يا صالح، فاتعدوا اليوم يخرجون فية، قال: فخرجوا بأصنامهم إلى ظهرهم^(٢) ثم قرّبوا طعامهم وشرابهم فأكلوا وشربوا فلما أن فرغوا دعوهم، فقالوا: يا صالح سل. فقال لكبيرهم: ما اسم هذا؟ قالوا: فلان، فقال له صالح: يا فلان أجب فلم يجبه، فقال صالح: ما له لا يجيب؟ قالوا ادع غيره. قال: فدعاها كلّها بأسمائها فلم يجبه منها شيء، فأقبلوا إلى^(٣) أصنامهم فقالوا لها: مالك لا تجيبين صالحاً؟ فلم تجب، فقالوا: تتح عنا ودعنا وآلهتنا ساعة، ثم نحّوا بسطهم وفرشهم، ونحّوا ثيابهم وتغرّغوا على التراب وطرحوا التراب على

١ - سئمت من الشيء من باب - تعب - أسأم أساماً وسأمة: إذا ملته، ورجل سؤوم: أي ملول، والسأمة: الملالة. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٨٢، مادة «سأم».

٢ - وفي نسخة: [على] كما في المصدر.

٣ - أي إلى ظهر بلدهم.

رؤوسهم وقالوا لأصنامهم: لئن لم تحبنا صالحاً اليوم لنفضحن، قال: ثمّ دعوه فقالوا: يا صالح ادعها فدعها فلم تحبه.

فقال لهم: يا قوم قد ذهب صدر النهار ولا أرى آهتكم تحبيني فأسألوني حتى أدعو إلهي فيجيبكم الساعة فانتدب له منهم سبعون رجلاً من كبارهم والمنظور إليهم منهم.

فقالوا: يا صالح نحن نسألك فإن أجابك ربك اتبعناك وأجبنك ويبياعك جميع أهل قريتنا.

فقال لهم صالح عليه السلام: سلوني ما شئتم؟

فقالوا: تقدّم بنا إلى هذا الجبل، وكان الجبل قريباً منهم فانطلق معهم صالح فلما انتهوا إلى الجبل قالوا: يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا من هذا الجبل الساعة ناقة حمراء، شقراء، وبّراء، عسّراء^(١)، بين جنبيها ميل.

فقال لهم صالح: لقد سألتوني شيئاً يعظم عليّ ويهون على ربّي تعالى، قال: فسأل الله تعالى صالح ذلك، فانصدع الجبل صدعاً كادت تطير منه عقولهم لما سمعوا ذلك، ثمّ اضطرب ذلك الجبل اضطراباً شديداً كالمرأة إذا أخذها المخاض، ثمّ لم يفجأهم إلّا رأسها قد طلع عليهم من ذلك الصدع فما استتمت رقبتها حتى اجترت^(٢)، ثمّ خرج سائر جسدها، ثم استتوت قائمة على الأرض، فلما رأوا ذلك قالوا: يا صالح ما أسرع ما أجابك ربك، ادع لنا ربك يخرج لنا فصيلها فسأل الله عزّ وجلّ ذلك فرمت به فدبّ حوها. فقال لهم: يا قوم أبقى شيء؟

قالوا: لا، انطلق بنا إلى قومنا نخبرهم بما رأينا يؤمنون بك، قال: فرجعوا فلم يبلغ السبعون إليهم حتى ارتدّ منهم أربعة وستون رجلاً، وقالوا: سحر وكذب، قال: فانتهوا إلى الجميع وقال الستّة: حق، وقال الجميع: سحر وكذب. قال: فانصرفوا على ذلك، ثمّ ارتاب من الستّة

١ - شقراء: شديد الحمرة، وبراء: كثير الوبر، وعشراء التي أتت عليها من اليوم الذي أرسل فيها الفحل عشرة أشهر وزال عنها اسم المخاض، منه بَرٌّ، وفي مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٠٣، عشراء - بالضم وفتح الشين والمد - وهي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع، ثم اتسع فيه فليل لكل حامل.

٢ - اجتر البعير - بالجيم والراء المهمله - : أكل ثانياً ما أخرجه ممّا أكله أولاً، منه بَرٌّ، وذكر الطريحي: الإجتراء: وهو أن يجزّ البعير من الكرش ما أكل إلى الفم فيمضغه مرة ثانية. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٤٤، مادة «جرر».

واحد فكان فيمن عقرها، قال الراوي: فحدثت بهذا الحديث رجلاً من أصحابنا يقال له: سعيد بن يزيد، فأخبرني أنه رأى الجبل الذي خرجت منه بالسّام، قال: فرأيت جنبها قد حك الجبل فأثر جنبها فيه، وجبل آخر بينه وبين هذا ميل^(١).

وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «كذّبت ثمود بالنّذر»^(٢) هذا فيما كذبوا صالحاً، وما أهلك الله تعالى قوماً قطّ حتى يبعث إليهم قبل ذلك الرّسل فيحتجّوا عليهم فبعث الله إليهم صالحاً فدعاهم إلى الله فلم يجيبوا وقد عتوا عليه وقالوا: لن نؤمن لك حتى تخرج لنا من هذه الصّخرة ناقةً عشراء^(٣) وكانت الصّخرة يعظمونها ويعبدونها ويدجّون عندها في رأس كلّ سنة، ويجتمعون عندها، فقالوا له: إن كنت كما تزعم نبياً رسولاً فادع لنا إلهك حتى يخرج لنا من هذه الصّخرة الصّماء ناقةً عشراء فأخرجها الله كما طلبوا منه، ثمّ أوحى الله إليه أن يا صالح قل لهم: إنّ الله قد جعل لهذه النّاقة من الماء شرب يوم، ولكم شرب يوم، فكانت النّاقة إذا كان يوم شربها شربت ذلك اليوم الماء فيحلبونها فلا يبقى صغير ولا كبير إلّا شرب من لبنها يومهم ذلك، فإذا كان الليل وأصبحوا غدوا إلى مائهم فشربوا منه ذلك اليوم، ولم تشرب النّاقة ذلك اليوم فمكتوا بذلك إلى ما شاء الله، ثمّ أمّهم عتوا على الله ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا اعقروا هذه النّاقة واستريحوا منها، لا نرضى أن يكون لها شرب يوم ولنا شرب يوم، ثم قالوا: من الذي يلي قتلها ونجعل له جعلاً ما أحبّ، فجاءهم رجل أحمر، أشقر^(٤) أزرق ولد الزّنا لا يعرف له أب، يقال له: قُدار^(٥)، شقّ من الأشقياء، مشؤوم عليهم، فجعلوا له

١ - الكافي: ج ٨، ص ١٨٥ - ١٨٧، ح ٢١٣، حديث قوم صالح عليه السلام.

٢ - القمر: ٢٣.

٣ - عشراء - بالضم وفتح الشين والمد - هي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع ثم اتسع فيه فقبل لكل حامل. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٠٣، مادة «عشر».

٤ - الشقرة: لون الأشقر، وهي في الإنسان حمرة تعلو بياضاً، وفي الخيل حمرة صافية يحمرّ معها الغرّ والذنب، وفرس أشقر: الذي فيه شقرة. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٥٣، مادة «شقر».

٥ - قُدار بن سالف الذي يقال له: أحمر ثمود، عاقر ناقة صالح عليه السلام. الصحاح: ج ٢، ص ٧٨٧، مادة «قدر».

جعلاً فلما توجهت الناقة إلى الماء الذي كانت تردده تركها حتى شربت ذلك الماء وأقبلت راجعة فقعد لها في طريقها فضربها بالسيف ضربة فلم تعمل شيئاً، فضربها ضربة أخرى فقتلها، وخرت إلى الأرض على جنبها وهرب فضيلها حتى صعد إلى الجبل فرغاً^(١) ثلاث مرات إلى السماء، وأقبل قوم صالح فلم يبق أحد منهم صغير ولا كبير إلا شركه في ضربته، واقتسموا لحمها فيما بينهم ولم يبق منهم صغير ولا كبير إلا أكل منها، فلما رأى ذلك صالح أقبل إليهم، فقال: يا قوم ما دعاكم إلى ما صنعتم أعصيتم ربكم؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إلى صالح عليه السلام أن قومك قد طغوا وبغوا وقتلوا ناقة بعثتها إليهم حجة عليهم، ولم يكن عليهم منها ضرر، وكان لهم فيها أعظم المنفعة، فقل لهم: إني مرسل إليكم عذابي إلى ثلاثة أيام فإن هم تابوا ورجعوا قبلت توبتهم وصددت عنهم، وإن هم لم يتوبوا ولم يرجعوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثالث، فأتاهم صالح عليه السلام فقال لهم: «يا قوم إني رسول ربكم إليكم» وهو يقول لكم: إن أنتم تبتنم ورجعتم واستغفرتم غفرت لكم وتبت عليكم، فلما قال لهم ذلك، كانوا أعتا ما كانوا وأخبث، وقالوا: «يا صالح إئتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين»، قال: يا قوم إنكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرة، واليوم الثاني: وجوهكم محمرة، واليوم الثالث: وجوهكم مسودة، فلما أن كان أول يوم أصبحوا ووجوههم مصفرة فشئ بعضهم إلى بعض وقالوا: قد جاءكم ما قال لكم صالح، فقال العتاة منهم: لا نسمع قول صالح، ولا نقبل قوله، وإن كان عظيماً، فلما كان اليوم الثاني: أصبحت وجوههم محمرة فشئ بعضهم إلى بعض فقالوا: يا قوم قد جاءكم ما قال لكم صالح، فقال العتاة منهم: لو أهلكنا جميعاً ما سمعنا قول صالح، ولا تركنا آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها، ولم يتوبوا ولم يرجعوا، فلما كان اليوم الثالث: أصبحوا ووجوههم مسودة فشئ بعضهم إلى بعض وقالوا: يا قوم قد أتاكم ما قال لكم صالح، فقال العتاة منهم: قد أتانا ما قال لنا صالح فلما كان نصف الليل أتاهم جبرئيل فصرخ بهم صرخة خرقت تلك الصرخة أسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت أكبادهم، وقد كانوا في تلك الثلاثة الأيام قد تخطوا وتكفؤوا وعلموا أن العذاب نازل بهم، فماتوا أجمعون في طرفة

١ - رُغَا البعير والضبع والتعام رُغَاءً بالضم: صوتت فضجت. القاموس المحيط: ج ٤، ص ٣٣٥، مادة «رغا».

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ
مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾

عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق لهم ^(١) ناعية ولا راعية ^(٢) ولا شيء إلا أهلكه الله فأصبحوا في ديارهم ومضاجعهم موتى أجمعين، ثم أرسل الله عليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقتهم أجمعين وكانت هذه قصتهم ^(٣).

والقَمِي: ما يقرب من بعض ما في الحديثين في سورة هود ^(٤).

﴿وَلُوطًا﴾: وأرسلنا لوطاً، أو واذكر لوطاً، في الكافي: عن الصادق عليه السلام إن أم إبراهيم وأم لوط كانتا اختين وهما ابنتان للآحج وكان الآحج نبياً منذراً ولم يكن رسولا ^(٥).

وفي العلل ^(٦)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام وكان لوط ابن خالة إبراهيم، وكانت سارة امرأة إبراهيم أخت لوط، وكان لوط وإبراهيم نبيين منذرين ^(٧).

١ - يعني لم يبق من يخبر بموتهم أو يرعاهم بعد موتهم بالتجهيز. هذا إذا كانت العينان مهملتين والنون في أول اللفظة الأولى كما يوجد في أكثر النسخ، وأما إذا كانتا معجمتين والشاء المثناة في أول الأولى كما هو الصواب، فعناه لم يبق لهم شاة ولا ناقة فإنّ الثغاء صوت الشاة، والرعاة صوت الناقة، وعلى التقديرين كناية عن استئصالهم منه عليه السلام.

٢ - وفي نسخة: [ثاغية ولا راغية]. ورغا البعير يرغو رغاءً: ضج، رغت الناقة: صوّت، فهي راغية. مجمع البحرين: ج ١، ص ١٩٢، مادة «رغا».

٣ - الكافي: ج ٨، ص ١٨٧ - ١٨٩، ح ٢١٤. حديث قوم صالح عليه السلام.

٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٣٣٠ - ٣٣٢.

٥ - الكافي: ج ٨، ص ٣٧٠، ح ٥٦٠. قصة إبراهيم عليه السلام وغرود.

٦ - علل الشرائع: ص ٥٤٩، ح ٤، باب ٣٤٠ علّة تحريم اللواط والسحق.

٧ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٤٤ - ٢٤٥، ح ٢٦.

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام إن إبراهيم خرج من بلاد نمرود ومعه لوط لا يفارقه، وجاءت سارة إلى أن نزل بأعلى الشّامات وخلف لوطاً بأدنى الشّامات^(١).

﴿إِذْ قَالَ لَقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ﴾: توبيخ وتقريع على تلك السيئة المتبادية في القبح.
﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: ما فعلها قبلكم أحد قط.

في الكافي^(٢)، والعلل: عن أحدهما عليه السلام في قوم لوط إن إبليس أتاهم في صورة حسنة فيه تأنيث، عليه ثياب حسنة فجاء إلى شبّان منهم فأمرهم أن يقعوا به، ولو طلب إليهم أن يقع بهم لأبوا عليه، ولكن طلب إليهم أن يقعوا به، فلما وقعوا به التذوّا ثم ذهب عنهم وتركهم فأحال بعضهم على بعض^(٣).

وفي العيون: عن أمير المؤمنين عليه السلام إن أوّل من عمل عمل قوم لوط إبليس فإنه أمكن من نفسه^(٤).

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾: من أتى المرأة إذا غشيها.
﴿شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾: تاركين اتیان النساء اللّاتي أباح الله اتیانهنّ، وقرئ
أتكم على الإخبار المستأنف.
﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: متجاوزون الحدّ في الفساد حتى تجاوزتم المعتاد إلى غير المعتاد.

١- الكافي: ج ٨، ص ٢٧٣، ذيل ح ٥٦٠. ٢- الكافي: ج ٥، ص ٥٤٤، ح ٤، باب اللواط.

٣- علل الشرائع: ص ٥٤٧-٥٤٨، ح ٣، باب ٣٤٠-علة تحريم اللواط والسحق.

٤- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٤٦، ح ١، باب ٢٤- ما جاء عن الرضا عليه السلام من خبر الشامي وما سأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ
يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ
﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾: أي ماجأؤوا بما يكون جواباً عن كلامه ولكنهم جاؤوا بما لا يتعلق بكلامه ونصيحته من إخراجهم ومن معه من قريتهم.
﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: من الفواحش والخبائث.
﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾: خلصنا لوطاً.
﴿وَأَهْلَهُ﴾: المختصين به من الهلاك.
﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾: وهي ليست من أهله فإنها كانت تسر الكفر وتوالي أهل القرية.
﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: من الذين غبروا في ديارهم أي بقوا فيها فهلكوا.
﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾: نوعاً من المطر عجيباً وهي أطار حجارة من سجّل كما يأتي في موضع آخر.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾: في المجمع: عن الباقر عليه السلام إن لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة، وكان نازلاً فيهم ولم يكن منهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الفواحش، ويحثهم على الطاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه، وكانوا لا يتطهرون من الجنابة، بخلاء، أشحاء على الطعام، فأعقبهم البخل الذي لا دواء له في فروجهم، وذلك أنهم كانوا على طريق السيارة إلى الشام ومصر، وكان ينزل بهم الضيفان ^(١) فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه، وإنما فعلوا ذلك لينكل التازلة عليهم من غير شهوة بهم إلى ذلك

١ - الضيفان: جمع الضيف، وسمي الضيف ضيفاً لميله إلى الذي ينزل إليه، ويجمع على الأضياف والضيوف والضيغان. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٨٧، مادة «ضيف».

وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا
تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا
ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

فأوردتهم البخل هذا الداء حتى صاروا يطلبونه من الرجال ويعطون عليه الجعل، وكان لوط سخياً كريماً يقري الضيف إذا نزل بهم فنهوه عن ذلك فقالوا لا تقري ضيفاناً ينزل بك إنك إن فعلت فضحنا ضيفك، فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم أمره مخافة أن يفضح قومه، وذلك أنه لم يكن للوط عشيرة فيهم^(١).

وفي العلل^(٢)، والعياشي: عنه عليه السلام مثله^(٣)، ويأتي تمام القصة في سورة هود^(٤)، والحجر^(٥) إن شاء الله.

﴿وَالِى مَدْيَنَ﴾: وأرسلنا إلى مدين^(٦).

﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: قيل: هم أولاد مدين بن إبراهيم، وشعيب منهم، وكان يقال له: خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه^(٧)، سموا باسم جدّهم وسميت به قريتهم.

١- جمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٤٤٥. ٢- علل الشرائع: ص ٥٤٨، ح ٤، باب ٣٤٠- علة تحريم اللواط والسحق.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٤٥، ح ٢٦. ٤- ذيل الآية: ٨١.

٥- ذيل الآية: ٥٨.

٦- مدين: اسم مدينة في طريق القدس، كانتها بلد لشعيب عليه السلام. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٥٢، مادة «دين»، وقال الطبرسي في مجمعه ج ٣- ٤، ص ٤٤٦: مدين اسم المدينة أو القبيلة لا يتصرف للتعريف والتأنيث وجائز أن يكون أعجمياً.

٧- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٥٨ بتفاوت، وراجع جمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٤٤٧، وفيه: «وقيل إن مدين ابن إبراهيم الخليل فنسبت القبيلة إليه».

وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ
ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ
وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾

والقَمِّي: قال: بعث الله شعيباً إلى مدين، وهي قرية على طريق الشام فلم يؤمنوا به ^(١).
وفي الإكمال: عن الباقر عليه السلام أما شعيب فإنه أرسل إلى مدين وهي لا تكمل أربعين بيتاً ^(٢).
﴿قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾: وحده.
﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ^(٣): معجزة شاهدة بصحة
نبوتي، وهي غير مذكورة في القرآن ولم نجد لها في شيء من الأخبار.
﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾: أريد بالكيل: المكيال كما في سورة هود ^(٤).
﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: لا تنقصوهم حقوقهم، جيء بالأشياء للتعميم.
﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: بالكفر والحيث.
﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾: بعدما أصلح فيه الأنبياء وأتباعهم بإقامة الشرائع والسنن.
﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: في الإنسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من الربح لأن
الناس إذا عرفوا منكم التصفة والأمانة رغبوا في متاجرتكم.
﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: مصدقين لي في قولي.
﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾: بكل منهج من مناهج الدين مقتدين بالشيطان في

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٣٣٧.

٢ - إكمال الدين وإقام النعمة: ص ٢٢٠، ح ١، باب اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام وإن الأرض لا تخلو من
حجة لله عز وجل على خلقه إلى يوم القيامة.

٣ - أي والمراد من البينة: معجزة شاهدة بصحة نبوة شعيب التي هي غير مذكورة في القرآن. منه عليه السلام.

٤ - هود: ٨٤ - ٨٥.

وَأَن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ
يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

قوله: «لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم»^(١).

﴿تَوَعَّدُونَ﴾: تتوعدون.

﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ﴾: قيل: كانوا يجلسون على الطّرق فيقولون لمن يمرّ بها: إنّ شعباً كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش^(٢) بمكة^(٣).

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: تطلبون لسبيل الله عوجاً، يعني تصفونها للناس بأنّها سبيل معوجة غير مستقيمة بالقاء الشّبه لتصدّوهم عن سلوكها والدّخول فيها.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾: عدّدكم أو عدّدكم.

﴿فَكَثَّرَكُمُ﴾: بالنّسل والمال، قيل: إنّ مدين بن إبراهيم الخليل تزوّج بنت لوط فولدت له فرمى الله في نسلها بالبركة والثناء فكثروا^(٤).

﴿وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وكانوا قريبي العهد بهم.

﴿وَأَن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ﴾: وقبلوا قولي.

﴿وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا﴾: فترَبصوا وانتظروا.

﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾: أي بين الفريقين بأن ينصر المحقّ على المبطل وهذا وعد

١- الأعراف: ١٦.

٢- هكذا في الأصل. والصحيح: «كما كانت تفعل قريش بمكة».

٣- اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٥٨، والكشاف: ج ٢، ص ٣٥٨.

٤- قاله ابن عباس، كما جاء في مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٤٧، وراجع الكشاف: ج ٢، ص ١٢٨، س ٢٠.

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعُوبُ
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا
كَرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذِ
نَحْنُ اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا
وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفَتُحِبُّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾

للمؤمنين ووعيد للكافرين.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْخَائِضِينَ﴾: إذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعُوبُ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾: أي ليكونن أحد الأمرين، والعود: إتما
بمعنى الصيرورة أو ورود الخطاب على تغليب الجماعة على الواحد أو ورد على زعمهم، وذلك
لأن شعيباً لم يكن على ملتهم قط لأن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر قط.

﴿قَالَ﴾: شعيب.

﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ﴾: أي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها.

﴿قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: فيما دعوناكم إليه.

﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذِ نَحْنُ اللَّهُ مِنْهَا﴾: بأن أقام لنا الدليل على بطلانها

وأوضح الحق لنا.

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا﴾: وما يصح لنا.

﴿أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾: خذلنا ومنعنا الألفاظ بأن يعلم أنه لا

ينفع فينا.

وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَبِيًّا إِنَّكُمْ إِذَا
لَخَسِرُونَ ﴿٩١﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جَئِشِينَ ﴿٩٢﴾

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: أحاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب.

وقيل: أراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون^(١).

﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: في أن يشبنا على الإيمان، ويوفقنا لإزدياد الإيقان.

﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾: احكم بيننا فإن الفتح القاضي، والفتاحة المحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم، ويتميز الحق من المبطل من فتح المشكل إذا بينه.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾: على المعنيين.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾: أشرافهم.

﴿لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَبِيًّا﴾: وتركتم دينكم.

﴿إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾: لاستبدالكم الضلالة بالهدى، قالوها لمن دونهم يشبطونهم

عن الإيمان.

﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الزلزلة، وفي سورة هود: «وأخذ الذين ظلموا الصيحة»^(٢).

وفي الجمع: عن الصادق عليه السلام بعث الله عليهم الصيحة الواحدة فأتوا^(٣)، وقد سبق نظيره.

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَئِشِينَ﴾: خامدين.

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٥٩، س ١٤.

٢- جمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٥٠.

٣- هود: ٦٧.

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبِيًّا كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبِيًّا كَانُوا هُمُ
 الْخَسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُومَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِ
 رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا
 أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
 يَضُرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَقَالُوا قَدْ
 مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبِيًّا كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا﴾: أي استأصلوا كأن لم يقيموا بها، والمعنى المنزل.
 ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبِيًّا كَانُوا هُمُ الْخَسِرِينَ﴾: ديناً ودنياً، والمعنى أنهم هم
 المخصوصون بالهلاك، والاستئصال، وبالخسران، العظيم دون اتباع شعيب لأنهم الزاجون، وفي
 هذا الابتداء والتكرير تسفيه لرأي الملائ، ورد لمقاتلهم ومبالغة في ذلك.
 ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُومَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾: فلم
 تصدقوني.

﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾: فكيف أحزن على قوم ليسوا بأهل للحنن
 عليهم. لكفرهم واستحقاقهم العذاب التازل بهم.
 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾: البؤس والفقر^(١).
 ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: الضرر والمرض.
 ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾: لكي يتضرعوا، ويتوبوا، ويتدللوا.
 ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾: أي رفعنا ما كانوا فيه من البلاء والمحنة،

١ - البأساء: أي ما نالهم من الشدة في أنفسهم، وبالضراء: ما نالهم في أموالهم. مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٥١.
 وهذا أوضح مما فسرهُ قَبْلُ.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ
نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾

ووضعنا مكانه الرِّخاء والعافية.

﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾: أي كثروا وغفوا في أنفسهم وأموالهم، من قولهم عفا النِّبات: أي كثر
ومنه: اعفاء اللحي.

﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾: بطرهم النعمة فتركوا شكر الله،
ونسوا ذكر الله، وقالوا: هذه عادة الدهر يعاقب في النَّاس بين السَّراء والضَّراء، وقد مَسَّ
آباءنا نحو ذلك فلم ينتقلوا عما كانوا عليه فكونوا على ما أنتم عليه كما كان أبأؤكم كذلك.

﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾: فجأة، عبرة لمن كان بعدهم.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: إنَّ العذاب نازل بهم إلا بعد حلوله.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾: ولو أنتم.

﴿ءَامَنُوا﴾: بدل كفرهم.

﴿وَاتَّقَوْا﴾: الشرك والمعاصي.

﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: لو سَّعنا عليهم الخيرات

ويسرناها لهم من كلِّ جانب بإنزال المطر، وإخراج النَّبات، وغير ذلك.

﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا﴾: الرسل.

﴿فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: بسوء كسبهم.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾: المكذِّبون لنبينا.

﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾: عذاباً.

أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾
 أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾
 أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ
 أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿يَبْتَئًا﴾: وقت بيات.

﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ * أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾: ضحوة

النهار، وهو في الأصل إسم لضوء الشمس إذا أشرقت وارتفعت، وقرئ بسكون الواو.

﴿وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾: يشغلون بما لا ينفعهم.

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾: مكر الله إستعارة لإستدراج العبد وأخذه من حيث لا

يحتسب، والقمي: المكر من الله: العذاب^(١).

﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾: بترك النظر والإعتبار، فيه تنبيه

على ما يجب أن يكون عليه العبد من الخوف لعقاب الله، واجتناب المعصية.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾: يخلفون من خلا قبلهم في

ديارهم، وإنما عدى يهدي باللام لأنه بمعنى يبين.

﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ﴾: أنه لو نشاء.

﴿أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾: بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم.

﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: مستأنف يعني ونحن نطبع على قلوبهم.

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: سماع تفهم واعتبار.

تِلْكَ أَلْقَرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١١٦﴾

﴿تِلْكَ أَلْقَرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾: بعض أنبائها.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات.

﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: عند مجيئهم بها.

﴿بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل مجيئهم.

القمي: قال: لا يؤمنون في الدنيا بما كذبوا في الذر، وهو رد على من أنكر الميثاق في
الذر الأول^(١).

وفي الكافي^(٢)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام إن الله خلق الخلق فخلق من أحبّ ممّا
أحبّ وكان ما أحبّ أن خلقه من طينة الجنة وخلق من أبغض ممّا أبغض وكان ما أبغض أن
خلقه من طينة النار ثم بعثهم في الظلال، فقلت: وأي شيء الظلال؟ قال: ألم تر إلى ظلك في
الشمس شيء وليس بشيء، ثم بعث منهم التبيين فدعوهم إلى الإقرار بالله وهو قوله: «وَلِئِنْ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ»^(٣)، ثم دعوهم إلى الإقرار بالتبيين فأقرّ بعضهم وأنكر بعض،
ثم دعوهم إلى ولايتنا فأقرّ بها والله من أحبّ وأنكرها من أبغض وهو قوله تعالى: «فَمَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ»^(٤)، ثم قال عليه السلام كان التكذيب، ثم^(٥).

وفي رواية أخرى: فمنهم من أقرّ بلسانه ولم يؤمن بقلبه، فقال الله: «فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٦.

٢- الكافي: ج ٢، ص ١٠، ح ٣، باب آخر منه، ويقرب منه ما ورد في الكافي: ج ١، ص ٤٣٦، ح ٢، باب فيه

٣- الزخرف: ٨٧.

ننف وجوامع من الرواية في الولاية.

٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٦-١٢٧، ح ٣٧.

٤- يونس: ٧٤.

وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ

لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ» (١)(٢).

والعياشي: عنها عليه السلام إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ وَهُمْ أَطْلَةٌ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله فَنَهَمُ مِنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَذَّبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ فِي الْخَلْقِ الْآخِرَ فَاَمَنَ بِهِ مِنْ آمَنَ بِهِ فِي الْأَطْلَةِ، وَجَحَدَهُ مِنْ جَحَدَهُ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: «فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ» (٣)(٤).

وعن الصادق عليه السلام فِي هَذِهِ الْآيَةِ: بَعَثَ اللَّهُ الرَّسَلَ إِلَى الْخَلْقِ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ فَمَنْ صَدَّقَ حِينَئِذٍ صَدَّقَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَمَنْ كَذَّبَ حِينَئِذٍ كَذَّبَ بَعْدَ ذَلِكَ (٥).

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ * وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾: وفاء عهد، فَإِنْ أَكْثَرَهُمْ نَقَضُوا عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى.

﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾: وَأَنَّهُ عَلِمْنَا أَكْثَرَهُمْ خَارِجِينَ عَنِ الطَّاعَةِ.

فِي الْكَافِي: عَنْ الْكَاسِمِ عليه السلام إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي الشَّاكِ (٦).

وعن الصادق عليه السلام: إِنَّهُ قَالَ لِأَبِي بَصِيرٍ: يَا أَبَا بَصِيرٍ إِنَّكُمْ وَفِيْتُمْ بِمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِيثَاقَكُمْ مِنْ وَلَايَتِنَا وَإِنكُمْ لَمْ تَبْدُلُوا بِنَا غَيْرَنَا، وَلَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَعَيَّرَكُمْ اللَّهُ كَمَا عَيَّرَهُمْ حَيْثُ يَقُولُ جَلَّ ذِكْرُهُ: «وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ» (٧).

والعياشي: عَنْ أَبِي ذَرٍّ وَاللَّهُ مَا صَدَّقَ أَحَدٌ مِمَّنْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُ فَوْفَى بِعَهْدِ اللَّهِ غَيْرَ أَهْلٍ

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٨.

١- يونس: ٧٤.

٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٦، ح ٣٥.

٣- يونس: ٧٤.

٦- الكافي: ج ٢، ص ٣٩٩، ح ١، باب الشك.

٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٦، ح ٣٦.

٧- الكافي: ج ٨، ص ٣٥، ح ٦، في مقامات الشيعة وفضائلهم.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾

بيت نبیہم وعصاة قليلة من شيعتهم، وذلك قول الله: «وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ»، وقوله: «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ» (١)(٢).

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾: بالمعجزات.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾: بأن كفروا بها مكان الإيمان الذي هو من حقها لوضوحها، ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا، وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس، وقصر لمن ملك الروم، وكان اسمه قابوس أو الوليد بن مصعب ابن الزيان.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: في الإكمال: عن الباقر (عليه السلام) في حديث ثم إن الله تبارك وتعالى أرسل الأسباط إثني عشر بعد يوسف، ثم موسى وهارون إلى فرعون وملأه إلى مصر وحدها (٣).

والعياشي: مرفوعاً إن فرعون بنى سبع مدائن يتحصن فيها من موسى (عليه السلام) وجعل فيها بينهما أجماً وغياضاً (٤) وجعل فيها الأسد ليتحصن بها من موسى، قال: فلما بعث الله موسى إلى فرعون فدخل المدينة فلما رآته الأسد تبصبصت (٥) وولت مدبرة، ثم قال: لم يأت

١- هود: ١٧. ٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٣، ح ٥٩.

٣- إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٢٠، ح ١، باب اتصال الوصية من لدن آدم (عليه السلام)، وأن الأرض لا تخلو من حجة لله عز وجل على خلقه إلى يوم القيامة.

٤- الغيبة: الأجمة، وهي مغيض ماء يجتمع فيه الشجر، والجمع غياض وأغياض. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٢٠، مادة «غيض»، وقال الجوهرى: الغيبة: الأجمة، وهي مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر. الصحاح:

ج ٣، ص ١٠٩٧.

٥- البصبصة: تحريك الكلب ذنبه طمعاً أو خوفاً. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٦٥، مادة «بصيص»، وقال

وَقَالَ مُوسَى يَنْفِرْ عَوْنُ إِيَّيْ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾
 حَقِيقٌ عَلَىَّ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن
 رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾

مدينة إلا انفتح له بابها حتى انتهى إلى قصر فرعون الذي هو فيه، قال: فقعد على بابه وعليه مدرعة من صوف ومعه عصاه فلما خرج الآذن قال له موسى: استأذن لي على فرعون، فلم يلتفت إليه، قال: فكث بذلك ما شاء الله يسأله أن يستأذن له، قال: فلما أكثر عليه قال له: أما وجد رب العالمين من يرسل غيرك؟ قال: فغضب موسى فضرب الباب بعصاه فلم يبق بينه وبين فرعون باب إلا انفتح حتى نظر إليه فرعون ومن في مجلسه، فقال: أدخلوه، فدخل عليه وهو في قبة له مرتفعة كثيرة الإرتفاع ثمانون ذراعاً، قال: فقال: «إني رسول رب العالمين إليك»، قال: فقال: «فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ»^(١)، قال: «فألقى عصاه»، وكان لها شفتان^(٢)، قال: فإذا هي حيّة قد وضعت إحدى الشفتين^(٣) في الأرض، والشفة الأخرى في أعلى القبة، قال: فنظر فرعون إلى جوفها وهو يلتهب نيراناً، قال: وأهوت إليه فأحدث، وصاح يا موسى خذها^(٤).

﴿وَقَالَ مُوسَى يَنْفِرْ عَوْنُ إِيَّيْ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾: إليك.
 ﴿حَقِيقٌ عَلَىَّ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾: وكان أصله حقيق عليّ أن لا أقول فقلّبت لأمن الإلتباس، أو لأنّ ما الزمك فقد لزمته، أو للإغراق في الوصف

الجوهري: يبصص الكلب وتبصص: حرّك ذنبه، والتبصص: التلقّ. الصحاح: ج ٣، ص ١٠٣٠.

١- الشعراء: ١٥٤. ٢- وفي نسخة [شعبتان] كما في المصدر.

٣- وفي نسخة [وقع إحدى الشعبتين] كما في المصدر.

٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٣ - ٢٤، ح ٦١.

قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ
 ١٠٦ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ۖ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا
 هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ۖ

بالصدق، يعني أنه حق واجب - على القول الحق - أن أكون أنا قائله لا يرضى إلا بمثلي، أو ضمن حقيق معنى حريص، أو وضع - على - مكان الباء كقولهم: رميت السهم على القوس، وقرئ عليّ على الأصل، وعن أبي أنه قرأ بالباء، وقرئ في الشّواذ بحذف على (١).

﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: فخلّهم حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم، وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الأعمال الشاقة.

﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾: من عند من أرسلك.
 ﴿فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: في الدّعى.
 ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان، وهو الحيّة العظيمة.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾: من جيبه.
 ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾: بياضاً نورانياً غلب شعاعه شعاع الشمس، وكان موسى آدم شديد الأدمة (٢) فيما يروى (٣).

١ - راجع الكشف: ج ٢، ص ١٣٧.

٢ - الأدمة من الإبل: البياض الشديد مع سواد المقلتين، وفي الناس: السمرة الشديدة. مجمع البحرين: ج ٦، ص

٣ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٦٢.

٦. مادة «أدم».

قَالَ أَمْلَأْ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ
 أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَذًا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ
 وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ
 سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ أَلْسَحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا
 إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾
 قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾

﴿قَالَ أَمْلَأْ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾: في سورة الشعراء «قال للملأ حوله»^(١) ولعلَّ قاله: وقالوه، أو قالوه عنه.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَذًا تَأْمُرُونَ﴾: تشيرون في أن نفعل.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: أخرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيها وتدبر أمرهما، العياشي: مقطوعاً لم يكن في جلسائه يومئذ ولد سفاح، ولو كان لأمر بقتلها، قال: وكذلك نحن لا يسرع إلينا إلا كل خبيث الولادة^(٢).

وقرئ: أرجه بحذف الهمزة الثانية وكسر الهاء مع الإشباع وبدونه، وبسكون الهاء من غير همز.

﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ: وقرئ سحار.

﴿وَجَاءَ أَلْسَحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ * قَالَ نَعَمْ

وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ: وقرئ أن لنا على الإخبار، وإيجاب الأجر.

﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾: خيرّوه مراعاة

قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا
بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا
هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾

للأدب، ولكن كانت رغبتهم في أن يلقوا قبله فنبهوا عليه بتغيير النظم إلى ما هو أبلغ.
﴿قَالَ أَلْقُوا﴾: كراماً وتساحاً، وقلةً بمبالاة بهم، وثقة بما كان يصدده من التأييد الإلهي.
﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾: بأن خيلوا إليها الحقيقة بخلافه بالحيل والشعوذة.
﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: وأرهبوهم إرهاباً شديداً كأثم طلبوا رهبتهم.
﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾: في فتنه، وروي أنهم ألقوا حبلاً غلاظاً وخشباً طوالاً
كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضاً^(١).
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: فألقاها فصارت حية عظيمة.
﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾: ما يزورونه من الإفك، وهو الصّرف وقلب
الشيء عن وجهه، وقرئ تلعف بالتخفيف حيث كان^(٢).
روي أنها لما تلعفت حبالهم وعصيهم وابتلعته بأسرها أقبلت على الحاضرين فهربوا
وازدحموا حتى هلك جمع عظيم، ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت، فقالت السحرة: لو
كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعصينا^(٣).
﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾: فحصل وثبت لظهور أمره.

١- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٦٣.

٢- قرأ حفص بن عاصم تلعف خفيفة. وفي طته، والشعراء مثله، والباقون تلعف بتشديد القاف في جميعها، مجمع

٣- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٦٣.

البيان: ج ٣- ٤، ص ٤٦١، في القراءة.

فَعْلَبُوا هُنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ
 سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ
 مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
 لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا
 فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: من السحر والمعارضة.

﴿فَعْلَبُوا هُنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾: صاروا أذلاء منهزمين.

﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾: وخرّوا ساجدين^(١) كأنما ألقاهم مُلقٍ لشدة

خروهم، ولعل الحق بهرهم^(٢) واضطرهم إلى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك لينكسر
 فرعون بالذين أراد بهم كسر موسى، وينقلب الأمر عليه.

﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾: أبدلوا الثاني من الأول

لثلاثا يتوهم أنهم أرادوا به فرعون.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾: وقرئ بحذف الهمزة على الإخبار.

﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾: إن هذا الصنيع لحيلة احتلتموها أنتم

وموسى في مصر قبل أن تخرجوا منها إلى هذه الصحراء وتواطأتم على ذلك.

﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾: يعني القبط، وتخلص لكم ولبنى إسرائيل، وكان هذا

الكلام من فرعون تمويهاً على الناس لثلاثا يتبعوا السحرة في الإيمان.

١- وفي نسخة: [سجداً].

٢- البهر - بالفتح فالسكون -: العجب، يقال: بهراً فلان أي عجباً له. مجمع البحرين: ج: ٣، ص ٢٣١، مادة «بهر».

لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَلِّبَنَّكُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا
 إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَ ثَنَارَبْنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
 وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ
 مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَاهَتِكَ قَالَ
 سَتَقْتُ أُنْبَاءَهُمْ وَتَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿٢٧﴾

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: وعيد مجمل يفصله ^(١) ما بعده.

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ﴾: أي من كل شق طرفاً.

﴿ثُمَّ لَأُسَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: تفضيحاً لكم، وتنكيلاً لأمثالكم.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾: أي لا نبالي بالموت والقتل، لإتقانا إلى لقاء ربنا

ورحمته، وإننا جميعاً ننتقل إلى الله فيحكم بيننا.

﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَ ثَنَارَبْنَا﴾: أي وما تنكر منا ونعيب

إلا الإيمان بآيات الله، وهو أصل كل منقبة وخير.

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾: أفض.

﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: واسعاً كثيراً يغمرنا كما يفرغ الماء.

﴿وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾: ثابتين على الإسلام.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾:

بتغيير ^(٢) الناس عليك، ودعوتهم إلى مخالفتك.

٢- وفي نسخة: [بتغيير].

١- وفي نسخة: [تفصيله ما بعده].

قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ
يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾

﴿وَيَذَرُكَ﴾: وهلكك. معبوداتك، القمّي: قال: كان فرعون يعبد الأصنام، ثم ادّعى بعد ذلك الربوبية (١).

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قرأ ويذكر (٢) والهتك يعني عبادتك (٣).
وقيل: إنّ فرعون صنع لقومه أصناماً وأمرهم أن يعبدوها تقرباً إليه، ولذلك قال: «أنا ربكم الأعلى» (٤) (٥).

﴿قَالَ﴾: فرعون.

﴿سَنُقْتُلُ أُنْبَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾: كما كنّا نفعل من قبل ليعلم إنّنا على ما كنّا عليه من القهر والغلبة، وإنّ غلبة موسى لا أثر لها في ملكنا، وقرئ سنقتل بالتخفيف.
﴿وَأَنَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾: غالبون، وإنهم مقهورون تحت أيدينا.
﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾: تسكيناً لهم من ضجرهم بوعيد فرعون، وتسلياً لقلوبهم.

﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: وعد لهم منه بالنصرة، وتذكير لما كان قد وعدهم من إهلاك القبط، وتوريثهم ديارهم، وتحقيق له.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٦-٢٣٧.

٢- في المجمع: عن علي عليه السلام أنّه قرأ «وَيَذَرُكَ» بالنصب كما في القراءة المشهورة، وقرئ في الشواذ بالرفع والسكون. منه رحمه الله.

٣- تفسير مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٤٦٤، في القراءة.

٥- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٦٤.

٤- النازعات: ٢٤.

قَالُوا أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

العباشي: عن الصادق عليه السلام قال: «إِنَّ الْأَرْضَ لَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» قال: فما كان لله فهو لرسوله، وما كان لرسول الله فهو للإمام بعد رسول الله ﷺ (١).

وعن الباقر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب علي عليه السلام «إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» وأنا وأهل بيتي الذين أورثنا الله الأرض، ونحن المستقون، والأرض كلها لنا، فمن أحيا أرضاً من المسلمين فعمرها فليؤدّ خراجها إلى الإمام من أهل بيتي، وله ما أكل منها. فإن تركها وأخربها بعد ما عمرها فأخذها رجل من المسلمين بعده فعمرها وأحياها فهو أحق به من الذي تركها، فليؤدّ خراجها إلى الإمام من أهل بيتي، وله ما أكل منها حتى يظهر القائم من أهل بيتي بالسيف، فيحوزها ويعنعها ويخرجهم عنها، كما حواها رسول الله ﷺ ومنعها، إلا ما كان في أيدي شيعتنا فإنه يقاطعهم ويترك الأرض في أيديهم (٢).

﴿قَالُوا: أَيُّ بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾

﴿أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾: بالرسالة. قيل: أي بقتل الأبناء.

﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾: أي بإعادته.

والقمي: قال: قال الذين آمنوا بموسى: قد أؤذينا قبل مجيئك يا موسى بقتل أولادنا، ومن بعد ما جئتنا لما حبسهم فرعون لإيمانهم بموسى (٣).

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: صرح بما

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٥، ح ٦٦.

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٥، ح ٦٥.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٧.

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّغَرِاتِ لَعَلَّهُمْ
يَذْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ
تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ إِلَّا إِنَّمَا مَطَّرَهُمْ عِنْدَ
اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾

كفى عنه أولاً لما رأى أنهم لم يتسلوا بذلك.

﴿فَيَنْظُرُ﴾: فيرى.

﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: من شكر، وكفران، وطاعة، وعصيان، ليجازيكم على حسب

ما يوجد منكم.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾: بالجدوب لقلّة الأمطار والمياه.

والقَمِي: يعني السنين الجدية^(١).

أقول: السنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها

ف قيل: أَشْنَتَ القوم إذا قحطوا.

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّغَرِاتِ﴾: بكثرة العاهات.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾: لكي ينتبهوا على أنّ ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتّعظوا

وليرقّ قلوبهم بالشّدائد فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده.

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾: من الخصب والسّعة.

﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾: لأجلنا ونحن مستحقّوها.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: جذب وبلاء.

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَخْنُ لَكَ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ
وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾

﴿يَطِيرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ﴾: يتشأموا بهم، ويقولوا: ما أصابتنا إلا بشؤمهم.
القمي: مقطوعاً قال: الحسنه هاهنا: الصحه والسلامه والأمن والسعه، والسيئه هنا:
الجوع والخوف والمرض (١).

﴿أَلَا إِنَّمَا طَبَرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي سبب خيرهم وشرهم عنده، وهو حكمه
ومشيئته كما قال: «قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ» (٢).

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا
نَخْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ: أي شيء تأتينا لتوه علينا فما نحن لك بمصدقين، أرادوا أنهم مصرون
على تكذيبه، وإن أتى بجميع الآيات.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾: ما طاف بهم (٣) وغشيم، العياشي: عن الصادق عليه السلام
أنه سئل ما الطوفان؟ فقال: هو طوفان الماء، والطاعون (٤).

﴿وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ﴾: قيل: هو كبار القردان، وقيل: هو صغار الجراد، وقيل: غير
ذلك (٥).

﴿وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾: مبينات لا يشكل على عاقل أنها آيات

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٧. ٢- النساء: ٧٨.

٣- الظاهر أن العبارة ناقصة. والأفضل أن يقال: ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل.

٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٥، ح ٦٧. ٥- الأقوال كلها في أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٦٥.

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ
عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي
إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ
إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾

الله ونقمته عليهم، أو مفصلات لإمتحان أحوالهم إذ كان بين كل آيتين منها سنة،
وكان إمتداد كل واحدة اسبوعاً.

﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾: عن الإيمان.

﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾: العذاب، العياشي: عن
الرضا عليه السلام الرجز: هو الثلج، ثم قال: خراسان بلاد رجز ^(١).
وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام أنه أصابهم ثلج أحمر لم يروه قبل ذلك فماتوا فيه
وجز عوا، وأصابهم ما لم يعهدوه قبله ^(٢).

﴿قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾: بعهده عندك.

﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ * فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ﴾: إلى حد من الزمان هم بالغوه.
﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾: فاجؤوا النكث وبادروه ولم يؤخروه.
﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: فأردنا الانتقام منهم.
﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾: في البحر الذي لا يدرك قعره.

﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾: القمّي: مقطوعاً^(١)، ونسب حديثه في المجمع: إلى الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام: قال: لما سجد السحرة وآمن به الناس، قال هامان لفرعون: إنّ الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه، فحبس كل من آمن به من بني إسرائيل. فجاء إليه موسى فقال له: خلّ عن بني إسرائيل، فلم يفعل. فأنزل الله عليهم في تلك السنة الطوفان، فخرّب دورهم ومساكنهم حتّى خرجوا إلى البريّة، وضربوا الخيام، فقال فرعون لموسى: ادع لنا ربّك حتّى يكفّ عنا الطوفان حتّى أخليّ عن بني إسرائيل وأصحابك، فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الطوفان، وهمّ فرعون أن يخليّ عن بني إسرائيل فقال له هامان: إن خليت عن بني إسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك، فقبل منه ولم يخلّ عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السنة الثانية الجراد فجردت كلّ شيء كان لهم من الثّبت والشجر حتّى كانت تجرد شعرهم ولحيّتهم، فجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً، وقال: يا موسى ادع ربّك أن يكفّ عنا الجراد حتّى أخليّ عن بني إسرائيل وأصحابك، فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الجراد، فلم يدعه هامان أن يخليّ عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السنة الثالثة القمل فذهبت زروعهم وأصابتهم المجاعة، فقال فرعون لموسى: إن رفعت عنا القمل كففت عن بني إسرائيل فدعا موسى ربّه حتّى ذهب القمل، وقال: أوّل ما خلق الله القمل في ذلك الزّمان، فلم يخلّ عن بني إسرائيل فأرسل الله عليهم بعد ذلك الضفادع فكانت تكون في طعامهم وشرابهم، ويقال: إنّها تخرج من أديارهم وآذانهم وأنفهم. فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً فجاءوا إلى موسى فقالوا: ادع الله يذهب عنا الضفادع فإنّا نؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا موسى ربّه فرفع الله عنهم ذلك، فلمّا أبوا أن يخلّوا عن بني إسرائيل حوّل الله ماء التّيل دماً. فكان القبطي يراه دماً والإسرائيلي يراه ماءً فإذا شربه الإسرائيلي كان ماءً، وإذا شربه القبطي يشربه دماً، وكان القبطي يقول للإسرائيلي: خذ الماء في فكّ وصبه في فيّ فكان إذا صبه في فم القبطي يحول دماً فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً فقالوا لموسى: لن رفع الله عنا

وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ
وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي
إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا
كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

الدّم لنرسلنّ معك بني إسرائيل، فلما رفع الله عنهم الدّم غدروا ولم يخلّوا عن بني إسرائيل^(١) فأرسل الله عليهم الرّجز وهو الثّلج ولم يروه قبل ذلك فأتوا فيه وجزعوا وأصابهم ما لم يعهدوه قبله، فقالوا: «يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لن كشف عنا الرّجز لنؤمننّ لك ولنرسلنّ معك بني إسرائيل» فدعا ربّه فكشف عنهم الثّلج فخلّى عن بني إسرائيل، فلما خلّى عنهم اجتمعوا إلى موسى عليه السلام وخرج موسى عليه السلام من مصر واجتمع إليه من كان هرب من فرعون وبلغ فرعون ذلك، فقال له هامان: قد نهيتك أن تخلّي عن بني إسرائيل فقد استجمعوا إليه، فجزع فرعون وبعث في المدائن حاشرين، وخرج في طلب موسى^(٢).

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾: يعني بني إسرائيل، كان يستضعفهم فرعون وقومه بالإستعباد، وذبح الأبناء.

﴿مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا﴾: يعني أرض مصر والشّام، ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة، والعمالقة، وتمكّنوا في نواحيها.

﴿الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾: بالخصب والعيش.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: ومضت عليهم واتّصلت بانجاز عدته إياهم بالنصر والتمكين، وهي قوله عزّ وجلّ: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ

١ - من بداية الحديث إلى هنا منقول عن مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٦٨ - ٤٦٩.

٢ - تفسير التمي: ج ١، ص ٢٣٨.

وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى
 أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ
 إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُمْتَبَرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَيَبْطُلُ
 مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾

أَسْتَضِعُّوْا» إلى قوله: «مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ»^(١)، وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد.

﴿يَمَا صَبَرُوا﴾: بسبب صبرهم على الشدائد.

﴿وَدَمَرْنَا﴾: وخرّبنا.

﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾: من القصور والعمارات.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾: من الجنان، أو ما كانوا يرفعون من البنيان، وقرئ بضم الراء.

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾: بعد مهلك فرعون.

﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ﴾: فرّوا عليهم.

﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾: يقيمون على عبادتها.

﴿قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾: صنأ نعبد.

﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾: يعبدونها.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ * إِنَّ هَؤُلَاءِ: إشارة إلى القوم.

﴿مُمْتَبَرٌ﴾: مدمر مكسر.

﴿مَّا هُمْ فِيهِ﴾: يعني إن الله يهدم دينهم الذي هم عليه على يدي، ويحطم أصنامهم

هذه، ويجعلها رضاءاً.

قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾
وَإِذْ أَغْيَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ
رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا
بِعَشْرِ فِتْنٍ مِّمَّقَتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ
اخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾

﴿وَنَظِّلُ﴾: مضمحل.

﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: من عبادتها، لا ينتفعون بها وإن قصدوا بها التقرب إلى الله عز وجل.

﴿قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾: أطلب لكم معبوداً.

﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم.

﴿وَإِذْ أَغْيَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت، وقرئ أنجاكم.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: يبعثونكم ويكلفونكم شدة العذاب.

﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾: وقرئ بالتخفيف.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: في الإنجاء نعمة

عظيمة، أو في العذاب محنة عظيمة^(١).

﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾: ذا القعدة^(٢)، وقرئ ووعدنا.

١ - اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٦٧، س ١١، وفيه: «في الإنجاء أو العذاب نعمة أو محنة عظيمة».

٢ - الصحيح أن تكون العبارة هكذا: ذو القعدة، أو أن تقول أن العدة كانت ذا القعدة. كما جاء في مجمع البيان:

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ
إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرٰنِي وَلٰكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ
مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرٰنِي فَلَمَّا تَخَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ
مُوسَىٰ صِعْقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

﴿وَأَتَمَمْنَهَا بِعَشْرِ﴾: من ذي الحجة.

﴿فَتَمَّ مِيقَتَ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: قد سبق تفسيره في سورة البقرة مبسوطاً^(١).

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي﴾: كن خليفتي فيهم.

﴿وَأَصْلِحْ﴾: ما يجب أن يصلح من أمورهم.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾: ولا تطع من دعاك إلى الإفساد، ولا تسلك طريقه.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾: لوقتنا الذي وقتناه له وحددناه.

﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾: من غير واسطة، كما يكلم الملائكة.

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾: أرني نفسك واجعلني متمكناً من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك.

﴿قَالَ لَنْ تَرٰنِي﴾: لن تطيق رؤيتي.

﴿وَلٰكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ﴾: لما تجلّيت عليه.

﴿فَسَوْفَ تَرٰنِي فَلَمَّا تَخَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾: ظهر له عظمته، وتصدّى له إقتداره وأمره.

﴿جَعَلَهُ ذِكَاً﴾: مذكوكاً مفتتاً، والدَّكُّ التدقيق متقاربان، وقرئ ذكاء أي أَرْضاً مستوية.

﴿وَحَزَرَ مُوسَى صَعِقاً﴾: مغشياً عليه من هول ما رأى.

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ﴾: تعظيماً لما رأى.

﴿سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ﴾: من الجراءة والإقدام على مثل هذا السؤال.

﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بأنك لا تُرى، في الجمع: عن الصادق عليه السلام معناه أنا أول من

آمن وصدق بأنك لا ترى^(١).

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام أنه سئل كيف يجوز أن يكون كلم الله موسى بن عمران لا يعلم أن الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال؟ فقال عليه السلام: إنَّ كلم الله علم أن الله منزّه عن أن يرى بالأبصار، ولكنّه لما كلمه الله عزّ وجلّ وقربه نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله كلمه وقربه ونجاه فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعته، وكان القوم سبعائة ألف فاختار منهم سبعين ألفاً، ثمّ اختار منهم سبعة آلاف، ثمّ اختار منهم سبعائة، ثمّ اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه فخرج بهم إلى طور سيناء. فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى عليه السلام إلى الطّور وسأل الله عزّ وجلّ أن يكلمه ويسمعهم كلامه. فكلمه الله وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، لأنّ الله أحدثه في الشّجرة ثمّ جعله منبعثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن بأنّ هذا الذي سمعناه كلام الله حتّى نرى الله جهرةً، فلمّا قالوا: هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا، بعث الله عليهم صاعقة يعني ناراً وقع من السّماء فأخذتهم الصّاعقة بظلمهم فأتوا، فقال موسى: يا ربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقاً فيما ادّعت من مناجاة الله عزّ وجلّ إياك، فأحياهم وبعثهم معه فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك فتخبرنا كيف هو ونعرفه حقّ معرفته، فقال موسى: يا قوم إنّ الله لا يُرى بالأبصار ولا كيفيّة له وإنّما يعرف بآياته ويعلم بإعلامه، فقالوا: «لن نؤمن لك»

حتى تسأله، فقال موسى: يا رب إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله إليه يا موسى سلمي ما سألك فلن آخذك^(١) بجهلهم فعند ذلك قال موسى: «رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه» وهو يهوي «فسوف تراني فلما تجلّى ربّه للجبل» بآية من آياته «جعله دكاً وخرّ موسى صَعِقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك» يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي «وأنا أول المؤمنين» منهم بأنك لا ترى^(٢).

وفي الإكمال: عن القائم عليه السلام في كلام فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للتبوة يعني موسى عليه السلام واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظنّ أنه الأصلح دون الأفسد علمنا أن لا إختيار إلا لمن يعلم ما تخي الصدور وتكن الضائر^(٣) الحديث، ويأتي تمامه في سورة القصص إن شاء الله تعالى.

وفي التوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث وسأل موسى عليه السلام وجرى على لسانه من بعد حمد الله عزّ وجلّ «ربّ أرني أنظر إليك» فكانت مسألته تلك أمراً عظيماً، وسأل أمراً جسيماً فعوتب فقال الله تبارك وتعالى: «لن تراني» في الدنيا حتى تموت فتراني في الآخرة، ولكن إن أردت أن تراني في الدنيا فانظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني فأبدى الله سبحانه بعض آياته وتجلّى ربّنا للجبل فتقطع الجبل فصار رمياً وخرّ موسى صعقاً، ثم أحياه الله وبعثه فقال: «سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين» يعني أول من آمن بك منهم أنه لن يراك^(٤).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام: إن موسى بن عمران عليه السلام لما سأل ربّه النظر إليه وعده الله

١- وفي نسخة [فلم أؤاخذك].

٢- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٠٠-٢٠١، باب ١٥- ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٣- إكمال الدين وإقام النعمة: ص ٤٦٢، ح ٢١، باب ٤٣- ذكر من شاهد القائم ورآه وكلمه.

٤- التوحيد: ص ٢٦٢-٢٦٣، ح ٥، باب ٣٦- الرد على الثنوية والزنادقة.

أن يقعد في موضع ثم أمر الملائكة أن تمرّ عليه موكباً موكباً بالبرق والرعد والريّج والصّواعق فكلّمها مرّ به موكب من المواكب ارتعدت فرائضه فرفع رأسه فيسأل أفيكم ربّي فيجاب هو آت وقد سألت عظيماً يا ابن عمران^(١).

وعنه، عن الباقر عليه السلام: لما سأل موسى عليه السلام ربّه تبارك وتعالى «قال ربّ أرنى أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني»، قال: فلمّا صعد موسى الجبل فتحت أبواب السماء وأقبلت الملائكة أفواجاً في أيديهم العمد وفي رأسها النّور يبرّون به فوجاً بعد فوج يقولون: يا ابن عمران أثبت فقد سألت عظيماً، قال: فلم يزل موسى عليه السلام واقفاً حتّى تجلّى ربّنا جلّ جلاله فجعل الجبل دكاً وخرّ موسى صِعْقاً، فلمّا أن ردّ الله إليه روحه وأفاق قال: «سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين»^(٢).

وفي رواية: إنّ النّار أحاطت بموسى عليه السلام لئلاّ يهرب لهول ما رأى، وقال: لما خرّ موسى صِعْقاً مات، فلمّا أن ردّ الله روحه أفاق فقال: «سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين»^(٣).

والقّمّي: في قوله: «ولكن انظر إلى الجبل» قال: فرفع الله الحجاب ونظر إلى الجبل فساخ^(٤) الجبل في البحر فهو يهوي حتّى السّاعة ونزلت الملائكة وفتحت أبواب السماء فأوحى الله إلى الملائكة أدركوا موسى لا يهرب فنزلت الملائكة وأحاطت بموسى وقالوا: اثبت يا ابن عمران فقد سألت الله عظيماً، فلمّا نظر موسى إلى الجبل قد ساخ والملائكة قد نزلت وقع على وجهه من خشية الله وهول ما رأى، فردّ الله عليه روحه فرفع رأسه وأفاق، وقال: «سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين» أي أوّل من صدّق إنّك لا تُرَى^(٥).

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٧، ح ٧٤. ٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٦-٢٧، ح ٧٢.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٧، ح ٧٦.

٤- وساخت فرسي: غاصّت في الأرض، وساخت بهم الأرض بالوجهين: خسفت. وساخ يسيخ سيخاً: رسخ.

٥- مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤٣٥. مادة «سوخ». ٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٠.

وفي البصائر: عن الصادق عليه السلام إنَّ الكروبيَّين قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قسَّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثم قال: إنَّ موسى عليه السلام لما سأل ربَّه ما سأل أمر واحداً من الكروبيَّين فتجلَّى للجبل وجعله دكاً^(١).

قال في الجوامع: وقيل في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بقوله أرني أنظر إليك عرَّفني نفسك تعريفاً واضحاً جليلاً بإظهار بعض آيات الآخرة التي تضطر الخلق إلى معرفتك، أنظر إليك أعرفك معرفة ضرورية كما أنَّي أنظر إليك كما جاء في الحديث «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» بمعنى ستعرفونه معرفة جليَّة هي في الجلاء مثل إبصاركم القمر إذا امتلئ واستوى بدرأ، قال: «لن تراني» لن تطيق معرفتي على هذه الطَّريقة، ولن تحتمل قوتك تلك الآية، ولكن أنظر إلى الجبل فإنِّي أورد عليه آية من تلك الآيات فإن ثبت لتجليها واستقرَّ مكانه فسوف تثبت بها وتطيقها «فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ» فلما ظهرت للجبل آية من آيات ربِّه «جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا» لعظم ما رأى «فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ» مما اقترحت «وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ» بعظمتك وجلالك^(٢).

أقول: تحقيق القول في رؤية الله سبحانه ما أفاده مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رآته القلوب بمحقائق الإيمان، لا يعرف بالقياس، ولا يدرك بالحواس، ولا يشبه بالنَّاس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات^(٣).
وقال عليه السلام: لم أعبد رباً لم أره^(٤).

وفي التوحيد: عن الصادق عليه السلام إنَّه سئل عن الله عزَّ وجلَّ هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة، فقيل: متى؟ قال: حين قال لهم: «الَسْتُ بِرَبِّكُمْ

١- بصائر الدرجات: ص ٨٩، ح ٢، باب نادر من الباب.

٢- جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٦٩.

٣- الكافي: ج ١، ص ٩٧، ح ٥، باب في إبطال الرؤية، والرواية عن الباقر عليه السلام.

٤- التوحيد: ص ١٠٩، ح ٦، باب ٨- ما جاء في الرؤية. وفيه ما كنت أعبد... والكافي: ج ١، ص ٩٧-٩٨، ح ٦، باب في إبطال الرؤية. وفيه: ما كنت أعبد....

قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أُصْطَفِيتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي
فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

قَالُوا بَلَىٰ»^(١)، ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَيَرُونَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَلَسْتُ تَرَاهُ فِي وَقْتِكَ هَذَا؟ قِيلَ: فَأُحَدِّثُ بِهَا عَنْكَ؟ فَقَالَ: لَا فَإِنَّكَ إِذَا حَدَّثْتَ بِهِ فَأَنْكَرَهُ مِنْكَ جَاهِلٌ بِمَعْنَى مَا تَقُولُهُ، ثُمَّ قَدَّرَ أَنَّ ذَلِكَ تَشْبِيهُ كُفْرٍ وَلَيْسَتْ الرُّؤْيَةُ بِالْقَلْبِ كَالرُّؤْيَةِ بِالْعَيْنِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُصِفُهُ الْمُشَبِّهُونَ وَالْمَلْحَدُونَ^(٢).

﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أُصْطَفِيتُكَ﴾: اخترتك.

﴿عَلَى النَّاسِ﴾: أَيِ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَانِكَ، وَهَارُونَ وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا كَانَ مَأْمُورًا بِاتِّبَاعِهِ، وَلَمْ يَكُنْ كَلِيمًا وَلَا صَاحِبَ شَرَعٍ.

﴿بِرِسَالَتِي﴾: يَعْنِي أَسْفَارَ التَّوْرَةِ، وَقُرْأَ بِرِسَالَتِي.

﴿وَبِكَلِمِي﴾: وَبِتَكْلِيمِي إِيَّاكَ.

﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾: مَا أُعْطَيْتَكَ مِنَ الرِّسَالَةِ.

﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾: عَلَى النِّعْمَةِ، فِيهِ رَوَى عَنْ سُؤَالِ الرُّؤْيَةِ كَانَ يَوْمَ عَرَفَةِ، وَإِعْطَاءِ التَّوْرَةِ يَوْمَ النُّحْرِ^(٣).

فِي الْكَافِي: عَنْ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى عليه السلام أَنْ يَا مُوسَى تَدْرِي لِمَا أُصْطَفِيتُكَ بِكَلَامِي دُونَ خَلْقِي؟ قَالَ: يَا رَبِّ وَلَمْ ذَاكَ؟ قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِ يَا مُوسَى إِنَّ قَلْبَ عِبَادِي ظَهَرَ لِبَطْنِ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِمْ أَحَدًا أَذَلَّ لِي نَفْسًا مِنْكَ، يَا

١ - الأعراف: ١٧٢.

٢ - التوحيد: ص ١١٧، ح ٢٠، باب ٨ - ما جاء في الرؤية.

٣ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٦٨.

وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

موسى إِنَّكَ إِذَا صَلَّيْتَ وَضَعْتَ خَدَّكَ عَلَى التَّرَابِ، أَوْ قَالَ: عَلَى الْأَرْضِ ^(١)، وفي العلل: عنه عليه السلام ما يقرب منه ^(٢).

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: ومما يحتاجون إليه من أمر الدين.
﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: وكانت زبرجدة من الجنة كما رواه العياشي: عن الصادق عليه السلام ^(٣).

وفي البصائر: عن أمير المؤمنين عليه السلام إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ زَمْزَمٍ أَخْضَرَ ^(٤).
﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾: بجِدٍّ وعزيمة. القمي: أي قُوَّةَ القلب ^(٥).
﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾: بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالإضافة إلى الانتقام والاقتصاص، وهو مثل قوله سبحانه وتعالى: «وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» ^(٦)، وقوله: «فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ» ^(٧).
﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾: منازل القرون الماضية المخالفة لأمر الله الخارجة عن

-
- ١- الكافي: ج ٢، ص ١٢٣، ح ٧، باب التواضع، وفيه: «أَتَدْرِي لِمَا... أَنْ يَا مُوسَى...».
 - ٢- علل الشرائع: ص ٥٦ - ٥٧، ح ٢، باب ٥٠ - العلّة التي من أجلها اصطفى الله عز وجل موسى لكلامه من دون خلقه.
 - ٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٨، ح ٧٧.
 - ٤- بصائر الدرجات: ص ١٦١، ح ٦، باب ١١ - ما يبين فيه كيفيّة وصول الألواح إلى آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.
 - ٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٠.
 - ٦- الزمر: ٥٥.
 - ٧- الزمر: ١٨.

طاعة الله لتعتبروا.

العياشي: عن الصادق عليه السلام في الجفر إن الله عز وجل لما أنزل الألواح على موسى عليه السلام أنزلها عليه وفيها تبيان كل شيء كان أو هو كائن إلى أن تقوم الساعة فلما انقضت أيام موسى عليه السلام أوحى الله إليه أن استودع الألواح وهي زبرجدة من الجنة، جبلاً يقال له: زينة فأتى موسى الجبل فانشق له الجبل فجعل فيه الألواح ملفوفة فلما جعلها فيه انطبق الجبل عليها فلم تزل في الجبل حتى بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم فاقبل ركب من اليمن يريدون الرسول صلى الله عليه وسلم فلما انتهوا إلى الجبل انفرج الجبل وخرجت الألواح ملفوفة كما وضعها موسى عليه السلام فأخذها القوم فلما وقعت في أيديهم ألقي في قلوبهم أن لا ينظروا إليها، وهابوها حتى يأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله جبرئيل على نبيه صلى الله عليه وسلم فأخبره بأمر القوم وبالأذي أصابوه فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم سلموا عليه ابتدأهم فسألهم عما وجدوا فقالوا: وما علمك بما وجدنا؟ قال: أخبرني به ربي وهو الألواح، قالوا: نشهد أنك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجوها فوضعوها إليه فنظر إليها وقرأها ووضعها^(١) وكانت بالعبراني، ثم دعا أمير المؤمنين عليه السلام فقال: دونك هذه ففيها علم الأولين والآخرين وهي ألواح موسى، وقد أمرني ربي أن أدفعها إليك فقال: لست أحسن قراءتها، قال: إن جبرئيل أمرني أن أمرك أن تضعها تحت رأسك ليلتك هذه فإنك تصيح وقد علمت قراءتها، قال: فجعلها تحت رأسه فأصبح وقد علمه الله كل شيء فيها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسخها فنسخها في جلد وهو الجفر، وفيه علم الأولين والآخرين، وهو عندنا والألواح عندنا، وعصا موسى عندنا، ونحن ورثنا النبيين - صلى الله عليهم - أجمعين، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: تلك الصخرة التي حفظت ألواح موسى تحت شجرة في واد يعرف بكذا^(٢).

وفي البصائر: أن الباقر عليه السلام عرّف تلك الصخرة ليماني دخل عليه^(٣).

١ - وفي نسخة: [فوضعها] كما في المصدر. ٢ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٨، ح ٧٧.

٣ - بصائر الدرجات: ص ١٦١، ح ٧، باب ١١ - ما يبين فيه كيفية وصول الألواح إلى آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَأِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا
يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾

وفيه: هذا الخبر بنحو آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفي آخره فأخذه النبي ﷺ وإذا هو كتاب بالعبرائية دقيق فدفعه إليّ ووضعته عند رأسي فأصبحت بالغداة وهو كتاب بالعربية جليل فيه علم ما خلق الله منذ قامت السماوات والأرض إلى أن تقوم الساعة فعلمت ذلك ^(١).
﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

﴿وَأِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ﴾: منزلة أو معجزة.
﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾: لإختلاف عقولهم بسبب إنهاكهم في التقليد والهوى، في الحديث: إذا عظمت أمتي الدنيا نزلت عنها هيبة الإسلام، وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي ^(٢).

﴿وَأِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾: وقرئ الرشد بفتحتين.
﴿وَأِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾: القمي: قال: إذا رأوا الإيمان والصدق والوفاء والعمل الصالح لا يتخذوه سبيلاً، وإن يروا الشرك والزنا والمعاصي يأخذوا بها ويعملوا بها ^(٣).

١ - بصائر الدرجات: ص ١٦١، ح ٦، باب ١١ - ما يبين فيه كيفية وصول الألواح إلى آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

٢ - جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٧٠.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٠.

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾: ذلك الصِّرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: لا ينتفعون بها. ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: إلا جزاء أعمالهم.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد ذهابه للميقات.

﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾: وقرئ بكسر الحاء.

﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾: خالياً من الروح.

﴿لَهُ خُورٌ﴾: صوت كصوت البقر، قد مضى قصّة العجل مبسوطه في سورة

البقرة^(١).

العياشي: عن الباقر عليه السلام إن في ماناجي موسى به ربّه أن قال: ياربّ هذا السّامري صنع العجل فالخوار من صنعه، قال: فأوحى الله إليه يا موسى أن تلك فتنتي فلا تفحص عنها^(٢).

وعن الصادق عليه السلام: قال: ياربّ وَمَنْ أَخَارَ الصَّنَمَ؟ فقال الله: يا موسى أنا أخرتّه، فقال:

موسى: «إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء»^{(٣)(٤)}.

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٩، ح ٨٠.

١- ذيل الآية: ٥١.

٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٩، ح ٧٩.

٣- الأعراف: ١٥٥.

وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقِ الْأَلْوَا حَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوكُنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾: تقرّيع على فرط ضلالهم وإخلالهم بالنظر، يعني أنّه ليس كآحاد البشر فكيف يكون خالق القوى والقدر.

﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾: واضعين الأشياء في غير مواضعها فلم يكن اتّخاذ العجل بدعاً منهم.

﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾: كناية عن اشتداد ندمهم فإنّ النادم المتحسّر يعضّ يده غمّاً فتصير يده مسقوطة فيها.

﴿وَرَأَوْا﴾: وعلموا.

﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾: باتخاذ العجل.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾: بالتجاوز عن الخطيئة.

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: وقرئ بالخطاب والنداء.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾: شديد الغضب، أو حزينا.

﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾: أي قتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي حيث

عبدتم العجل مكان عبادة الله.

﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾: يقال: عجل عن الأمر إذا تركه غير تامّ وأعجله عنه غيره

ويضمن معنى سبق فيقال: عجل الأمر، والمعنى أتركتم أمر ربكم غير تام؟ وهو انتظار موسى حافظين لعده.

﴿وَأُلْقِيَ الْأَلْوَابُ﴾: طرحها من شدة الغضب لله وفرط الضجر^(١) حمية للدين.
روي: أنه لما ألقاها انكسرت فذهب بعضها^(٢).

وفي البصائر: عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ منها ما تكسّر، ومنها ما بقى، ومنها ما ارتفع^(٣).
وعن الباقر عليه السلام: إنَّه عَرَفَ يَمَانِيًا صَخْرَةً بِالْيَمَنِ ثُمَّ قَالَ: تِلْكَ الصَّخْرَةُ الَّتِي التَّقَمْتُ مَا ذَهَبَ مِنَ التَّوْرَةِ حِينَ أُلْقَى مُوسَى الْأَلْوَابَ فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَدَّتْهُ إِلَيْهِ وَهِيَ عِنْدُنَا^(٤).
وفي المجمع: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِمَ اللَّهُ أَخِي مُوسَى عليه السلام لَيْسَ الْمَخْبَرُ كَالْمَعَايِنِ لَقَدْ أَخْبَرَهُ اللَّهُ بِفِتْنَةِ قَوْمِهِ، وَلَقَدْ عَرَفَ أَنَّ مَا أَخْبَرَهُ رَبُّهُ حَقٌّ أَنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لِمَتَمَسَّكَ بِمَا فِي يَدَيْهِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَرَأَاهُمْ فغَضِبَ وَأُلْقَى الْأَلْوَابَ^(٥).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام ما في معناه^(٦).

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾: في العلل: عن الصادق عليه السلام وذلك لأنَّه لم يفارقهم
لَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ، وَلَمْ يَلْحَقْ بِمُوسَى، وَكَانَ إِذَا فَارَقَهُمْ يَنْزِلُ بِهِمُ الْعَذَابُ^(٧).

١ - ضجر من الشيء ضَجْرًا من باب - تعب - فهو ضَجِرَ: أي اغتم وقلق منه. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٧١، مادة «ضجر».

٢ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٠. وإليك نصّه: روي أنَّ التَّوْرَةَ كَانَتْ سَبْعَةَ أَسْبَاعٍ فِي سَبْعَةِ أَلْوَابٍ، فَلَمَّا أَلْقَاهَا انْكَسَرَتْ فَرَفَعَ سِتَّةَ أَسْبَاعِهَا.... الحديث.

٣ - بصائر الدرجات: ص ١٦١، ح ٦، باب ١١ - ما يبين فيه كيفية وصول الألواح إلى آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

٤ - بصائر الدرجات: ص ١٥٧، ح ٧، باب ١٠ - ما عند الأئمة من كتب الأولين، كتب الأنبياء التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم.
٥ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٨٢.

٦ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٩، ح ٨١.

٧ - علل الشرائع: ص ٦٨، ح ١، باب ٥٨ - العلة التي من أجلها قال هارون لموسى عليه السلام: يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، ولم يقل يابن أبي.

﴿قَالَ ابْنُ أُمٍّ﴾: وقرئ أُمٌّ^(١) بالكسر، وإِثْمَانِسِبِه إِلَى الْأُمِّ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْإِسْتِعْطَافِ. وفي العلل: عنه عليه السلام ولم يقل يا ابن أبي لأنَّ بني الأب إذا كانت امهاتهم شتَّى لم تستبعد العداوة بينهم إلَّا من عصَمَهُ الله منهم، وإِثْمَانِسِبِ العداوة بين بني أُمٍّ واحدة^(٢).

وفي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الوسيلة إِنَّهُ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمَّهُ^(٣). والقمي: مثله عن الباقر والصادق عليهما السلام^(٤). قيل: وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين وكان حولاً^(٥) لِسَيِّئاً ولذلك كان أَحَبَّ إِلَى بني إِسْرَائِيلَ^(٦).

والقمي: عن الباقر عليه السلام إِنَّ الْوَحْيَ يَنْزِلُ عَلَى مُوسَى، وَمُوسَى عليه السلام يُوحِيهِ إِلَى هَارُونَ، وَكَانَ مُوسَى يَنَاجِي رَبَّهُ، وَيَكْتُبُ الْعِلْمَ، وَيَقْضِي بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ لِمُوسَى وَلَدٌ وَكَانَ الْوَلَدُ لِهَارُونَ^(٧).

﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي﴾: قَهَرُونِي وَاتَّخَذُونِي ضَعِيفاً، وَلَمْ أَلْ جَهْداً فِي كَفِّهِمْ بِالْإِنْدَارِ وَالْوَعْظِ.

﴿وَكَاذِبُوا يَفْتُلُونَنِي﴾: وَقَارِبُوا قَتْلِي لِشِدَّةِ إِنْكَارِي عَلَيْهِمْ.
﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾: فَلَا تَفْعَلْ بِي مَا يَشْمِتُونَ بِي لِأَجْلِهِ.

١ - نسب إلى عاصم أَنَّهُ قَرَأَ «يَا أُمٌّ» بِالْفَتْحِ هُنَا، وَفِي سُورَةِ طه: «يَا ابْنَ أُمٍّ» بِالْكَسْرِ، لِأَنَّ أَصْلَهُ يَا ابْنَ أُمِّي فَحَذَفَتْ الْيَاءَ إِكْتِفَاءً بِالْكَسْرِ تَخْفِيفاً كَالْمُنَادَى الْمُضَافِ إِلَى الْيَاءِ. راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٠.

٢ - علل الشرائع: ص ٦٨، ح ١، باب ٥٨ - العلة التي من أجلها قال هارون لموسى عليه السلام: يا ابن أُمٍّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، ولم يقل يا ابن أبي. ٣ - الكافي: ج ٨، ص ٢٧، ح ٤.

٤ - تفسير القمي: ج ٢، ص ١٣٧.

٥ - وَحَمَلَ عَنْهُ: خَلَّمَ، فَهُوَ حَمُولٌ: ذُو حِلْمٍ. الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ: ج ٣، ص ٣٦١، مادة «حمل».

٦ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٠.

٧ - تفسير القمي: ج ٢، ص ١٣٧ من سورة القصص.

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّنْ
رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾
وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا بِرَبِّكَ
مِن بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: معدوداً في عدادهم بالمواخذه عليّ ونسبة
التقصير إليّ.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: إِنَّ
الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّهِمْ: قيل: هو ما أمروا من قتل أنفسهم^(١).
﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: قيل: هي خروجهم من ديارهم^(٢)، وقيل: هي الجزية^(٣).
﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾: وافترأهم قولهم: «هذا الهكُم وإله موسى»^(٤).
في الكافي: عن الباقر عليه السلام أَنَّهُ تَلَاهُ هَذِهِ الْآيَةَ فَقَالَ: فَلَا تَرَى صَاحِبَ بَدْعَةٍ إِلَّا ذَلِيلًا، وَلَا
مُفْتَرِيًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - إِلَّا ذَلِيلًا^(٥).

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾: من الكفر والمعاصي.

﴿ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا﴾: من بعد السيئات.

﴿وَأَمَنُوا﴾: وعملوا بمقتضى الإيمان.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾: من بعد التوبة.

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٠.

٢ و ٣ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧١.

٤ - طه: ٨٨.

٥ - الكافي: ج ٢، ص ١٦، ح ٦، باب الإخلاص.

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسخَتِهَا
هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَاخْتَارَ مُوسَى
قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمَلِئْتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ
شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا
إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ
وَلِيُنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

﴿لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ * وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ: عبّر عن سكون الغضب وإطفائه بالسكوت. تنبيهاً على أن الغضب كان هو الحامل له على ما فعل، والأمر له به والمغرى عليه، وهذا من البلاغة في الكلام.

﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾: التي ألقاها.

﴿وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى﴾: دلالة وبيان لما يحتاج إليه من أمر الدين.

﴿وَرَحْمَةً﴾: نعمة ومنفعة.

﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾: معاصي الله.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾: من قومه، من باب الحذف والإيصال.

﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمَلِئْتِنَا﴾: سبقت قصتهم عند ذكر سؤال الرؤية.

﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي﴾: تنبئ

هلاكهم، وهلاكه قبل أن يرى ما رأى.

﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾: من التجاسر على طلب الرؤية.

في التوحيد: عن الرضا عليه السلام إن السبعين لما صاروا معه إلى الجبل قالوا له: إنك قد رأيت

الله سبحانه فأرناهم كما رأيته، فقال: إني لم أره، فقالوا: «لن نؤمن لك حتى نرى الله

وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ
قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ
فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا
يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

جهره^(١) «فأخذتهم الصّاعقة»^(٢)، واحترقوا عن آخرهم، وبقي موسى وحيداً، فقال: يا ربّ اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم وأرجع وحدي فكيف يصدقني قومي بما أخبرتهم به؟ ف«لو شئت أهلكتهم من قبل وإني أهلكنا بما فعل السفهاء منا»^(٣)؟ فأحياهم الله بعد موتهم^(٤).

وفي العيون^(٥): ما يقرب منه كما مرّ.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾: ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتّى طمعوا في الرؤية.
﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾: القائم بأمرنا.
﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾: تغفر السيئة وتبذلها بالحسنة.
﴿وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: حسن معيشة، وتوفيق طاعة.
﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: الجنة.

﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾: تبنا إليك، من هاديهود إذا رجع.
﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾: تعذيبه.

٢- النساء: ١٥٣، الذاريات: ٤٤.

١- البقرة: ٥٥.

٤- التوحيد: ص ٤٢٤، ح ١، باب ٦٥- ذكر مجلس الرضا عليه السلام.

٣- الأنعام: ١٥٥.

٥- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١٦٠- ١٦١، ح ١، باب ١٢- ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات في التوحيد عند المأمون.

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ
عَنَهُمْ أَصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ
وَعَزَّزُوا وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾: في الدنيا فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص
إلا وهو متقلب في نعمتي، أو في الدنيا والآخرة، إلا أن قوماً لم يدخلوها لضلالهم.
﴿فَسَأَلْتُهَا﴾: فسألتها وأوجبتها في الآخرة.
﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: الشرك والمعاصي.
﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾: ولا يكفرون بشيء منها.
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾: في الكافي: عنها عليه السلام الرسول: الذي يظهر له
الملك فيكلمه، والنبى هو الذي يرى في منامه، وربما اجتمعت النبوة والرسل لواحد^(١).
﴿الْأُمِّيَّ﴾: المنسوب إلى أم القرى وهي مكة، كذا في المجمع^(٢) عن الباقر عليه السلام،
والعياشي: عنه عليه السلام أنه سئل لم سمي النبي الأمي؟ قال: نسب إلى مكة، وذلك قول الله: «لَتُنذِرَ أُمَّ
الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا»^(٣) وأم القرى مكة، فقيل: أمي لذلك^(٤).

١- الكافي: ج ١، ص ١٧٧، ح ٤، باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث.

٢- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٨٦.

٣- الأنعام: ٩٢.

٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣١، ح ٨٦.

وفي العلل: عن الجواد عليه السلام أنه سئل عن ذلك؟ فقال: ما يقول الناس؟ قال: يزعمون أنه إنما سمي الأُمِّي لأنه لم يحسن أن يكتب، فقال: كذبوا عليهم لعنة الله، أتى ذلك، والله يقول: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»^(١)، فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن، والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ ويكتب باثنين وسبعين، أو قال: بثلاث وسبعين لساناً، وإِنَّمَا سَمِيَ الْأُمِّيَّيْنِ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَمَكَّةَ مِنْ أَمْهَاتِ الْقُرَى، وذلك قول الله عز وجل: «لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا»^(٢) (٣).
 ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ باسمه ونعته.
 والعياشي: عن الباقر عليه السلام يعني اليهود والنصارى صفة محمد واسمه^(٤).

وفي المجالس: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال يهودي لرسول الله صلى الله عليه وآله: إِنِّي قَرَأْتُ نَعْتَكَ فِي التَّوْرَةِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، مولده بمكة ومهاجره بطيبة، ليس بفظ^(٥)، ولا غليظ، ولا سَخَاب^(٦)، ولا مترن^(٧) بالفحش، ولا قول الحنا^(٨)، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأَنَّكَ

١- الجمعة: ٢.

٢- الأنعام: ٩٢.

٣- علل الشرائع: ص ١٢٤ - ١٢٥، ح ١، باب ١٠٥ - العلة التي من أجلها سمي النبي صلى الله عليه وآله الأُمِّي.

٤- اعلم إن هنا سقط في صدر الحديث وذيله، وإليك نصّه، عن أبي جعفر عليه السلام قال في قوله: «يَجِدُونَهُ» يعني اليهود والنصارى صفة محمد واسمه «مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر»، راجع تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣١، ح ٨٧.

٥- فظ يفظ من باب تعب فظاظه: إذا غلظ. بمعنى سيئ الخلق، القاسي القلب. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٨٩، مادة «فظظ».

٦- إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ سَخَاباً هُوَ بِالسَّيْنِ الْمَفْتُوحَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ صِيغَةُ مِبَالِغَةٍ مِنَ «السَّخَبِ» بِالتَّحْرِيكِ: وَهُوَ شِدَّةُ الصَّوْتِ، مِنْ تَسَاخَبِ الْقَوْمِ: تَصَاحَرُوا وَتَضَارَبُوا. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٨١، مادة «سخب».

٧- الْمَتَرَنَّ: بَنَوْنِ مِنَ الرُّتَّةِ بِالْفَتْحِ وَالتَّشْدِيدِ، أَعْنَى الصَّوْتِ، يُقَالُ: رَنْتَ الْمَرْأَةَ تَرْنُ مِنْ بَابِ ضَرْبِ زَيْنَا: صَوْتٌ. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٥٨، مادة «رنن».

٨- الحناء: مرادف للفحش. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٥٨، وفي ج ١، ص ١٣٢: الحنا - مقصور - : الفحش من القول.

رسول الله ﷺ، هذا مالي فاحكم فيه بما أنزل الله (١).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام لما نزلت التوراة على موسى عليه السلام بشر بمحمد ﷺ قال: فلم تنزل الأنبياء تبشّر به حتّى بعث الله المسيح عيسى بن مريم فبشّر بمحمد ﷺ وذلك قوله تعالى: «يحيّدونه»: يعني اليهود والنصارى «مكتوباً»: يعني صفة محمد ﷺ، «عندهم»: يعني في التوراة والإنجيل، وهو قول الله عزّ وجلّ يخبر عن عيسى عليه السلام: «وَمُبَشَّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» (٢)(٣).

وفيه مرفوعاً: إنّ موسى عليه السلام ناجاه ربّه تبارك وتعالى فقال له في مناجاته: أوصيك يا موسى وصيّة الشّفيق المشفق بابن البتول عيسى بن مريم، ومن بعده بصاحب الجمل الأحمر، الطّيب، الطّاهر، المطهر، فثله في كتابك أنّه مهيمن على الكتب كلّها، وأنّه راع، ساجد، راغب، راهب، إخوانه المساكين، وأنصاره قوم آخرون (٤)(٥).

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾: يستفاد من بعض الروايات تأويل الطّيبات بأخذ العلم من أهله، والخبائث بقول من خالف.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾: ويخفّف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشّاقّة وأصل الإصر: الثقل، وقد مضى حديث وضع الإصر عن هذه الأمّة في

١- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٧٦، ح ٦، المجلس الحادي والسبعون.

٢- الصف: ٦. ٣- الكافي: ج ٨، ص ١١٧، ح ٩٢.

٤- لعل المراد بالآخرين: جمع من الناس ليسوا في مرتبتهم يعدّون منهم، وليسوا منهم، ولم يلحق الناس بهم، ولم يبلغوا درجاتهم، والحاصل: قوم آخرون من الناس يعني يغيرونهم في الأحوال والصفات والإيمان والعلم مثل سلمان، وأبي ذر، والمقداد، وأبي دجانة، ونظرائهم كما يشهد به ما روي من أنّه ﷺ لما قرأ قوله تعالى: «يُسَبِّحُ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» إلى قوله: «وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ»، قيل له: من هؤلاء؟ فوضع يده على كفف سلمان فقال: لو كان الإيمان عند الثّريالين لرجال من هؤلاء، ويطلب تفصيله من تفسير الجمعة، منه يبرّر.

٥- الكافي: ج ٨، ص ٤٢-٤٣، ح ٨، حديث موسى عليه السلام.

قُلْ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا
بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ
وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

آخر سورة البقرة^(١)، وقرئ آصارهم.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾: وعظموه بالتقوية والذّب عنه، وأصل التعزيز:

المنع.

﴿وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾: فسر النور: بالقرآن^(٢).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام النور: علي عليه السلام^(٣).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام النور في هذا الموضع: علي أمير المؤمنين عليه السلام
والأئمة عليهم السلام^(٤).

﴿أَوَلَيْسَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ * قُلْ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا:

في المجالس: عن الحسن المجتبي عليه السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا محمد
أنت الذي تزعم أنك رسول الله وأنت الذي يوحى إليك كما يوحى إلى موسى بن عمران؟
فسكت النبي صلى الله عليه وآله ساعة ثم قال: نعم أنا سيّد ولد آدم ولا فخر، وأنا خاتم النبيّين وإمام المتّقين

١- البقرة: ذيل الآية ٢٨٦.

٢- وفي نسخة: [قيل: النور القرآن] راجع تفسير أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٢.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣١، ح ٨٨.

٤- الكافي: ج ١، ص ١٩٤، ح ٢، باب إن الأئمة عليهم السلام نور الله عز وجل.

وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾
 وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ
 اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ
 اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ
 الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغُلَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا
 رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾

ورسول رب العالمين، قالوا: إلى من إلى العرب أم إلى العجم أم إلينا؟ فأنزل الله هذه الآية (١).
 ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ﴾: يريد بها ما أنزل الله عليه،
 وعلى من تقدمه من الرسل.

﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: أقول: يعني إلى العلم اللدني الموصل إلى محبة الله
 وولايته فإنه لا يحصل إلا بالإيمان واتباع النبي، ومن أمر النبي ﷺ باتباعه.

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾: بكلمة الحق.

﴿وَبِهِ﴾: وبالحق.

﴿يَعْدِلُونَ﴾: بينهم في الحكم (٢).

١- الأملاني للشيخ الصدوق: ص ١٥٧، ح ١، المجلس الخامس والثلاثون.

٢- العياشي: ج ٢، ص ٣٢، ح ٩٠-٩١، عن الصادق عليه السلام، قال: إذا قام قائم آل محمد من آل محمد عليه السلام
 استخرج من ظهر الكعبة سبعة وعشرون رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين يقضون بالحق وبه
 يعدلون، وسبعة من أصحاب الكهف، ويوشع وصي موسى، ومؤمن آل فرعون، وسلمان الفارسي، وأبو دجاجة

العياشي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قوم موسى: هم أهل الإسلام^(١).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام إن هذه الأمة قوم من وراء الصين، بينهم وبين الصين واد حار من الرمل، لم يغيروا ولم يبدلوا، ليس لأحدهم مال دون صاحبه، يمتطرون بالليل، ويضحون بالنهار، ويزرعون لا يصل منا إليهم أحد، ولا منهم إلينا، وهم على الحق، وقال: وقيل: إن جبرئيل انطلق بالنبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج إليهم فقرأ عليهم من القرآن عشر سور نزلت بمكة فآمنوا به وصدقوه، وأمرهم أن يقيموا مكانهم ويتركوا السبب، وأمرهم بالصلاة والزكاة ولم تكن نزلت فريضة غيرهما ففعلوا، قال: وروى أصحابنا أنهم يخرجون مع قائم آل محمد عليه السلام، وروي: أن ذا القرنين رآهم وقال: لو أمرت بالمقام لسرتني أن أقيم بين أظهرهم^(٢).

﴿وَقَطَّعْنَهُمْ﴾: وصيرناهم قطعاً متميزاً بعضهم عن بعض.

﴿أَثْنَتِيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾: والأسباط ولد الأولاد، والأسباط في ولد يعقوب

بنزلة القبائل في ولد إسماعيل.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾: في التيه.

﴿أَن آضْرِبْ بَعْصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ﴾: أي فاضرب فانجست، وفي حذفه

إشارة إلى أنه لم يتوقف في الإمتثال.

﴿مِنْهُ أَثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾: كل سبط مشربهم.

﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ﴾: ليقيم حر الشمس.

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوْا﴾: أي وقلنا لهم: كلوا.

﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

الأنصاري، ومالك الأشتر، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إن بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام افترقت على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، فإن الله يقول: «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون» فهذه التي تنجو.

١ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣١ - ٣٢، ح ٨٩.

منه يدرى.

٢ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٨٩.

وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ
وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَازِدُ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ
لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾
وَسَأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي
السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا
يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

مضى تفسيره في سورة البقرة^(١).

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: بإضمار اذكروا، والقرية: بيت المقدس.
﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ
خَطِيئَتَكُمْ سَازِدُ الْمُحْسِنِينَ﴾: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾: مضى تفسيره فيها^(٢)، وقرئ
تغفر بالتاء والبناء للمفعول، وخطيئتك بالتوحيد، وخطاياكم.

﴿وَسَأَلُهُمْ﴾: واسأل اليهود، وهو سؤال تقريع بتقديم الكفر^(٣) وتجاوزهم حدود الله.
﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾: عن خبرها، وما وقع بأهلها.
﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾: قريبة منه.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾: يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيّد يوم السبت وقد نهوا

عنه.

٢- البقرة: ذيل الآية ٥٩.

١- البقرة: ذيل الآية ٥٧.

٣- وفي نسخة: [بتقديم كفرهم].

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا
نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا
الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَّيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾: يوم تعظيمهم أمر يوم السبت، مصدر سبت
اليهود إذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة.

﴿شُرْعًا﴾: ظاهرة على وجه الماء، من شرع عليه إذا دنا منه وأشرف.
﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ * وَإِذْ
قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ: جماعة من أهل القرية.

﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾: محترمهم.
﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: لتأديبهم في العصيان.
﴿قَالُوا مَعذِرَةٌ﴾: وقرئ معذرة بالنصب.

﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: يعني موعظتنا إنهاء عذر إلى الله حتى لا تنسب إلى تفريط في النهي
عن المنكر.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: إذ اليأس لا يحصل إلا بالهلاك.
﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾: تركوا ترك الناسي.
﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: ما ذكرهم به الواعظون.
﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾: عن البلاء.
﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَّيْسٍ﴾: شديد من بؤس ببؤس بأساً إذا اشتد،

وقرئ على وزن ضيغم، وبكسر الباء وسكون الهمزة وبكسر ها، وقلب الهمزة ياءاً.

فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَآ نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً

خَاسِيَيْنَ ﴿١٦٦﴾

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بسبب فسقهم.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَآ نُهُوا عَنْهُ﴾: تكبروا عن النهي أو عن ترك ما نهوا عنه، وهذا مثل قوله تعالى: «وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ»^(١).

﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَيْنَ﴾: مطرودين مبعدين من كل خير، كقوله: «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»^(٢).

في تفسير الإمام عليه السلام في سورة البقرة عند قوله تعالى: «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَيْنَ»^(٣)، قال علي بن الحسين عليه السلام: كان هؤلاء قوماً يسكنون على شاطئ بحر نهاهم الله وأنبيأوه عن اصطياد السمك في يوم السبت، فتوصلوا إلى حيلة ليحلّوا بها لأنفسهم ما حرّم الله فخذوا أخاديد^(٤) وعملوا طرقاً تؤدّي إلى حياض يتهيّأ للحيثان الدخول فيها من تلك الطرق ولا يتهيّأ لها الخروج إذ همت بالرجوع فجاءت الحيتان يوم السبت جارية على أمان لها فدخلت الأخاديد وحصلت في الحياض والغدران فلما كانت عشية السبت وهمت بالرجوع منها إلى اللّجج لتأمن من صائدها فرامت الرجوع فلم تقدر وبقيت ليلها في مكان يتهيّأ أخذها بلا اصطياد لإسترسالها فيه وعجزها عن الإمتناع لمنع المكان لها، وكانوا يأخذونها يوم الأحد ويقولون ما اصطدنا في يوم السبت إنّما اصطدنا في يوم الأحد، وكذب أعداء الله بل كانوا آخذين لها بأخاديدهم التي عملوها يوم السبت حتّى كثّر

٢- النحل: ٤٠.

١- الأعراف: ٧٧.

٣- البقرة: ٦٥.

٤- الأخدود: شقق في الأرض مستطيل، جمعه أخاديد. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٢، مادة «خد».

من ذلك ما لهم وثرأهم، وتتعموا بالنساء وغيرهنّ لإتساع أيديهم به، وكانوا في المدينة نيفاً وثمانين ألفاً، فعل هذا منهم سبعون ألفاً وأنكر عليهم الباقون كما قصّ الله: «وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْفَرِيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرَ»^(١) الآية، وذلك إن طائفة منهم وعظومهم وزجروهم، ومن عذاب الله خووفهم، ومن انتقامه وشدائد بأسه حذروهم، فأجابوهم عن وعظهم «لم تعظون قوماً الله مهلكهم»^(٢) بذنوبهم هلاك الإصطلام، «أو معذبهم عذاباً شديداً»^(٣)، أجاب القائلون هذا لهم: «معذرة إلى ربكم» هذا القول متألم معذرة إلى ربكم، إذ كلّفنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنحن نهى عن المنكر ليعلم ربنا مخالفتنا لهم وكرهتنا لفعالهم، قالوا: ولعلهم يتّقون ونعظهم أيضاً لعلهم تنجع^(٤) فيهم المواعظ فيتقوا هذه الموبقة^(٥) ويحذروا عقوبتها، قال الله عزّ وجلّ: «فَلَمَّا عَتَوْا» حادّوا^(٦) وأعرضوا وتكبروا عن قبول الزّجر عما نهو عنه قلنا لهم: «كُونُوا قَرَدَةً خَاسِئِينَ» مبعدين من الخير مغضبين^(٧) فلما نظر العشرة الآلاف والنّيف أن السبعين ألفاً لا يقبلون مواعظهم ولا يخافون بتخويفهم إياهم وتحذيرهم لهم اعتزلوهم إلى قرية أخرى وانتقلوا إلى قرية من قريتهم^(٨)، وقالوا: نكره أن ينزل بهم عذاب الله ونحن في خلاهم، فأمسوا ليلة فسخرهم الله كلّهم قردة، وبقي باب المدينة مغلقاً، لا يخرج منه أحد ولا يدخله أحد وتسامع بذلك أهل القرى فقصدوهم وسمّوا حيطان البلد فاطّلوا عليهم فإذا هم كلّهم رجالهم ونسأؤهم قردة يوج بعضهم في بعض، يعرف هؤلاء النّاظرين معارفهم

١- الأعراف: ١٦٣. ٢ و ٣- الأعراف: ١٦٤.

٤- نجع فيه الأمر والخطاب والوعظ: إذا أثر فيه ونفع. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٩٤، مادة «نجع».

٥- وبقي يبق وبوقاً: إذا هلك. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٤٣، مادة «وبق».

٦- حاد عن الشيء يحيد: مال عنه وعدل. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤١، مادة «حيد».

٧- وفي نسخة: [مبغضين].

٨- في العبارة تشويش، والظاهر أن تكون هكذا: «انتقلوا من قريتهم إلى قرية» أو «إلى قرية قريبة من

قريتهم».

وقرابتهم وخطائهم فيقول المطلع لبعضهم: أنت فلان وأنت فلانة فتدمع عينه ويؤمي برأسه أو بفمه بلى أو نعم، فما زالوا كذلك ثلاثة أيام، ثم بعث الله تعالى مطراً وريحاً فحرفهم^(١) إلى البحر وما بقي مسخ بعد ثلاثة أيام، وإنما الذين ترون من هذه المصورات بصورها فإنما هي أشباهها لا هي بأعيانها ولا من نسلها^(٢).

والقَمِّي^(٣)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب علي عليه السلام إن قوماً من أهل أَيْلَةَ من قوم ثمود وأن الحيتان كانت سبقت إليهم يوم السبت ليختبر الله طاعتهم في ذلك فشرعت إليهم يوم سبتهم في ناديتهم وقدام أبوابهم في أنهارهم وسواقيتهم فبادروا إليها فأخذوا يصطادونها فلبثوا في ذلك ما شاء الله لا ينهاتهم عنها الأحبار، ولا يمنعهم العلماء من صيدها، ثم إن الشيطان أوحى إلى طائفة منهم أنما نهيتهم عن أكلها يوم السبت، ولم تنهوا عن صيدها فاصطادوها يوم السبت وكلوها فيما سوى ذلك من الأيام، فقالت طائفة منهم: الآن نضطادها فعتت، وانحازت^(٤) طائفة أخرى منهم ذات اليمين فقالوا: نهاكم عن عقوبة الله أن تتعرضوا بخلاف أمره، واعتزلت طائفة منهم ذات الشمال، وسكتت فلم تعظمهم، فقالت للطائفة التي وعظتهم: «لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً»، فقالت الطائفة التي وعظتهم: «معدرة إلى ربكم ولعلهم يتقون»، قال: فقال الله تعالى: «فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ»^(٥) يعني لما تركوا ما وعظوا به مضوا على الخطيئة فقالت الطائفة التي وعظتهم: لا والله لا نجتمعكم ولا نبايتكم الليلة في مدينتكم هذه التي عصيتكم الله فيها مخافة أن ينزل بكم البلاء فيعتمنا معكم، قال: فخرجوا عنهم من المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء فنزلوا قريباً من المدينة فباتوا تحت السماء فلما أصبح أولياء الله المطيعون لأمر الله تعالى غدوا لينظروا ما حال أهل المعصية فأتوا باب المدينة فإذا هو مصمت فدقوه فلم يجابوا ولم يسمعوا منها حساً أحد

١- التحرف الميل إلى حرف: أي طرف، مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٦، مادة «حرف».

٢- تفسير الإمام العسكري: ص ٢٦٨ - ٢٧٠. ٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

٤- انحاز عنه: عدل. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٧، مادة «حيز».

٥- الأنعام: ٤٤، والأعراف: ١٦٥.

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَن يَسُوءُهُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾

فوضعوا سُلماً على سور المدينة ثم أصدعوا رجلاً منهم فأشرف على المدينة فنظر فإذا هو بالقوم قردةً يتعاونون، فقال الرجل لأصحابه: يا قوم أرى والله عجباً! قالوا: وما ترى؟ قال: أرى القوم قد صاروا قردةً يتعاونون، لها أذناب، فكسروا الباب ودخلوا المدينة، قال: فعرفت القردة أنسابها من الإنس، ولم يعرف الإنس أنسابها من القردة، فقال القوم للقردة: أَلَمْ نَنهَكُم؟ قال: فقال عليٌّ عليه السلام: والله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة أتى لأعرف أنسابها من هذه الأمة لا ينكرون ولا يغيرون بل تركوا ما أمروا به ففترقوا، وقد قال الله: «فَبَعْدُ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»^(١) فقال الله: «أُنْجِنَا الَّذِينَ يَهْتَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ»^(٢).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية: كانوا ثلاثة أصناف صنف إئتمروا وأمروا: فنجوا، وصنف إئتمروا ولم يأمرُوا ففسخوا ذرّاً، وصنف لم يأتمروا ولم يأمرُوا فهلكوا^(٣).
والعياشي: عن الباقر عليه السلام ما في معناه^(٤).

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام هلكت الفرقتان^(٥)، ونجت الفرقة الثالثة^(٦).
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾: تفعل، من الإيذان بمعنى الإعلام والعزم، والإقسام معناه واذكر إذا علم أو عزم ربك وأقسم.

١- المؤمنون: ٤١. ٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٣ - ٣٤، ح ٩٣.

٣- الكافي: ج ٨، ص ١٥٨، ح ١٥١. ٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٥، ح ٩٧.

٥- وفي نسخة: [الفرقان].

٦- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٩٣، س ١١، وفيه «ونجت الفرقة الناهية».

وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ
ذَلِكَ وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾

﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾: ليسلطن على اليهود.

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَن يَسُؤُهُمْ﴾: يكلفهم.

﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: شدته بالقتل والإذلال، وضرب الجزية.

قال: بعث الله عليهم من بعد سليمان بخت نصر فخرَّب ديارهم، وقتل مقاتليهم، وسبي نساءهم وذرائعهم، وضرب الجزية على من بقي منهم، وكانوا يؤدونها إلى المجوس حتى بعث الله محمداً ﷺ ففعل ما فعل، وضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة إلى آخر الدهر (١).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام إن المعنى بهم: أمة محمد ﷺ (٢).

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: عاقبهم في الدنيا.

﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لمن تاب وآمن.

﴿وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾: وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو بلد من فرقة

منهم.

﴿مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾: هم الذين آمنوا بالله ورسوله.

﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾: ناس دون ذلك، أي منحطون عن الصلاح، وهم كفرتهم

وفسقتهم.

﴿وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾: بالنعم والنقم والمسخ والمحن.

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٥.

٢- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٤٩٤.

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ
هَذَا الْأَذْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ
يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمِ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَىٰ
اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَىٰ خَيْرٌ لِلَّذِينَ
يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: ينتهون فينبون^(١).

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: بدل سوء وهو بالتسكين شائع في الشرّ، وبالتحريك

في الخير، وقيل المراد به: الَّذِينَ كَانُوا فِي عَصْرِ النَّبِيِّ ﷺ^(٢).

﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾: التوراة من أسلافهم.

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَىٰ﴾: حطام هذا الشيء الأدنى، يعني الدنيا.

قيل: هو ما كانوا يأخذون من الرّشا في الحكم، وعلى تحريف الكلم للتسهيل على

العامّة^(٣).

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه.

﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾: أي يرجون المغفرة وهم مصرّون عايدون

إلى مثل فعلهم غير تائبين عنه.

﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمِ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾: الميثاق في التوراة.

١- وفي نسخة [ينتھون ويرجعون] وفي نسخة أخرى [يتنبھون فينبون].

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٥.

٣- قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ١٧٤، س ٥، وراجع تفسير أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٥.

وَالَّذِينَ يُسْكُونُ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ
الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧﴾

﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾: بَأَنْ لَا يَكْذِبُوا عَلَى اللَّهِ وَلَا يُضِفُوا إِلَيْهِ إِلَّا مَا

أَنْزَلَهُ.

﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾: وقرأوا ما فيه، فَهُمْ ذَاكِرُونَ لذلك.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام إِنَّ اللَّهَ خَصَّ عِبَادَهُ بِأَيَّتَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ أَنْ لَا يَقُولُوا حَتَّى يَعْلَمُوا، وَلَا يَرُدُّوهُمَا لَمْ يَعْلَمُوا، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ»، وقال: «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ» (١)(٢).

والعياشي: عنه وعن الكاظم عليه السلام ما يقرب منه (٣).

﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: محارم الله مما يأخذ هؤلاء..

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فيعلمون ذلك، وقرئ بالخطاب.

﴿وَالَّذِينَ يُسْكُونُ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾: إِمَّا عَطَفَ عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ، وَإِمَّا اسْتِنَافٌ وَوَضَعَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَاهُ، وَلِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ الْإِصْلَاحَ مَانِعٌ عَنِ الْإِضَاعَةِ، وَقُرِئَ يُسْكُونُ بِالتَّخْفِيفِ مِنَ الْإِمْسَاكِ.

القمي: عن الباقر عليه السلام نزلت في آل محمد (صلوات الله عليهم) وأشياعهم (٤).

١- يونس: ٣٩.

٢- الكافي: ج ١، ص ٤٣، ح ٨- باب النهي عن القول بغير علم.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٥-٣٦، ح ٩٨ و ٩٩.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٦.

وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا
 مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ
 أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى
 أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾: قلعناه ورفعناه وأصله الجذب.

﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾: سقيفة، وهي كل ما أطل.

﴿وَظَنُّوا﴾: وتيقنوا.

﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾: ساقط عليهم، لأن الجبل لا يثبت في الجو ولأنهم كانوا يوعدون
 به، قيل: إنما أطلق الظن لأنه لم يقع متعلقه^(١).

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: بعزم من قلوبكم وأبدانكم، العياشي: عن
 الصادق عليه السلام إنه سئل عن هذه الآية أقوة في الأبدان أم قوة في القلوب؟ قال: فيها جميعاً^(٢).

﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾: من الأوامر والنواهي.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: القمي: عن الصادق عليه السلام لما أنزل الله التوراة على بني إسرائيل لم
 يقبلوه فرفع الله عليهم جبل طور سيناء، فقال لهم موسى عليه السلام: إن لم تقبلوه وقع عليكم الجبل
 فقبلوه وطأطأوا رؤوسهم^(٣)، وقد مضى تفسيره في سورة البقرة بأبسط من هذا^(٤).

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: وقرئ ذرياتهم، أخرج

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٦.

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٧، ح ١٠١. ٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٦.

٤- البقرة: ذيل الآية ٦٣ و ٩٣.

من أصلاهم نسلهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن، يعني نثر حقائقهم بين يدي علمه فاستنطق الحقائق بالسنة قابليات جواهرها وألسن استعدادات ذواتها.

﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾: أي ونصب

لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة الإشهاد على طريقة التمثيل، نظير ذلك قوله عز وجل: «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»^(١) وقوله جل وعلا: «فَقَالَ هَآ وَلِلْأَرْضِ آتِينَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ»^(٢)

ومعلوم أنه لا قول ثمة وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى وذلك حين كانت أنفسهم في أصلا آبائهم العقلية، ومعادهم الأصلية يعني شاهدتهم وهم دقائق في تلك الحقائق، وعبر عن تلك الآباء بالظهور لأن كل واحد منهم ظهر أو مظهر لطائفة من النفوس أو ظاهر عنده لكونه صورة عقلية نورية ظاهرة بذاتها وأشهدهم على أنفسهم أي أعطاهم في تلك النشأة الإدراكية العقلية شهود ذواتهم العقلية، وهوياتهم التورية فكانوا بتلك القوى العقلية يسمعون خطاب «ألسنت برّبكم» كما يسمعون الخطاب في دار الدنيا بهذه القوى البدنية وقالوا بالسنة تلك العقول بلى أنت ربنا الذي أعطيتنا وجوداً قدسياً ربانياً، سمعنا كلامك وأجبنا خطابك، ولا يبعد أيضاً أن يكون ذلك النطق باللسان الملكوتي في عالم المثالي الذي دون عالم العقول^(٣) فإن لكل شيء ملكوتاً في ذلك العالم كما أشار إليه بقوله سبحانه: «فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ»^(٤) والملكوت باطن الملك، وهو كله حياة، ولكل ذرة لسان ملكوتي ناطق بالتسبيح والتوحيد، والتمجيد^(٥) وبهذا اللسان نطق الحصى في كف النبي ﷺ، وبه تنطق الأرض يوم القيامة «يومئذ تحدث أخبارها»^(٦) وبه تنطق الجوارح «أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء»^(٧).

١- النحل: ٤٠. ٢- فصلت: ١١.

٣- وفي نسخة: [العقل]. ٤- يونس: ٨٣.

٥- وفي نسخة: [بالتسبيح، والتمجيد، والتوحيد، والتمجيد].

٦- الزلزلة: ٤. ٧- فصلت: ٢١.

أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ
 أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ
 وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

﴿أَنْ تَقُولُوا﴾: أي كراهة أَنْ تقولوا، وقرئ بالياء.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَفِيلِينَ﴾: لم تنبه عليه.

﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ﴾: فافتدينا

بهم لأن التقليد عند قيام الحجة والتمكّن من العلم بها لا يصلح عذراً.

﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾: يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك.

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: عن التقليد واتباع الباطل.

في الكافي^(١)، والتوحيد^(٢)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام إنه سئل عن هذه الآية؟ فقال:

أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرّ فعرفهم نفسه وأراهم صنعه ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه^(٣).

وفي الكافي: عنه عليه السلام^(٤)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن هذه الآية؟

فقال: وأبوه يسمع حديثي أبي أن الله عزّ وجلّ قبض قبضة من تراب التربة التي

خلق آدم عليه السلام منها فصب عليها الماء العذب الفرات ثم تركها أربعين صباحاً، ثم صبّ

١- الكافي: ج ٢، ص ١٣، ح ٤، باب فطرة الخلق على التوحيد.

٢- التوحيد: ص ٣٣٠، ح ٩، باب ٥٣، فطرة الله عزّ وجلّ الخلق على التوحيد.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٠، ح ١١١.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٧، ح ٢، باب آخر منه وفيه زيادة وقوع التكليف الأول.

عليها الماء المالح الأجاج^(١) فتركها أربعين صباحاً، فلما اختمرت الطينة أخذها فعركها^(٢) عركاً شديداً فخرجوا كالذّر من بينه وشماله، وأمرهم جميعاً أن يقفوا في النار فدخل أصحاب اليمين فصارت عليهم برداً وسلاماً، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها^(٣).

وعن الصادق عليه السلام: أنه سئل كيف أجابوا وهم ذرّ؟ فقال: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه^(٤). وزاد العياشي يعني في الميثاق^(٥).

أقول: وهذا بعينه ما قلناه أنه عزّ وجلّ ركب في عقولهم ما يدعوههم إلى الإقرار. وعنه عليه السلام: لما أراد الله أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: من ربكم؟ فأول من نطق رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام فقالوا: أنت ربنا فحمّلهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون، ثم قال لبني آدم أقرّوا بالله^(٦) بالزبويّة، وهؤلاء التفّر بالولاية والطاعة، فقالوا: نعم ربنا أقررنا، فقال الله للملائكة: اشهدوا فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا تقولوا غداً: «إنّا كنّا عن هذا غافلين أو تقولوا» الآية^(٧).

والقمتي: عنه عليه السلام في هذه الآية أنه سئل معانيته كان هذا؟ قال: نعم فشبتت المعرفة ونسوا الموقف، وسيذكرونه ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه، فمنهم من أقرّ بلسانه في الذّر، ولم يؤمن بقلبه فقال الله: «فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل»^(٨)^(٩).

١- الأجاج: المالح المرّ الشديد الملوحة، يقال: أج الماء يؤج أجوجاً إذا ملح واشتدت ملوحته. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٧٣، مادة «أجج».

٢- عرك البعير جنبه بمرفقه: إذا دلكه فأثر فيه. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٨٢، مادة «عرك».

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٩، ح ١٠٩.

٤- الكافي: ج ٢، ص ١٢، ح ١، باب كيف أجابوا وهم ذرّ.

٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٧، ح ١٠٤. ٦- وفي نسخة: [أقرّوا بالله بالزبويّة].

٧- الكافي: ج ١، ص ١٣٢-١٣٣، ح ٧، باب العرش والكرسي.

٨- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٨. ٩- يونس: ٧٤.

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ
الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾

والعياشي: عنه وعن أبيه عليه السلام ما في معناه إلى قوله: ورازقه ^(١).

وفي رواية أخرى له: وأسّر بعضهم خلاف ما أظهر ^(٢).

وفي معنى هذه الأخبار: أخبار كثيرة منها: ما هو أبسط مما ذكر، وقد شرحنا بعضها بما لا مزيد عليه في كتابنا الوافي ^(٣).

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾: القمي: نزلت في بلعم بن باعورا، وكان من بني إسرائيل أوتي علم بعض كتب الله ^(٤).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام الأصل فيه بلعم ثم ضربه الله مثلاً لكل مؤثر هواه على هدى الله من أهل القبلة ^(٥).

والعياشي: عنه عليه السلام مثل المغيرة بن شعبة مثل بلعم الذي أوتي الاسم الأعظم الذي قال الله تعالى: «آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا» ^(٦) الآية.

﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾: بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره.

﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾: فلحقه الشيطان وأدركه وصار قريناً له.

﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾: من الضالين.

القمي: عن الرضا عليه السلام أنه أعطى بلعم بن باعورا الاسم الأعظم وكان يدعوه به

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٩، ح ١٠٨. ٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٢، ح ١١٧.

٣- الوافي: ج ٤، ص ٣٨-٤٢، باب ١- طينة المؤمن والكافر وما يتعلق بذلك.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٨. ٥- مجمع البيان: ج ٣-٤، ص ٥٠٠، س ١٦.

٦- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٢، ح ١١٨.

وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
فَتَنَّهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ
مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾

فيستجيب له فقال إلى فرعون فلما مرَّ فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون: لبلعم أَدع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا فركب حمارته ليمرَّ في طلب موسى فامتنعت عليه حمارته فأقبل يضربها فأطقتها الله عزَّ وجلَّ فقالت: ويليك على ماذا تضربني أنريدني أن أجيء معك لتدعو على نبيِّ الله وقوم مؤمنين، فلم يزل يضربها حتى قتلها وانسلخ الاسم من لسانه وهو قوله تعالى «فانسلخ منها»^(١) الآية.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾: إلى منازل الأبرار من العلماء.

﴿بِهَا﴾: بتلك الآيات وملازماتها.

﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾: مال إلى الدنيا.

﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾: في إيهام الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات

فحططناه.

﴿فَتَنَّهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ﴾: فصفته كصفة الكلب في أخسِّ أحواله.

﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾: بالزجر، والطرْد، من الحملة لا من الحمل.

﴿يَلْهَثْ﴾: يخرج لسانه بالتنفس الشديد.

﴿أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾: دائم اللَّهث بخلاف سائر الحيوان فإنه إذا هَيَّجَ وحَرَكَ لهث وإلاَّ

سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا
يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ
الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا
يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾

لم يلهث، والمعنى إن وعظته فهو ضالّ وإن لم تعظه فهو ضال، ضال في كلّ حال.

﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾: المذكور.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فيتعظون ويحذرون مثل عاقبته.

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أي مثلهم.

﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾: لا غيرهم.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: قيل:

الإفراد في الأوّل والجمع في الثّاني لإعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على أنّ المهتدين كواحد لإتحاد
طريقتهم بخلاف الضّالّين^(١).

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾: خلقنا.

﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا

يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام لهم قلوب لا يفقهون
بها، يقول: طبع الله عليها فلا تعقل، ولهم أعين عليها غطاء عن الهدى لا يبصرون، بها ولهم

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

آذان لا يسمعون بها، جعل في آذانهم وقرأ فلم يسمعوا الهدى^(١).
﴿أَوَلَيْسَ كَالْأَنْعَمِ﴾: في عدم الفقه والاستبصار للإعتبار والاستماع للتدبر وفي أن
مشاعرهم وقواهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها.
﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾: فاتها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار، وتجتهد في
جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار.
﴿أَوَلَيْسَ كَالْغَنَافِلِ﴾: الكاملون في الغفلة.
في العلل: عن أمير المؤمنين عليه السلام إن الله ركَّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركَّب في
البهائم شهوة بلا عقل، وركَّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة،
ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم^(٢).
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾: التي هي أحسن الأسماء لتضمنها معاني هي أحسن
المعاني، القمّي: قال: الرحمن الرحيم^(٣).
﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾: فسموه بتلك الأسماء، في الكافي: عن الرضا عليه السلام أنه سئل عن الاسم
فقال: صفة لموصوف^(٤).

والعياشي: عنه عليه السلام قال: إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله وهو قول الله: «وَلِلَّهِ

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٩.

٢ - علل الشرائع: ص ٤ - ٥، ح ١، باب ٦ - العلة التي من أجلها صار في الناس من هو خير من الملائكة وصار

فيهم من هو شر من البهائم. ٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٩.

٤ - الكافي: ج ١، ص ١١٣، ح ٣، باب حدوث الأسماء، وورد في معاني الأخبار: ص ٢، ح ١، باب معنى الاسم.

وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا»، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: نحن والله الأسماء الحسنی الذي لا يقبل من أحد طاعة إلا بمعرفتنا، قال: «فادعوه بها»^(١).

وقد مضى تمام تحقيق معنى الإِسْمِ في أوائل سورة البقرة^(٢).

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: وقرئ بفتح الياء والحاء وهو بمعناه، أي واتركوا الذين يعدلون بأسمائه عما هي عليه فيسمون بها أصنامهم، أو يصفونه بما لا يليق به، ويسمونه بما لا يجوز تسميته به.

في الكافي: عن الرضا عليه السلام أَنَّ الْخَالِقَ لَا يوصف إِلَّا بما وصف به نفسه، وأتى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والأبصار على الإحاطة به، جلَّ عما يصفه الواصفون، وتعالى عما ينعتة الناعتون^(٣).

وفي التوحيد: عن الصادق عليه السلام في حديث طويل وله الأسماء الحسنی التي لا يسمی بها غيره، وهي التي وصفها في الكتاب فقال: «فادعوه بها وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ» جهلاً بغير علم، فالذي يلحد في أسمائه بغير علم يشرك وهو لا يعلم، ويكفر به وهو يظن أنه يحسن، ولذلك قال: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ»^(٤) فهم الذين يلحدون في أسمائه بغير علم فيضعونها في غير مواضعها^(٥).

﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٢، ح ١١٩. ٢- ذيل الآية: ٣١.

٣- الكافي: ج ١، ص ١٣٨، ح ٣. باب جوامع التوحيد.

٤- يوسف: ١٠٦. ٥- التوحيد: ص ٥٨، ح ١٦، باب ٢.

يَعْدِلُونَ^(١): في الكافي: عن الصادق^(١)، والعياشي: عن الباقر^(٢) في هذه الآية: هم الأئمة^(٣).

وفي المجمع: عنها^(٤) قالوا: نحن هم^(٥).

والقمي: هذه الآية لآل محمد^(٦)، وأتباعهم^(٧).

والعياشي: عن أمير المؤمنين^(٨) والذي نفسي بيده لتفرقن هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة: «وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» فهذه التي تنجو من هذه الأمة^(٩)، وعنه^(١٠): يعني أمة محمد^(١١).

وفي المجمع: عن النبي^(١٢) هذه لكم وقد أعطي قوم موسى مثلها^(١٣).

وعنه^(١٤) هي لأمتي بالحق يأخذون، وبالحق يعطون، وقد أعطي لقوم بين أيديكم مثلها «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون»^(١٥).

أقول: أريد بهذه الأخبار الثلاثة بعض الأمة كما يدل على قوله: «مثلها» وما رواه في المجمع: أن من أمتي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم^(١٦).

«وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ»: سنستدريجهم قليلاً قليلاً إلى الهلاك حتى يقعوا فيه بغتة، وأصل الاستدراج: الاستصعاد أو الاستنزال. درجة بعد درجة.

«مَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ»: ما يراد بهم، وذلك أن تتواتر عليهم النعم فيظنون أنها لطف من الله بهم فيزدادوا بطراً وإنها كآ في الغي حتى تحقق عليهم كلمة العذاب.

القمي: قال تجديد النعم عند المعاصي^(١٧).

١- الكافي: ج ١، ص ٤١٤، ح ١٣، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٢، ح ١٢٠. ٣- مجمع البيان: ج ٣، ص ٥٠٣، س ١٧.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٩. ٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٣، ح ١٢٢.

٦- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٣، ح ١٢٣. ٧- مجمع البيان: ج ٣، ص ٥٠٣.

٨- الأعراف: ١٥٩. ٩- مجمع البيان: ج ٣، ص ٥٠٣.

١٠- مجمع البيان: ج ٣، ص ٥٠٣. ١١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٩.

وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مَنْ
جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ
يَكُونُ قَدْ أَفْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبَأَى حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن هذه الآية؟ فقال: هو العبد يذنب الذنب فتجدد له النعمة معه تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب (١).

وعنه عليه السلام: إذا أراد الله بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة ويذكره الاستغفار، وإذا أراد بعبد شراً فأذنب ذنباً فأتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار، ويتأدى بها وهو قول الله عز وجل: «سنستدرجهم من حيث لا يعلمون» بالنعم عند المعاصي (٢).

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: وأمهلهم.

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: لا يدفع بشيء إنما ساء كيداً لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان.

﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾: يعني محمد ﷺ.

﴿مَنْ جَنَّةٍ﴾: أي جنون، روي أنه ﷺ صعد على الصفا فدعاهم فخذأ فخذأ (٣).

يحدّثهم بأس الله، فقال قائلهم: إن صاحبكم لمجنون بات يهوت (٤) إلى الصباح (٥) فنزلت.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: موضح إنذاره بحيث لا يخفى على ناظر.

١- الكافي: ج ٢، ص ٤٥٢، ح ٣، باب الاستدراج.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٤٥٢، ح ١، باب الاستدراج.

٣- الفخذ - بالكسر فالكسكون للتخفيف - دون القبيلة وفوق البطن. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٨٥، مادة «فخذ».

٤- هَوَتْ به تهريئاً: صاح. القاموس المحيط: ج ١، ص ١٦٠، مادة «هوت».

٥- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٩.

مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾
 يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ
 رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعَتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا
 تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ كَافٍ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ
 اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

﴿أُولَمْ يَنْظُرُوا﴾: نظر اعتبار.

﴿فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: في باطنها وأرواحها.

﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾: مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس خلقه التي لا

يمكن حصرها لتدبهم على كمال قدرة صانعها، ووحدة مبدعها، وعظم شأن مالكتها، ومتولي أمرها ليظهر لهم صحة ما يدعوههم إليه.

﴿وَأَنْ عَسَى﴾: وأنه عسى.

﴿أَنْ يَكُونَ قَدْ أَقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾: يعني أولم ينظروا في اقتراب آجالهم، وتوقع حلولها

فيسارعوا إلى طلب الحق والتوجه إلى ما ينجيهم قبل مغافصة^(١) الموت ونزول العذاب.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾: بعد القرآن.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: إذا لم يؤمنوا به، والمعنى ولعل أجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون

الإيمان بالقرآن؟ وماذا ينتظرون بعد وضوحه؟ فإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا؟

﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: القمّي قال:

١ - غافسه: فاجأه، وأخذه على غرة. «القاموس المحيط: ج ٢، ص ٣١٠، مادة «غفص».

يكله إلى نفسه^(١)، وقرئ يذرهم بالياء، وبالجزم، كأنه قيل: لا يئده أحد غيره ويذرهم^(٢).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾: أي القيامة، وهي من الأسماء الغالبة.

﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾: متى إرساؤها، أي اثباتها واستقرارها.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾: استأثر به^(٣) لم يطلع الله عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً

مرسلاً.

﴿لَا يُجَلِّئُهَا لِوَقْتِهَا﴾: لا يظهرها في وقتها.

﴿إِلَّا هُوَ﴾: يعني إن الخفاء بها مستمر على غيره إلى وقت وقوعها، واللام للتوقيت.

﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين

لهولها وشدتها.

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: فجأة على غفلة. في الجوامع: عن النبي ﷺ إِنَّ السَّاعَةَ تَهْجِعُ

بِالنَّاسِ وَالرَّجُلُ يَصْلَحُ حَوْضَهُ، وَالرَّجُلُ يَسْقِي مَاشِيَتَهُ، وَالرَّجُلُ يَقُومُ سَلْعَتَهُ فِي سَوْقِهِ،

وَالرَّجُلُ يَخْفِضُ مِيزَانَهُ وَيُرْفَعُهُ^(٤).

﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾: قيل: أي عالم بها وأصله كأنك أحفيت بالسؤال

حَتَّى عَلِمْتَهَا أَيْ اسْتَقْصَيْتَ وَأَلْهَفْتَ^(٥).

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: لم يؤته أحدًا من خلقه لأنه من علم الغيب الذي استأثر

الله به.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: إنه المختص بالعلم بها.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٩.

٢- اقتباس من الكشف: ج ٢، ص ١٨٣، وإليك نصه: قرئ «يذرهم» بالياء والنون، والرفع على الإستئناف، و«يذرهم» بالياء والجزم عطفًا على محل «فلا هادي له»، كأنه قيل: من يضل الله لا يهده أحد ويذرهم.

٣- استأثر فلان بالشيء: استبد به، والإسم الأثرة بالتحريك. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٩٩، مادة «أثر».

٤- جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٨٧.

٥- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٨٠، وجوامع الجامع: ج ١، ص ٤٨٧.

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ
 أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا
 إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ
 نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا
 حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبُّهَا لَعَنَ
 الْبَاطِلَ وَأَتَيْنَا صَلَاحًا لِّكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾

القمي: إن قريشاً بعثت العاص بن وائل السهمي، والتضرع بن الحارث بن كلدة، وعقبة
 ابن أبي معيط إلى نجران ليتعلموا من علماء اليهود مسائل يسألونها رسول الله ﷺ وكان فيها
 سلوا محمداً ﷺ متى تقوم الساعة؟ فإن ادعى علم ذلك فهو كاذب فإن قيام الساعة لم يطلع الله
 عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا، فلما سألوه نزلت (١).

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: جلب نفع ولا دفع ضرر، وهو إظهار
 للعبودية والتبري عن إدعاء العلم بالغيوب.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: من ذلك فيلهمني إياه ويوفقي له.

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾: في
 المعاني (٢)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام يعني الفقر (٣).

والقمي: قال: كنت أختار لنفسي الصحة والسلامة (٤).

﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: فإنهم المنتفعون به.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾: هي نفس آدم.

٢- معاني الأخبار: ص ١٧٢، ح ١، باب معنى السوء.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٩.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٥٠.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٣، ح ١٢٤.

فَلَمَّا ءَاتَهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَىٰ اللَّهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾: من فضل طينها.

﴿زَوْجَهَا﴾: حواء عليها السلام.

﴿لَيْسَكُنَّ إِلَٰهًا﴾: ليستأنس بها ويطمنن إليها.

﴿فَلَمَّا تَفَشَّيْنَاهَا﴾: جامعها.

﴿حَمَلْتُ حَمْلًا خَفِيفًا﴾: خَفَّ عليها.

﴿فَرَرْتُ بِهِ﴾: أي استمرت بالحمل.

﴿فَلَمَّا أَثْقَلْتُ﴾: صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها.

﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَّا صَٰلِحًا﴾: ولد أسويأً بريئاً من الآفة.

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا
ءَاتَاهُمَا﴾: وقرئ شركاً بالمصدر.

﴿فَتَعَالَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: القمي^(١)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام هما آدم وحواء
وإنما كان شركهما شرك طاعة، وليس شرك عبادة^(٢).

وزاد القمي قال: جعلاً للحارث نصيباً في خلق الله ولم يكن أشركاً إبليس في عبادة الله
بعد أن ذكر في ذلك حديثاً مبسوطاً رواه عن الباقر عليه السلام موافقاً لما روته العامة فيه مما لا يليق
بالأنبياء عليهم السلام^(٣).

والمستفاد من ذلك الحديث أن معنى إشراكهما فيما آتاها الله تسميتهما أولادهما

٢ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٣، ح ١٢٥.

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٥٣.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٥٣.

أُيْشِرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ
لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾

بعبد الحارث، والحارث اسم إبليس، وإبليس قد حملها على ذلك بتغيره.

وقيل: معناه التسمية بعبد عزّى، وعبدمنة، وعبد يغوث، وما أشبه ذلك من أسماء الأصنام، ومعنى - جعل له - جعل أولادها له شركاء فيما أتى أولادها على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في الموضعين^(١).

وفي العميون: عن الرضا عليه السلام أنه قال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك إن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، قال: فما معنى قول الله عز وجل: «فَلَمَّا أَتَاهَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا»؟ فقال له الرضا عليه السلام: إن حواء ولدت لآدم عليه السلام خمسمائة بطن في كل بطن ذكر وأنثى، وأن آدم وحواء عاهد الله تعالى ودعواه وقالوا: لئن آتيتنا صالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَالِحًا مِنَ النَّسْلِ خَلَقَا سُوِيًّا بَرِئًا مِنَ الرِّمَانَةِ وَالْعَاهَةِ كَأَنَّ مَا أَتَاهُمَا صَنَفَيْنِ: صَنَفًا ذَكَرَانًا، وَصَنَفًا إِنَاثًا، فَجَعَلَ الصَّنَفَانِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا أَتَاهُمَا، وَلَمْ يَشْكُرَاهُ كَشَكَرَ أَبُوَيْهِمَا لَهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» فقال المأمون: أشهد أنك ابن رسول الله ﷺ حقًا^(٢).

﴿أُيْشِرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾: يعني الأصنام.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾: لعبدتهم.

﴿نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾: فيدفعون عنها ما يضرّ بها^(٣).

١ - الكشف: ج ٢، ص ١٨٧ - ١٨٨، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٨٠ - ٣٨١.

٢ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٩٦ - ١٩٧، ح ١، باب ١٥ - ذكر مجلس آخر للرّضا عليه السلام عند المأمون في

عصمة الأنبياء عليه السلام. - وفي نسخة: [ما يعترها].

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ
 أَمْ أَنْتُمْ صَمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ
 أَمْثَالِكُمْ فادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾
 أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ
 يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ
 ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٩٥﴾

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾: يحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون
 الخطاب للمسلمين، و «هم» ضمير المشركين، يعني إن تدعوا المشركين إلى الإسلام لا
 يجيبوكم.

والثاني: أن يكون الخطاب للمشركين و «هم» ضمير الأصنام، يعني إن تدعوا
 الأصنام إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم، ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله، وقرئ يتبعوكم
 بالتخفيف.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِتُونَ﴾ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ: أي تعبدونهم وتسعونهم آلهة من دونه سبحانه.
 ﴿عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ﴾: مملوكون مسخرون.
 ﴿فادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾: في مهماتكم.
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إنهم آلهة.
 ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ
 بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾: واستعينوا بهم في عداوتي.
 ﴿ثُمَّ كِيدُوا﴾: فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكر وهي أنتم وشركاؤكم.

إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا
أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا
وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خذِ الْعَفْوَ
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾

﴿فَلَا تَنْظُرُونَ﴾: فلا تمهلوني فإني لا أبالي بكم لو ثوقني على ولاية الله وحفظه.

﴿إِنَّ وَلِيََّ﴾: ناصري وحافظي.

﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ﴾: القرآن.

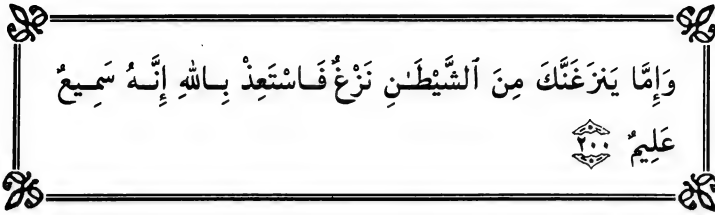
﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾: ينصرهم ويحفظهم^(١).

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾
وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾:
يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوّروا بصورة من ينظر إلى من يواجهه.

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾: أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما تأتي منهم من غير
كلفة وتسهل ولا تطلب ما يشقّ عليهم، ولا تدّاقهم، واقبل الميسور منهم، ونحوه قوله ﷺ:
«يسرّوا ولا تعسّروا»^(٢) من العفو الذي هو ضدّ الجهد.

١ - وفي الكافي: ج ١، ص ٦٢٤، ح ٢١، باب فضل القرآن، عن أمير المؤمنين عليه السلام من قرأ هذه الآية: «الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين»، و«وما قدروا الله حقّ قدره» إلى قوله سبحانه وتعالى: «عَمَّا يَشْرُكُونَ» الزمر: ٦٧، فمن قرأها فقد أمن الحرق والغرق، قال: فقراها رجل واضطربت النار في بيوت جيرانه وبيته وسطها فلم يصبه شيء، وفي من لا يحضره الفقيه: عن النبي ﷺ: «أمان لأمتي من الحرق «إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي» الآية و«ما قدروا الله حقّ قدره»، منه يترى.

٢ - جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٩١.



العيّاشي: عن الصادق عليه السلام أنّ الله أدّب رسوله ﷺ بذلك أي خذ منهم ما ظهر وما تيسر قال: والعفو: الوسط (١).

وفي الفقيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لرجل من ثقيف: إياك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً في درهم خراج أو تبيع دابّة عمل في درهم، فإنّا أمرنا أن نأخذ منه العفو (٢).

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: بالمعروف الجميل من الأفعال، والحميد من الأخلاق.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَنِهِلِينَ﴾: ولا تمار السفهاء، ولا تتكافئهم بمثل سفههم.

في الجمع: روي أنّه لما نزلت هذه الآية سأل رسول الله ﷺ جبرئيل عليه السلام عن ذلك فقال: لا أدري حتى أسأل العالم، ثمّ أتاه فقال: يا محمد إنّ الله يأمرك أن تعفوا عمّن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك (٣).

وفي الجوامع: عن الصادق عليه السلام أمر الله نبيّه بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها (٤).

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام إنّ الله أمر نبيّه ﷺ بمداواة النّاس، فقال: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» (٥).

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾: يتخسّنك منه نخس في القلب يوسوسك

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٣، ح ١٢٦.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٣، ح ٩٣٤ / ٩، باب ٥- الأضناف التي تجب عليها الزكاة.

٣- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٥١٢.

٤- جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٩١.

٥- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٥٦، ح ٩، باب ٢٦- ماجاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار النادرة في فنون شتى.

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾

على خلاف ما أمرت به كاعتراء غضب، والزرع، والتسغ، والتسحس: والغرز بمعنى، شبهه وسوسته للناس إغراء لهم على المعاصي، وإزعاجاً بغرز السائق ما يسوقه^(١).
في المجمع: لما نزلت الآية السابقة قال النبي ﷺ: كيف يا رب والغضب، فنزلت «وإما ينزغنك من الشيطان نزغ»^(٢).

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾: يسمع استعاذتك.

﴿عَلِيمٌ﴾: يعلم ما فيه صلاح أمرك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾: لمة^(٣) منه كأتها طافت بهم ودارت حولهم ولم تقدر أن تؤثر فيهم، وقرئ طيف بغير ألف.
﴿تَذَكَّرُوا﴾: ما أمر الله به ونهى عنه.

﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾: بمواقع^(٤) الخطأ ومكائد الشيطان فيحترزون عنها.

في الكافي^(٥)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام هو العبد يهيم بالذنوب، ثم يتذكر فيمسك^(٦).
وفي رواية: فيدعه^(٧)، وفي أخرى فيبصر ويقصر^(٨).

والقمي: قال: إذا ذكرهم الشيطان المعاصي وحملهم عليها يذكرون اسم الله فإذا

١- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٨٢. ٢- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٥١٢ - ٥١٣.

٣- اللمة: الهمّة والخطرة تقع في القلب، أراد إلمام الملك أو الشيطان به والقرب منه فإكان من خطرات الخير فهو من الملك وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان. النهاية لابن الأثير: ج ٤، ص ٢٧٣.

٤- وفي نسخة: [مواقع الخطأ]. ٥- الكافي: ج ٢، ص ٤٣٤ - ٤٣٥، ح ٧، باب التوبة.

٦- لم نعثر عليه في تفسير العياشي والظاهر سهر من قلمه الشريف.

٧- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٤، ح ١٣٠. ٨- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٤، ح ١٢٩.

وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي أَلْغَىٰ ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ
بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا آجْتِيَينَاهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي
هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا
قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾

هم مبصرون (١).

﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾: وإخوان الشياطين، يعني الذين لم يتقوا.

﴿يَمُدُّوهُمْ﴾: الشياطين، وقرئ بضم الياء وكسر الميم.

﴿فِي أَلْغَىٰ﴾: بالتزيين والحمل عليه.

﴿ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ﴾: لا يسكون عن إغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا فيهلكوا أو لا

يقصر الإخوان عن النفي.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾: من القرآن، أو بآية مما اقترحوه.

﴿قَالُوا لَوْلَا آجْتِيَينَاهَا﴾: هلا جمعناها، نقولاً من عند نفسك كسائر ما تقرأ، أو هلا

طلبتها من الله.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾: لست بمخترق للآيات أو لست بمقترح لها.

﴿هَذَا﴾: القرآن.

﴿بَصَائِرُ﴾: للقلوب بها تبصر الحق.

﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا

لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: قيل: نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فأمرُوا باستماع

قراءة الإمام والإنصات له^(١).

وفي الفقيه: عن الباقر عليه السلام إن كنت خلف إمام فلا تقرأ شيئاً في الأوليين وأنصت لقراءته، ولا تقرأ شيئاً في الأخيرتين فإن الله عز وجل يقول للمؤمنين: «وإذا قرئ القرآن» يعني في الفريضة خلف الإمام «فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون» والأخيرتان تبعاً للأولتين^(٢).

وفي التهذيب: عن الصادق عليه السلام إذا كنت خلف إمام تتولاه وتثق به فإنه تجزيك قراءته وإن أحببت أن تقرأ فاقراً فيما يخافت فيه فإذا جهر فأنصت قال الله تعالى: «وأنصتوا لعلكم ترحمون»^(٣).

والعياشي: عن أحدهما عليه السلام قال: إذا كنت خلف إمام تأتم به فأنصت وسبّح في نفسك^(٤).

وعن الصادق عليه السلام: يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وفي غيرها، وإذا قرئ عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع^(٥).

وفي التهذيب: عنه عليه السلام إنه سئل عن الرجل يؤم القوم وأنت لا ترضى به في صلاة يجهر فيها بالقراءة فقال: إذا سمعت كتاب الله يتلى فأنصت له، قيل: فإنه يشهد علي بالشرك، قال: إن عصى الله فأطع الله فرددت عليه فأبى أن يرخص لي، قيل: أصلي إذن في بيتي ثم أخرج إليه.

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٨٣.

٢ - من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٥٦، ح ١١٦٠ / ٧٠، باب ٥٦ - الجماعة وفضلها، وفيه: «والأخيرتان تبعاً للأولتين».

٣ - تهذيب الأحكام: ج ٣، ص ٣٣، ح ١٢٠ / ٣٢، باب ٣ - أحكام الجماعة، وأقل الجماعة، وصفة الإمام، ومن يقتدى به ومن لا يقتدى به، والقراءة خلفها، وأحكام المؤتمين، وغير ذلك من أحكامها.

٤ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٤، ح ١٣٤، وتهذيب الأحكام: ج ٣، ص ٣٢ - ٣٣، ح ١١٦ / ٢٨، باب ٣ - أحكام الجماعة، وأقل الجماعة، وصفة الإمام، ومن يقتدى به ومن لا يقتدى به، والقراءة خلفها، وأحكام المؤتمين، وغير ذلك من أحكامها.

٥ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٤، ح ١٣٢.

وَأَذْكُرُ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ
بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾

فقال: أنت وذاك، وقال: إِنَّ عَلِيًّا عليه السلام كان في صلاة الصَّبح فقرأ ابن الكواء وهو خلفه «ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنَّ عملك ولتكوننَّ من الخاسرين»^(١)، فأنصت علي تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية، ثم عاد في قرائته ثم أعاد ابن الكواء الآية فأنصت علي أيضاً، ثم قرأ فأعاد ابن الكواء فأنصت علي عليه السلام، ثم قال: «فاصبر إنَّ وعد الله حقٌّ ولا يستخفُّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ»^(٢) ثم أتمَّ السُّورة ثم ركع^(٣).

أقول: هذان الحديثان وما في معناهما مما يوافق ظاهر القرآن في عموم وجوب الإستماع، والإنصات محمول عند أصحابنا، وعامة الفقهاء: على الإستحباب وتأكده، بل قد ورد الأمر بالقراءة خلف المخالف وإن سمعت قراءته إذا لم تكن هناك تقيّة^(٤).

﴿وَأَذْكُرُ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾: عام في كل ذكر.
﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾: متضرّعا وخائفاً.
﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: باللسان لأنَّ الذكر في النَّفس، ودون الجهر الذين يعبر عنها بالسر أدخل في الإخلاص، وأبعد من الرِّياء، وأقرب إلى القبول.

١- الزمر: ٦٥.

٢- الروم: ٦٠.

٣- تهذيب الأحكام: ج ٣، ص ٣٥-٣٦، ح ١٢٧ / ٣٩، باب ٣- أحكام الجماعة، وأقل الجماعة، وصفة الإمام، ومن يقتدى به ومن لا يقتدى به، والقراءة خلفها، وأحكام المؤتمين، وغير ذلك من أحكامها.

٤- تهذيب الأحكام: ج ٣، ص ٣٦، ح ١٢٩ / ٤١، باب ٣- في أحكام الجماعة وأقل الجماعة، وصفة الإمام، ومن يقتدى به ومن لا يقتدى به.

﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾: بالغدوات والعشيات لفضل هذين الوقتين.

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾: عن ذكر الله اللاهين عنه.

في الكافي^(١)، والعياشي: عن أحدهما عليه السلام لا يكتب الملك إلّا ما يسمع، وقال الله عزّ وجلّ: «واذكر ربّك في نفسك تضرّعا وخيفة» فلا يعلم ثواب ذلك الذّكر في نفس الرّجل غير الله لعظمته^(٢).

والعياشي: مرفوعاً عن النّبي صلى الله عليه وآله «واذكر ربّك في نفسك» يعني مستكيناً، «وخيفة» يعني خوفاً من عذابه، «ودون الجهر من القول» يعني دون الجهر من القراءة، «بالغدوّ والآصال» يعني بالغداوة والعشي^(٣).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام قال الله: من ذكرني سرّاً ذكرته علانية^(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: من ذكر الله في السرّ فقد ذكر الله كثيراً، إنّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السرّ، فقال الله تعالى: «يراؤن النّاس ولا يذكرون الله إلّا قليلاً»^{(٥)(٦)}.

وفيه^(٧)، والعياشي: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: تقول عند المساء لا إله إلّا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحمي ويميت ويمحي وهو حيّ لا يموت وهو على كلّ شيء قدير، قيل: بيده الخير قال إنّ بيده الخير ولكن: قل كما أقول لك عشر مرّات: «وأعوذ بالله السّميع العليم» حين تطلع الشّمس وحين تغرب عشر مرّات^(٨).

١- الكافي: ج ٢، ص ٥٠٢، ح ٤، باب ذكر الله عزّ وجلّ في السرّ.

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٤، ح ١٣٤. ٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٤، ح ١٣٥.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٥٠١، ح ١، باب ذكر الله عزّ وجلّ في السرّ.

٥- النساء: ١٤٢.

٦- الكافي: ج ٢، ص ٥٠١، ح ٢، باب ذكر الله عزّ وجلّ في السرّ.

٧- الكافي: ج ٢، ص ٥٢٧، ح ١٧، باب القول عند الإصباح والإمساك.

٨- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٥، ح ١٣٦.

إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ
وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾: قيل: يعني الملائكة^(١).

والقَمِي: يعني الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام^(٢).

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾: ويَزْهونه.

﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾: ويَخْصُونه بالعبادة والتذلل، لا يشركون به غيره.

هنا^(٣) أول سجدة القرآن.

وفي الحديث إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول: يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار^(٤).

وفي ثواب الأعمال: عن الصادق عليه السلام من قرأ سورة الأعراف في كل شهر كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإن قرأها في كل جمعة كان ممن لا يحاسب يوم القيامة^(٥)، والله تبارك وتعالى أعلم بكل شيء.

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٨٣.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٥٤.

٣- هكذا في الأصل، والأظهر: هذه أول سجدة القرآن.

٤- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٨٣.

٥- ثواب الأعمال: ص ١٠٥-١٠٦، ح ١، باب ثواب من قرأ سورة الأعراف في كل شهر.

سورة الأنفال

1871

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

سورة الأنفال: هي مدنية عن ابن عباس وقتادة غير سبع آيات نزلت بمكة «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ»^(١) إلى آخرهن. وقيل: نزلت بأسرها في غزاة بدر^(٢)، عدد آياتها ست وسبعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾: عن حكمها، وهي غنائم خاصة، والتفيل: الزيادة على الشيء، سميت به الغنيمة لأنها عطية من الله وفضله.

في المجمع: قرأ السّجاد، والباقر، والصادق عليه السلام: «يسألك الأنفال»^(٣)، يعني أن تعطيه.

﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾: مختصة بهما يضعانها حيث شاءا.

في التهذيب: عن الباقر والصادق عليه السلام الذي والأنفال: ما كان من أرض لم تكن فيها هراقة دم، أو قوم صلحوا وأعطوا بأيديهم، وما كان من أرض خربة أو بطون أودية فهو كله

من النية والأنفال، فهذا كله لله ولرسوله، وما كان لله فهو لرسوله يضعه حيث شاء وهو للإمام بعد الرسول^(١).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام الأنفال ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، أو قوم صالحوا، أو قوم اعطوا بأيديهم، وكل أرض خربة، وبطون الأودية فهو لرسول الله ﷺ وهو للإمام من بعده يضعه حيث يشاء^(٢).

وعنه عليه السلام في عدة أخبار من مات وليس له وارث فماله من الأنفال^(٣).

وعنه عليه السلام نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا الأنفال، ولنا صفو المال^(٤).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام لنا الأنفال، قيل: وما الأنفال؟ قال: منها المعادن والآجام، وكل أرض لا رب لها، وكل أرض باد أهلها فهو لنا^(٥). وقال: وما كان للملوك فهو من الأنفال^(٦).

وفي الجوامع: عن الصادق عليه السلام الأنفال: كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال، وكل أرض انجلى أهلها عنها بغير قتال أيضاً، وسماتها الفقهاء فيثاً، والأرضون الموات، والآجام، وبطون الأودية، وقطائع الملوك، وميراث من لا وارث له، وهي لله، وللرسول، ولمن قام مقامه بعده^(٧).

والقمي: عنه عليه السلام أنه سئل عن الأنفال فقال: هي القرى التي قد خربت، وانجلى أهلها فهي لله وللرسول، وما كان للملوك فهو للإمام، وما كان من أرض خربة لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وكل أرض لا رب لها، والمعادن منها، ومن مات وليس له مولى،

١- تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٣٤، ح ٣٧٦/١٠، باب ٣٨- الأنفال.

٢- الكافي: ج ١، ص ٥٣٩، ح ٣، باب النية والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه.

٣- الكافي: ج ٧، ص ١٦٨- ١٦٩، ح ١ و ٢ و ٣ و ٤، باب من مات وليس له وارث.

٤- الكافي: ج ١، ص ٥٤٦، ح ١٧، باب النية والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه.

٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٨، ح ١١. ٦- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٨، ح ١٧.

٧- جوامع الجامع: ج ٢، ص ١ و ٢.

فاله من الأنفال (١).

وقال: نزلت يوم بدر لما انهزم الناس كان أصحاب رسول الله ﷺ على ثلاث فرق: فصنف كانوا عند خيمة النبي ﷺ، وصنف أغاروا على التَّهْب، وفرقة طلبت العدو، وأسروا وغنموا، فلما جمعوا الغنائم والأسارى تكلمت الأنصار في الأسارى فأنزل الله تبارك وتعالى «مَا كَانَ لَنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَبْذُرَ فِي الْأَرْضِ» (٢) فلما أباح الله لهم الأسارى والغنائم تكلم سعد بن معاذ وكان ممن أقام عند خيمة النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما منعنا أن نطلب العدو زهادة في الجهاد ولا جنباً من العدو ولكننا خفنا أن يعرى موضعك فيميل عليك خيل المشركين، وقد أقام عند الخيمة وجوه المهاجرين والأنصار ولم يشك أحد منهم، والناس كثير يا رسول الله والغنائم قليلة، ومتى تعطي هؤلاء لم يبق لأصحابك شيء وخاف أن يقسم رسول الله ﷺ الغنائم وأسلاب القتلى بين من قاتل ولا يعطي من تخلف على خيمة رسول الله ﷺ شيئاً فاختلفوا فيما بينهم حتى سألو رسول الله ﷺ فقالوا: لمن هذه الغنائم؟ فأنزل الله: «يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول» فرجع الناس وليس لهم في الغنيمة شيء ثم أنزل الله بعد ذلك «واعلموا أنما غنمتم» الآية فقسمه رسول الله ﷺ بينهم، فقال سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله أتعطي فارس القوم الذي يحميمهم مثل ما تعطي الضعيف؟ فقال النبي ﷺ: ثكلتك أمك وهل تُنصرون إلا بضعفائكم؟ قال: فلم يحمس رسول الله ﷺ ببدر، وقسم بين أصحابه، ثم استقبل بأخذ الخمس بعد بدر (٣).

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في الاختلاف والمشاجرة.

﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: الحال التي بينكم بالمواساة، والمساعدة فيما رزقكم الله،

وتسليم أمره إلى الله والرسول.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: فيه.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: فَإِنَّ الْإِيمَانَ يَقْتَضِي ذَلِكَ.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾: أَي الْكَامِلُونَ فِي الْإِيمَانِ.

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: فَزَعَتْ لَذِكْرِهِ اسْتِعْظَامًا لَهُ وَهَيْبَةً مِنْ

جلاله.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾: أَزْدَادُوا بِهَا يَقِينًا وَطَمَئِنَّةً نَفْسٍ.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: وَإِلَيْهِ يَفْوضُونَ أُمُورَهُمْ فِيمَا يَخَافُونَ وَيَرْجُونَ.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ

حَقًّا: لِأَنَّهُمْ حَقَّقُوا إِيْمَانَهُمْ بِضَمِّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ إِلَيْهِ.

﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: كَرَامَةٌ وَعِلْوٌ مَنْزِلَةٌ.

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: لِمَا فَرَطَ مِنْهُمْ.

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ.

الْقَمِي: نَزَلَتْ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَأَبِي ذَرٍّ، وَسُلَيْمَانَ، وَالْمُقَدَّادِ ^(١).

وَفِي الْكَافِي ^(٢)، وَالْعِيَاثِي: عَنْ الصَّادِقِ عليه السلام بِتَمَامِ الْإِيمَانِ دَخَلَ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ، وَبِالزِّيَادَةِ

فِي الْإِيمَانِ تَفَاضَلَ الْمُؤْمِنُونَ بِالدرَجَاتِ عِنْدَ اللَّهِ، وَبِالنَّقْصَانِ دَخَلَ الْمَفْرُطُونَ

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٥٥.

٢ - الكافي: ج ٢، ص ٣٧، ذيل ح ١، باب فِي أَنَّ الْإِيمَانَ مَبْثُوثٌ لِمُجَارِحِ الْبَدَنِ كُلِّهَا.

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ
لَكَرِهُونَ ^١ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ
إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ^٢ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ
أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ
اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ^٣

النار^(١). ويأتي صدر الحديث في أواخر سورة التوبة إن شاء الله.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾:

قيل: يعني حالهم هذه في كراهة ما حكم الله في الأنفال مثل حالهم في كراهة خروجك من بيتك للحرب^(٢).

وفي المجمع: في حديث أبي حمزة فالله ناصرك كما أخرجك من بيتك^(٣).

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾: في إثباتك الجهاد اظهاراً للحق لا يثارهم تلقى العير وأخذ

المال الكثير على ملاقات التفير والجهاد مع الجَمِّ الغفير.

﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾: أَنَّهُمْ يَنْصُرُونَ أَيْنَا تَوَجَّهُوا بِإِعْلَامِ الرِّسُولِ.

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾: أي يكرهون القتال كراهة من يساق

إلى الموت، وهو يشاهد أسبابه، وكان ذلك لقلّة عددهم، وعدم تأهبهم للقتال.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ﴾: على إضمار اذكر.

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٢٣ - ٣٢٤، ح ١٢.

٢- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٨٤، والكشاف: ج ٢، ص ١٩٧.

٣- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٥٢١.

لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ
تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ
السَّمَاءِ مِزْدِفِينَ ﴿٩﴾

﴿إِخْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾: يعني العبر أو النفير.
﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾: الحدة.
﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾: يعني العبر، فإنه لم يكن فيها إلا أربعون فارساً، ولذلك يسمونها
ويكرهون ملاقات النفير لكثرة عددهم وعدتهم.

العباشي: عن الصادق عليه السلام ذات الشوكة التي فيها القتال (١).

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ﴾: أن يشبهه ويعليه.
﴿بِكَلِمَتِهِ﴾: قيل: بآياته المنزلة في محاربتهم (٢) أو بأوليائه.
والقمي: قال: الكلمات: الأئمة عليه السلام (٣).

﴿وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾: ويستأصلهم، والمعنى أنكم تريدون مالاً وآلاً تلقوا
مكروهاً والله يريد إعلاء الدين وإظهار الحق وما يحصل لكم به فوز الدارين.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾: فعل ما فعل (٤) وليس بتكرير لأن الأول: لبيان مراد
الله وتفاوت ما بينه وبين مرادهم، والثاني: لبيان الداعي إلى حمل الرسول على إختيار ذات
الشوكة ونصره عليها.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾: ذلك.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾: لما علمتم أن لا محيص عن القتال مع قتلكم وكثرة عدوكم.

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٩-٥٠، ح ٢٣. ٢- جوامع الجامع: ج ٢، ص ٥.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٠. ٤- هكذا في الأصل، والأفضل أن يقال: «أي بفعل ما فعل».

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا
 مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ
 أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُفْرَكُمْ بِهِ
 وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ
 بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾

بدل من - إذ يعدكم - .

في المجمع: عن الباقر عليه السلام إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله لَمَّا نَظَرَ إِلَى كَثْرَةِ عَدَدِ الْمُشْرِكِينَ وَقَلَّةِ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ
 اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَقَالَ: اللَّهُمَّ انْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةُ لَا تَعْبُدُ فِي الْأَرْضِ،
 فَمَا زَالَ يَهْتَفِ رَبَّهُ مَا دَامَ بِيَدَيْهِ حَتَّى سَقَطَ رِذَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ» ^(١) الْآيَةَ.
 ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: مُتَّبِعِينَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ
 بَعْضَهُمْ بَعْضًا مِّنْ أَرْدَفْتِهِ أَنَا إِذَا جِئْتُ بَعْدَهُ، وَقَرِئَ بِفَتْحِ الدَّالِ، وَهُوَ مِّنْ أَرْدَفْتِهِ إِتْيَاهُ.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾: أَيِ الْإِمْدَادِ.

﴿إِلَّا بُشْرَى﴾: بَشَارَةً لَّكُمْ بِالنَّصْرِ.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾: لِيَزُولَ مَا يَهَا مِنْ الْوَجَلِ لِقُلُوبِكُمْ وَذَلَّتْكُمْ.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: وَإِمْدَادُ الْمَلَائِكَةِ، وَكَثْرَةُ

الْعِدَدِ وَسَائِلُ لَا تَأْثِيرُ لَهَا فَلَا تَحْسِبُوا النَّصْرَ مِنْهَا، وَلَا تَيَأَسُوا مِنْهُ بِفَقْدِهَا.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ﴾: أَمْنًا مِّنَ اللَّهِ، بَدَلُ ثَانٍ مِّنْ - إِذْ يَعِدْكُمْ - لِإِظْهَارِ

نِعْمَةٍ ثَالِثَةٍ، وَالْمَعْنَى إِذْ تَتَعَسَوْنَ لِأَمْنِكُمْ الْحَاصِلِ مِّنَ اللَّهِ بِإِزَالَةِ الرَّعْبِ عَنْ قُلُوبِكُمْ.

﴿وَيُزَلُّ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾: من الحدث والخبث.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام اشربوا ماء السماء فإنه يطهر البدن ويدفع الأسقام، ثم تلا هذه الآية (١).

ومثله في الخصال (٢)، والعياشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام (٣).

﴿وَيُذْهِبْ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾: يعني الجنابة، وذلك لأنه احتلم بعضهم وغلب المشركون على الماء، ويحتمل أن يكون المراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه إياهم من العطش إذ روى أنهم نزلوا في كتيب (٤) أعقر (٥) تسوخ (٦) فيه الأقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم، وقد غلب المشركون على الماء فوسوس إليهم (٧) الشيطان، وقال: كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبن وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله فأشفقوا فأنزل الله المطر فطروا ليلاً حتى جرى الوادي، واتخذوا الحياض على عدوته (٨) وسقوا الركاب (٩) واغتسلوا وتوضؤوا، وتلبّد (١٠) الرمل الذي بينهم وبين العدو

١- الكافي: ج ٦، ص ٣٨٧، ح ٢، باب ماء السماء.

٢- الخصال: ص ٦٣٦-٦٣٧، ح ١٠، حديث الأربعانة.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥١، ح ٢٨.

٤- الكتيب: التل من الرمل. القاموس المحيط: ج ١، ص ١٢٢، مادة «كتب».

٥- العاقر من الرمل: ما لا ينبت، القاموس المحيط: ج ٢، ص ٩٣، مادة «العقر».

٦- تسوخ وتسيخ بالسین المهملة والواو والحاء المعجمة أي تدخل فيها وتغيب، منه تَبَخَّرَ. وقال الفيروز آبادي:

ساخ يسيخ سيخاً: رسخ. القاموس المحيط: ج ١، ص ٢٦٢، مادة «ساخت».

٧- وفي نسخة: [لهم].

٨- العدو - بالضم -: المكان المتباعد. القاموس المحيط: ج ٤، ص ٣٦٠، مادة «عدا».

٩- رجل ركوب وركاب، والركب: ركبان الإبل اسم جمع، أو جمع، وهم العشرة فصاعداً. القاموس المحيط:

ج ١، ص ٧٥، مادة «رَكِبَ».

١٠- لبد الشيء بالأرض - بالفتح - يلبد لبوداً: تلبّد بها: أي لصق. الصحاح: ج ٢، ص ٥٣٣، مادة «لبد»، وفي

لسان العرب: ج ١٢، ص ٢٢١ لبد بالمكان يلبد لبوداً، وَلَبِدٌ لَبْدٌ وَأَلْبَدٌ أقام به ولزق.

إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 سَأُثَبِّتُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ
 الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
 ﴿١٣﴾ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾

حتى ثبتت عليه الأقدام، وزالت الوسوسة^(١).

﴿وَلِرَبِّطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾: بالوثوق على لطف الله تعالى بكم.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾: بالمطر.

﴿الْأَقْدَامَ﴾: حتى لا تسوخ في الرمل أو بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة.

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ﴾: بدل ثالث لإظهار نعمة رابعة.

﴿إِلَى الْمَلَكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾: في إعانتهم، وتثبيتهم.

﴿فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: بالبطانة لهم، وبتكثير سوادهم، ومحاربة أعدائهم.

﴿سَأُثَبِّتُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾: أعاليها

التي هي المذابح أو الرؤوس.

﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾: أصابع، أي جزأ رقابهم واقطعوا أطرافهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: بسبب مشاققتهم لها، وكونهم في شقٍّ خلاف شفقتها.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: الخطاب

فيه مع الكفار على طريقة الإلفات.

﴿فَذَوْقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾: والمعنى ذوقوا ما عَجَّلَ لكم من القتل

والأسر مع ما أَجَلَ لكم في الآخرة من عذاب النار.

القمي: وكان سبب ذلك أَنَّ عير قريش خرجت إلى الشام فيها خزائهم فأمر النبي ﷺ أصحابه بالخروج ليأخذوها فأخبرهم أَنَّ الله تعالى قد وعده إحدى الطائفتين إما العير وإما قريش إن ظفر بهم، فخرج في ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فلما قارب بَدْرًا وكان أبو سفيان لعنه الله في العير فلما بلغه أَنَّ رسول الله ﷺ قد خرج يتعرض العير خاف خوفاً شديداً ومضى إلى الشام فلما وافى النقرة^(١) اكترى ضمضم بن عمرو الخزازي بعشرة دنانير وأعطاه قلوصاً^(٢) وقال له: امض إلى قريش وأخبرهم أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ والصَّبَا^(٣) من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم فأدركوا العير، وأوصاه أن يجرم ناقته ويقطع أذنها حتى يسير الدَّم، ويسق ثوبه من قبل ودبر، فإذا دخل مكة ولَّى وجهه إلى ذنب البعير وصاح بأعلى صوته: يا آل غالب يا آل غالب، اللطيمة اللطيمة^(٤)، العير العير، أدركوا أدركوا، وما أراكم تدركون فإنَّ مُحَمَّدًا ﷺ والصَّبَا من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم فخرج ضمضم يبادر إلى مكة ورأت عاتكة بنت عبدالمطلب قبل قدوم ضمضم في منامها بثلاثة أيام كأنَّ راكباً قد دخل مكة ينادي: يا آل غدر يا آل غدر، اغدوا إلى مصارعكم صبيح ثلاثة ثم وافى بجمله على

١ - النقرة: يروى بفتح النون، وسكون القاف: كل أرض متصوبة في وهدة فهي نَقْرَةٌ وبها سميت النقرة بطريق مكة التي يقال لها: معدن النقرة، معجم البلدان: ج ٥، ص ٢٩٩.

٢ - القلوص من الإبل الشابة أو الباقية على السير أو أول ما يركب من إناثها إلى أن تنقي، ثم هي ناقة. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣١٤، مادة «قلص».

٣ - وكانت العرب تسمي النبي ﷺ الصابي، لأنه خرج من دين قريش إلى الإسلام، ويسمون من يدخل في دين الإسلام: مُصْبِئاً، لأنهم كانوا لا يهيمزون، فأبدلوا من الهمزة واواً، ويسمون المسلمين الصبَا بغير همز، كأنه جمع الصابي، غير مهموز، كقاضٍ وقضاةٍ وغارٍ وغزاة. لسان العرب: ج ٧، ص ٢٦٧، مادة «صبا» ونحوه جاء في هامش المخطوط منه.

٤ - اللطيمة: العير التي تحمل الطبيب وبز التجار، وربما قيل لسوق العطارين لطيمة. الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٣٠، مادة «لطم».

أبي قبيس فأخذ حجراً فدهدهه من الجبل فما ترك داراً من دور قريش إلا أصابه منه فلذة^(١) وكان وادي مكة قد سال من أسفله، دماً فانتبهت دُعة فأخبرت العباس بذلك، فأخبر العباس عتبة بن ربيعة، فقال عتبة: هذه مصيبة تحدث في قريش، وفشت الرؤيا في قريش، وبلغ ذلك أبا جهل، فقال: ما رأت عاتكة هذه الرؤيا، وهذه نبية ثانية في بني عبدالمطلب، والآلات والعزى تنتظرن ثلاثة أيام فإن كان ما رأت حقاً فهو كما رأت، وإن كان غير ذلك لنكتبن بيننا كتاباً أنه ما من أهل بيت من العرب أكذب رجالاً ولا نساءً من بني هاشم، فلما مضى يوم، قال أبو جهل: هذا يوم قد مضى، فلما كان اليوم الثاني، قال أبو جهل: هذان يومان قد مضيا، فلما كان اليوم الثالث، وافى ضمضم ينادي في الوادي يا آل غالب: يا آل غالب، اللطيمة اللطيمة، العير العير، أدركوا أدركوا، وما أراكم تدركون، فإن محمداً ﷺ والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم التي فيها خزائنكم فتصايح الناس بمكة وتهيؤوا للخروج، وقام سهل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وأبو البختری بن هشام، ومنبه، ونبیه ابنا الحجاج، ونوفل بن خويلد فقالوا: يا معشر قريش والله ما أصابكم مصيبة أعظم من هذه أن يطعم محمد والصباة من أهل يثرب أن يتعرّضوا لعيركم التي فيها خزائنكم، فوالله ما قرشي ولا قرشية إلا ولهما في هذا العير نس^(٢) فصاعداً وأنه الذل والصغار أن يطعم محمد ﷺ في أموالكم، ويفرق بينكم وبين متجركم فأخرجوا، وأخرج صفوان بن أمية خمسمائة دينار وجهز بها، وأخرج سهيل بن عمرو، وما بقي أحد من عطاء قريش إلا أخرجوا مالاً وحملوا وقوداً^(٣) وخرجوا على الصعب^(٤) والذلول لا يملكون أنفسهم كما قال الله تبارك وتعالى:

١ - الفلذة: القطعة، منه نُسْ. وقال الطريحي: الفلذة - كسدره -: القطعة من الكبد، واللحم، والمال، والجمع

أفاليد. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٨٦، مادة «فلذ».

٢ - النش: عشرون درهماً. منه نُسْ.

٣ - وفي نسخة: [وقوا] كما في المصدر. والصحيح أن يقال: «وحملوا وقوراً» والوقور جمع وقْر بمعنى الثقيل.

٤ - الصعب: نقض الذلول، يقال: صعب الشيء - بضم الثاني - صعباً: صار صعباً: شاقاً، والناقة الصعبة:

خلاف الذلول. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٠٠، مادة «صعب».

«خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ»^(١) وخرج معهم العباس بن عبدالمطلب، ونوفل بن الحرث، وعقيل بن أبي طالب، وأخرجوا معهم القيان^(٢) يشربون الخمر ويضربون بالدّفوف، وخرج رسول الله ﷺ في ثلثائة وثلاثة عشر رجلاً فلما كان بقرب بدر على ليلة منها بعث بشير بن أبي الرّغباء، ومحمد بن عمرو يتجسّسان خبر العير فأتيا ماء بدر فأنخا راحليتهما واستعذبا من الماء، وسمعا جاريّتين قد تشبّثت إحداهما بالأخرى وتطالبها بدرهم كان لهما عليها، فقالت: عير قريش نزلت أمس في موضع كذا وكذا وهي تنزل غداً هاهنا وأعمل لهم وأفضلك، فرجعا فأخبراه بما سمعا، فأقبل أبو سفيان بالعير فلما شارف بدرًا تقدّم العير وأقبل وحده حتّى إنتهى إلى ماء بدر وكان بها رجل من جهينة يقال له كسب الجهني، فقال له: يا كسب هل لك علم بمحمد ﷺ وأصحابه؟ قال: لا، قال: والآت والعزى لئن كتمتنا أمر محمد ﷺ لا تزال قريش لك معادية إلى آخر الدهر فإنه ليس أحد من قريش إلّا وله في هذا العير نشّ فصاعداً فلا تكتمني، فقال: والله ما لي علم بمحمد ﷺ أتى لمحمد ﷺ وأصحابه بالتّخبار^(٣) إلّا إنّي رأيت في هذا اليوم راكبين أقبلا فاستعذبا من الماء وأناخا راحليتهما ورجعا فلا أدري من هما، فجاء أبو سفيان إلى موضع مناخ إبلهما ففتّ أبعاد الإبل بيده فوجد فيها النوى، فقال: هذه علائف يثرب هؤلاء والله عيون محمد فرجع مسرعاً، وأمر بالعير فأخذ بها نحو ساحل البحر، وتركوا الطريق ومروا مسرعين، ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره إنّ العير قد أفلتت وأنّ قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها، وأمره بالقتال ووعدته النّصر^(٤) وكان نازلاً ماء الصّفراء^(٥) فأحبّ أن يبلو الأنصار لأنّهم إنّما وعدوه لأن ينصروه،

١- الأنفال: ٤٧. ٢- القينة بالقاف والياء التحتية والنون: الأمة المغنية خاصة، جمعها القيان. منه ﷺ.

٣- مصدر مزيد من الخبر يعني لا من تحقيق خبر. منه ﷺ، وفي المصدر: مالي علم بمحمد ﷺ وما بال محمد ﷺ وأصحابه بالفجار. ٤- وفي نسخة: [النصرة].

٥- وادي الصّفراء: من ناحية المدينة، وهو واد كثير النخل والزرع والخير في طريق الحاج وسلكه رسول الله ﷺ غير مرّة، وبينه وبين بدر مرحلة، قال عزام بن الأصبح السلمي: الصّفراء قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلّها، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة وماؤها يجري إلى ينبع. معجم البلدان: ج ٣، ص ٤١٢.

وكان رسول الله ﷺ في الدار^(١) فأخبرهم أن العير قد جازت وأن قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها، وأن الله قد أمرني بمحاربتهم، فجزع أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك وخافوا خوفاً شديداً فقال رسول الله ﷺ: أشيروا عليّ، فقام أبو بكر، فقال: يا رسول الله إني قريش وخيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، ولا دلت منذ عزّت، ولم نخرج على هيئة الحرب، فقال رسول الله ﷺ: أجلس فجلس، فقال: أشيروا عليّ، فقام عمر، فقال: مثل مقالة أبي بكر، فقال: أجلس، ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله إني قريش وخيلاؤها وقد آمنت بك وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، ولو أمرتنا أن نخوض جمر^(٢) الغضا^(٣) وشوك الهراس^(٤) لخنضنا معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: «إِذْ هَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ»^(٥)، ولكنّا نقول: إذهب أنت وربك فقاتلا وإنا معكما مقاتلون، فجزاه رسول الله ﷺ خيراً ثم جلس، ثم قال: أشيروا عليّ فقام سعد بن معاذ، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله كأنك أردتنا؟ قال: نعم، قال: فلعلك خرجت على أمر وقد أمرت بغيره، قال: نعم، قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إننا قد آمنت بك، وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، فمرنا بما شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأترك منها ما شئت، والذي أخذت منه أحب إليّ من الذي تركت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخنضنا معك، فجزاه خيراً ثم

١ - الدار: البلد، حكى سيبويه: هذه الدار نَعِمَت: البلد، فأنت البلد على معنى الدار، وفي الكتاب العزيز: «والذي تبوؤا الدار والايّمان» الحشر: ٩، المراد بالدار مدينة النبي ﷺ لأنّها محل أهل الإيمان. تاج العروس: ج ١١، ص ٣١٩، مادة «دَوَّرَ».

٢ - الجمرة: النار المتقدّة: ج جُمِرَ القاموس المحيط: ج ١، ص ٣٩٣.

٣ - الغضا: بالمعجمتين -: شجر ذو نار، والهراس - بالمهملتين - شجر أو بقل ذو شوك. منه بَقَرٌ، وقال الطريحي: الغضى - بالقصر -: شجر ذو شوك وخشبه من أصلب الخشب ولذا يكون في فحمة صلابه. مجمع البحرين: ج ١، ص ٣١٨، مادة «غضا».

٤ - الهراس - كسحاب -: شجر شائك ثمره كالنبق. القاموس المحيط: ج ٢، ص ٢٥٩، مادة «هرس».

٥ - المائدة: ٢٤. وفي المصحف: «فاذهب». ٦ - وفي نسخة: [النبي ﷺ]

قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله والله ما خضت هذا الطريق قطّ وما لي به علم، وقد خلفنا بالمدينة قوماً ليس نحن بأشدّ جهاداً لك منهم ولو علموا أنّه الحرب لما تخلّفوا ولكن نعدّ لك الرّواحل، ونلقى عدوّنا فإنّا صُبرٌ عند اللقاء أنجاد^(١) في الحرب وإنّا لنرجو أن يقرّ الله عينيك بنا فإن يك ما تحبّ فهو ذاك، وإن يك غير ذلك قعدت على رواحلك فلحقت بقومنا، فقال رسول الله ﷺ: أويحدث الله غير ذلك كأني بمصرع فلان هاهنا، وبمصرع فلان هاهنا، وبمصرع أبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ومنبّه ونبيه ابني الحجاج فإنّ الله قد وعدني إحدى الطّائفتين، وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ على رسول الله ﷺ بهذه الآية: «كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ» إلى قوله: «وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ»^(٢) فأمر رسول الله ﷺ بالترحيل حتّى نزل عشاء على ماء بدر، وهي العدوّة الشّامية، وأقبلت قريش فنزلت بالعدوة اليمانيّة، وبعثت عبيدها تستعذب من الماء فأخذهم أصحاب رسول الله ﷺ وحبسوهم، فقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن عبيد قريش، قالوا: فأين العير؟ قالوا: لا علم لنا بالعير، فأقبلوا يضربونهم، وكان رسول الله ﷺ يصلي فانفعل من صلاته فقال: إن صدّقكم ضربتموهم، وإن كذّبكم تركتموهم عليّ بهم فأتوا بهم، فقال لهم: من أنتم قالوا يا محمّد نحن عبيد قريش، قال: كم القوم؟ قالوا: لا علم لنا بعددهم؟ قال: كم ينحرون في كلّ يوم جزوراً؟ قالوا: تسعة إلى عشرة، فقال رسول الله ﷺ، القوم تسعمائة إلى ألف، ثمّ قال: فمن فيهم من بني هاشم؟ قالوا: العباس بن عبدالمطلب، ونوفل بن الحارث، وعقيل بن أبي طالب، فأمر رسول الله ﷺ بهم فحبسوا، وبلغ قريشاً ذلك فخافوا خوفاً شديداً، ولقى عتبة بن ربيعة أبا البختری بن هشام فقال له: أما ترى هذا البغي والله ما أبصر موضع قدمي خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت فجئنا بغياً وعدواناً والله ما أفلح قوم قطّ بغوا ولوددت أنّ ما في العير من أموال بني عبد مناف ذهب كلّهُ ولم نسر هذا المسير، فقال له أبو البختری: إنّك سيّد من سادات قريش فسر

١ - النّجدة - بفتح النون فالسكون - الشجاعة، يقال: نُجِدَ الرجل بالضم فهو نُجْدٌ ونجيد والجمع أنجاد، وجمع

نجيد نُجْداء. جمع البحرين: ج ٣، ص ١٤٩، مادة «نجد».

٢ - الأنفال: ٥-٨.

في النَّاسِ وَتَحْمِلُ الْعِيرَ الَّتِي أَصَابَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ بِنَخْلَةٍ وَدَمَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ فَإِنَّهُ حَلِيفُكَ، فَقَالَ عَتَبَةُ: أَنْتَ تَشِيرُ عَلَيَّ بِذَلِكَ وَمَا عَلَى أَحَدٍ مِنَّا خِلَافٌ إِلَّا ابْنُ الْحَنْظَلَةِ^(١)، يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ فَسَرَّ إِلَيْهِ وَأَعْلَمَهُ إِنِّي قَدْ تَحَمَّلْتُ الْعِيرَ الَّتِي أَصَابَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ بِنَخْلَةٍ وَدَمَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ: فَقَصَدْتَ خَبَاءَهُ وَإِذَا هُوَ قَدْ أَخْرَجَ دِرْعاً لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ أَبَا الْوَلِيدِ بَعْثَنِي إِلَيْكَ، بِرِسَالَةٍ فُغْضِبَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَجَدَ عَتَبَةُ رَسُولاً غَيْرَكَ؟ فَقُلْتُ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ غَيْرَهُ أُرْسَلَنِي مَا جِئْتُ، وَلَكِنْ أَبَا الْوَلِيدِ سَيِّدُ الْعَشِيرَةِ، فُغْضِبَ غَضْبَةً أُخْرَى، فَقَالَ: مَنْ يَقُولُ سَيِّدُ الْعَشِيرَةِ؟ فَقُلْتُ: أَنَا أَقُولُ، وَقُرَيْشٌ كُلُّهَا تَقُولُهُ^(٢)، وَأَنَّهُ قَدْ تَحْمِلُ الْعِيرَ وَدَمَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ فَقَالَ: إِنَّ عَتَبَةَ أَطْوَلَ النَّاسِ لِسَاناً وَأَبْلَغُهُمْ فِي الْكَلَامِ، وَيَتَعْصَبُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَابْنُهُ مَعَهُ وَيُرِيدُ أَنْ لَا يَخْذُلَهُ بَيْنَ النَّاسِ لَا وَاللَّاتِ وَالْعَزَّى حَتَّى تَقْحَمَ عَلَيْهِمْ يَبْثُرُ بِنَاؤُهُمْ وَأَخَذَهُمْ أُسَارَى فَدَخَلَهُمْ مَكَّةَ وَتَسَامَعَ الْعَرَبُ بِذَلِكَ وَلَا يَكُونُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَتَجَرَّنَا أَحَدٌ نَكْرَهُ، وَبَلَغَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثْرَةُ قُرَيْشٍ فَفَزَعُوا فَزَعاً شَدِيداً، وَشَكُوا، وَبَكَوْا، وَاسْتَغَاثُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُدْكُمُ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِّينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»^(٣) فَلَمَّا أَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَّهَهُ اللَّيْلَ أَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَصْحَابِهِ النَّعَاسَ حَتَّى نَامُوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ^(٤)، وَكَانَ نَزُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَوْضِعٍ لَا يَثْبِتُ فِيهِ الْقَدَمُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ وَلَبِدَ^(٥) الْأَرْضِ حَتَّى تَثْبِتَ أَقْدَامُهُمْ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «إِذْ يَغْشِيَكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كَمَا بِهِ وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ رَجَزَ

١- وفي نسخة: [ابن الحنظليّة].

٢- هكذا في الأصل، وفي المصدر «فقال تقول سيد العشيرة؟ فقلت أنا أقوله وقريش كلها تقول».

٣- الأنفال: ٩ - ١٠. ٤- أي المطر، سمي به لأنه ينزل من السماء. منه ترويض.

٥- لبّد الشيء من باب تعب: لصق، وكل شيء ألصقته بشيء إلصاقاً نهماً فقد لبّدته. مجمع البحرين: ج ٣،

ص ١٤٠، «مادة لبّد».

الشيطان» وذلك أَنَّ بعض أصحاب رسول الله ﷺ احتلم «وَلَيَرْبُطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُنَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ»، وكان المطر على قريش مثل العزالي (١)، وكان على أصحاب رسول الله ﷺ بقدر ما يلبد به الأرض، وخافت قريش خوفاً شديداً فأقبلوا يتحارسون يخافون البيات، فبعث رسول الله ﷺ عمار بن ياسر، وعبدالله بن مسعود، فقال: ادخلا في القوم وأتونا بأخبارهم فكانا يجولان بعسكرهم لا يرون إلا خائفاً ذعراً إذا صهل الفرس وثب على جحفلته (٢) فسمعوا منه بن الحجاج يقول:

لا يترك الجوع لنا مبيتاً لا بدَّ أن نموت أو نغيتا

قال: قد والله كانوا شباعاً ولكنهم من الخوف قالوا: هذا، وألقى الله في قلوبهم الرعب كما قال الله تبارك وتعالى: «سَأَلْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ».

فلما أصبح رسول الله ﷺ عباً أصحابه، وكان في عسكر رسول الله ﷺ فرسان: فرس للزبير بن العوام، وفرس للمقداد، وكان في عسكره سبعون رجلاً يتعاقبون عليها، وكان رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي على جمل يتعاقبون عليه، والجمل لمرثد، وكان في عسكر قريش أربعائة (٣) فرس. فعباً رسول الله ﷺ أصحابه بين يديه، فقال: غضوا أبصاركم ولا تبدؤوهم بالقتال، ولا يتكلمن أحد.

فلما نظرت قريش إلى قلة أصحاب رسول الله ﷺ قال أبو جهل: ما هم إلا أكلة رأس لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد، فقال عتبة بن ربيعة: أترى لهم كميناً ومدداً؟ فبعثوا عمرو بن وهب الجمحي، وكان فارساً شجاعاً فجال بفرسه حتى طاف على عسكر رسول الله ﷺ، ثم صعد في الوادي وصوت، ثم رجع إلى قريش فقال لهم: ما لهم كمين ولا مدد ولكن

١- وفي نسخة: [النبي ﷺ].

٢- العزالي جمع عزلاء وهو مصب الماء من الراوية ونحوها. والرداذ: المطر الضعيف، منه ريح.

٣- الجحفل: الجيش الكثير. القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٤٦، مادة «جفل».

٤- وفي نسخة: [سبعائة].

نواضح^(١) يثرِب قد حملت الموت الناقع^(٢)، أما ترونهم خرساً لا يتكلمون يتلَمظون^(٣) تلَمَظ الأفاعي ما لهم ملجأ إلا سيوفهم، وما أراهم يولون حتى يقتلوا، ولا يُقْتَلُونَ حتى يقتلوا بعددهم فارتأوا^(٤) رأيكم، فقال له أبو جهل: كذبت وجبنت وانتفخ سُحْرُك^(٥) حين نظرت إلى سيوف أهل يثرِب.

وفزع أصحاب رسول الله ﷺ حين نظروا إلى كثرة قريش وقوتهم فأنزل الله تعالى على رسوله «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ»^(٦) وقد علم الله أنهم لا يجنحون ولا يجيبون إلى السلم وإنما أراد الله تعالى بذلك لتطيب قلوب أصحاب النبي ﷺ فبعث رسول الله ﷺ إلى قريش فقال: يا معشر قريش ما أجد من العرب أبغض إليّ من أن أبدأكم فخلّوني والعرب فإن أك صادقاً فأنتم أعلا بي عينا، وإن أك كاذباً فقتلكم ذؤبان العرب أمري، فارجعوا، فقال عتبة: والله ما أفلح قوم قط ردّوا هذا، ثم ركب جملاً له أحمر فنظر إليه رسول الله ﷺ يجول في العسكر وينهى عن القتال، فقال: إن يكن عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر فإن يطيعوه يرشدوا فأقبل عتبة يقول: يا معشر قريش اجتمعوا واسمعوا، ثم خطبهم فقال: يُن

١ - نضح البعير الماء: حمله من نهر وبئر لسقي الزرع فهو ناضح، سمي بذلك لأنه ينضح الماء أي يصبه، والأنثى ناضحة وسائنة، والجمع نواضح، وهذا أصله ثم استعمل الناضح في كلّ بعير وإن لم يحمل الماء، ومنه الحديث: «أطعم ناضحك» أي بعيرك. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤١٩، مادة «نضح».

٢ - سم ناقع: أي بالغ، وقيل: قاتل، ودم ناقع: أي طري. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٩٨، مادة «نقع».

٣ - لَمَظَ يَلْمُظُ بالضم لَمْظاً: إذا تتبّع بلسانه بقية الطعام في فمه أو أخرج لسانه فمسح به شفتيه، وكذلك التسلّط. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٩١، مادة «لمظ».

٤ - رتأت العقدة رتاً: شددتها، والرجل حَقَقَتْهُ: الصاح: ج ١، ص ٥٢.

٥ - السحر - بالضم -: الزية، وانتفاخه: كناية عن الجبن. منه يَثْرِبُ. وقال الجوهري: السُحْر: الرئة، الصاح: ج ٢، ص ٦٧٨، وقال الطريحي: وانتفخ سُحْرُهُ وَمَسَاحِرُهُ: عدا طوره وجاوز قدره، وانقطع منه سُحْرِي ينست منه.

مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٢٦. وهكذا قاله الفيروز آبادي في القاموس المحيط: ج ٢، ص ٤٥، وقال ابن الأثير: انتفخ سُحْرُك: أي رتلك، يقال ذلك للجبان. النهاية لابن الأثير: ج ٢، ص ٣٤٦.

مع رُحْب، ورُحْبٌ مع يمين، يا معشر قريش أطيعوني اليوم واعصوني الذَّهْر، وارجعوا إلى مكَّة واشربوا الخمر وعانقوا المحور، فإنَّ مُحَمَّدًا ﷺ إل^(١) وذمة وهو ابن عمكم فارجعوا ولا تردوا رأيي وإنما تطالبون مُحَمَّدًا بالغير التي أخذها مُحَمَّد بنخلة وذم ابن الحضرمي وهو حليبي وعلي عقله، فلما سمع أبو جهل ذلك غاضه وقال: إنَّ عتبة أطول النَّاس لساناً، وأبلغهم كلاماً^(٢) ولئن رجعت قريش بقوله ليكوننَّ سيِّد قريش إلى آخر الذَّهر، ثمَّ قال: يا عتبة نظرت إلى سيوف بني عبدالمطلب وجنت وانتفخ سحرُك وتأمر النَّاس بالرجوع وقد رأينا آثارنا بأعيننا، فنزل عتبة عن جملة وحمل على أبي جهل، وكان على فرس فأخذ بشعره، فقال النَّاس: يقتله فعرقب^(٣) فرسه، فقال: أمثلي يحبن؟ وستعلم قريش اليوم أيُّنا الأليم^(٤) والأجبن وأيُّنا المفسد لقومه، لا يمشي إلَّا أنا وأنت إلى الموت عياناً، ثمَّ قال هذا جَنائي وخياره فيه، وكل جان يده إلى فيه، ثمَّ أخذ بشعره يجرّه فاجتمع إليه النَّاس فقالوا: يا أبا الوليد الله الله لا تَفْت في أعضاء النَّاس، تنهى عن شيء تكون أوله. فخلَّصوا أبا جهل من يده، فنظر عتبة إلى أخيه شيبه، وإلى ابنه الوليد فقال: قم يابني فقام، ثمَّ لبس درعه وطلبوا له بيضة تسع رأسه فلم يجدوها لعظم هامته فاعتمَّ بعمامتين، ثمَّ أخذ سيفه وتقدَّم هو وأخوه وابنه، ونادى يا مُحَمَّد أخرج إلينا أكفأنا من قريش فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار: عوذ، ومعوذ، وعون بني عفرأ، فقال عتبة: من أنتم؟ انتسبوا لتعرفكم؟ فقالوا: نحن بنو عفرأ أنصار الله

١ - الإلال بالكسر: العهد والحلف والأمان والقرابة. منه يَنْبُذُ.

٢ - وفي نسخة: [وأبلغهم في الكلام].

٣ - العُرقوب - بالضم - : العصب الغليظ الموت فوق العقب من الإنسان، ومن ذوات الأربع عبارة عن الوتر خلف الكعبين بين مفصل الساق والقدم، وفي القاموس: العرقوب من الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها، وفي المصباح: العرقوب عصب موثق خلف الكعبين، والجمع «عراقيب» مثل عصفور وعصافير، وعرقبت الدابة: قطعت عرقوبها، مجمع البحرين: ج ٢، ص ١١٩ - ١٢٠ مادة «عرقب».

٤ - الأليم: أي مؤلم موجه، كالسميع بمعنى المستمع إذ لا ألم فوق ألم عذاب لا رجاء معه للخلاص، إذ الرجاء يهون العذاب، مجمع البحرين: ج ٦، ص ٩، مادة «ألم»، وفي نسخة: [الألأم].

وأنصار رسوله، فقال: ارجعوا فإننا لسنا إياكم نريد، إنما نريد الأكفَاء من قريش، فبعث إليهم رسول الله ﷺ أن أرجعوا، وكره أن يكون أول الكثرة بالأنصار فرجعوا وواقفوا موقفهم، ثم نظر رسول الله ﷺ إلى عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، وكان له سبعون سنة فقال له: قم يا عبيدة، فقام بين يديه بالسيف، ثم نظر إلى حمزة بن عبدالمطلب فقال له: قم يا عم، ثم نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: قم يا علي، وكان أصغر القوم - سنًا - فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلاتها وفخرها تريد أن تظفي نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ثم قال رسول الله: يا عبيدة عليك بعُتْبَة، وقال لحمزة: عليك بشيبة، وقال لعلي: عليك بالوليد بن عتبة، فزروا حتى انتهوا إلى القوم فقال عتبة: من أنتم؟ انتسبوا لنعرفكم، فقال: أنا عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، فقال: كفو كريم، فقال: فمن هذان؟ فقال: حمزة بن عبدالمطلب، وعلي بن أبي طالب، فقال: كفوان كريمان، لعن الله من أوقفنا وإياكم هذا الموقف، فقال: شيبة لحمزة من أنت؟ فقال: أنا حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله، فقال له شيبة: لقد لَقِيتُ أسد الحلفاء فانظر كيف تكون صولتك يا أسد الله، فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلق هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه وقطعها وسقطا جميعاً، وحمل حمزة على شيبة فتضاربا بالسيفين حتى انثما وكل واحد منهما يتقى بدرفته^(١)، وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد بن عتبة فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من ابطنه، فقال علي عليه السلام: فأخذ يمينه المقطوعة بيساره فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت على الأرض، ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون: يا علي أما ترى الكلب قد أنهز^(٢) عمك فحمل عليه علي ثم قال: يا عم طأطئ رأسك وكان حمزة أطول من شيبة

١- الدَّرَقَة - بفتحتيْن - : الترس. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٦٠، مادة «درق».

٢- النَّهْرَة - بالضم - : الفرصة، وانتهزتها: إغتمتها. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٩، مادة «نهر». وفي نسخة: [قد أنهز عمك] ونهره وانتهره: أي زبره وزجره. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٥٠٧، مادة «نهر»، وفي المصدر: «قد أنهز عمك» والبحر: الغلبة، يقال: بهز القمر الكواكب كمنع: إذا أضاء وغلب ضوءه ضوءها. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٣١، مادة «بهر».

فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فطير نصفه، ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه، وحمل عبيدة بين حمزة وعلي حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وآله فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فاستعبر فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ألسنت شهيداً؟ قال: بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي، فقال: أما لو كان عمك حي لعلم أني أولى بما قال منه، قال صلى الله عليه وآله: وأني أعمامي تعني؟ قال: أبو طالب حيث يقول:

كذبتم وبيت الله نبرئ محمداً ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه ^(١) حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله، وابنه الآخر في جهاد أعداء الله بأرض الحبشة، فقال: يا رسول الله أسخطت علي في هذه الحالة؟ فقال: ما سخطت عليك ولكن ذكرت عمي فانقبضت لذلك.

وقال أبو جهل لقريش: لا تعجلوا ولا تبطروا كما عجل وبطر ابنا ربيعة عليكم بأهل يثرب فأجزروهم جزراً، وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً حتى ندخلهم مكة فنعرفهم ضلالتهم التي كانوا عليها، وكان فئة ^(٢) من قريش أسلموا بمكة فأحبسهم آباؤهم فخرجوا مع قريش إلى بدر وهم على الشك والإرتياب والتفاق منهم: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكهة، والحارث بن ربيعة. وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن المنبه، فلما نظروا إلى قلة أصحاب محمد صلى الله عليه وآله قالوا: مساكين هؤلاء غرهم دينهم فيقتلون الساعة فأنزل الله على رسوله «إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» ^(٣)، وجاء إبليس عليه اللعنة إلى قريش في صورة سراقبة بن مالك فقال لهم: أنا جار لكم إدفعوا إلي رايتمكم فدفعوها إليه، وجاء بشياطينه يهول بهم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ويحيل إليهم ويفزعهم، وأقبلت قريش يقدمها إبليس مع الزاية فنظر إليه رسول

١- وفي المصدر: ونصره حتى نصرع حوله.

٢- هكذا في الأصل. والصحيح: فتيه، كما في المصدر.

٣- الأنفال: ٤٩.

الله ﷻ فقال: غَضُوا أَبْصَارَكُمْ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ، وَلَا تَسْلَوْا سِيفًا حَتَّى آذِنَ لَكُمْ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: يَا رَبِّ إِن شِئْتَ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةُ لَمْ تَعْبُدْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ لَا تَعْبُدْ، لَا تَعْبُدْ، ثُمَّ أَصَابَهُ الْغَشْيُ فَسَرَى^(١) عَنْهُ وَهُوَ يَسْلَتُ الْعِرْقَ عَنْ وَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ: هَذَا جَبْرِئِيلُ قَدْ أَتَاكُمْ فِي أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ، قَالَ: فَنَظَرْنَا فَإِذَا بِسَحَابَةٍ سَوْدَاءَ فِيهَا بَرْقٌ لَا تَنُحُّ قَدْ وَقَعَتْ عَلَى عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَائِلُ يَقُولُ: أَقْدَمَ حِيزُومٌ، أَقْدَمَ حِيزُومٌ^(٢) وَسَمِعْنَا قَعْقَعَةَ السِّلَاحِ مِنَ الْجَوِّ وَنَظَرَ إِبْلِيسُ إِلَى جَبْرِئِيلَ ﷺ فَتَرَجَعَ وَرَمَى بِاللَّوَاءِ فَأَخَذَ مِنْهُ بَنُ الْحَجَّاجِ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَيْلَكَ يَا سَرَّاقَةَ تَفْتِ فِي أَعْضَادِ النَّاسِ فَرَكَلَهُ إِبْلِيسُ رَكْلَةً^(٣) فِي صَدْرِهِ، وَقَالَ: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ» وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: «وَإِذْ زَيْنَ هُتَمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ»^(٤)، ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْهَبَ لَهُمْ وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ»^(٥)، وَحَمَلَ جَبْرِئِيلُ عَلَى إِبْلِيسِ فَطَلَبَهُ حَتَّى غَاصَ فِي الْبَحْرِ، وَقَالَ: رَبِّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي مِنَ الْبَقَاءِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ^(٦).

وروي في خبر أن إبليس التفت إلى جبرئيل، وهو في الهزيمة فقال: يا هذا أبدا لكم فيما أعطيتمونا؟ فقبل لأبي عبد الله ﷺ: أترى كان يخاف أن يقتله؟ فقال: لا، ولكنه كان يضربه ضربة يشينه منها إلى يوم القيامة، وأنزل الله على نبيه: «إِذْ يُوحَىٰ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ

١ - سري عنه: انكشف وسليت العرق أي مسحته ويميطه، منه يَنْفُذُ.

٢ - حيزوم: اسم فرس جبرئيل، منه يَنْفُذُ. وقال الطريحي: حيزوم: اسم فرس كان لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مجمع البحرين: ج ٦، ص ٤٠، مادة «حزم». وقال الجوهري: حيزوم: اسم فرس من خيل الملائكة. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٩٩، مادة «حزم».

٣ - الركل: الضرب برجل واحدة، وقد رَكَلَهُ يَرْكُلُهُ رَكْلًا: أي رفسه. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٨٥، مادة «ركل».

٤ - الأنفال: ٤٨.

٦ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٥٦ - ٢٦٧.

٥ - الأنفال: ٥٠.

فَتَبَتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ»^(١)، قال: أطراف الأصابع فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطني نور الله وبأيي الله إلا أن يتم نوره، وخرج أبو جهل من بين الصّفين فقال: اللهم إنَّ مُحَمَّدًا أَقْطَعَنَا لِلرَّحْمِ وَأَتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُهُ فَأَجْزِهِ الْعَذَابَ^(٢)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: «إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ»^(٣)، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَفًّا مِنْ حَصَى فَرَمَى بِهِ فِي وَجْهِهِ قَرِيشَ، وَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ فَبَعَثَ اللَّهُ رِيحًا تَضْرِبُ وَجْهَهُ قَرِيشَ فَكَانَتْ الْهَزِيمَةَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ لَا يَغْلِبَنَّكَ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَبُو جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ وَأُسِرَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ، وَالتَّقَى عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ مَعَ أَبِي جَهْلٍ فَضْرَبَ عَمْرُو أَبُو جَهْلٍ عَلَى فَخْذِهِ وَضْرَبَ أَبُو جَهْلٍ عَمْرُوًا عَلَى يَدِهِ فَأَبَانَهَا مِنَ الْعُضْدِ فَتَعَلَّقَتْ بِجِلْدِهِ فَاتَكَى عَمْرُو عَلَى يَدِهِ بِرِجْلِهِ ثُمَّ تَرَخَى^(٤) فِي السَّمَاءِ حَتَّى انْقَطَعَتِ الْجِلْدَةُ وَرُمِيَ بِيَدِهِ.

وقال عبدالله بن مسعود: انتهيت إلى أبي جهل وهو يتشخّط بدمه فقلت: الحمد لله الذي أخزأك، فرفع رأسه فقال: إِنَّمَا أَخْزَى اللَّهُ عَبْدًا ابْنَ أُمِّ عَبْدِ لَمَنِ الدِّينُ؟ وَلِمَنِ الْمُلْكُ، وَيْلَكَ؟ قلت: لله ولرسوله وإني قاتلك ووضعت رجلي على عنقه، فقال: قد^(٥) ارتقيت مرتقاً صعباً يا رُوَيْعِي الغنم أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ مِنْ قَتْلِكَ إِيَّايَ فِي هَذَا الْيَوْمِ أَلَا يَوَلِّي^(٦) قَتْلِي رَجُلٌ مِنَ الْمُطَلَبِيِّينَ أَوْ رَجُلٌ مِنَ الْأَحْلَافِ، فَانْقَلَعَتْ بِيضَةٌ كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَقَتَلْتَهُ وَأَخَذَتْ رَأْسَهُ وَجِئْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْبَشْرَى هَذَا رَأْسُ أَبِي جَهْلٍ بَنِ هِشَامٍ. فَسَجَدَ اللَّهُ شُكْرًا، وَأَسْرَ أَبُو بَشَرٍ الْأَنْصَارِيُّ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَلَبِ، وَعَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ،

١- الأنفال: ١٢. ٢- وفي نسخة: [فأهنة الغداة].

٣- الأنفال: ١٩.

٤- هكذا في الأصل، وفي المصدر: ثم تَرَخَى السَّاء.

٥- وفي نسخة: [لقد]. ٦- وفي نسخة: [ألا يتولّى قتلِي رجل من المُطَلَبِينَ].

وجاء بهما إلى رسول الله ﷺ فقال له: هل أعانك عليهما أحد؟ قال: نعم رجل عليه ثياب بضع، فقال رسول الله ﷺ: ذاك من الملائكة، ثم قال رسول الله ﷺ للعبّاس: أقد نفسك وابن أخيك، فقال: يا رسول الله قد كنت أسلمت، ولكنّ القوم استكروهوني، فقال رسول الله ﷺ: الله أعلم بإسلامك إن يكن ما تذكر حقاً فإله يُجزيك عليه، فأما ظاهر أمرك فقد كنت علينا، ثمّ قال: يا عبّاس إنكم خاصمتُم الله فخصمكم، ثمّ قال: أقد نفسك وابن أخيك، وقد كان العبّاس أخذ معه أربعين أوقية من ذهب فغنمها رسول الله ﷺ، فلما قال رسول الله ﷺ للعبّاس: أقد نفسك قال يا رسول الله أحسبها من فدائي، فقال رسول الله ﷺ: لا، ذاك شيء أعطانا الله منك، فأقد نفسك وابن أخيك، فقال العبّاس: فليس لي مال غير الذي ذهب مني، قال: بلى المال الذي خلفته عند أمّ الفضل بمكّة، وقلت لها: إن حدث عليّ حدث فاقسموه^(١) بينكم، فقال له: أتركني وأنا أسأل الناس بكفي؟ فأَنزل الله على رسوله في ذلك «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَشْيِ إِن يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٢)، ثمّ قال الله: «وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ» في علي «فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ» فيك «فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ»^(٣)، ثمّ قال رسول الله ﷺ لعقيل: لقد^(٤) قتل الله يا أبا يزيد أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ومنّبه، ونُبَيْه ابنا الحجاج، ونوفل بن خويلد، وأسر سهيل بن عمرو، والنّضر بن الحارث بن كلفة، وعقبة بن أبي معيط، وفلان وفلان، فقال عقيل: إذا لا تنازعون في تهامة فإن كنت قد أثخت القوم وإلاّ فاركب أكتافهم فتبسم رسول الله ﷺ، وكان القتلى بدر سبعين، والأسرى سبعين، قتل منهم أمير المؤمنين عليه السلام سبعة وعشرين ولم يؤسر أحداً، فجمعوا الأسرى وفرّقوهم في الجمال وساقوهم على أقدامهم، وجمعوا الغنائم، وقتل من أصحاب رسول الله ﷺ تسعة رجال فيهم سعد بن خيشمة، وكان من النّقباء، فرحل

١- وفي نسخة: [فأقسموه] كما في المصدر. ٢- الأنفال: ٧٠.

٣- الأنفال: ٧١. ٤- وفي نسخة: [قد].

رسول الله ﷺ من بدر ونزل الأُتَيْل^(١) عند غروب الشمس وهو من بدر على ستة أميال فنظر رسول الله ﷺ إلى عقبة ابن أبي معيط وإلى النضر بن الحارث بن كعدة وهما في قران واحد، فقال النضر لعقبة: يا عقبة أنا وأنت مقتولان، فقال عقبة: من بين قريش؟ قال نعم، لأنَّ محمداً ﷺ قد نظر إلينا نظرةً رأيت فيها القتل، فقال رسول الله ﷺ: يا عليُّ عِلىَّ بالنضر وعقبة، وكان النضر رجلاً جميلاً عليه شعر فجاء عليٌّ عِلىَّ فأخذه بشعره فجره إلى رسول الله ﷺ فقال النضر: يا محمد أسألك بالرحم الذي بيني وبينك إلا أجريتني كرجل من قريش إن قتلتم قتلتي، وإن فاديتهم فاديتني، وإن أطلقتمهم أطلقني، فقال رسول الله ﷺ: لا رحم بيني وبينك قطع الله الرحم بالإسلام، قدّمه يا علي فاضرب عنقه، فقال عقبة: يا محمد ألم تقل لا تصبر قريش، أي لا يقتلون صبراً، قال: وأنت من قريش؟ إنما أنت عِلج^(٢) من أهل صفورية لأنت في الميلاد أكبر من أبيك الذي تدعى له ليس منها، قدّمه يا علي فاضرب عنقه، فقدّمه فاضرب عنقه، فلما قتل رسول الله ﷺ النضر وعقبة، خافت الأنصار أن يقتل الأسارى كلّهم، فقاموا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله قد قتلنا سبعين وأسرونا سبعين وهم قومك وأسارك فهم لنا يا رسول الله وخذ منهم الفداء وأطلقهم، فأنزل الله عليهم: «مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْجِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» * لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا^(٣)، فأطلق لهم أن يأخذوا الفداء ويطلقوهم وشرط أن يقتل منهم في عام قابل بعدد من يأخذوا منهم الفداء فرضوا منه بذلك^(٤)، وتام الحديث مضى في سورة آل عمران.

١ - الأُتَيْل: تصغير الأُتَيْل: موضع قرب المدينة، وهناك عين ماء لآل جعفر بن أبي طالب بين بدر ووادي الصفراء، ويقال له: ذو أُتَيْل، وكان النبي ﷺ قتل عنده النضر بن الحارث بن كعدة عند منصرفه من بدر. معجم البلدان: ج ١، ص ٩٤.

٢ - العِلج: بالكسر فالسكون وجيم في الآخر -: الرجل الضخم من كفار العجم، وبعضهم يطلقه على الكافر مطلقاً، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣١٩، مادة «عِلج».

٣ - الأنفال: ٦٧ - ٦٩. ٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٦٧ - ٢٧٠.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ
 الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ
 مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَسُهُ جَهَنَّمُ
 وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا
 رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ
 حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾: كثيراً بحيث يرى كثرتهم
 كأنهم يزحفون، أي يدنون.

القمي: أي يدنوا بعضهم من بعض (١).

﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾: بالإنهزام.

﴿وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾: لأن يكرّ بعد الفرّ يخيل عدوّه أنّه
 منهزم وهو من مكاييد الحرب.

﴿أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾: أو منحازاً إلى فئة أخرى من المسلمين ليستعين بهم.

﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَسُهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: العياشي: عن
 الكاظم عليه السلام: «إلا متحرفاً لقتال قال: متطرداً، يريد الكرة عليهم أو متحيزاً يعني متأخراً إلى
 أصحابه من غير هزيمة فن انهزم حتى يجوز صف أصحابه فقد باء بغضب من الله (٢).

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾: بقوتكم، يعني إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾: بأن أنزل الملائكة، وألقى الرّعب في قلوبهم، وقوى قلوبكم.

﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾: أنت يا محمد.

﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾: حيث أثرت الرمية ذلك الأثر العظيم.

القمي: يعنى الحصى الذي حمله رسول الله ﷺ ورمى به في وجوه قريش، وقال: شاهدت الوجوه (١).

وروي: أن قريشاً لما جاءت بخيلاتها أتاه جبرئيل فقال: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فقال لعل: أعطني قبضة من حصاة الوادي فأعطاه فرمى بها في وجوههم، وقال: شاهدت الوجوه، فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهمزوا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم (٢). ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر فيقول الرجل: قتلت وأسرت فنزلت آية الرمي لرسول الله ﷺ لأنه وجد منه صورة ونفاه عنه معنى لأن أثره الذي لا يدخل في قدرة البشر فعل الله سبحانه فكأنه فاعل الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من الرسول ﷺ، وفيه وجه آخر غامض.

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال: في هذه الآية سُمي فعل النبي فعلاً له ألا ترى تأويله على غير تنزيله (٣).

العبّاشي: عن الصادق، والسجاد عليه السلام إن علياً عليه السلام ناول رسول الله ﷺ القبضة التي رمى بها في وجوه المشركين، فقال الله: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى» (٤).

وفي الخصال: في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وتعدادها قال عليه السلام: وأما الخامسة والثلاثون فإن رسول الله ﷺ وجهني يوم بدر، فقال: إئتني بكف حصاة (٥) مجموعة من (٦) مكان واحد، فأخذتها ثم شممتها فإذا هي طيبة تفوح منها رائحة المسك فأتيته بها فرمى بها وجوه المشركين، وتلك الحصيات أربع منها كن من الفردوس، وحصاة من المشرق، وحصاة من

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٠-٢٧١. ٢- جوامع الجامع: ج ٢، ص ١٠.

٣- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٢. إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في أي متشابهة.

٤- تفسير العبّاشي: ج ٢، ص ٥٢، ح ٣٤. ٥- وفي نسخة: [حصيات] كما في المصدر.

٦- وفي نسخة: [في] كما في المصدر.

ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

المغرب، وحصاة من تحت العرش، مع كل حصاة مائة ألف ملك مدداً لنا، لم يكرم الله عز وجل بهذه الفضيلة أحداً قبلنا ولا بعدنا^(١).

﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾: ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات، فَعَلَّ مَا فَعَلَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لاستغاثتهم ودعائهم.

﴿عَلِيمٌ﴾: بنياتهم وأحوالهم.

﴿ذَلِكُمْ﴾: أي الغرض ذلكم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾: يعني أَنَّ المقصود إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين، وقرئ موهن كيد بالإضافة بالتشديد.

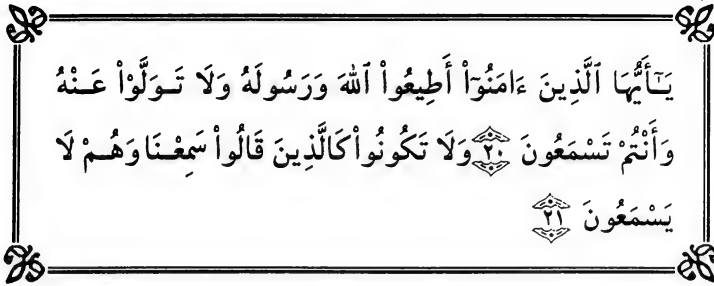
﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾: قيل: الخطاب لأهل مكة على سبيل التهكم إذ روي أنه حين أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللَّهُمَّ انصر أعلى الجندين وأهدى الفتنين، وأكرم الحزبين^(٢).

وفي الجمع: في حديث أبي حمزة قال أبو جهل: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا ديننا القديم، ودين محمد الحديث فأَيَ الدينين كان أحبَّ إليك وأرضى عندك فانصر أهلَه اليوم»^(٣).

١- الخصال: ص ٥٧٦، ح ١، أبواب السبعين وما فوقه.

٢- قاله الطبرسي في جوامع الجامع: ج ٢، ص ١١.

٣- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٥٣١.



وروي أنه قال: أَيْنَا أَهَجَر وَأَقْطَعَ لِلرَّحِمِ فَأَهْنَهُ الْيَوْمَ فَأَهْلِكُهُ (١).

وقيل: خطاب للمؤمنين وكذا القولان فيما بعده (٢).

﴿وَإِنْ تَتَهَوُّوا﴾: عن الكفر ومعاداة الرسول أو التكاثر في القتال، والرغبة عما يستأثره الرسول.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: لتضمنه سلامة الدارين، وخير المنزلين.

﴿وَإِنْ تَعُودُوا﴾: لمحاربته أو التكاثر.

﴿نَعُدُّ﴾: لنصره أو الإنكار.

﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ﴾: ولن تدفع عنكم جماعتكم.

﴿شَيْئاً﴾: من الإغناء أو المضار.

﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾: فتنكم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالتصبر والمعونة، وقرئ «أَنْ» بفتح الهمزة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾: عن الرسول.

﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾: القرآن والمواظع سماع فهم وتصديق.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾: ادعوا السماع.

﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: سماعاً ينتفعون به.

١ - جوامع الجامع: ج ٢، ص ١١.

٢ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٥٣١. وجوامع الجامع: ج ٢، ص ١١.

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾
 وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ
 مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
 إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ
 وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ﴾: عن الحق.

﴿الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: الحق.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾: سماع تفهم.

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾: وقد علم أن لا خير فيهم.

﴿لَتَوَلَّوْا﴾: ولم ينتفعوا به.

﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾: لعنادهم، في المجمع: عن الباقر عليه السلام نزلت في بني عبد الدار لم يكن

أسلم منهم غير مصعب بن عمير، وحليف لهم يقال له: سويط ^(١).

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾: بالطاعة.

﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾: الرسول.

﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام نزلت في ولاية علي عليه السلام ^(٢).

والقمي: الحياة: الجنة ^(٣)، وعن الباقر عليه السلام: في هذه الآية ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

١- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٥٣٢.

٢- الكافي: ج ٨، ص ٢٤٨، ح ٣٤٩ تفسير آيات من القرآن.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧١.

فإن اتّباعكم إياه وولايته أجمع لأمركم وأبقى للعدل فيكم^(١).

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾: يملك تقلّب القلوب من حال إلى حال.

القمي: أن يحول بينه وبين ما يريد^(٢).

وعن الباقر عليه السلام يقول: يحول بين المؤمن ومعصيته أن تقوده إلى النار، وبين الكافر وطاعته أن يستكمل بها الإيمان، قال: واعلموا أن الأعمال بخواتيمها^(٣).

وفي التوحيد^(٤)، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية يحول بينه وبين أن يعلم أن الباطل حقّ^(٥).

وفي المجمع^(٦)، والعيّاشي: عنه عليه السلام معناه لا يستيقن القلب أن الحقّ باطل أبداً، ولا يستيقن القلب أن الباطل حقّ أبداً^(٧).

والعيّاشي: عنه عليه السلام هو أن يشتبه الشيء بسمعه وبصره ولسانه وبده أمّا إن هو غشى شيئاً ممّا يشتبه فإنه لا يأتيه إلا قلبه منكر لا يقبل الذي يأتي يعرف أن الحقّ ليس بباطل^(٨)^(٩).

وعن الباقر عليه السلام: هذا الشيء يشتبهه الرجل بقلبه وسمعه وبصره لا تتوق نفسه إلى غير ذلك فقد حيل بينه وبين قلبه إلا ذلك الشيء^(١٠).

﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: فيجازيكم بأعمالكم.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧١. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧١.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧١. وفيه «وبين الكافر وبين طاعته».

٤- التوحيد: ج ٣٥٨، ح ٦، باب ٥٨- السعادة والشقاوة.

٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٢، ح ٣٦. ٦- مجمع البيان: ج ٣، ص ٤، ص ٥٣٤.

٧- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٣، ح ٣٩.

٨- وفي نسخة: [أن الحق ليس فيه]، وهكذا في المصدر.

٩- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٢، ح ٣٧ بتفاوت. ١٠- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٢، ح ٣٨.

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ
 اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٥﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ
 فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ
 بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾: بل تعتهم وغيرهم
 كالمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وافتراق الكلمة، وظهور البدع.
 والعياشي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: أصابت الناس فتنة بعد ما قبض الله
 نبيه صلى الله عليه وآله حتى تركوا علياً عليه السلام وبايعوا غيره، وهي الفتنة التي فتنوا بها، وقد أمرهم رسول
 الله صلى الله عليه وآله بإتباع علي عليه السلام والأوصياء من آل محمد (صلوات الله عليهم) ^(١).
 وفي المجمع: عن علي، والباقر عليه السلام أنهما قرنا لتصيين ^(٢).
 وعن ابن عباس: أنها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وآله: من ظلم علياً عليه السلام مقعدي هذا بعد وفاي
 فكأنما جحد نبوتي ونبوة الأنبياء قبلي ^(٣).

والقمي نزلت في طلحة والزبير لما حاربوا أمير المؤمنين عليه السلام وظلموه ^(٤).
 ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ * وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي
 الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ
 الطَّيِّبَاتِ: من الغنائم.
 ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: هذه النعم، القمي: نزلت في قريش خاصة ^(٥) وهو مروى

٢- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٥٣٢ في القراءة.

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٣، ح ٤٠.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧١.

٣- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٥٣٤ - ٥٣٥.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧١.

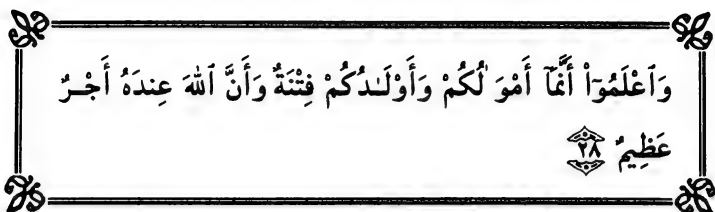
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا
أَمَنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾

عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً (١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنكم تخونون، في المجمع: عن الباقر والصادق عليه السلام نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام فأبى أن يعطيهم ذلك رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحاً لهم لأن عياله وماله وولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله ﷺ فأتاهم، فقالوا: ما ترى يا أبا لبابة أنزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه أنه الذبح فلا تفعلوا. فأتاه جبرئيل عليه السلام فأخبره بذلك، قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانها حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله، فنزلت الآية فيه، فلما نزلت شد نفسه على سارية (٢) من سواري المسجد، وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ، فكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شرباً حتى خر مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: إن من تمام توبتي أن أهجر دار

١ - كشف المحجّة: ص ١٧٥.

٢ - السارية: الاسطوانة، ومنه حديث الصادق عليه السلام في الشهادة على الشهادة «ولو كان خلف سارية» ومنه «أقيمت في مسجد رسول الله ﷺ سواري من جذوع النخل»، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٣٠، مادة «سرر».



قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أخلع من مالي، فقال النبي ﷺ: يجزيك الثلث إن تصدق به^(١).

والقمي: عن الباقر عليه السلام فخيابة الله والرسول: معصيتهما، أما خيانة الأمانة: فكل إنسان مأمون على ما افترض الله عز وجل عليه، قال: نزلت^(٢) في أبي لبابة بن عبد المنذر فلفظ الآية عام ومعناها خاص^(٣).

قال: ونزلت في غزوة بني قريظة في سنة خمس من الهجرة، وقد كتبت في هذه السورة مع أخبار بدر، وكانت على رأس ستة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزلت مع الآية التي في سورة التوبة قوله: «وَأَخْرَوْنَ أَغْرَفُوا يَذْنُوبِهِمْ»^(٤)، التي نزلت في أبي لبابة^(٥). قال: فهذا دليل على أن التأليف على خلاف ما أنزل الله على نبيه^(٦) ثم ذكر هذه القصة هناك كما يأتي.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: لإلهائهم إيتاكم عن ذكر الله.
 ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: لمن أثر رضاء الله عليهم.

في المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة لأنّه ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن، فإن الله سبحانه يقول: «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ»^(٧).

١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٥٣٥- ٥٣٦.

٢- أي هذه الآية.

٣- تفسير القمي: ج ١ ص ٢٧١.

٤- التوبة: ١٠٢.

٥ و ٦- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧١- ٢٧٢.

٧- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٥٣٦.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ
عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ
يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾: هداية في قلوبكم
تفرقون بها بين الحق والباطل، القمي: يعني العلم الذي تفرقون به بين الحق والباطل^(١).

﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾: ويسترها.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: بالتجاوز والعفو عنها.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: واذكر إذ تمكر بك
قريش، ذكره ذلك ليشكر نعمة الله تعالى عليه في خلاصه.

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾: بالحبس.

﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾: بسيوفهم.

﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾: من مكة.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾: برد مكرهم ومجازاتهم عليه.

وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾: العياشي: عن أحدهما عليه السلام إن قريشاً اجتمعت فخرج من كل بطن
أناس، ثم انطلقوا إلى دار الندوة ليتشاوروا فيما يصنعون برسول الله، فإذا شيخ قائم على الباب
وإذا ذهبوا إليه ليدخلوا، قال: أدخلوني معكم، قالوا: ومن أنت يا شيخ؟ قال: أنا شيخ من
مضر ولي رأي أشير به عليكم، فدخلوا وجلسوا وتشاوروا وهو جالس وأجمعوا

أمرهم على أن يخرجوه، فقال: ليس هذا لكم برأي، إن أخرجتموه أجلب عليكم الناس فقاتلوكم، قالوا: صدقت ما هذا برأي، ثم تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يوثقوه، قال: هذا ليس بالرأي إن فعلتم هذا ومحمد ﷺ رجل حلو اللسان أفسد عليكم أبناءكم وخدمكم وما ينفع أحدكم إذا فارقه أخوه وابنه أو امرأته، ثم تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يقتلوه يخرجون من كل بطن منهم بشاره فيضربونه بأسيا فهم جميعاً عند الكعبة، ثم قرأ هذه الآية: «وإذ يكرهك الذين كفروا»^(١)

والقَمِي: نزلت بمكة قبل الهجرة، وكان سبب نزولها أنه لما أظهر رسول الله ﷺ الدعوة بمكة قدمت عليه الأوس والخزرج فقال لهم رسول الله ﷺ: تمنعوني وتكونون لي جارا، حتى أتلو عليكم كتاب ربي وثوابكم على الله الجنة، فقالوا: نعم خذ لربك ولنفسك ما شئت، فقال لهم: موعدم العقبة^(٢) في الليلة الوسطى من ليالي التشريق، فحجوا ورجعوا إلى منى وكان فيهم ممن قد حجّ بشر كثير، فلما كان الثاني من أيام التشريق قال لهم رسول الله ﷺ: إذا كان الليل فاحضروا دار عبدالمطلب على العقبة، ولا تنهوا نائماً ولينسلّ واحداً فواحداً، فجاء سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فدخلوا الدار، فقال لهم رسول الله ﷺ: تمنعوني وتحيروني حتى أتلو عليكم كتاب ربي وثوابكم على الله الجنة، فقال سعد بن زرارة، والبراء بن معرور، وعبدالله بن حزام: نعم يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: فأما ما أشرتط لربي فإن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشرتط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون أنفسكم، وتمنعون أهلي مما تمنعون أهلכם وأولادكم، فقالوا: فما لنا على ذلك؟ فقال: الجنة في الآخرة، وتلكون

١ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٣ - ٥٤، ح ٤٢.

٢ - العقبة - بالتحريك -: مرقى صعب من الجبال، يجمع على عقاب، كرقبة ورقاب، ومنه «عقبة كؤدة» وليلة العقبة: هي الليلة التي بايع رسول الله الأنصار على الإسلام والنصرة، وذلك أنه ﷺ كان يعرض نفسه على القبائل في كل موسم ليؤمنوا به فلي رطاً فأجابوه فجاء في العام المقبل اثنا عشر إلى المرسم فبايعوه عند العقبة الأولى فخرج في العام الآخر سبعون إلى الحج واجتمعوا عند العقبة وأخرجوا من كل فرقة نقيباً فبايعوه، وهي البيعة الثانية. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٢٦، مادة «عقب».

العرب، ويدين لكم العجم في الدنيا، وتكونون ملوكاً في الجنة، فقالوا: قد رضينا، فقال: أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً يكونون شهداء عليكم بذلك، كما أخذ موسى من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً فأشار إليهم جبرئيل، فقال: هذا نقيب وهذا نقيب تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، فمن الخزرج: سعد بن زرارة، والبراء بن معرور^(١)، وعبدالله بن حزام أبو جبار بن عبدالله، ورافع بن مالك، وسعد بن عباد، والمنذر بن عمر، وعبدالله بن رواحة، وسعد بن الربيع، وعبادة بن الصّامت، ومن الأوس: أبو الهيثم بن التيهان وهو من اليمن، وأسيد^(٢) بن حصين، وسعد بن خيثمة، فلما اجتمعوا وبايعوا رسول الله ﷺ، صاح إبليس يا معشر قريش والعرب هذا محمد ﷺ والصّباة من أهل يثرب على حجرة العقبة يبايعونه على حربكم فاسمع أهل منى، وهاجت قريش فأقبلوا بالسلح، وسمع رسول الله ﷺ النداء فقال للأَنْصار: تفرّقوا، فقالوا يا رسول الله: إن أمرتنا أن نغلب عليهم بأسيفنا فعلنا، فقال لهم رسول الله ﷺ: لم أوْمِر بذلك، ولم يأذن الله لي في محاربتهم، قالوا: فتخرج معنا؟ قال: أنتظر أمر الله، فجاءت قريش على بكرة أبيها قد أخذوا السلح، وخرج حمزة وأمير المؤمنين ﷺ ومعهما السيف فوقفا على العقبة فلما نظرت قريش إليهما قالوا: ما هذا الذي اجتمعتم له؟ فقال حمزة: ما اجتمعنا وما هاهنا أحد، والله لا يجوز هذه العقبة أحد إلاّ ضربته بالسيف^(٣)، فرجعوا إلى مكّة، وقالوا: لا نأمن أن يفسد أمرنا ويدخل واحد من مشايخ قريش في دين محمد ﷺ فاجتمعوا في دار الندوة، وكان لا يدخل دار الندوة إلاّ من قد أتى عليه أربعون سنة، فدخلوا أربعين رجلاً من مشايخ قريش، وجاء إبليس في صورة شيخ كبير، فقال له البوّاب: من أنت؟ قال: أنا شيخ من أهل نجد لا يعدمكم مني رأي صائب إني حيث بلغني اجتماعكم في أمر هذا الرجل فجئت لأشير عليكم، فقال: أدخل، فدخل إبليس فلما أخذوا مجلسهم قال أبو جهل: يا معشر قريش إنّه لم يكن أحد من العرب أعزّ منا نحن أهل الله تفد إلينا العرب في السنة

١- وفي المصدر: البراء بن مغرور.

٢- وفي نسخة: [أسد بن حصين] كما في المصدر.

٣- وفي نسخة: [بسني].

مرتين ويكرّمونا، ونحن في حرم الله لا يطمع فينا طامع، فلم نزل كذلك حتّى نشأ فينا محمد بن عبد الله ﷺ فكنا نسّميه الأمين لصلاحه وسكونه، وصدق لهجته، حتّى إذا بلغ ما بلغ وأكرّمناه، إدعى أنّه رسول الله، وأنّ أخبار السماء تأتيه فسقه أحلامنا، وسبّ آهتنا، وأفسد شبّاننا، وفرّق جماعتنا، وزعم أنّه من مات من أسلافنا في النّار، فلم يرد علينا شيء أعظم من هذا، وقد^(١) رأيت فيه رأياً، قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت أن ندسّ إليه رجلاً ممّن ليقتله فإن طلبت بنو هاشم بدمه أعطيناهم عشر ديات، فقال الحبيث؟ هذا رأي حبيث، قالوا وكيف ذلك؟ قال: لأنّ قاتل محمّد مقتول لا محالة، فمن هذا الذي يبذل نفسه للقتل منكم، فإنّه إذا قتل محمد تعصّب بنو هاشم وحلفاؤهم من خزاعة، وإنّ بني هاشم لا ترضى أن يمشي قاتل محمّد ﷺ على الأرض فتقع بينكم الحروب في حرّمكم، وتتفانوا، فقال آخر منهم: فعندي رأي آخر، قال: وما هو؟ قال: نثبتته في بيته ونلقي إليه قوته حتّى يأتي عليه ريب المنون فيموت كما مات زهير، والتّابغة، وامرء القيس، فقال إبليس: هذا أخبث من الآخر، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأنّ بني هاشم لا ترضى بذلك، فإذا جاء موسم من مواسم العرب استغاثوا بهم واجتمعوا عليكم فأخرجوه، وقال آخر منهم: لا ولكنّا نخرجه من بلادنا وتفرّغ نحن لعبادة آهتنا، قال إبليس: هذا أخبث من الرأيين المتقدّمين، قالوا: وكيف ذاك؟ قال: لأنّكم تتمدون إلى أصبح النّاس وجهاً، وأنطق النّاس لساناً، وأفصحهم لهجّة، فتحملونه إلى بوادي العرب فيخدعهم ويسخرهم بلسانه فلا يفجأكم إلّا وقد ملأها عليكم خيلاً ورجلاً، فبقوا حائرين، ثمّ قالوا لإبليس: فما الرأي فيه يا شيخ؟ قال: ما فيه إلّا رأي واحد، قالوا: وما هو؟ قال: يجتمع من كلّ بطن من بطون قريش واحد ويكون معهم من بني هاشم رجل فيأخذون سكينه أو حديدة أو سيفاً فيدخلون عليه فيضربونه كلّهم ضربة واحدة حتى يتفرّق دمه في قريش كلّها فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدمه، وقد شاركوا فيه، فإن سألوكم أن تعطوا الدية فأعطوهم ثلاث ديات، فقالوا: نعم عشر ديات، ثمّ قالوا: الرأي رأي الشيخ النجدي، فاجتمعوا، ودخل

معهم في ذلك أبو هلب عم النبي ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ وأخبره أن قريشاً قد اجتمعت في دار الندوة ويدبرون عليك، وأنزل عليه في ذلك: «وإذ يكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» واجتمعت قريش أن يدخلوا عليه ليلاً فيقتلوه، وخرجوا إلى المسجد يصفرون، ويصفقون، ويطوفون بالبيت، فأنزل الله: «وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً»^(١)، فالمكاء: التصفير، والتصدية: صفق اليدين، وهذه الآية معطوفة على قوله: «وإذ يكر بك الذين كفروا» وقد كتبت بعد آيات كثيرة، فلما أمسى رسول الله ﷺ جاءت قريش ليدخلوا عليه، فقال أبو هلب: لا أדعكم أن تدخلوا عليه بالليل فإن في الدار صبياناً ونساءً ولا نأمن أن تقع بهم يد خائنة^(٢) فنحرسه الليلة فإذا أصبحنا دخلنا عليه فناموا حول حجرة رسول الله ﷺ وأمر رسول الله ﷺ أن يفرش له ففرش له، فقال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: أفدني بنفسك؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: ثم على فراشي والتحف ببردي، فنام علي عليه السلام على فراش رسول الله ﷺ، والتحف ببردته، وجاء جبرئيل فأخذ بيد رسول الله ﷺ فأخرجه على قريش وهم نيام، وهو يقرأ عليهم «وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ»^(٣) وقال له جبرئيل: خذ على طريق ثور، وهو جبل على طريق منى له سنام كسنام الثور، فدخل الغار، وكان من أمره ما كان، فلما أصبحت قريش وثبوا إلى الحجرة وقصدوا الفراش فوثب علي في وجوههم فقال: ما شأنكم، قالوا له: أين محمد ﷺ؟ قال: جعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم نخرجه من بلادنا فقد خرج عنكم، فأقبلوا يضربونه، ويقولون أنت تخذعنا منذ الليلة، فنفروا في الجبال، وكان فيهم رجل من خزاعة يقال له: أبو كرز يقفو الآثار، فقالوا: يا أبا كرز اليوم اليوم، فوقف بهم على باب حجرة رسول الله ﷺ فقال: هذه قدم محمد ﷺ والله إنها لأخت القدم التي في المقام، وكان أبو بكر استقبل رسول

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا ااَللّٰهُمَّ اِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ اَوْ اِثْنًا بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ ﴿٣٢﴾

الله ﷻ فردّه معه، فقال أبو كرز: وهذه قدم ابن أبي قحافة أو أبيه، ثم قال: وهاهنا عير ابن أبي قحافة، فما زال بهم حتى أوقفهم على باب الغار، ثم قال: ما جازوا^(١) هذا المكان، إمّا أن يكونا صعدا إلى السماء أو دخلا تحت الأرض، وبعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار، وجاء فارس من الملائكة حتى وقف على باب الغار، ثم قال: ما في الغار أحد فتفرقوا في الشعاب فصرهم الله عن رسول الله ﷺ، ثم أذن لنبئه في الهجرة^(٢).

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾: قيل: قائله النضر بن الحارث بن كلفة، وأسر يوم بدر فقتله رسول الله ﷺ صبرا بيد علي عليه السلام، وإنما قاله صلفاً وهذا غاية مكابرتهم، وفرط عنادهم إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاءوا، وقد تحدّاهم وقرعهم بالعجز عشر سنين، ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع فرط حرصهم على قهره وغلبته^(٣).

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: ما سطره الأولون من القصص، قيل: قاله النضر أيضاً وذلك أنه جاء بحديث رستم واسفنديار من بلاد فارس، وزعم أن هذا هو مثل ذلك^(٤).

﴿وَإِذْ قَالُوا اَللّٰهُمَّ اِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٢-٢٧٦.

١- وفي المصدر: «ما جازوا».

٤- جوامع الجامع: ج ٢، ص ١٧.

٣- جوامع الجامع: ج ٢، ص ١٧.

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾

مَنْ السَّمَاءِ أَوْ آتَيْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٣﴾: قيل: هذا أيضاً من كلام النَّصْر، وهو أبلغ في الجحود،
أراد به التَّهْكُم وإظهار الحزم التَّام على كونه باطلاً^(١). والقمي: قاله أبو جهل^(٢).
وفي الكافي: قاله الحارث بن عمرو الفهري^(٣).

وفي المجمع: قاله النِّعَان بن الحارث^(٤)، كما يأتي جميعاً.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ﴾: بيان لموجب إِمهالهم والتَّوقُّف في إجابة دعائهم.
﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: فإنَّهم الجأوا
رسول الله ﷺ والمؤمنين إلى الهجرة، وأحصرُوا عام الحديبية.

﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾: مستحقِّين ولاية أمره مع شركهم، وهو ردُّ لقولهم نحن ولاية
البيت والحرم.

﴿إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: من الشَّرِك الذين لا يعبدون فيه غيره.

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٩٢.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٧.

٣- الكافي: ج ٨، ص ٥٧، ح ١٨. في أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يشبه عيسى بن مريم عليه السلام.

٤- مجمع البيان: ج ٩-١٠، ص ٣٥٢.

في المجمع: عن الباقر عليه السلام معناه وما أولياء المسجد الحرام إلا المتّقون ^(١).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام وما كانوا أولياءه، يعني أولياء البيت، يعني المشركين، إن أولياءه إلا المتّقون حيثما كانوا أولى به من المشركين ^(٢).

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن لا ولاية لهم عليه.

القمي: نزلت لما قال رسول الله ﷺ لقريش: «إن الله بعثني أن أقتل جميع ملوك الدنيا وأجّر الملك إليكم فأجيئوني إلى ما أدعوكم إليه تملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم، وتكونوا ملوكاً في الجنة» فقال أبو جهل: اللهم إن كان هذا الذي يقول محمد ﷺ هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم حسداً لرسول الله ﷺ، ثم قال: كنّا وبني هاشم كفرسي رهان نحمل إذا حملوا ونطعن إذا طعنوا، ونوقد إذا وقدوا ^(٣) فلما استوى بنا وبهم الركب قال قائل منهم: منّا نبيّ، لا نرضى بذلك أن يكون في بني هاشم نبيّ ولا يكون في بني مخزوم، ثم قال: «غفرانك اللهم»، فأنزل الله في ذلك «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» ^(٤) حين قال: «غفرانك اللهم»، فلما همّوا بقتل رسول الله ﷺ وأخرجوه من مكّة، قال الله: «وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ» ^(٥) يعني قريباً ما كانوا أولياء مكّة «إن أولياءه إلا المتّقون» أنت وأصحابك يا محمد فعذبهم الله يوم بدر فقتلوا ^(٦).

وفي الكافي: عن أبي بصيره، قال: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له رسول الله ﷺ: إنّ فيك شهباً من عيسى بن مريم، ولولا أن يقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لا تمرّ بلاءاً من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة، قال: فغضب الأعرابيّان، والمغيرة بن شعبة، وعدّة من

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٥، ح ٤٦.

٤- الأنفال: ٣٣.

٦- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٦-٢٧٧.

١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٥٣٩.

٣- وفي نسخة: [ونوفد إذا وفدوا].

٥- الأنفال: ٣٤.

قريش معهم، فقالوا: ما رضى أن يضرب لابن عمّه مثلاً إلا بعيسى بن مريم، فأنزل الله على نبيه ﷺ فقال: «وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا أَأَلْهَيْتَنَا خَيْرَ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ مِنْكُمْ» أي من بني هاشم «ملائكة في الأرض يخلفون»^(١)، قال: فغضب الحارث بن عمرو الفهري فقال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك أن بني هاشم يتوارثون هرقلاً^(٢) بعد هرقل فأرسل علينا حجارة من السماء أو آتتنا بعذاب أليم فأنزل الله عليه مقالة الحارث ونزلت هذه الآية: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» ثم قال له: يا ابن عمرو إما تبت وإما رحلت، فدعا براحلته فركبها فلما صار بظهر المدينة أتته جندلة^(٣) فرضت هامته، فقال رسول الله ﷺ لمن حوله من المنافقين: انطلقوا إلى صاحبكم فقد أتاه ما استفتح به، قال الله عز وجل: «وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ»^{(٤)(٥)}.

وفي الجمع: عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليه السلام، لما نصب رسول الله ﷺ علياً عليه السلام يوم غدیر خم، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» طار ذلك في البلاد فقدم على النبي ﷺ التّعمان ابن الحارث الفهري فقال: أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ﷺ.

١- الزخرف: ٥٧-٦٠.

٢- هرقل: ملك الروم كأنه أراد سلطنة بني هاشم تكون بالتوارث. إن كان حقاً منه ﷺ. وذكر الطريحي هرقل - وزان خندف -: اسم ملك الروم، ومن كلام الحرث بن عمر الفهري: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك إن بني هاشم يتوارثون هرقلاً بعد هرقل فكذا أراد أن بني هاشم يتوارثون ملكاً بعد ملك. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٩٨، مادة «هرقل».

٣- الجندل - كجعفر -: ما يثقله الرجل من الحجارة. القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٥٢، مادة «جندل».

٤- إبراهيم: ١٥.

٥- الكافي: ج ٨، ص ٥٧-٥٨، ح ١٨. في أن أمير المؤمنين عليه السلام يشبه عيسى بن مريم عليه السلام. وفيه: «وأمر علينا».

وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها، ثم لم ترض عنا حتى نصبت هذا الغلام فقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أو أمر من عند الله؟ فقال: والله الذي لا إله إلا هو إن هذا من الله، فولى النعمان بن الحارث، وهو يقول: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء»، فرماه الله بجبر على رأسه فقتله، وأنزل الله تعالى: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ» (١) (٢).

وفي الكافي: عنه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكم في حياتي خيراً، وفي مماتي خيراً، قال: فقيل يا رسول الله أما حياتك فقد علمنا، فما لنا في مماتك؟ فقال: أما في حياتي فإن الله عز وجل يقول: «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم» وأما في مماتي فتعرض علي أفعالكم فأستغفر لكم (٣).

والقمي (٤)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام ما يقرب منه، وقال في آخره: فإن أفعالكم تعرض علي كل خميس واثنين، فما كان من حسنة حمدت الله عليها، وما كان من سيئة استغفرت الله لكم (٥).

وفي نهج البلاغة: كان في الأرض أمانان من عذاب الله سبحانه فرفع أحدهما، ودونكم الآخر فتمسكوا به، أما الأمان الذي رفع فرسول الله ﷺ، وأما الأمان الباقي: فالإستغفار ثم تلا هذه الآية (٦).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام كان رسول الله ﷺ والإستغفار حصنين لكم من العذاب، فمضى أكبر الحصنين وبقي الإستغفار، فأكثرُوا منه فإنه محاة للذنوب وإن شئتم فاقروا، ثم تلا هذه الآية (٧).

١- المعارج: ١. ٢- مجمع البيان: ج ٩- ١٠، ص ٣٥٢.

٣- الكافي: ج ٨، ص ٢٥٤، ح ٣٦١. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٧.

٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٤- ٥٥، ح ٤٥. ٦- نهج البلاغة: ص ٤٨٣، قصار الحكم ٨٨.

٧- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٤، ح ٤٤.

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾: صغيراً.

﴿وَتَصَدِيَةً﴾: تصفيقاً، يعني وضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة، وفي المعاني^(١)،
والعياشي: عن الصادق عليه السلام قال: التصفير والتصفيق^(٢).

وفي العيون عن الرضا عليه السلام سميت مكة مكة لأن الناس يمكّون فيها، وكان يقال لمن
قصدها قد مكأ، وذلك قول الله تعالى: «وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية»
فالمكاء: التصفير، والتصدية: تصفيق اليدين^(٣).

قيل: كانوا يطوفون بالبيت عراة يشبكون بين أصابعهم ويصفرون فيها ويصفقون،
وكانوا يفعلون ذلك إذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه^(٤).

وفي المجمع: روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى في المسجد الحرام قام رجلان من بني
عبد الدار عن يمينه فيصفقان، ورجلان عن يساره فيصفقان بأيديهما فيخلطان عليه صلاته،
فقتلهم الله جميعاً ببدر^(٥).

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾: يعني القتل والأسر يوم بدر، أو عذاب النار في الآخرة.

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: بسبب كفركم، القمي: هذه الآية معطوفة على قوله «وإذ يكر

١- معاني الأخبار: ص ٢٩٧، ح ١، باب معنى المكاء والتصدية.

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٥، ح ٤٦.

٣- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٩٠-٩١، ح ١، باب ٣٣- في ذكر ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمد بن

سنان في جواب مسأله في العلل. وفيه: «فالمكاء والتصدية: صفق اليدين».

٤- قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٢١٨.

٥- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٥٤٠.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ
أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾

بك الَّذِينَ كَفَرُوا»^(١) كما نقلنا عنه هناك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ
تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾: القمي: نزلت في قريش لما وافاهم ضمضم وأخبرهم
بخبر رسول الله ﷺ في طلب العير، فأخرجوا أموالهم، وحملوا وأنفقوا، وخرجوا إلى محاربة
رسول الله ﷺ بيدر فقتلوا وصاروا إلى النار، وكان ما أنفقوا حسرةً عليهم^(٢).

أقول: قد مضت تسمية بعض المنافقين في قصة بدر.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾: يساقون.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: الكافر من المؤمن، والصالح من الفاسد.

﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾: فيجمعه ويضمّ بعضه إلى بعض.
﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾: كله.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: الكاملون في الخسران، في العلل: عن الباقر عليه السلام في

حديث طويل أن الله سبحانه مزج طينة المؤمن حين أراد خلقه بطينة الكافر، فما يفعل
المؤمن من سيئة فإنما هو من أجل ذلك المزاج، وكذلك مزج طينة الكافر حين أراد خلقه بطينة

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾

المؤمن فما يفعل الكافر من حسنة فإنما هو من أجل ذلك المزاج. أو لفظُ هذا معناه، قال: فإذا كان يوم القيامة ينزع الله تعالى من العدو النَّاصِبِ سنخ المؤمن ومزاجه وطينته وجوهره وعنصره مع جميع أعماله الصَّالحة ويردّه إلى المؤمن، وينزع الله تعالى من المؤمن سنخ النَّاصِبِ ومزاجه وطينته وجوهره وعنصره مع جميع أعماله السيئة الرديئة ويردّه إلى النَّاصِبِ عدلاً منهم جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه، ويقول: للنَّاصِبِ لا ظلم عليك هذه الأعمال الخبيثة من طينتك ومزاجك وأنت أولى بها وهذه الأعمال الصَّالحة من طينة المؤمن ومزاجه وهو أولى بها «لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ»^(١)، ثم قال: أزيدك في هذا المعنى من القرآن أليس الله عزّ وجلّ يقول: «الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ»^(٢)، وقال عزّ وجلّ: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ» ﴿يُمَيِّزُ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ»^{(٣)(٤)}. وقد أوردنا تمام هذا الحديث على وجهه وشرحناه في كتابنا الموسوم^(٥) بالوافي، من أراحه فليطلبه هناك^(٦).

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا﴾: عن الكفر ومعاداة الرسول.

١- غافر: ١٧.

٢- النور: ٢٦.

٣- الأنفال: ٣٦- ٣٧.

٤- علل الشرائع: ص ٤٨٩- ٤٩١، ح ١، باب ٢٤٠- العلة التي من أجلها قد يرتكب المؤمن المحارم ويعمل الكافر الحسنات. مع الإختلاف في ألفاظ الحديث.

٦- الوافي: ج ٤، ص ٤٥- ٥١.

٥- وفي نسخة: [المسمى].

وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ
 انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾

﴿يُعْزِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾: من ذنوبهم.

﴿وَإِن يَعُودُوا﴾: إلى قتاله.

﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾: الذين تحزّبوا على الأنبياء ﷺ بالتدمير، كما جرى

على أهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك.

العيّاشي: عن الباقر ﷺ أنّه قال له رجل: إني كنت عاملاً لبني أميّة فأصبت مالاً كثيراً،

فظننت أنّ ذلك لا يحلّ لي فسألت عن ذلك ف قيل لي: إنّ أهلك ومالك وكلّ شيء لك حرام،

فقال ﷺ: ليس كما قالوا لك، قال: فلي توبة، قال: نعم توبتك في كتاب الله: «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ

يَنْتَهُوا يُعْزَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ»^(١).

﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: لا يوجد فيهم شرك، القميّ: أي كفر، قال:

وهي ناسخة لقوله: «كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»^(٢) ولقوله «وَدَعَ أَدَاهُمْ»^(٣)(٤).

﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾: تضحمّل عنهم الأديان الباطلة، في الكافي: عن

الباقر ﷺ لم يجيئ تأويل هذه الآية بعد أنّ رسول الله ﷺ رخص لهم لحاجته وحاجة أصحابه،

فلو قد جاء تأويلها لم يقبل منهم، ولكنهم يقتلون حتى يوحد الله عزّ وجلّ، وحتى لا يكون

شرك^(٥).

وفي المجمع^(٦)، والعيّاشي: عن الصادق ﷺ لم يجيئ تأويل هذه الآية، ولو قد قام قائمنا

٢- النساء: ٧٧.

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٥، ح ٤٧.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٨.

٣- الأحزاب: ٤٨.

٦- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٥٤٣.

٥- الكافي: ج ٨، ص ٢٠١، ح ٢٤٣.

وَإِنْ تَوَلَّوْا فاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ
 ﴿٤٠﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ
 وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ
 ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ أَلْتَقَى
 الْجَمْعَانِ ﴿٤١﴾

بعده سيري من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية، وليبلغن دين محمد ﷺ ما بلغ الليل حتى لا يكون شرك^(١) على ظهر الأرض كما قال الله تعالى «يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً»^{(٢)(٣)}.

﴿فَإِنْ أَنْتَهُوَ﴾: عن الكفر.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فيجازيهم على إنتهائهم عنه، وإسلامهم.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: ولم ينتهوا.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ﴾: ناصركم، فتقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم.

﴿نِعَمَ الْمَوْلَى﴾: لا يضيع من تولاه.

﴿وَنِعَمَ النَّصِيرِ﴾: لا يغلب من نصره.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ﴾: قيل: أي الذي أخذتموه من الكفار قهراً^(٤).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام هي والله الإفادة يوماً بيوم^(٥).

أقول: يعني استفادة المال من أي جهة كانت.

١- وفي نسخة: [مشارك]. ٢- النور: ٥٥.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٦، ح ٤٨.

٤- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٩٤.

٥- الكافي: ج ١، ص ٥٤٤، ح ١٠، باب النية والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه.

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام إن ذا القربى هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله، والخمس لله، وللرسول، ولنا (١).

والعياشي: عن أحدهما عليه السلام مثله، وزاد: أنه سئل منهم اليتامى والمساكين وابن السبيل؟ قال: نعم (٢).

وفي الكافي (٣)، والتهذيب: عن أمير المؤمنين عليه السلام نحن والله عنى بذى القربى الذين قرنهم الله بنفسه وبرسوله، فقال: «مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ» (٤) منا خاصة، قال: ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيباً أكرم الله نبيه وأكرمنا أن يطعمنا أو ساخ ما في أيدي الناس (٥).

وفي الكافي: عن الرضا عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقليل له: فما كان لله فلمن هو؟ فقال: لرسول الله صلى الله عليه وآله: «وما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله فهو للإمام»، فقليل له: أرايت إن كان صنف من الأصناف أكثر وصنف أقل ما يصنع به؟ قال: ذاك إلى الإمام، أرايت رسول الله صلى الله عليه وآله كيف يصنع؟ أليس إنما كان يعطي على ما يرى؟ كذلك الإمام (٦).

وفي الفقيه (٧)، والتهذيب (٨)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام أما خمس الله: فللرسول

١- الكافي: ج ١، ص ٥٣٩، ح ٢، باب النية والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه.

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦١، ح ٥٠. ٣- الكافي: ج ٨، ص ٦٣، ح ٢١.

٤- الحشر: ٧.

٥- تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٢٦، ح ٣٦٢/٣، باب ٣٦- تمييز أهل الخمس ومستحقه ممن ذكر الله في القرآن.

٦- الكافي: ج ١، ص ٥٤٤، ح ٧، باب النية والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه.

٧- لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٢، ح ٧٩/٨، باب ٧- الخمس.

٨- تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٢٥، ح ٣٦٠/١، باب ٣٦- تمييز أهل الخمس ومستحقه ممن ذكر الله في القرآن.

يضعه في سبيل الله، وأما خمس الرسول: فلاقاربه، وخمس ذوي القربى: فهم أقرباؤه، واليتامى يتامى أهل بيته، فجعل هذه الأربعة الأسهم فيهم، وأما المساكين، وابن السبيل: فقد عرفت إننا لا نأكل الصدقة، ولا تحل لنا. فهي للمساكين، وأبناء السبيل^(١).

وفي التهذيب: عن أحدهما عليه السلام، خمس الله: للإمام، وخمس الرسول: للإمام، وخمس ذي القربى: لقربة الرسول عليه السلام والإمام عليه السلام، واليتامى: يتامى آل الرسول، والمساكين منهم وأبناء السبيل منهم، فلا يخرج منهم إلى غيرهم^(٢).

والقمتي: فهم أيتام آل محمد (صلوات الله عليهم) خاصة ومساكينهم وأبناء سبيلهم، فن الغنيمة يخرج الخمس ويقسم على ستة أسهم: سهم لله، وسهم لرسول الله، وسهم للإمام، فسهم الله، وسهم الرسول يرثه الإمام فيكون للإمام ثلاثة أسهم من ستة، والثلاثة الأسهم لأيتام آل الرسول صلوات الله عليهم، ومساكينهم، وأبناء سبيلهم، وإنما صارت للإمام وحده من الخمس ثلاثة أسهم لأن الله تعالى قد ألزمه بما ألزم النبي عليه السلام من تربية الأيتام ومؤن المسلمين وقضاء ديونهم وحملهم في الحج والجهاد، وذلك قول رسول الله عليه السلام لما أنزل عليه: «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ»^(٣) وهو أب لهم، فلما جعله الله أباً للمؤمنين لزمهم ما يلزم الوالد للولد، فقال عند ذلك: من ترك مالا فلورثته، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فعلي وإلي فلزم الإمام ما لزم الرسول عليه السلام، فلذلك صار له من الخمس ثلاثة أسهم^(٤).

﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللّٰهِ﴾: متعلق بمحذوف، يعني إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به، فاقطعوا عنه أطعكم واقتنعوا بالأخماس الأربعة.
﴿وَمَا أُنْزِلْنَا﴾: وبما أنزلنا.
﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: محمد عليه السلام من الآيات، والملائكة، والنصر.

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٣-٦٤، ح ٦٤.

٢- تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٢٥، ح ٣٦١/٢، باب ٣٦- تمييز أهل الخمس ومستحقه ممن ذكر الله في

٣- الأحزاب: ٦.

القرآن.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٨.

إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ
مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خِلْفَ لَكُمْ فِي الْمِيعَدِ وَلَكِنَّ لِيَقْضِيَ اللَّهُ
أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِنَا وَيَحْيِيَ مَنْ حَيَّ
عَن بَيْتِنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ٤٢

﴿يَوْمَ أَفْرَقْنَا﴾: يوم بدر فإنه فرّق فيه بين الحقّ والباطل.
﴿يَوْمَ اتَّخَذَ الْجَمْعَانِ﴾: المسلمون والكفار^(١). في الخصال في حديث الأغسال عن
الباقر عليه السلام: ليلة التقى الجمعان: ليلة بدر^(٢).

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فيقدر على نصر القليل على الكثير، والإمداد بالملائكة.
﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا﴾: من المدينة بدل من يوم الفرقان، والعدو - مثلثة -:
شطّ الوادي.

﴿وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَى﴾: البعدى من المدينة، تأنيث الأقصى، القمّي: يعني
قريشاً حيث نزلوا بالعدوّة اليمايّة، ورسول الله ﷺ نزل بالعودة الشاميّة^(٣)، وقرئ العدوّة
بكسر العين.

﴿وَالرَّكْبُ﴾: القمّي: يعني العير التي أفلتت^(٤).

١ - العياشي: عن الباقر عليه السلام قال: في تسعة عشر من شهر رمضان يلتقي الجمعان، قلت: ما معنى قوله: «يلتقي
الجمعان»؟ قال: يجتمع فيها ما يريد من تقديمه وتأخيرهِ وإرادته وقضائه. منه يَنْبَغِي. راجع تفسير العياشي: ج ٢،
ص ٦٤، ح ٦٧.

٢ - الخصال: ص ٥٠٨، ح ١، باب السبعة عشر «الغسل في سبعة عشر موطناً».

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٨. ٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٨.

والعياشي: عن الصادق عليه السلام يعني أبا سفيان وأصحابه^(١).

أقول: والتفسيران متحذان، فإن أبا سفيان كان مع العير.

﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾: في مكان أسفل من مكانكم يقودون العير بالساحل، والفائدة في ذكر هذه المواطن الإخبار عن الحالة الدالة على قوة المشركين وضعف المسلمين وإن غلبتهم على مثل هذه الحالة أمر النهي لا يتيسر إلا بحوله وقوته، وذلك أن العدو القصوى كان فيها الماء، ولا ماء بالعدو الدنيا، وكانت رخوة تسوخ^(٢) فيها الأرجل، وكانت العير وراء ظهورهم مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتحملهم على أن لا يرحوا مواطنهم، ويبدلوا نهاية نجدتهم، وفيه تصوير ما دبر الله من أمر وقعة بدر.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِ الْمُبْعَدِ﴾: أي لو تواعدتم أنتم، وهم على موعدة للقتال ثم علمتم حالكم وحالهم لخالف بعضكم بعضاً، تبطؤكم قللتكم عن الوفاء بالوعد وتبطؤهم^(٣) ما في قلوبهم من الرعب فلم يتفق لكم من الوفاء ما وفقه الله.

﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: كان واجباً أن يفعل من إغراز دينه، وإعلاء كلمته، ونصر أوليائه، وقهر أعدائه.

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾: عاينها.

﴿وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾: شاهداها، القمي: قال: يعلم من بقى أن الله نصره^(٤).

وقيل: ليصدر كفر من كفر، وإيمان من آمن عن وضوح وبينة، وقيام حجة^(٥)، وقرئ حَيَّ بِفِكَ الإِدْغَام.

١ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٥، ح ٦٩.

٢ - ساخت قوائمه في الأرض تسوخ سوخاً وتسيخ سيخاً من باب قال وباع: دخلت فيها وغابت. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤٣٥، مادة «سوخ».

٣ - تبطؤهم: أي حبسهم بالجبن، يقال: تبطؤ عن الأمر: أي أثقله وأقعد، وتبطؤ عن الأمور: إذا حبسه شغله عنها. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٤٠، مادة «تبطؤ».

٥ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٩٦.

٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٨.

إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَايَكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ
وَلَتَنْزَعُكَ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا
وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: يعلم كيف يدبر أموركم.

﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا﴾: لتخبر به أصحابك فيكون تشبيهاً لهم
وتشجيعاً على عدوهم.

﴿وَلَوْ أَرَايَكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ﴾: لجنتم.

﴿وَلَتَنْزَعُكَ فِي الْأَمْرِ﴾: أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾: أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: يعلم ما سيكون فيها وما يغير أحوالها من الجراءة

والجبن. القمي: فالمخاطبة لرسول الله ﷺ والمعنى لأصحابه، أراهم الله قريشاً في منامهم أنهم
قليل، ولو أراهم كثيراً لفرعوا^(١).

في الكافي: عن الباقر عليه السلام كان إبليس يوم بدر يقلل المسلمين في أعين الكفار ويكثر

الكفار في أعين الناس فشد عليه جبرئيل عليه السلام بالسيف فهرب منه، وهو يقول: يا جبرئيل إنني
مؤجل حتى وقع في البحر، قيل: لأي شيء يخاف وهو مؤجل؟ قال: بقطع^(٢) بعض أطرافه^(٣).

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٨-٢٧٩.

٢- وفي نسخة: [يقطع بعض أطرافه] كما في المصدر.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَاتَّبِعُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِيَ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾: تصديقاً لرؤيا رسول الله ﷺ وتثبيتاً لكم، في الجوامع: عن ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلاً منهم، فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفاً^(٤).
﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِيَ أَعْيُنِهِمْ﴾: حتى قال قائل منهم: إنما هم أكلة جزور، وقال أبو جهل: ما هم إلا أكلة رأس لو بعثنا عليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد، كما مرّ ذكره في القصة، وإنما قللهم في أعينهم ليجتروا عليهم قبل اللقاء، ثم كثروهم فيما بعد اللقاء لتفجأهم الكثرة فيها بوا، وتقل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم، وهذا من عظام آيات تلك الواقعة^(٥)، وعجائب قدرة الله فيها، فإنّ البصر وإن كان قد يرى الكثير قليلاً، والقليل كثيراً لكن لا على هذا الوجه ولا إلى هذا الحد^(٦).

﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ * يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً﴾: إذا حاربتهم جماعة كافرة أو باغية، واللقاء ممّا غلب في القتال.
﴿فَاتَّبِعُوا﴾: لقاتلهم ولا تفروا^(٧).

﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾: في مواطن الحرب داعين له مستظهريين بذكره مترقبين لنصره.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة، قيل: فيه تنبيه على أنّ العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وأن يلتجئ إليه عند الشدائد، ويقبل

٤- جوامع الجامع: ج ٢، ص ٢٤.

٣- الكافي: ج ٨، ص ٢٧٧، ح ٤١٩.

٦- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٩٦.

٥- وفي نسخة: [الوقعة].

٧- وفي نسخة: [ولا تفروا].

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾

إليه^(١) بشرائره^(٢)، فارغ البال، واثقاً بأن لطفه لا ينفك عنه في شيء من الأحوال^(٣).
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾: باختلاف الآراء كما فعلتم بيدراً وأحد.
﴿فَتَفْشَلُوا﴾: فتضعفوا عن قتال عدوكم.
﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: دولتكم، شبهت الدولة بالريح في نفوذ أمرها وهبوبها، يقال:
هبت ريح فلان إذا نفذ أمره، وقيل: لم يكن قط نصر إلا بريح يبعثها الله^(٤)، وفي الحديث
النبي ﷺ نُصِرْتُ بالصِّبَا، وأهلك عادي بالدُّبُور^(٥).
﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: بالكلاءة والنصر.
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: يعني أهل مكة حين خرجوا منها
لحماية العير.
﴿بَطَرًا﴾: فخراً وأشراً.

١- وفي نسخة: [يقبل عليه بشرائره] كما في المصدر.

٢- يقال ألقى عليه بشرائره - بالشينين المعجمتين، والرائين المهملتين -: أي نفسه حرصاً ومحبةً، واحداً
شررة، منه يَنْزُرُ.

٣- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٩٦، س ٢٣.

٤- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٩٧، والكشاف: ج ٢، ص ٢٢٧.

٥- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٩٧، والكشاف: ج ٢، ص ٢٢٧.

وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ
مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى
عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ
اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾

﴿وَرِثَاءَ النَّاسِ﴾: ليشنوا عليهم بالشجاعة والسباحة، وذلك أنهم لما بلغوا جحفة
وأناهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت غيركم فأبى أبو جهل، وقال: حتى تقدم بداراً
ونشرب بها الخمر وتعزف علينا القيان، ونطعم بها من حضرنا من العرب، فذلك بطرهم
ورثاؤهم فوافوها فسقوا كأس الحمام^(١) مكان الخمر وناحت عليهم التوائح مكان القيان،
فنهى الله المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مراءين.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَفْعَلُونَ مُحِيطٌ﴾: وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾: في معادة الرسول وغيرها بأن وسوس إليهم.

﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾: مجيركم.
﴿فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ﴾: تلاقى الفريقان.

﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ﴾: رجع القهقري، وبطل كيده، وعاد ما خيل إليهم أنه مجيرهم
سبب هلاكهم.

﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾: يعني جنود الملائكة.

﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾: أن يصيبني مكروهاً.

﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: قد مضى لهذه الآية بيان في سورة آل عمران في قصة

إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ
دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾

بدر، وفي المجمع: عن الباقر والصادق عليه السلام أنهم لما التقوا كان إبليس في صفّ المشركين آخذاً بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: يا سراقَة أتخذلنا على هذه الحال؟ فقال: إني أرى ما لا ترون، فقال: والله ما نرى إلا جواسيس يثرب، فدفع في صدر الحارث وانطلق وانهمز الناس، فلما قدموا مكة قال الناس: هزم سراقَة فبلغ سراقَة فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتّى بلغنني هزيعكم، فقالوا: إنك أتيتنا في يوم كذا فحلف لهم، فلما أسلموا علموا أنّ ذلك كان الشيطان ^(١).

العيّاشي: عن السّجاد عليه السلام لما عطش القوم يوم بدر انطلق علي عليه السلام بالقربة يستقي وهو على القلب ^(٢) إذ جاءت ريح شديدة، ثم مضت فلبث ما بدا له، ثم جاءت ريح أخرى، ثم مضت، ثم جاءت أخرى كادت أن تشغله وهو على القلب، ثم جلس حتّى مضى فلما رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمّا الريح الأولى: ففيها جبرئيل مع ألف من الملائكة، والثانية: فيها ميكائيل مع ألف من الملائكة، والثالثة: فيها إسرافيل مع ألف من الملائكة، وقد سلّموا عليك، وهم مدد لنا وهم الذين رآهم إبليس فنكص على عقبيه يمشي القهقري حين يقول: «إني أرى ما لا ترون» الآية ^(٣).

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾: الشّاكون في الإسلام.

١ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٥٤٩. وفيه: «ما نرى إلا جعاسيس يثرب». وقال الجوهري: رجل جعسوس مثل جعشوش وهو القصير الدميم. الصحاح: ج ٣، ص ٩١٣، مادة «جعس».

٢ - القلب: برّ تحفر فينقلب تراهها قيل أن تطوي كذا في المغرب، وعن الأزهري: القلب عند العرب البرّ العادية القديمة مطوية كان أو غير مطوية، والجمع قلب مثل بريد وبُرد. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٤٩، مادة «قلب».

٣ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٥، ح ٧٠.

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَذْبُرُهُمْ وُذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾

﴿عَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾: يعني المسلمين، أي اغتروا بدينهم حتى تعرضوا مع قلتهم لقتال جم غفير.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: جواب لهم.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب ينصر الضعيف على القوي، والقليل على الكثير.

﴿حَكِيمٌ﴾: يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل، ويعجز عن إدراكه، وقد مضى لهذه الآية وما بعدها بيان في قصّة بدر.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾: ولو رأيت وشاهدت، فإن «لو» تجعل المضارع ماضياً عكس إن.

﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾: ببدر، وقد قرئ تتوفى بالتاء.

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾: ما أقبل منهم.

﴿وَأَذْبُرُهُمْ﴾: وما أدبر، العياشي: مرفوعاً إنما أرادوا أستاذهم ان الله كريم

يكنى^(١).

﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: ويقولون: ذوقوا عذاب الآخرة، وقيل: كانت معهم

مقامع من حديد كلما ضربوا ألهبت النار منها^(٢).

وفي المجمع: عن النبي ﷺ أن رجلاً قال له: إني حملت على رجل من المشركين فذهبت

لأضربه فبدر رأسه، فقال: سبقك إليه الملائكة^(٣).

١ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٥، ح ٧١.

٢ - الكشف: ج ٢، ص ٢٢٩، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٩٨.

٣ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٥٥١.

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾
 كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
 فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ
 بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا
 بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾: بسبب ما كسبت أيديكم من الكفر والمعاصي.
 ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾: وبأن الله يعذب الكفار بالعدل، لأنه لا يظلم
 عباده في عقوبتهم، و«ظلام» للتكثير لأجل العبيد.
 ﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾: أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون، ودأبهم: عادتهم،
 وعملهم الذي دأبوا فيه، أي داوموا عليه.
 ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من قبل آل فرعون.
 ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: تفسير لدأبهم.
 ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: كما أخذ هؤلاء.
 ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: لا يغلبه في دفعه شيء.
 ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما حل بهم.
 ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾: بسبب أن الله.
 ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا﴾: لا يصح في حكمته أن يغير.
 ﴿نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: مبدلاً إياها بالنقمة.
 ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾: يبدلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوء كتغيير قريش
 حالهم في صلة الرحم، والكف عن تعرض الآيات والرسول بمعادة الرسول ومن تبعه منهم،

كَذَابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا
ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾

والسعي في إراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها، إلى غير ذلك مما أحدثه بعد البعث.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لما يقولون.

﴿عَلِيمٌ﴾: بما يفعلون، في الكافي: عن الصادق عليه السلام إن الله بعث نبياً من أنبيائه إلى قومه وأوحى إليه أن قل لقومك: أنه ليس من أهل قرية ولا ناس كانوا على طاعتي فأصابهم فيها سرء فتحولوا عما أحب إلى ما أكره إلا تحولت لهم عما يحبون إلى ما يكرهون، وليس من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على معصيتي فأصابهم فيها ضراء فتحولوا عما أكره إلى ما أحب إلا تحولت لهم عما يكرهون إلى ما يحبون^(١)، الحديث.

وفيه عنه عليه السلام أنه كان أبي عليه السلام قال: إن الله قضى قضاءً حتماً لا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إياه حتى يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النعمة^(٢).

﴿كَذَابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: تكرير للتأكيد، وفي قوله: «بآيات ربهم» زيادة دلالة على كفران النعم، وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب.

﴿وَكُلُّ﴾: من غرقى آل فرعون، وقتلى قريش.

﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾: أنفسهم بكفرهم ومعاصيهم.

١- الكافي: ج ٢، ص ٢٧٤ - ٢٧٥، ح ٢٥، باب الذنوب.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٢٧٣، ح ٢٢، باب الذنوب.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٥﴾
 الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا
 يَتَّقُونَ ٥٦ ﴿فَإِمَّا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَن حَلَفَهُمْ
 لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ٥٧﴾

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أصروا على الكفر ورسخوا فيه.
 ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: فلا يتوقع منهم إيمان، القمي^(١)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام
 نزلت في بني أمية، فهم أشر خلق الله، هم الذين كفروا في بطن القرآن^(٢).
 ﴿الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾: قيل: هم يهود بني
 قريظة عاهدتهم رسول الله ﷺ على أن لا يمالئوا عليه عدوًّا فنكثوا، بأن أعانوا مشركي مكة
 بالسلاح، وقالوا: نسينا، ثم عاهدتهم فنكثوا، ومالئوا عليه الأحزاب يوم الخندق^(٣).
 والقمي: هم أصحابه الذين فروا يوم أحد^(٤).
 ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾: لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار.
 ﴿فَإِمَّا تَثَقَّفَتْهُمْ﴾: تصادفهم وتظفرن بهم.
 ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ﴾: ففرق عن محاربتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم.
 ﴿مَنْ حَلَفَهُمْ﴾: من ورائهم من الكفرة، والتشريد: تفريق على اضطراب.
 ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾: يتعتلون.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٩. ٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٥، ح ٧٢.

٣- قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٢٣٠.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٩.

وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ﴾: معاهدين.

﴿خِيَانَةً﴾: نقض عهد بإمارات تلوح لك.

﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾: فاطرح إليهم عهدهم.

﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾: على طريق مقتصد مستوٍ في العداوة وذلك بأن تخبرهم بنقض العهد إخباراً ظاهراً مكشوفاً يتبين لهم أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تبدأهم بالقتال، وهم على توهم بقاء العهد، فيكون ذلك خيانة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾: فلا تخنهم بأن تناجزهم القتال من غير إعلامهم بالتبذ، القمّي: نزلت في معاوية لما خان أمير المؤمنين عليه السلام ^(١).

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وقرئ بالياء.

﴿سَبَقُوا﴾: فأتوا من أن يظهر بهم.

﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: لا يفوتون ولا يجردون طال بهم عاجزاً من ^(٢) إدراكهم، وقرئ بالفتح بمعنى أنهم.

﴿وَأَعِدُّوا﴾: أيها المؤمنون.

وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

﴿هَلُمُّ: للكفار.

﴿مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ﴾: من كل ما يتقوى به في الحرب، في الكافي^(١)، والعياشي: مرفوعاً^(٢) والعامة عن النبي ﷺ أَنَّ الْقُوَّةَ: الرَّمْيُ^(٣). والعياشي: عن الصادق عليه السلام سيف وترس^(٤).

والقمي: قال السلاح^(٥). وفي الفقيه: عنه عليه السلام منه الخضاب بالسواد^(٦).

﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾: والرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله.

﴿تُرْهِبُونَ بِهِ﴾: تخوفون به، وقرئ بالتشديد.

﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: كفار مكة.

﴿وَأَآخَرِينَ مِّن دُونِهِمْ﴾: من غيرهم من الكفرة.

﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾: لا تعرفونهم بأعيانهم، لأنهم يصلّون ويصومون.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾: يعرفهم، لأنّه المطلع على الأسرار.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: جزاؤه.

﴿وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ﴾: بتضييع العمل أو نقص الثواب.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾: مالوا.

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٦، ح ٧٤.

١- الكافي: ج ٥، ص ٤٩-٥٠، ح ١٢.

٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٦، ح ٧٣.

٣- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٠٠، س ٣.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٩.

٦- من لا يحضره الفقيه: ج ١/ ص ٧٠، ح ٢٨١ / ٥٧، باب ٢٢ - غسل يوم الجمعة، ودخول الحمام، وآدابه، وما جاء في التنظيف، والزينة.

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ
بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾

﴿لِلسَّلَامِ﴾: للصلح والإستسلام، وقرئ بالكسر.

﴿فَأَجْنَحْ لَهَا﴾: وعاهد معهم، وتأنيث الضمير لحملها على نقيضها الذي هي الحرب، وقد مضى للآية بيان في قصّة بدر.

والقمي: قال: هي منسوخة بقوله: «فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ»^(١)، ونزلت هذه الآية «وَإِنْ جَنَحُوا» قبل نزول: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ» وقبل الحرب، وقد كتبت في آخر السورة بعد انقضاء أخبار بدر^(٢).

وفي الكافي^(٣)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام إنه سئل ما السّلم؟ قال: الدّخول في أمرنا^(٤).

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: ولا تخف من خديعتهم ومكرهم، فإن الله عاصمك وكافيك منهم.
﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالهم.
﴿الْعَلِيمُ﴾: بنياتهم.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾: في الصلح بأن يقصدوا به دفع أصحابك عن القتال حتّى يقوى أمرهم فيبدوكم به من غير استعداد منكم.
﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾: فحسبك الله، القمي: عن الباقر عليه السلام هؤلاء قوم كانوا معه من قريش^(٥).

١- محمد: ٣٥. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٩.

٣- الكافي: ج ١، ص ٤١٥، ح ١٦، باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية.

٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٦، ح ٧٥. ٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٩.

وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتَ
بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٩٣﴾ يَتَأْتِيهَا
النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٤﴾

﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ﴾: قَوَاك.

﴿بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ * وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ: حَتَّى صَارُوا مَتَحَابِينَ مَتَوَادِينَ بَعْدَ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ التَّضَاغُنِ وَالتَّحَارُبِ، فِي الْمَجْمَعِ ^(١)، وَالْقَمِيِّ: عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُمُ الْأَنْصَارُ، وَهُمْ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، وَزَادَ الْقَمِيُّ كَانَ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ حَرْبٌ شَدِيدٌ وَعَدَاوَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَلَفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَنَصَرَ بِهِمْ نَبِيَّهُ ﷺ ^(٢).

﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: يَعْنِي تَنَاهَى عَدَاوَتَهُمْ ^(٣) إِلَى حَدِّ لَوْ أَنْفَقَ مَنْفَقٌ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْأَمْوَالِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْأَلْفَةِ وَالْإِصْلَاحِ.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ﴾: بِالْإِسْلَامِ بِقُدْرَتِهِ الْبَالِغَةِ، فَإِنَّهُ مَالِكُ الْقُلُوبِ يَقْلِبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ.

﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾: تَامَ الْقُدْرَةُ وَالْغَلْبَةُ لَا يَعْصِي عَلَيْهِ مَا يَرِيدُهُ.

﴿حَكِيمٌ﴾: يَعْلَمُ أَنَّهُ كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ مَا يَرِيدُ.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾: كَافِيكَ.

﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: قِيلَ: نَزَلَتْ بِالْبَيْدَاءِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ قَبْلَ الْقِتَالِ ^(٤).

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٩.

١ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٥٥٦.

٣ - وفي نسخة: [عداوتهم].

٤ - قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٢٣٤.

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ
عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ
يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَسَنَ
خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ
اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾: بالغ في حثهم على القتال.
﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ
يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: هذه عِدَّة من الله بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا
عشرة أمثالهم من الكفار بتأييد الله، وقرئ تكن بالتاء.
﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: بسبب أنهم ^(١) جهلة بالله واليوم الآخر، يقاتلون على
غير احتساب الثواب، ولا يشبتون ثبات المؤمنين الرّاجين لعلو ^(٢) الدرجات.
﴿أَلَسَنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾: وقرئ بفتح الضاد.
﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ﴾: وقرئ تكن بالتاء.
﴿يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: هذه الآية
ناسخة لما قبلها، في الكافي: عن الصادق عليه السلام في حديث طويل ذكر فيه هذه الآية فقال: نسخ
الرّجلان العشرة ^(٣).

١- وفي نسخة: [بسبب أن الكفار].

٢- وفي نسخة: [لعلو الدرجات].

٣- الكافي: ج ٥، ص ٦٩، ح ١، باب دخول الصوفية على أبي عبدالله عليه السلام واحتجاجهم عليه فيما ينهون الناس عنه من طلب الرزق.

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ
عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾

والعياشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام من فرّ من رجلين في القتال [من الرّحف فقد] فرّ من الرّحف، ومن فرّ من ثلاثة رجال في القتال من الرّحف فلم يفر ^(١).

والقمي: ما يقرب من معنى الحديثين ^(٢).

قيل: كان فيهم قلة أولاً. فأمرُوا بذلك، ثمّ لما كثروا خفف الله عنهم ^(٣).

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: بالنّصر والمعونة فلا محالة يغلبون.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾: يكثر القتل

ويبالغ فيه، حتّى يذلّ الكفر ويقلّ حزبه، ويعزّ الإسلام ويستولي أهله، من أثخنه المرض إذا أثقله.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾: حطامها بأخذ الفداء.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾: يريد لكم ثواب الآخرة.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: يغلب أولياءه على أعدائه.

﴿حَكِيمٌ﴾: يعلم ما يليق بكلّ حال ويخصّه بها.

قيل: كان هذا يوم بدر فلمّا كثّر المسلمون نزل: «فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً» ^(٤) ^(٥)، وقد

مضى لهذه الآية وما بعدها بيان في قصّة بدر.

١ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٨، ح ٧٨.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

٣ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٠١، والكشاف: ج ٢، ص ٢٣٥.

٤ - مجمع البيان: ج ٩ - ١٠، ص ٩٧.

٥ - محمد: ٤.

لَوْلَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابَ عَظِيمٍ ﴿٦٨﴾
 فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾
 يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي
 قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾

﴿لَوْلَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ﴾: أي حكم منه سبق إثباته في اللوح بإباحة الغنائم

لكم.

﴿لِمَسَّكُمْ﴾: لنا لكم.

﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾: فيما استحلتتم قبل الإباحة من الفداء.

﴿عَذَابَ عَظِيمٍ﴾: فكلوا مما غنمتم: من الفدية.

﴿حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في مخالفته.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: غفر لكم ذنوبكم.

﴿رَحِيمٌ﴾: أباح لكم ما أخذتم.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾: وقرئ الأسارى.

﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾: خلوص عقيدة، وصحة نية في الإيمان.

﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾: من الفداء.

﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: قد مضى لهذه الآية بيان في قصة بدر، وفي

الكافي^(١)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام إنها نزلت في العباس، وعقيل، ونوفل، وقال: إن

وَأِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

رسول الله ﷺ: نهى يوم بدر أن يقتل أحد من بني هاشم وأبو البختري فأسروا فأرسل علياً عليه السلام فقال: أنظر من هاهنا من بني هاشم، ثم قال: قرّ علي عليه السلام على عقيل بن أبي طالب فحاد عنه، فقال له عقيل: يا ابن أمّ عليّ أما والله لقد رأيت مكاني، قال: فرجع إلى رسول الله ﷺ وقال: هذا أبو الفضل في يد فلان، وهذا عقيل في يد فلان، وهذا نوفل بن الحارث في يد فلان، فقام رسول الله ﷺ: حتّى انتهى إلى عقيل فقال له ﷺ: يا أبا يزيد قتل أبو جهل، فقال: إذا لا تنازعون في تهامة، فقال له: إن كنتم أئختم القوم، وإلا فاركبوا أكتافهم، قال: فجيء بالعبّاس فقيل له: افد نفسك وافد ابني أخيك، فقال: يا محمد تتركني أسأل قريشاً في كفى، فقال: إعط ما خلّفت عند أمّ الفضل وقلت لها إن أصابني في وجهي هذا شيء فأنفقيه على ولدك ونفسك، فقال له: يا ابن أخي من أخبرك بهذا؟ فقال ﷺ: أتاني به جبرئيل عليه السلام من عند الله، فقال: ومحلوفه ما علم بهذا إلا أنا وهي، أشهد أنّك لرسول الله، قال: فرجع الأسارى^(١) كلّهم مشركين إلا العبّاس، وعقيل، ونوفل، وفيهم نزلت هذه الآية «قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَشْرَى»^(٢) الآية.

في قرب الإسناد: عن السجّاد عليه السلام قال: أتى النبي ﷺ بمأتي درهم، فقال: يا عبّاس أبسط رءاءك وخذ من هذا المال طرفاً فبسط رءاءه فأخذ منه طائفة، ثم قال رسول الله ﷺ: هذا من الذي قال الله: «إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ»^(٣) الآية. والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام مثله^(٤).

﴿وَأِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾: نقض ما عاهدوك.

١- وفي نسخة: [فرج الأسرى].

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٨-٦٩، ح ٧٩.

٣- قرب الإسناد: ص ٢١، ح ٧٣.

٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٩-٧٠، ح ٨٠.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ
حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا
عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّثَقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾

﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ﴾: بالكفر.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: القمّي: وإن يريدوا خيانتك في عليّ فقد خانوا الله من قبل فيك (١)، كما

مضى في قصّة بدر.

﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾: فأمكنك منهم يوم بدر، فإن أعادوا الخيانة فيمكن منهم (٢).

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا: فارقوا أوطانهم وقومهم

حبّاً لله ولرسوله، وهم المهاجرون من مكّة إلى المدينة.

﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ﴾: فصرفوها.

﴿وَأَنْفُسِهِمْ﴾: فبدلوها.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا﴾: والذين آووهم إلى ديارهم

ونصروهم على أعدائهم، وهم الأنصار.

﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: أي يتولّى بعضهم بعضاً في الميراث.

القمّي: لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة آخى بين المهاجرين والمهاجرين، وبين

الأنصار والأنصار، وبين المهاجرين والأنصار، وكان إذا مات الرجل يرثه أخوه في الدين.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِغُضِّهِمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي
الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾

وبأخذ المال، وكان له ما ترك دون ورثته، فلما كان بعد بدر أنزل الله: «الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ»^(١)، الآية، فنسخت آية الأخوة «بعضهم أولى ببعض»^(٢).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام إنهم كانوا يتوارثون بالمواخاة الأولى دون الأقارب حتى نسخ ذلك بقوله: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ»^(٣).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلَئِيهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾: أي من توليهم في الميراث، وقرئ ولايتهم بالكسر تشبيهاً لها بالعمل والصناعة، كالكتابة والإمارة كأنه بتولية صاحبه يزاول عملاً.

العياشي: عنها عليه السلام إن أهل مكة لا يولون أهل المدينة^(٤).

﴿وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الدِّينِ﴾: قيل: معناه وإن طلب المؤمنون الذين لم يهاجرون منكم النصرة لهم على الكفار^(٥).

﴿فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾: لهم.

﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّثْقٌ﴾: فلا يجوز لكم نصرهم عليهم.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِغُضِّهِمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٌ: نهى

١- الأحزاب: ٦. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٠.

٣- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٥٦٣، وجوامع الجامع: ج ٢، ص ٣٤.

٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٠، ح ٨١.

٥- قاله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع: ج ٢، ص ٣٤.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ
 ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
 كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ
 فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي
 كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

المسلمون عن موالاة الكفار ومعاونتهم وإن كانوا أقارب، وأوجب أن يتركوا تولي بعضهم بعضاً.

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾: أن لا تفعلوا ما أمرتم به من التواصل بينهم، وتولي بعضهم بعضاً حتى في التوارث تفضيلاً لنسبة الإسلام على نسبة القرابة، ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار.

﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾: تحصل فيها فتنة عظيمة ومفسدة كبيرة لأن المسلمين ما لم يكونوا يداً واحدة على أهل الشرك كان الشرك ظاهراً وتجراً أهله على أهل الإسلام ودعوهم إلى الكفر.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: لأنهم حققوا إيمانهم بالهجرة والنصرة والإنسلاخ من الأهل والمال والنفس لأجل الدين.

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: لا تبعه له ولا منته فيه.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ﴾: يريد اللاحقين بعد

السَّابِقِينَ كَقَوْلِهِ: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ»^(١).

﴿فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ﴾: أي من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار، وحكمهم حكمكم

في وجوب موالاتهم ونصرتهم وإن تأخر إيمانهم وهجرتهم.

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾: وأولوا القربات.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾: بعضهم أولى بميراث بعض من بعض، ومن غيرهم، وهو

نسخ للتوارث بالهجرة، والنصرة كما سبق بيانه.

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: في حكمه المكتوب، وفيه دلالة على أن من كان أقرب إلى الميت في

النسب كان أولى بالميراث.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام كان علي عليه السلام إذا مات مولى له وترك قرابته لم يأخذ من

ميراثه شيئاً، ويقول: «وَأُولُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ»^(٢).

والقمي: قال: هذه الآية نسخت قوله: «وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ

نَصِيْبُهُمْ»^(٣)(٤).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام لا تعود الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام

أبداً، إنما جرت من علي بن الحسين عليه السلام كما قال الله: «وَأُولُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي

كِتَابِ اللَّهِ»، فلا يكون بعد علي بن الحسين عليه السلام، إلا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب^(٥).

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: من الموارث وغيرها، وبالحكمة في إنطاقتها بنسبة

الإسلام والمظاهرة أولاً واعتبار القرابة ثانياً إلى غير ذلك، وذكر ثواب قراءة هذه السورة يأتي

في آخر سورة التوبة إن شاء الله تعالى والله العالم.

١- الحشر: ١٠.

٢- الكافي: ج ٧، ص ١٣٥، ح ٥، باب ميراث ذوي الأرحام مع الموالى.

٣- النساء: ٣٣. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨١.

٥- الكافي: ج ١، ص ٢٨٥-٢٨٦، ح ١، باب ثبات الإمامة في الأعقاب، وأنها لا تعود في أخ ولا عم ولا غيرها

من القربات.

سورة التوبة

1. The first part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee. The names are listed in alphabetical order, and the addresses are given below each name. The list includes names such as Mr. J. H. Smith, Mr. W. B. Jones, and Mr. C. D. Brown.

2. The second part of the document is a list of the names and addresses of the members of the committee who have been elected to the office of the chairman. The names are listed in alphabetical order, and the addresses are given below each name. The list includes names such as Mr. J. H. Smith, Mr. W. B. Jones, and Mr. C. D. Brown.

3. The third part of the document is a list of the names and addresses of the members of the committee who have been elected to the office of the secretary. The names are listed in alphabetical order, and the addresses are given below each name. The list includes names such as Mr. J. H. Smith, Mr. W. B. Jones, and Mr. C. D. Brown.

4. The fourth part of the document is a list of the names and addresses of the members of the committee who have been elected to the office of the treasurer. The names are listed in alphabetical order, and the addresses are given below each name. The list includes names such as Mr. J. H. Smith, Mr. W. B. Jones, and Mr. C. D. Brown.

5. The fifth part of the document is a list of the names and addresses of the members of the committee who have been elected to the office of the clerk. The names are listed in alphabetical order, and the addresses are given below each name. The list includes names such as Mr. J. H. Smith, Mr. W. B. Jones, and Mr. C. D. Brown.

6. The sixth part of the document is a list of the names and addresses of the members of the committee who have been elected to the office of the auditor. The names are listed in alphabetical order, and the addresses are given below each name. The list includes names such as Mr. J. H. Smith, Mr. W. B. Jones, and Mr. C. D. Brown.

7. The seventh part of the document is a list of the names and addresses of the members of the committee who have been elected to the office of the assessor. The names are listed in alphabetical order, and the addresses are given below each name. The list includes names such as Mr. J. H. Smith, Mr. W. B. Jones, and Mr. C. D. Brown.

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي
اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾

وهي مدنيّة كلّها، وقال بعضهم: غير آيتين «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ»^(١) إلى آخر السورة، وعدد آيها مائة وتسع وعشرون آية، نزلت سنة تسع من الهجرة، وفتحت مكة سنة ثمان، وحجّ رسول الله ﷺ حجّة الوداع سنة عشر.
في المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام لم ينزل «بسم الله الرحمن الرحيم» على رأس سورة براءة لأنّ بسم الله للأمان والرحمة، ونزلت براءة لدفع الأمان والسيف^(٢).
وفيه^(٣)، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام الأنفال وبراءة واحدة^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: أي هذه براءة والمعنى: أن الله ورسوله بريّان من العهد الذي عاهدتم به المشركين.
إن قيل: كيف يجوز أن ينقض النّبي العهد؟ أجيب بوجهين:
أحدهما: أنّه ﷺ كان قد شرط عليهم بقاء العهد إلى أن يرفعه الله بوحى.

٢- مجمع البيان: ج ٥، ٦، ص ٢.

١- التوبة: ١٢٨.

٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٣، ح ٣.

٣- مجمع البيان: ج ٥، ٦، ص ٢.

والثاني: أنهم قد نقضوا أو همّوا بذلك، فأمر الله أن ينقض عهدهم، وفي المجمع نسب الوجهين إلى الرواية (١).

﴿فَسَيَحْضُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: خطاب للمشرّكين أمروا أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاءوا لا يتعرّض لهم، ثمّ يقتلون حيث وجدوا. القمي: عن الرضا عليه السلام: فأجل الله المشركين الذين حجّوا تلك السنة أربعة أشهر حتّى يرجعوا إلى ما منهم، ثمّ يقتلون حيث وجدوا (٢).

وعن الصادق عليه السلام: نزلت هذه الآية بعد ما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من غزوة تبوك (٣) في سنة تسع من الهجرة (٤).

قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لما فتح مكة لم يمنع المشركين الحجّ في تلك السنة، وكان سنّة من العرب في الحجّ أنّه من دخل مكة وطاف بالبيت في ثيابه لم يحلّ له إمساكها، وكانوا يتصدّقون بها ولا يلبسونها بعد الطّواف، فكان من وافى مكة يستعير ثوباً ويطوف فيه ثمّ يرده، ومن لم يجد عاريّة اكرى ثياباً، ومن لم يجد عارية ولا كرى ولم يكن له إلّا ثوب واحد طاف بالبيت عرياناً، فجاءت امرأة من العرب وسيمة جميلة، فطلبت عاريّة أو كرى فلم تجده، فقالوا لها: إن طفت في ثيابك احتجت أن تتصدّق بها، فقالت: وكيف أتصدّق بها وليس لي غيرها؟ فطافت بالبيت عريانة، وأشرف لها (٥) النّاس فوضعت إحدى يديها على قبلها وأخرى على دبرها، وقالت:

اليوم يبدوا بعضه أو كله

فما بدا منه فلا أحله

فلما فرغت من الطّواف خطبها جماعة، فقالت: إن لي زوجاً، وكانت سيرة رسول

١ - مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٢-٣. ٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٢.

٣ - تبوك - كرّسول - : وهو موضع بالشام، منه إلى المدينة أربع عشر مرحلة، وإلى دمشق أحد عشر، ومنه غزوة تبوك، وهي غزوة غزاها رسول الله (ص) في تسع من الهجرة، وأقام بها عدّة أيّام، وصالح أهلها على الجزية.

٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨١. ٥ - مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٦٠، مادة «بوك».

٥ - هكذا في الأصل، وفي المصدر: «وأشرف عليها الناس».

الله ﷺ قبل نزول سورة براءة أن لا يقاتل إلا من قاتله، ولا يحارب إلا من حاربه وأراد، وقد كان نزل عليه في ذلك من الله عز وجل: «فَإِنْ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُفَاتِلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا»^(١)، فكان رسول الله ﷺ لا يقاتل أحداً قد تنحى عنه، واعتزله حتى نزلت عليه سورة براءة وأمره بقتل المشركين من اعتزله ومن لم يعتزله إلا الذين قد كان عاهدكم رسول الله ﷺ يوم فتح مكة إلى مدة، منهم: صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، فقال الله عز وجل: «بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ» ثم يقتلون حيث ما وجدوا فهذه أشهر السباحة، عشرين من ذي الحجة، والمحرم، وصفر، وشهر ربيع الأول، وعشراً من ربيع الآخر، فلما نزلت هذه الآيات من أول براءة دفعها رسول الله ﷺ إلى أبي بكر وأمره بأن يخرج إلى مكة ويقرأها على الناس بمضى يوم النحر فلما خرج أبو بكر، نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد لا يؤدي عنك إلا رجل منك، فبعث رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام في طلبه فلحقه بالروحاء^(٢) فأخذ منه الآيات فرجع أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أنزل في شيء؟ قال: إن الله أمرني أن لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني^(٣).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام كان الفتح في سنة ثمان، وبراءة في سنة تسع، وحجة الوداع في سنة عشر^(٤).

وعنه عليه السلام أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر مع براءة إلى الموسم ليقراها على الناس، فنزل جبريل فقال: لا يبلغ عنك إلا علي عليه السلام فدعا رسول الله ﷺ علياً فأمره أن يركب ناقته العضباء وأمره أن يلحق أبا بكر فيأخذ منه براءة ويقرأها على الناس بمكة، فقال أبو بكر: أسخطه؟ فقال: لا إلا أنه أنزل عليه: «أنه لا يبلغ إلا رجل منك»، فلما قدم علي عليه السلام مكة

١ - النساء: ٩٠.

٢ - والروحاء: موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة. القاموس المحيط: ج ١، ص ٢٢٥.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨١ - ٢٨٢.

٤ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٣، ح ٢.

وكان يوم النحر بعد الظهر وهو يوم الحج الأكبر، قام ثم قال: إني رسول رسول الله ﷺ إليكم فقرأها عليهم «بَرَاءَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ» عشرين من ذي الحجة، والمحرم، وصفر، وشهر ربيع الأول، وعشراً من شهر ربيع الآخر، قال: لا يطوف بالبيت عريان، ولا عريانة، ولا مشرك، إلا من كان له عهد من عند رسول الله ﷺ فددته إلى هذه الأربعة أشهر^(١).

قال: وفي خبر محمد بن مسلم قال أبو بكر: يا علي هل نزل في شيء منذ فارقت رسول الله ﷺ؟ قال: لا، ولكن أبي الله أن يبلغ عن محمد ﷺ إلا رجل منه، فوافي الموسم فبلغ عن الله، وعن رسوله بعرفة، والمزدلفة، ويوم النحر، عند الجمار في أيام التشريق كلها ينادي «بَرَاءَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» الآية، ويقول: ولا يطوفن بالبيت عريان^{(٢)(٣)}. وفي المجمع: روى أصحابنا أن النبي ﷺ ولّاه أيضاً الموسم وأنه حين أخذ البراءة من أبي بكر رجع أبو بكر^(٤).

وفيه^(٥)، والعباشي عن الباقر ﷺ قال: خطب عليّ ﷺ الناس واخترط سيفه، فقال: لا يطوفن بالبيت عريان، ولا يحجّن البيت مشرك، ومن كانت له مدة فهو إلى مدته، ومن لم تكن له مدة فددته أربعة أشهر، وكان خطب يوم النحر فكانت عشرون من ذي الحجة، ومحرم، وصفر، وشهر ربيع الأول، وعشر من ربيع الآخر^(٦).

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾: لا تفوتونه وإن أمهلكم.
﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ﴾: مذهم بالقتل والأسر في الدنيا والعذاب في الآخرة.

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٣-٧٤، ح ٤. ٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٤، ح ٥.

٣- روى العياشي عن الباقر ﷺ في هذا الباب ص ٧٤، ح ٦ حديثاً يخالف سائر الروايات، رواه عن زرارة عنه ﷺ، قال: لا والله ما بعث رسول الله ﷺ أباً بكر ببراءة، أهو كان يبعث بها معه ثم يأخذها منه؟ ولكنه استعمله على الموسم وبعث بها علياً ﷺ بعد ما فصل أبو بكر عن الموسم فقال ﷺ لعلي ﷺ: حين بعثه أنه لا يؤدي إلا أنا وأنت، منه يبي.

٤- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٣ و ٤.

٥- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٣ و ٤. ٦- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٤-٧٥، ح ٧.

وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ
بِرِئَاءِ مَنْ أَشْرَكَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ
فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ

﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ﴾^(١): إيدان وإعلام، وهو كالأمان والعطاء
بمعنى الإيمان والإعطاء.

﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾^(٢): قيل: يوم العيد لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله. ولأن
الإعلام كان فيه^(٣).

والقمي^(٤)، والعياشي: عن السجاد عليه السلام: الأذان: أمير المؤمنين عليه السلام^(٥).
القمي^(٦) وفي حديث آخر: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كنت أنا الأذان في الناس.

١- في المعاني: عن الصادق عليه السلام في «أذان من الله» اسم تحلّه الله عز وجلّ عليّاً صلوات الله عليه من السماء. وفي
تفسير العياشي: عنه عليه السلام في «الأذان»، قال: هو اسم في كتاب الله لا يعلم ذلك أحد غيري، وعن السجاد عليه السلام: وإنّ
لعليّ عليه السلام إسمًا في القرآن لا يعرفه الناس، ثم ذكر الآية. منه رحمه الله. انظر معاني الأخبار: ص ٢٩٨، ج ٢؛ وتفسير
العياشي: ج ٢، ص ٧٦، ج ١٣ و ١٤.

٢- والعياشي: ج ٢، ص ٧٧، ج ٢٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام يوم الحج الأكبر: يوم النحر، قال: ولو كان يوم
عرفة لكان أربعة أشهر ويوماً. منه رحمه الله.

٣- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٠٥.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٢.

٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٦، ج ١٤.

٦- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٢.

والأخير مروي في المعاني^(١). والعلل: عن الصادق عليه السلام وزادا، فقليل له: فما معنى هذه اللفظة، الحج الأكبر؟ فقال: إنما سمي الأكبر لأنها كانت سنة حج فيها المسلمون والمشركون ولم يحج المشركون بعد تلك السنة^(٢).

وفي الكافي^(٣)، والمعاني^(٤)، والعياشي: عنه عليه السلام في عدة أخبار يوم الحج الأكبر: هو يوم النحر، والأصغر: العمرة^(٥).

وفي بعض أخبار الكافي^(٦)، والعياشي: عنه عليه السلام الحج الأكبر: الوقوف بعرفة، ورمي الجمار، والحج الأصغر العمرة، وزاد العياشي وجمع^(٧) بعد عرفة^(٨).

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: بَأَنَّ اللَّهَ.

﴿بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾: عطف على الضمير في بريء ولا تكرير فيه.

لأن الأول كان إخباراً بنبوت البراءة، وهذا إخبار بإعلامها الناس.

﴿فَإِنْ تُبَتِّمُوا﴾: من الكفر والغدر.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: عن التوبة.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾: غير سابقين الله ولا فائتين بأسه وعذابه.

١- معاني الأخبار: ص ٢٩٦، ح ٥، باب معنى الحج الأكبر والحج الأصغر.

٢- علل الشرائع: ص ٤٤٢، ح ١، باب ١٨٨- العلة التي من أجلها سمي الحج الأكبر.

٣- الكافي: ج ٤، ص ٢٩٠، ح ١ و ٢، باب الحج الأكبر والأصغر.

٤- معاني الأخبار: ص ٢٩٥، ح ١، ٢، ٣، ٤، باب معنى الحج الأكبر والحج الأصغر.

٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٦ و ٧٧، ح ١٦ و ١٩.

٦- الكافي: ج ٤، ص ٢٦٤ - ٢٦٥، ح ١، باب فرض الحج والعمرة.

٧- وجمع - بالفتح فالتحريك - المشعر الحرام وهو أقرب الموقفين إلى مكة المشرفة، ومنه حديث آدم عليه السلام انتهى إلى جمع فجمع فيها بين المغرب والعشاء، قيل: سمي به لأن الناس يجتمعون فيه ويزدلفون إلى الله تعالى أي يتقربون إليه بالعبادة والخير والطاعة، وقيل: لأن آدم اجتمع فيها مع حواء فازدلف ودنا منها، وقيل: لأنه يجمع فيه المغرب والعشاء. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣١٥، مادة «جمع».

٨- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٧، ح ١٨.

إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأُشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضِرُوا لَهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: في الآخرة.
 ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: استثناء من المشركين واستدراك، وكأنه قيل لهم - بعد أن أمروا بنبذ العهد إلى الناكثين -: ولكن الذين عاهدوا منهم.
 ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾: من شروط العهد ولم ينكثوا ولم يقتلوا منكم ولم يضرّوكم قطّ.

﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾: ولم يعاونوا.
 ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾: من أعدائكم.
 ﴿فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾: إلى تمام مدتهم، ولا تجعلوا الوفي كالغادر.
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾: تعليل وتنبية على أن تمام عهدهم من باب التقوى.
 ﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ﴾: انقضى.
 ﴿الْأُشْهُرُ الْحُرْمُ﴾: التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها، العياشي: عن الباقر عليه السلام هي يوم النحر إلى عشر مضي من ربيع الآخر ^(١).

وَأَنَّ أَحَدًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجَرَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ
 اللَّهِ ثُمَّ أَبْلَغَهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾: الناكثين.

﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾: من حل وحرم.

﴿وَأُخْذُواهُمْ﴾: وأسروهم، والأخذ: الأسير.

﴿وَأَحْضَرُواهُمْ﴾: واحبسوهم وحيلوا بينهم وبين المسجد الحرام.

﴿وَأَقْعَدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾: كل ممر وطريق ترصدونهم به، لئلا يسيطوا في البلاد.

﴿فَإِنْ تَابُوا﴾: عن الشرك بالإيمان.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾: تصديقاً لتوبتهم.

﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾: فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يغفر لهم ما قد سلف من كفرهم وغدرهم.

﴿وَأَنَّ أَحَدًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: المأمور بالتعرض لهم.

﴿اسْتَجَارَكَ﴾: استأمنك وطلب منك جوارك.

﴿فَأَجَرَهُ﴾: فآمنه.

﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾: ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر، فإن معظم الأدلة فيه.

﴿ثُمَّ أَبْلَغَهُ مَأْمَنَهُ﴾: موضع أمنه إن لم يسلم، القمي: قال: أقرأ عليه وعرفه ثم لا

تتعرض له حتى يرجع إلى مأمنه^(١).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ما الإيمان، وما حقيقة ما تدعوهم إليه فلا بد من

أمانهم حتى يسمعوها ويتدبروا.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ
عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا
فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ
وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾: كيف يكون
للمشركين عهد صحيح، ومحال أن يثبت لهم عهد مع إضمارهم الغدر والنكث، فلا تطمعوا
في ذلك.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: يعني ولكن الذين عاهدتم منهم عند
المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث.

﴿فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾: أي فتربصوا أمرهم، فإن استقاموا على
العهد فاستقيموا على الوفاء.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾: كيف: تكرار لإستبعاد ثباتهم على العهد، وحذف
الفعل لكونه معلوماً، أي كيف يكون لهم عهد.

﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: وحالهم أنهم إن يظفروا بكم.

﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ﴾: لا يراعوا فيكم.

﴿إِلَّا﴾: قرابة أو حلفاً.

﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: عهداً أو حقاً.

﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: بوعد الإيمان، والطاعة، والوفاء بالعهد..

﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾: ما تنفوه به أفواههم، استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على

أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَاءَاتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَتُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

العهد المؤدية إلى عدم مراقبتهم عند الظفر.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾: متمرّدون لا عقيدة تزعمهم^(١)، ولا مروّة تردعهم،
وتخصيص الأكثر لما يوجد في بعض الكفار من التعفّف عمّا يثلم العِرض، والتفادي عن الغدر.

﴿أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: استبدلوا بالقرآن وبيّناته.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عرضاً يسيراً، وهو اتباع الأهواء والشّهوات.

﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾: فعدلوا عنه وصرّفوا غيرهم.

﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾: المتجاوزون الغاية في الظلم والكفر.

﴿فَإِنْ تَابُوا﴾: عن الكفر، ونقض العهد.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَاءَاتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَتُكُمْ﴾: فهم إخوانكم.

﴿فِي الدِّينِ﴾: لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم.

﴿وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: ونبيّتها.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: اعتراض للحثّ على تأمل ما فصل.

١ - تزعمهم: أي تكفهم وتمنعهم منه.

وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتِلُوا
أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾

«وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ»: وعابوه.
«فَقَتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ»: أي فقاتلوهم، وضع الظاهر موضع المضمرة إشعاراً بأنهم صاروا بذلك ذوي الرياسة، والتقدم في الكفر أحقاء بالقتل.
«إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ»: على الحقيقة، وإلا لما طعنوا ولم ينكثوا، وقرئ بكسر الهمزة ورواها في الجمع: عن الصادق عليه السلام^(١) يعني لا عبرة بما أظهروه من الإيمان.
«لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ»: متعلق بـ «قاتلوا»، أي ليكن غرضكم في المقاتلة أن ينتهوا عما هم عليه، لا إيصال الأذى بهم كما هو طريقة المؤذنين، وهذا من غاية كرمه سبحانه وفضله.
القمي: نزلت هذه الآية في أصحاب الجمل، وقال أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل: ما قاتلت هذه الفئة الناكثة إلا بآية من كتاب الله، يقول الله: «وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ» الآية^(٢).
وفي قرب الإسناد^(٣)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام قال: دخل علي أناس من أهل البصرة فسألوني عن طلحة والزبير، فقلت لهم: كانا من أمة الكفر، أن علياً عليه السلام يوم البصرة لما صف الخيول قال لأصحابه: لا تعجلوا على القوم حتى أعذر فيما بيني وبين الله عز وجل وبينهم، فقام إليه فقال: يا أهل البصرة هل تجدون علي جوراً في حكم؟ قالوا: لا، قال: فحيفاً في قسمة؟ قالوا: لا، قال: فرغبة في دنيا أخذتها لي ولأهل بيتي دونكم فنقمتم علي فنكتمت بيعتي؟ قالوا: لا، قال: فأقمت فيكم الحدود وعطلتها عن غيركم؟ قالوا: لا، قال: فما بال بيعتي تنكث وبيعة غيري لا تنكث؟ إني ضربت الأمر أنفه وعينه فلم أجد إلا الكفر، أو السيف ثم

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٣.

١- مجمع البيان: ج ٥، ص ٦، ١٠.

٣- قرب الإسناد: ص ٩٦، ح ٣٢٧.

أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكُتُوا أَيْمَنَهُمْ وَهُمْوَا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ
بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

ثَنَّى إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: «وَأِنْ نَكَتُوا أَيْمَانَهُمْ» الْآيَةُ، ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ، وَاصْطَفَى مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله بِالنَّبُوءَةِ أَنَّهُمْ لِأَصْحَابِ هَذِهِ الْآيَةِ وَمَا قُوتِلُوا مِنْذُ نَزَلَتْ (١).

وَالْعِيَاثِيُّ عَنْهُ عليه السلام مِنْ طَعَنَ فِي دِينِكُمْ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ، قَالَ اللَّهُ: «وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ أَنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» (٢).

وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَعَذَّرَنِي اللَّهُ مِنْ طُلْحَةَ وَالزَّبِيرِ، بَايَعَانِي طَائِعِينَ غَيْرِ مَكْرَهِينَ، ثُمَّ نَكَنَّا بَيْعَتِي مِنْ غَيْرِ حَدَثٍ أَحْدَثْتُهُ، وَاللَّهُ مَا قُوتِلَ أَهْلُ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْذُ نَزَلَتْ حَتَّى قَاتَلْتَهُمْ «وَأِنْ نَكَتُوا أَيْمَانَهُمْ» (٣)، الْآيَةُ وَفِي مَعْنَاهَا أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ.

﴿أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا﴾: تَحْرِيزٌ عَلَى الْقِتَالِ.
﴿نَكُتُوا أَيْمَنَهُمْ﴾: الَّتِي حَلَفُوهَا مَعَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنْ لَا يَعَاوَنُوا عَلَيْهِمْ فَعَاوَنُوا.

﴿وَهُمْوَا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾: حِينَ تَشَاوَرُوا فِي أَمْرِهِ بَدَارِ النَّدْوَةِ حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ لَهُ فِي الْهَجْرَةِ فَخَرَجَ بِنَفْسِهِ عَلَى مَا سَبَقَ ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا» (٤).

﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: بِالْمَعَادَاةِ وَالْمِقَاتَلَةِ، وَالْبَادِيءِ أَظْلَمَ، فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَقَاتِلُوهُمْ بِمَثَلِهِ.

١ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٧-٧٨، ح ٢٣.

٢ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٩، ح ٢٦.

٣ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٩، ح ٢٨.

٤ - الأنفال: ٣٠.

فَتَلَوْهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ
وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذْهَبُ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ
وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾

﴿أَتُخْشَوْنَهُمْ﴾: أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم؟.

﴿قَالَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾: فقاتلوا أعداءه، ولا تتركوا أمره.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: فإن المؤمن لا يخشى إلا ربه.

﴿فَتَلَوْهُمْ﴾: أمر بالقتال بعد بيان موجهه والتوبيخ على تركه.

﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾: وعد لهم إن قاتلوهم

بالتصبر عليهم، والتمكّن من قتلهم وإذلالهم.

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ * وَيَذْهَبُ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ﴾: لما لقوا منهم من

المكروه، وقد أنجز الله هذه المواعيد كلها، والآية من دلائل النبوة، والعياشي: عن أبي الأعزّ التميمي قال: كنت واقفاً يوم صفين إذ نظرت إلى العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب وهو شاك في السلاح إذ هتف به هاتف من أهل الشام يقال له عرار بن أدهم: يا عباس هلم إلى البراز ثم تكافحا بسيفهما ملياً لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لامته إلى أن حطّ العباس درع الشامي فأهوى إليه بالسيف فانتظم به جوانح^(١) الشامي فخر الشامي صريعاً وكبر الناس تكبيرة ارتجت لها الأرض، فسمعت قائلاً يقول: «قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم» الآية، فالتفت فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام^(٢).

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾: استئناف إخبار بأن بعضهم يتوب عن كفره، وقد

١ - الجوانح: الأضلاع التي تحت التراب وهو مما يلي الصدر فالضلع مما يلي الظهر، الواحدة: جاحة.

٢ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٩ - ٨٢، ح ٣٠.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ
 يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ
 بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

كان ذلك أيضاً.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بما كان وما سيكون.

﴿حَكِيمٌ﴾: لا يفعل إلا الحكمة^(١).

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾: أم منقطعة، وفي الهمزة معنى التوبيخ، يعني إنكم لا

تتركون على ما أنتم عليه.

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾: ولم يتبين المخلصون منكم، وهم

المجاهدون في سبيل الله لوجه الله.

﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾: يعني المخلصين

غير المتخذين من دونهم بطانة يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم، ولما دلت على أنه متوقع.

قيل: أراد بنفي العلم: نفي المعلوم^(٢).

والقمتي: أي لما يرى فأقام العلم مقام الرؤية، لأنه قد علم قبل أن يعلموا^(٣).

وعن الباقر عليه السلام يعني بالمؤمنين آل محمد عليه السلام، والوليعة: البطانة^(٤).

وفي الكافي: عنه عليه السلام يعني بالمؤمنين الأئمة عليهم السلام^(٥).

١- وفي نسخة: [لا يفعل إلا ما فيه الحكمة].

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٠٨.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٣. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٣.

٥- الكافي: ج ١، ص ٤١٥، ح ١٥، باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية.

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى
 أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ
 خَالِدُونَ ﴿١٧﴾

وفيه عنه ﷺ: لا تتخذوا من دون الله وليجة فلا تكونوا مؤمنين، فإن كل سبب ونسب وقراية ووليجة وبدعة وشبهة منقطع إلا ما أثبتته القرآن^(١).

وفيه عن أبي محمد العسكري ﷺ الوليعة: الذي يقام دون ولي الأمر، والمؤمنون في هذا الموضوع: هم الأئمة ﷺ الذين يؤمنون على الله فيجيز أمانهم^(٢).

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: يعلم غرضكم منه.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾: ما صح لهم ولا استقام.

﴿أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾: شيئاً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام، وقرئ بالتوحيد.

﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾: بإظهار الشرك، ونصب الأصنام حول البيت،

وفي الجوامع: روي أن المسلمين عيروا أسارى بدر، ووثق علي ﷺ العباس بقتال رسول الله ﷺ، وقطيعة الرحم، فقال العباس: تذكرون مساوينا وتكتمون محاسنا؟ فقالوا: أولكم محاسن؟ قال: نعم، إنا نعم المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحجيج، ونفك العاني^(٣) فنزلت^(٤).

١- الكافي: ج ١، ص ٥٩، ح ٢٢، باب البدع والرأي والمقائيس.

٢- الكافي: ج ١، ص ٥٠٨، ح ٩، باب مولد أبي الحسن علي بن محمد ﷺ والرضوان.

٣- العاني: الأسير، ومنه: أطعموا الجائع، وفكوا العاني. مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٠٨. مادة «عنا».

٤- جوامع الجامع: ج ٢، ص ٤٤.

إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ
يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾: التي هي العمارة، والسقاية، والحجابة، وفك العناة، التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك.

﴿وَفِي النَّارِ هُمْ﴾: فيها.

﴿خَالِدُونَ﴾: لأجله.

﴿إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ﴾: إنما تستقيم عمارتها هؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية، والعمارة تتناول بناؤها، ورم ما استرم منها، وكنسها، وتنظيفها وتنويرها بالسراج، وزيارتها للعبادة والذكر، ودرس العلم وصيانتها مما لم تن له كحديث الدنيا، وفي الحديث القدسي إن يوقي في الأرض: المساجد، وإن زواري فيها: عمارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته، ثم زارني في بيتي. فحق على المزور أن يكرم زائره^(١)، وفي الحديث النبوي ﷺ يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد يقعدون فيها حلقاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا، لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة^(٢). ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾: يعني في أبواب الدين بأن لا يختار على مرضاة الله رضاء غيره فإن الخشية على^(٣) المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها.

﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾: ذكره بصيغة التوقع قطعاً لأطماع

١- الكشف: ج ٢، ص ٢٥٤، وتفسير البيضاوي: ج ١، ص ٤٠٩.

٢- الكشف: ج ٢، ص ٢٥٤، ومن لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١٥٤ - ١٥٥ ح ٧٢١ / ٤٣، باب ٣٧ - فضل

المساجد وحرمتها وثواب من صلى فيها. ٣- وفي نسخة: [من المحاذير] وهو الأصح.

أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾

المشركين في الإهتداء، والإنتفاع بأعمالهم.

﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ﴾: كإيمان من آمن.
﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أوجعلتم أهل السقاية والعمارة كمن
آمن، وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام أنه قرأ سقاة الحاج، وعمرة المسجد الحرام (١).
والقمي: عنه عليه السلام نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: «كمن آمن بالله»،
الآية (٢).

وعنه عليه السلام: نزلت في علي عليه السلام، والعباس، وشيبة، فقال (٣) العباس: أنا أفضل لأنَّ
سقاية الحاج بيدي، وقال شيبة: أنا أفضل لأنَّ حجابة البيت بيدي، وقال علي عليه السلام: أنا أفضل
فإني آمنت قبلكما، ثم هاجرت وجاهدت، فرضوا برسول الله ﷺ فأنزل الله (٤).
وفي المجمع: ما يقرب منه، وزاد ضربت خرطكما (٥) بالسيف حتى آمنتما بالله (٦).

١- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ١٤. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٤.

٣- وفي نسخة: [قال] كما في المصدر.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٤، وفيه: «نزلت في علي، وحزمة، والعباس، وشيبة»، إلى أن قال: «وقال حمزة: أنا أفضل لأنَّ عمارة البيت بيدي»، إلى آخره.

٥- خَرَطَمُهُ - ضرب خرطوم - أعوجه. القاموس المحيط: ج ٤، ص ١٠٥، مادة «خِطَم»، وفي نسخة: [ضربت خرطومكما].

٦- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ١٤-١٥، في شأن نزول الآية، وفيه «خراطيمكما».

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾
يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ
مُقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾

والعياشي: عن الصادق عليه السلام ما في معناه، وذكر عثمان بن أبي شيبة مكان شيبة (١).

وفي الكافي (٢)، والعياشي: عن أحدهما عليه السلام نزلت في حمزة، وعلي، وجعفر، والعباس، وشيبة إنهم فخروا بالسقاية، والحجابه، فأنزل الله، وكان علي، وحمزة وجعفر الذين آمنوا بالله، واليوم الآخر، وجاهدوا في سبيل الله (٣).

﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: بالشرك، والمسوين بينهم وبين المؤمنين.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾: أعظم درجة وأكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾: المختصون بالفوز ونيل الحسنى عند الله.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾: دائماً، وقرئ «يُبَشِّرُهُمْ» بالتخفيف، وتنكير المبشر به إشعار بأنه وراء التوصيف والتعريف.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: يستحقر دونه كل أجر.

٢- الكافي: ج ٨، ص ٢٠٣ - ٢٠٤، ح ٢٤٥.

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٣، ح ٣٤.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٣، ح ٣٥.

يَتَّأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِن
 اسْتَحْبَبُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
 الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءِآبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
 وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ
 تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ
 فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾

﴿يَتَّأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِن اسْتَحْبَبُوا الْكُفْرَ
 عَلَى الْإِيمَانِ﴾: اختاروه عليه، قيل: لما أمروا بالهجرة فكان يمنعهم منها أقرباؤهم فمنهم من
 كان يتركها لأجلهم فنزلت (١).

وفي المجمع: عنها عليه السلام نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حيث كتب إلى قريش يخبرهم
 بخبر النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد فتح مكة (٢).

والعياشي عن الباقر عليه السلام الكفر في الباطن في هذه الآية: ولاية الأول والثاني،
 والإيمان: ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام (٣).

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: بوضعهم الموالة في غير
 موضعها.

﴿قُلْ إِن كَانَ ءِآبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾:

١- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٠٩، والكشاف: ج ٢، ص ٢٥٧.

٢- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ١٦ في شأن نزول الآية.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٤، ح ٣٦.

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ
كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا
رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾

أقرباؤكم^(١)، وقرئ عشيراتكم وعشائركم^(٢).

﴿وَأَمْوَالٌ أُفْتَرِقْتُوهَا﴾: اكتسبتموها.

﴿وَتَجَرَّةٌ تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَكِينٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾: وعيد، والأمر عقوبة.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: لا يرشدهم، القمي: لما أذن أمير المؤمنين عليه السلام
بمكة أن لا يدخل المسجد الحرام مشرك بعد ذلك العام، جرعت قريش جزعاً شديداً،
وقالوا: ذهب تجارتنا، وضاع عيالنا، وخرت دورنا، فأنزل الله عز وجل في ذلك: «قل» يا
محمد «إن كان آباؤكم»، الآية^(٣).

أقول: في الآية تشديد عظيم، وقل من يتخلص عنه، وفي الحديث: لا يجد أحدكم
طعم الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله^(٤).

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾: يعني مواطن الحرب، وهي

١ - ذكر الطبرسي رحمته الله في تفسيره مجمع البيان: ج ٥ - ص ٦، ١٦، نقلاً عن ابن عباس: لما أمر الله تعالى المؤمنين بالهجرة
وأرادوا الهجرة فمنهم من تعلقت به زوجته، ومنهم من تعلق به أبواه وأولاده فكانوا يمنعونهم من الهجرة فيتركون
الهجرة لأجلهم فبين سبحانه أن أمر الدين مقدم على النسب وإذا وجب قطع قرابة الأيوين فالأجنبي أولى.

٢ - قال الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٢٥٦، س ٩، وقرئ: وعشيرتكم وعشيراتكم، وقرأ
الحسن: وعشائركم. فراجع.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٤.

٤ - جوامع الجامع: ج ٢، ص ٤٥. وجعل الكليني رحمته الله في الكافي: ج ٢، ص ١٢٤، باباً مستقلاً بهذا العنوان «الحب
والبغض في الله» فراجع.

مواقعها ومواقفها.

وفي الكافي^(١)، والعياشي^(٢)، والقسبي: عن الهادي عليه السلام إنها كانت ثمانين موطناً^(٣).

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: وهو واد بين مكة والطائف.

﴿إِذْ أُعْجِبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ﴾: في الجوامع: لما التقوا قال رجل من المسلمين: لن تغلب اليوم من قلة. فساءت مقالاته رسول الله ﷺ، قيل: كان قائلها أبو بكر^(٤).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام في قوله: «إِذْ أُعْجِبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ» إلى قوله: (ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) قال: أبو فلان^(٥).

﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ﴾: الكثرة.

﴿شَيْئاً﴾: من الغنى أو أمر العدو، وذلك لما أدركتهم كلمة الإعجاب.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: بسعتها لا تجدون فيها موقراً تطمئن إليه نفوسكم من شدة الرعب.

١- الكافي: ج ٧، ص ٤٦٣ - ٤٦٤، ح ٢١، باب النوادر، وإليك نصه: علي بن إبراهيم، عن بعض أصحابه ذكره، قال: لما سمّ المتوكل نذر إن عوفي أن يتصدق بمال كثير فلما عوفي سأل الفقهاء عن حد المال الكثير فاختلفوا عليه، فقال بعضهم: مائة ألف، وقال بعضهم: عشرة آلاف، فقالوا فيه أقاويل مختلفة، فاشتبه عليه الأمر، فقال رجل من ندمائه يقال له صفعان: ألا تبعث إلى هذا الأسود فتسأل عنه، فقال له المتوكل: من تعني ويلك؟ فقال له: ابن الرضا، فقال له: وهو يحسن من هذا شيئاً؟ فقال: إن أخرجك من هذا فلي عليك كذا وكذا وإلا فاضربني مائة مفرقة، فقال المتوكل: قد رضيت يا جعفر بن محمود صر إليه وسله عن حد المال الكثير. فصار جعفر بن محمود إلى أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام فسأله عن حد المال الكثير، فقال: الكثير ثمانون، فقال له جعفر: يا سيدي إنه يسألني عن العلة فيه، فقال له أبو الحسن عليه السلام: إن الله عز وجل يقول: «لقد نصركم الله في مواطن

كثيرة» فعدنا تلك المواطن فكانت ثمانين. ٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٤، ح ٣٧.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٤ - ٢٨٥. ٤- جوامع الجامع: ج ٢، ص ٤٦.

٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٤، ح ٣٨.

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾: منهزمين.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: القمي: عن الباقر عليه السلام، وهو القتل يعني العذاب ^(١).

﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾: القمي: كان سبب غزوة حنين أنه لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى فتح مكة أظهر أنه يريد هوزان وبلغ الخبر هوزان فتهيتوا وجمعوا الجموع والسلاح واجتمع رؤساء هوزان إلى مالك بن عوف النَّضْرِي فرأسوه عليهم، وخرجوا وساقوا معهم أموالهم ونساءهم وذراريهم، ومروا حتى نزلوا بأوطاس، قال: ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله اجتماع هوزان بأوطاس جمع القبائل ورغبهم في الجهاد، ووعدهم النصر، وأن الله قد وعده أن يغنمه أموالهم ونساءهم وذراريهم، فرغب الناس وخرجوا على راياتهم، وعقد اللواء الأكبر ودفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام وكل من دخل مكة براية أمره أن يحملها، وخرج في اثني عشر ألف رجل عشر آلاف ممن كانوا معه ^(٢).

وفي رواية أبي الجارود عن الباقر عليه السلام قال: وكان معه من بني سليم ألف رجل رئيسهم عباس بن مرداس السلمي، ومن مزينة ألف رجل، قال: فمضوا حتى كان من القوم مسيرة بعض ليلة، قال: وقال مالك بن عوف لقومه: ليصير كل رجل منكم أهله وماله خلف ظهره، واكسروا جفون سيوفكم واكمنوا في شعاب هذا الوادي، وفي السحر إذا كان في

غلس^(١) الصَّبح فاحملوا حملة رجل وهذوا^(٢) القوم فإنَّ محمداً لم يلق أحدًا يحسن الحرب، قال: فلما صَلَّى رسول الله ﷺ الغداة انحدر في وادي حنين، وهو واد له انحدار بعيد، وكانت بنو سليم على مقدّمته فخرجت عليهم كتائب هوزان من كلّ ناحية. فانهزمت بنو سليم وانهزم من ورائهم ولم يبق أحد إلاّ انهزم وبقى أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم في نفر قليل، ومَرَّ المنهزمون برسول الله ﷺ لا يلوون^(٣) على شيء، وكان العباس أخذاً بلجام بغلة رسول الله ﷺ ينادي يا يمينه، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب عن يساره، فأقبل رسول الله ﷺ ينادي يا معشر الأنصار إلى أين؟ أنا رسول الله فلم يلو أحد عليه وكانت نسبية بنت كعب المازنية تحثو^(٤) في وجوه المنهزمين التراب، وتقول: إلى أين تفرون عن الله، وعن رسوله؟ ومَرَّ بها عمر فقالت: يا ويلك ما هذا الذي صنعت؟ فقال لها: هذا أمر الله. فلما رأى رسول الله ﷺ الهزيمة ركض^(٥) نحو عليّ بغلته، فرآه وقد شهر سيفه فقال: يا عباس - وكان صيئاً رفيع الصوت - إصعد هذا الظرب^(٦) وناد يا أصحاب البقرة، ويا أصحاب الشجرة إلى أين تفرون؟ هذا

١ - الغلس - بالتحريك - الظلمة آخر الليل، ومنه التغليس، وهو السير بغلس. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٩٠. مادة «غلس».

٢ - الهذّة - صوت وقع الحائط ونحوه، وهذّ البناء يهده: كسره وضمّضه. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٦٨. مادة «هذد».

٣ - أي لا يقف أحد لأحد ولا ينتظره، يقال لوى عليه إذا عرج فأقام. قوله تعالى: «لَوْ رَأَوْهُمْ» أي عطفوها وأمالوها. إعرافاً عن ذلك واستكباراً. مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٨٠ - ٣٨١. مادة «لوا».

٤ - حثا الرجل التراب يحثوه حثواً، ويحثيه حثياً - من باب رمى - لغة: إذا أهاله بيده، وبعضهم يقول: قبضه بيده ثم رماه، مجمع البحرين: ج ١، ص ٩٥. مادة «حثا».

٥ - ركضت الدابة: إذا ضربتها برجلك. والركض: الضرب. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٠٧. مادة «ركض».

٦ - الظرب: اسم بركة في طريق مكة. والظرب من الحجارة ما كان أصله ناتئاً في جبل وإذا كان خلفه الجبل سمي ظرباً، وقال أبو زياد: الظرب هو جبل محدد في السماء ليس فيه واد ولا شعبة ولا يكون إلا أسود. معجم البلدان: ج ٤، ص ٥٩.

رسول الله، ثم رفع رسول الله ﷺ يده فقال: اللَّهُمَّ لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، فزل جبرئيل عليه السلام فقال يا رسول الله: دعوت بما دعا به موسى عليه السلام حيث فلق الله له البحر ونجّاه من فرعون، ثم قال رسول الله ﷺ لأبي سفيان بن الحارث: ناولني كفاً من حصاً فناولوه، فرماه في وجوه المشركين، ثم قال: شأهت الوجوه، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللَّهُمَّ إن تهلك هذه العصابة لم تعبد، وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد، فلما سمعت الأنصار نداء العباس عطفوا وكسروا جفون سيفهم، وهم يقولون: لبيك، ومروا برسول الله ﷺ واستحيوا أن يرجعوا إليه ولحقوا بالزاية، فقال رسول الله ﷺ للعباس: من هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقال: يا رسول الله هؤلاء الأنصار، فقال رسول الله ﷺ الآن حمى الوطيس^(١) ونزل النصر من الله وانهزمت الهوزان وكانوا يسمعون قعقة السّلاح من^(٢) الجوّ، وانهزموا في كلّ وجه، وغنم الله ورسوله أموالهم ونساءهم وذرايرهم، وهو قول الله: «ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين»، قال: وقال رجل من بني نصر بن معاوية يقال له: شجرة بن ربيعة للمؤمنين وهو أسير في أيديهم: أين الخيل والبلق^(٣)، والرّجال عليهم الثّياب البيض فإنما كان قتلنا بأيديهم، وما كنّا نراكم فيهم إلّا كهيئة الشّامة، قالوا: تلك الملائكة^(٤).

وفي الكافي: عن الرّضا عليه السلام أنّه سئل ما السّكينة؟ فقال: ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان أطيب ريحاً من المسك، وهي التي أنزلها الله على رسوله بحنين فهزم المشركين^(٥). وعن الصادق عليه السلام: قال: قتل عليّ بن أبي طالب يوم حنين أربعين^(٦).

١ - الوطيس: التّور وهو مثل في شدة الحر، كني به عن اشتداد الحرب. منه يورث. وذكر الطريحي: الوطيس: التّور، وهو كناية عن شدة الأمر واضطراب الحرب. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٢٣، مادة «وطس».

٢ - وفي نسخة: [في].

٣ - البلقة بالضم: سواد في بياض والبلق - بالتحريك -: مثل ذلك. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٤٠، مادة

«بلق».

٥ - الكافي: ج ٥، ص ٢٥٦ - ٢٥٧، ح ٣، باب ركوب البحر للتجارة.

٦ - الكافي: ج ٨، ص ٣٧٦، ح ٥٦٦.

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
 ﴿٢٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا
 الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ
 يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾: منهم بالتوفيق للإسلام.
 ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم، روي أن أناساً منهم جاؤوا
 إلى رسول الله ﷺ وأسلموا، وقالوا: يا رسول الله أنت خير الناس وأبرهم، وقد سبي أهلونا
 وأولادنا وأخذت أموالنا، وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا
 يحصى، فقال: اختاروا إما سبائكم وإما أموالكم، فقالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً، فقام
 رسول الله ﷺ وقال: إن هؤلاء جاؤوا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم
 يعدلوا بالأحساب شيئاً فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يردّه فشأنه ومن لا فليعطنا
 وليكن قرضاً علينا حتى نصيب شيئاً فلنطعيه مكانه، فقالوا: رضينا وسلّمنا، فقال: إني لا
 أدري لعل فيكم من لا يرضى، فمروا عرفائكم فليعرفوا إلينا فعرفوا^(١) أنهم قد رضوا^(٢).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾: لحبت باطنهم.
 ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: فقراً بسبب
 منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والمنافع.
 ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: من عطائه وتفضله على وجه آخر.

١- وفي نسخة: [فليعرفوا إلينا فعرفوا] كما في المصدر.

٢- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤١١.

قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا
حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾

﴿إِنْ شَاءَ﴾: قيل: قيده بالمشيئة ليقطع الآمال إلى الله تعالى ولينبه على أنه متفضل في ذلك، وأن الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض، وفي عام دون عام، وقد أنجز وعده بأن أرسل السماء عليهم مدراراً، ووفق طائفة من أهل اليمن للإسلام فحملوا الطعام إلى مكة، ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه إليهم الناس من أقطار الأرض^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾: بأحوالكم.

﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يعطي ويمنع.

﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: يعني لا يؤمنون بهما على ما ينبغي فإن إيمانهم كلا إيمان.

﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة.

﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾: الثابت الذي هو ناسخ سائر الأديان ومبطلها.

﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: بيان للذين لا يؤمنون.

﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾: ما يقرر عليهم أن يعطوه، من جزى دينه، إذا قضاها.

﴿عَنْ يَدٍ﴾: مواتية غير ممتنعة.

﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: أذلاء، يعني تؤخذ منهم على الصغار والذلل، في الكافي^(٢).

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤١١.

٢- الكافي: ج ٥، ص ١١، ح ٢، باب وجوه الجهاد.

والتهذيب: عن الباقر عليه السلام بعث الله محمداً عليه السلام بخمسة أسياف إلى أن قال: والسيف الثاني على أهل الذمة، قال الله تعالى: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا»^(١) نزلت هذه الآية في أهل الذمة ثم نسخها قوله سبحانه «فَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» الآية، فمن كان منهم في دار الإسلام فلم يقبل منهم إلا الجزية أو القتل وما لهم فيء، وذرايرهم سبي، فإذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سبيهم وحرمت أموالهم، وحلت لنا مناعتهم، ومن كان منهم في دار الحرب حلّ لنا سبيهم وأموالهم، ولم يحلّ لنا مناعتهم ولم يقبل منهم إلا الدخول في دار الإسلام أو الجزية أو القتل^(٢).

والعباشي: ما يقرب منه^(٣).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن المجوس أكان لهم نبي، فقال: نعم أما بلغك كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أهل مكة أن أسلموا وإلا فأذنوا بحرب فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن خذ منا الجزية ودعنا على^(٤) عبادة الأوثان فكتب إليهم النبي صلى الله عليه وآله إني لست آخذ الجزية إلا من أهل الكتاب، فكتبوا إليه يريدون بذلك تكذيبه، زعمت أنك لا تأخذ الجزية إلا من أهل الكتاب، ثم أخذت الجزية من مجوس هجر^(٥)، فكتب إليهم النبي صلى الله عليه وآله إن المجوس كان لهم نبي فقتلوه، وكتاب أحرقوه أتاهاهم نبيهم بكتابهم في اثني عشر ألف جلد شور^(٦).

١ - البقرة: ٨٣.

٢ - تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٣٦، ح ١، باب ٥٩ - باب أصناف من يجب جهاده.

٣ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٥، ح ٤٢. ٤ - وفي نسخة: [إلى].

٥ - هجر: بلاد بالين، وقرية كانت قرب المدينة، واسم لجميع أرض البحرين، منه بغداد، وذكر الطريحي: وهجر - حمركة - بلدة بالين واسم لجميع أرض البحرين، وقرية كانت قرب المدينة تنسب إليها القلال، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٥١٧، مادة «هجر».

٦ - الكافي: ج ٣، ص ٥٦٧ - ٥٦٨، ح ٤، باب صدقة أهل الجزية.

وفيه (١)، وفي الفقيه (٢)، والتهذيب (٣)، والعلل: عنه عليه السلام إنه سئل عن النساء كيف سقطت الجزية ورفعت عنهم؟ فقال: لأن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن قتل النساء والولدان في دار الحرب إلا أن تقاتل، وإن قاتلت أيضاً فامسك عنها ما أمكنك ولم تخف خلافاً، فلما نهى عن قتلهم في دار الحرب كان ذلك في دار الإسلام أولى، ولو امتنعت أن تؤدّي الجزية لم يمكن قتلها، فلما لم يمكن قتلها رفعت الجزية عنها، ولو امتنع الرجال وأبوا أن يؤدّوا الجزية كانوا ناقضين للعهد وحلّ دماؤهم وقتلهم لأنّ قتل الرجال مباح في دار الشرك، وكذلك المقعد من أهل الشرك والذمة والأعمى والشيخ الفاني والمرأة والولدان في أرض الحرب، ومن أجل ذلك رفعت عنهم الجزية (٤).

وفي الكافي (٥)، والفقيه: عنه عليه السلام جرت السنّة أن لا تؤخذ الجزية من المعتوه ولا من المغلوب على عقله (٦).

وفيها (٧)، والعبّاشي (٨)، والقمي: عنه عليه السلام أنه سئل ما حدّ الجزية على أهل الكتاب؟

١ - الكافي: ج ٥، ص ٢٨ - ٢٩، ح ٦، باب وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا. وفيه «نهى عن قتل النساء... إلا أن يقاتلوا».

٢ - من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٨، ح ١٠٢ / ٨، باب ١٠ - الخراج والجزية. وفيه «نهى عن قتل النساء... إلا أن يقاتلن».

٣ - تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٥٦، ح ٢٧٧ / ١، باب ٧١ - علّة سقوط الجزية عن النساء. وفيه «نهى عن قتل النساء... إلا أن يقاتلن».

٤ - علل الشرائع: ص ٣٧٦، ح ١، باب ١٠٤ - العلّة التي من أجلها سقطت الجزية عن النساء والمقعد والأعمى والشيخ الفاني والولدان ورفعت عنهم.

٥ - الكافي: ج ٣، ص ٥٦٧، ح ٣، باب صدقة أهل الجزية.

٦ - من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٨، ح ١٠١ / ٧، باب ١٠ - الخراج والجزية.

٧ - الكافي: ج ٣، ص ٥٦٦ - ٥٦٧، ح ١، باب صدقة أهل الجزية. ومن لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٧.

٨ - تفسير العبّاشي: ج ٢، ص ٨٥، ح ٤١.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ
ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾

وهل عليهم في ذلك شيء موظف لا ينبغي أن يجوزوا إلى غيره؟ فقال: ذلك إلى الإمام يأخذ من كل إنسان منهم ما شاء على قدر ماله، وما يطبق إنما هم قوم فدوا أنفسهم من أن يستعبدوا أو يقتلوا فالجزية تؤخذ منهم على قدر ما يطيقون له أن يأخذهم به حتى يسلموا فإن الله تبارك وتعالى قال: «حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ» وكيف يكون صاغراً وهو لا يكثر^(١) لما يؤخذ منه، لا حتى يجد ذلاً لما أخذ منه فيألم بذلك فيسلم^(٢).

وفيها: عن الباقر عليه السلام في أهل الجزية أيؤخذ من أموالهم ومواشيهم شيء سوى الجزية؟ قال: لا^(٣).

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾: إنما قال ذلك بعضهم ولم يقله كلهم، في الاحتجاج: عن النبي صلى الله عليه وآله أنه طالبهم فيه بالحجة، فقالوا: لآته أحى لبني إسرائيل التوراة بعدما ذهبت ولم يفعل بها هذا إلا لآته ابنه، فقال صلى الله عليه وآله: كيف صار عزير بن الله دون موسى؟ وهو الذي جاءهم بالتوراة ورأوا منه من المعجزات ما قد علمتم، فإن كان

١ - لا يكثر لهذا الأمر: أي لا يعأبه ولا يباليه، ولا يستعمل إلا في النسب. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٦٢.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٨ - ٢٨٩. مادة «كرث».

٣ - الكافي: ج ٣، ص ٥٦٨، ح ٧، باب صدقة أهل الجزية، ومن لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٨، ح ٩٩ / ٥، باب ١٠ - الخراج والجزية.

عزير ابن الله لما ظهر من إكرامه من إحياء التّوراة، فلقد كان موسى بالنبوة أحقّ وأولى^(١)، الحديث.

﴿وَقَالَتِ الْنَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾: وهو أيضاً قول بعضهم، وفي الإحتجاج: عن النبي ﷺ أَنَّهُ طَالِبُهُم بِالْحُجَّةِ فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَظْهَرَ عَلَى يَدِ عِيسَى ﷺ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْعَجِيبَةِ مَا أَظْهَرَ فَقَدْ اتَّخَذَهُ وَلِداً عَلَى جِهَةِ الْكَرَامَةِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقَدْ سَمِعْتُمْ مَا قُلْتُمْ لِلْيَهُودِ فِي هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْتُمُوهُ ثُمَّ أَعَادَ ذَلِكَ كُلَّهُ فَسَكَتُوا^(٢)، الحديث.

﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: اخترعوه بأفواههم لم يأتهم به كتاب وما لهم به من حجة.

﴿يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يضاهاى قولهم قول الذين كفروا.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: كالقائلين بأنّ الملائكة بنات الله.

﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾: في الإحتجاج: عن أمير المؤمنين ﷺ في حديث أي لعنهم الله فسمّى اللّعة قتلاً^(٣).

﴿أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يصرفون عن الحقّ، في المجالس^(٤)، والعياشي: عن النبي ﷺ قال: اشتدّ غضب الله على اليهود حين قالوا: عزير ابن الله، واشتدّ غضب الله على النصاري حين قالوا: المسيح ابن الله، واشتدّ غضب الله على من أراق دمي وأذاني في عترقي^(٥).

١ - الإحتجاج: ج ١، ص ١٧، في ذكر طرف مما جاء عن النبي ﷺ من الجدال والمحااجة والمناظرة، وما يجري مجرى ذلك، مع من خالف الإسلام وغيرهم.

٢ - الإحتجاج: ج ١، ص ١٨ - ١٩، في ذكر طرف مما جاء عن النبي ﷺ من الجدال والمحااجة والمناظرة، وما يجري مجرى ذلك، مع من خالف الإسلام وغيرهم.

٣ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٢، سطر ١٧، احتجاج أمير المؤمنين ﷺ على زنديق في أي متشابهة.

٤ - الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٧٧٧، ح ٧، المجلس الحادي والسبعون.

٥ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٦، ح ٤٣.

اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ
مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: بأن أطاعوهم في تحريم ما
أحل الله، وتحليل ما حرّم الله، وفي الكافي^(١)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام أما والله ما
دعوه إلى عبادة أنفسهم ولو دعوه إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم
حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون^(٢). وفي معناه أخبار كثيرة^(٣).

﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾: بأن أهّلوه للعبادة، القمي عن الباقر عليه السلام أما المسيح فعصوه
وعظموه في أنفسهم حتّى زعموا أنّه إله، وأنّه ابن الله، وطائفة منهم قالوا: ثالث ثلاثة، وطائفة
منهم قالوا: هو الله، وأما أحبارهم ورهبانهم فإنّهم أطاعوهم وأخذوا بقولهم واتّبعوا ما
أمروهم به ودانوا بما دعوه إليه فاتّخذوهم أرباباً بطاعتهم لهم، وتركهم أمر الله وكتبه
ورسله فنبذوه وراء ظهورهم، قال: وإمّا ذكر هذا في كتابنا لكي نتعظ بهم^(٤).

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا﴾: ليطيعوا.

﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾: وهو الله تعالى، وأمّا طاعة الرّسل وأوصيائهم صلوات الله عليهم

فهي في الحقيقة طاعته^(٥) لأنّهم عن الله يأمرّون وينهون.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تنزيه له عن الإشراك.

١- الكافي: ج ٢، ص ٣٩٨، ح ٧، باب الشرك. ٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٧، ح ٤٨.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٦-٨٧، ح ٤٥ و ٤٧ و ٤٩.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٩. ٥- وفي نسخة: [طاعة الله].

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا﴾: يخدموا.

﴿نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: بشرهم وتكذيبهم.

﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾: بإعلاء التوحيد واعزاز الإسلام.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾: مثل الله سبحانه حالهم في طلبهم إبطال نبوة محمد ﷺ.

وولاية علي عليه السلام بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم يريد الله أن يبلغه الغاية القصوى من الإضاءة والإنارة ليطفأه بنفخه.

في الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية يعني أنهم أثبتوا في الكتاب ما لم يقله الله ليلبسوا على الخليقة^(١) فأعمى الله قلوبهم حتى تركوا فيه ما دلّ على ما أحدثوه فيه وحرفوا منه^(٢).

وعنه عليه السلام: وجعل أهل الكتاب القيمين به والعالمين بظاهره وباطنه من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أي: يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت، بعد الوقت وجعل أعداءها أهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم، فأبى الله إلا أن يتمّ نوره^(٣).

١ - الخليقة: الطبيعة، والجمع الخلائق، وفي حديث الخوارج هم شر الخلق والخليقة، قال بعض الشارحين: الخلق الناس، والخليقة: الهائم. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٥٨، مادة «خلق». وقال الجوهرى: الخليقة: الخلق والجمع الخلائق، يقال: هم خليفة الله أيضاً وهو في الأصل مصدر، الصحاح: ج ٤، ص ١٤٧١، مادة «خلق».

٢ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧١، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في أي متشابهة. وفيه «جعل أهل الكتاب المقيمين به».

٣ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٦، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في أي متشابهة.

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

وفي الإكمال: عن الصادق عليه السلام وقد ذكر شقّ فرعون بطون الحوامل في طلب موسى عليه السلام كذلك بنو أمية وبنو العباس لما أن وقفوا على أن زوال ملك الأمراء والجبابة منهم على يد القائم عليه السلام ناصبون العداوة، ووضعوا سيوفهم في قتل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى قتل القائم عليه السلام فأبى الله أن يكشف أمره لواحد من الظلمة إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون (١).

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: يظهر دين الحق على سائر الأديان.
﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾: نزلت في القائم من آل محمد عليه وعليهم السلام، وقال: وهو الذي ذكرناه مما تأويله بعد تنزيله (٢).

وفي الإكمال: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية والله ما نزل تأويلها بعد ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم عليه السلام، فإذا خرج القائم عليه السلام لم يبق كافر بالله العظيم، ولا مشرك بالإمام إلا كره خروجه حتى لو كان كافراً أو مشركاً في بطن صخرة لقالت يا مؤمن في بطني كافر فاكسري واقتله (٣).

وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام في هذه الآية هو الذي أمر رسوله صلى الله عليه وآله بالولاية لوصيته،

١- إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٣٥٤، ح ٥٠، باب ٣٣، ما روي عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام من النص على القائم عليه السلام وذكر غيبته وأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٩.

٣- إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٦٧٠، ح ١٦، باب ٥٨- نوادر الكتاب.

والولاية: هي دين الحق ليظهره على جميع الأديان عند قيام القائم عليه السلام، والله متم ولاية القائم ولو كره الكافرون^(١) بولاية علي عليه السلام، قيل: هذا تنزيل؟ قال: نعم هذا الحرف تنزيل وأما غيره فتأويل^(٢).

وفيه: في حديث مناجاة موسى عليه السلام ربه وقد ذكر الله محمداً عليه السلام، قال: فتتمت كلماتي لأظهرن دينه على الأديان كلها ولأعبدن بكل مكان^(٣).

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام وغاب صاحب هذا الأمر بإيضاح الغدر له في ذلك لإشتال الفتنة على القلوب حتى يكون أقرب الناس إليه أشدهم عداوةً، وعند ذلك يؤيده الله مجنود لم تروها ويظهر دين نبيه على يديه على الدين كله ولو كره المشركون^(٤).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية إن ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد عليه وعليهم صلوات الله، فلا يبقى أحد إلا أقرَّ بمحمد عليه السلام^(٥).

والعياشي: عنه عليه السلام ما في معناه قال^(٦).

وفي خبر آخر قال: ليظهره الله في الرجعة^(٧).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: أظهر ذلك بعد؟ قالوا: نعم. قال: كلاً فوالذي نفسي بيده حتى لا تبقى قرية إلا ونودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وآله بكرة وعشياً^(٨).

١ - قيل: هو كالبیان لما قبله، عبر تارة عنهم بالكافرين وأخرى بالمشركين تنبيهاً على أنهم ضموا بالكفر الشرك، ويؤيده تبديل الكافرين بالمشركين في حديث الإكمال السابق. منه عليه السلام.

٢ - الكافي: ج ١، ص ٤٣٢، ح ٩١، باب فيه نكت ونف من التنزيل في الولاية.

٣ - الكافي: ج ٨، ص ٤٤، ذيل ح ٨، حديث موسى عليه السلام.

٤ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٨٢، سطر ١٢، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في أي متشابهة.

٥ - مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٢٥. ٦ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٧، ح ٥٠.

٧ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٧، ح ٥١.

٨ - بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٦٠، ح ٥٩، باب ٥ - الآيات المأولة بقيام القائم عليه السلام. وفيه: «إلا ونودي فيها».

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ
يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾

وعن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: إذا خرج القائم عليه السلام لم يبق مشرك بالله العظيم، ولا كافر إلا كره خروجه (١).

وفي المجمع: عن مقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يبق على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله الإسلام إما بعزٍّ عزيز أو بذلٍّ ذليل، إما يعزهم فيجعلهم الله من أهله فيعزوا به، وإما يذلهم فيدينون له (٢).

وفي الإكمال (٣)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام القائم منا منصور بالزعم، مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله به دينه على الدين كله، فلا يبق في الأرض خراب إلا عمر، وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه (٤)، الحديث.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ﴾: يأخذونها من الحرام بالرشا في الأحكام، وتخفيف الشرائع للعوام.
﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عن دينه.

١ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٧، ح ٥٢. ٢ - مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٢٥.

٣ - إكمال الدين وإقام النعمة: ص ٣٣٠ - ٣٣١، ح ١٦، باب ٣٢ - ما أخبر به أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام من وقوع الغيبة بالقائم عليه السلام، وأنه الثاني عشر من الأئمة.

٤ - لم نعثر عليه.

يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: قيد الكنز بعدم الإنفاق لثلاثي نعم من جمع للإنفاق أو بعد إخراج الحقوق.

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: وهو الكي بهما.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾: يوقد النار ذات حمى شديدة على الكنوز.

﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا﴾: بتلك الكنوز المحماة.

﴿جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾: قيل: إنما خصت هذه الأعضاء لأنهم لم يطلبوا

بترك الإنفاق إلا الأغراض الدنيوية من وجهة عند الناس، وأن يكون ماء وجوههم مصنوعاً، ومن أكل الطيبات يتصلعون^(١) منها، ومن لبس ثياب ناعمة يطرحونها على ظهورهم، أو لأنهم يعبسون وجوههم للفقير، إذا دار^(٢) يولونه جنوبهم، وإذا دار أعطوه ظهورهم^(٣).

أو أن الجباه كناية عن مقادير البدن، والجنوب عن طرفيه، والظهور عن المآخير، يعني به أن الكي يستوعب البدن كله.

﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾: يعني يقال لهم: هذا ما كنزتم.

١ - تضرع الرجل: امتلاً شبعاً ورثياً، مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٦٦، مادة «ضرع».

٢ - وفي نسخة: [إذا رأوه].

٣ - قاله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع: ج ٢، ص ٥٢، باختلاف يسير.

﴿لَا تُفْسِدُوا﴾: لا تنتفع أنفسكم، وكان سبب تعذيبها.

﴿فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾: يعني وباله، القمّي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية إنَّ

الله حرّم كنز الذهب والفضّة، وأمر بإنفاقه في سبيل الله، قال: كان أبو ذر الغفاري يغدو كلّ يوم وهو بالشّام فينادي بأعلى صوته بشر أهل الكنوز بكّي في الجباه، وكّي في الجنوب، وكّي في الظّهور أبداً حتّى يتردّد الحر في أجوافهم^(١).

وفي المجمع: عن النّبي صلّى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية قال: تبتّ للذهب تبتّ للفضّة يكبرّها

ثلاثاً، فسقّ ذلك على أصحابه فسأله عمر أيّ المال تتخذ؟ فقال: لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه^(٢).

وفي الخصال: عنه عليه السلام الدّينار والدّرهّم أهلكا من كان قبلكم، وهما مهلكاكم^(٣).

والقمّي: في حديث قد سبق في سورة البقرة نظر عثمان بن عفّان إلى كعب الأحبار

فقال له: يا أبا إسحاق ما تقول في رجل أدّى زكاة ماله المفروضة، هل يجب عليه فيما بعد ذلك شيء؟ فقال: لا ولو اتّخذ لبنه من ذهب ولبناً من فضّة ما وجب عليه شيء، فرفع أبو ذرّ عصاه فضرب بها رأس كعب، ثمّ قال له: يا ابن اليهوديّة الكافرة ما أنت والنّظر في أحكام المسلمين؟ قول الله أصدق من قولك حيث قال: «والذين يكتزون الذهب والفضّة»، الآية^(٤).

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام ما زاد على أربعة آلاف فهو كنز أدّى زكاته أو لم

يؤدّ، وما دونها فهي نفقة^(٥).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: إنّما عني بذلك ما جاوز

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٩. ٢- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٢٦.

٣- الخصال: ص ٤٣، ح ٣٧، باب الإثنين - الدينار والدّرهّم مهلكان.

٤- تفسير القمي ج ١، ص ٥٢. ٥- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٢٦.

ألني درهم^(١).

وفي الأمالي: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: كل مال تؤدّي زكاته فليس بكنز، وإن كان تحت سبع أرضين، وكل مال لا تؤدّي زكاته فهو كنز وإن كان فوق الأرض^(٢).

وفي الكافي^(٣)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام موسّع على شيعتنا أن ينفقوا ممّا في أيديهم بالمعروف، فإذا قام قائمنا حرم على كل ذي كنز كنهه حتّى يأتيه به فيستعين به على عدوّه، وهو قول الله: «والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ» الآية^(٤).

أقول: لعلّ التوفيق بين هذه الأخبار أن يقال: بجواز الجمع لغرض صحيح إلى ألني درهم أو إلى أربعة آلاف بعد إخراج الحقوق، ومن جملة الحقوق حق الإمام عليه السلام إذا كان ظاهراً وهو ما زاد على ما يكفّ عن صاحبه.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام إنّهُ سئل في كم تجب الزكاة من المال؟ فقال: الزكاة الظاهرة أم الباطنة تريد؟ فقل: أريدهما جميعاً، فقال: أمّا الظاهرة فني كلّ ألف خمسة وعشرون، وأمّا الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك^(٥).

وعنه عليه السلام إنّما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجّهوها حيث وجّهها الله تعالى ولم يعطكموها لتكنزوها^(٦).

وفي التهذيب: عنه عليه السلام ما أعطى الله عبداً ثلاثين ألفاً وهو يريد به خيراً، وقال: ما جمع رجل قطّ عشرة آلاف درهم من حلّ وقد يجمعها لأقوام إذا أعطى القوت ورزق العمل

١ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٧، ح ٥٣.

٢ - الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٥١٩، ح ١١٤٢ / ٩٩، المجلس الثامن عشر.

٣ - الكافي: ج ٤، ص ٦١، ح ٤، باب النوادر. ٤ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٧، ح ٥٤.

٥ - الكافي: ج ٣، ص ٥٠٠، ح ١٣، باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق.

٦ - الكافي: ج ٤، ص ٣٢، ح ٥، باب وضع المعروف موضعه.

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا
تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ
كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

فقد جمع الله له الدنيا والآخرة^(١).

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: فيما كتبه وأثبتته
عنده وراه حكمة وصواباً.

﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: منذ خلق الأجسام، والأزمنة.

﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾: يحرم فيها القتال، ثلاثة سرد^(٢) وهي ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم وواحد فرد وهو رجب.

﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم^(٣).

﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾: بهتك حرمتها وارتكاب حرامها.

﴿وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾: القتي: عن الباقر عليه السلام يقول جميعاً^(٤).

﴿كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: بشارة وضمان لهم بالنصرة

إِنْ اتَّقُوا اللَّهَ.

١- تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٣٢٨، ح ٩٠٧/٢٨، باب ٩٣- المكاسب.

٢- السرد: تابع بعض حلق الدرر إلى بعض، يقال: سرد فلان الصوم إذا ولاه، جمع البحرين: ج ٣، ص ٦٨.

٣- وفي نسخة: [القيم]. مادة «سرد».

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٠.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا
وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ
زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾: تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر، كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلّوه وحرّموا مكانه شهراً آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا بمجرد العدد، وقرئ النسّي بقلب الهزئة ياءً والإدغام، والنسي كالزّمي، ونسبه في الجمع إلى الباقر عليه السلام ^(١). وفي الجوامع: إلى الصادق عليه السلام ^(٢).

﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾: لآته تحرّيم ما أحلّ الله، وتحليل ما حرّمه الله، فهو كفر آخر ضمّوه إلى كفرهم.

﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ضلّالاً زائداً، وقرئ يُضَلُّ عَلَى البناء للمفعول.
﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا﴾: يحلّون النسيء من الأشهر الحرم سنة، ويحرّمون مكانه شهراً آخر.

﴿وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾: فيتركونه على حرّمته.

القمّي: كان سبب نزولها إنّ رجلاً من كنانة كان يقف في المواسم فيقول ^(٣): قد أحللت دماء المحلّين طي، وخثعم ^(٤) في شهر المحرم وأنسأته وحرّمت بدله صفرأ، فإذا كان العام المقبل يقول: قد أحللت صفرأ وأنسأته وحرّمت بدله شهر المحرم، فأنزل الله «إِنَّمَا

١- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٢٨. وفيه عن الصادق عليه السلام، فاذكره عليه السلام عن الباقر ليس بصحيح.

٢- جوامع الجامع: ج ٢، ص ٥٤. ٣- وفي نسخة: [الموسم] كما في المصدر.

٤- خثعم: أبو قبيلة، وهو خثعم بن أنمار من اليمن، ويقال: هم من مَسَد، وصاروا باليمن. الصحاح: ج ٥، ص

١٩٠٩، مادة «خثعم»، وذكره الطريحي نقلاً عن الجوهري: مجمع البحرين: ج ٦، ص ٥٥.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾

النسيء» الآية (١).

وقيل: أول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم
فينادي إن أهتكم أحلت لكم المحرم فأحلوه، ثم ينادي في القابل إن أهتكم قد حرمت
عليكم المحرم فحرّموه (٢).

﴿لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾: ليوافقوا عدّة الأربعة المحرم.
﴿فَيُحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾: فيحلّوا بمواطة العدة وحدها ما حرّم الله من القتال.
﴿زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾: خذلهم الله حتّى حسبوا قبيح أعمالهم حسناً.
﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: لعدم قبولهم الإهداء.
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى
الْأَرْضِ﴾: تباطأتم مخلّدين (٣) إلى أرضكم والإقامة بدياركم، في الجوامع: كان ذلك في
غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت قحط وقيط (٤) مع بُعد

١- تفسير القتي: ج ١، ص ٢٩٠. ٢- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤١٥.

٣- أخلد: أي مال وركن إلى الدنيا وشهواتها واتبع هواه في إيثار الدنيا، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٤،
مادة «خلد».

٤- القيط: صميم الصيف، وقاط يوماً: اشتد حره، مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٩٠، مادة «قيظ».

الشقة^(١) وكثرة العدو فشقق ذلك عليهم^(٢).

والقمتي: وذلك أنّ رسول الله ﷺ لم يسافر سफراً أبعد ولا أشد منه، وكان سبب ذلك أنّ الصّيف^(٣) كانوا يقدمون المدينة من الشّام معهم الدرموك^(٤) والطّعام وهم الأنباط^(٥) فأشاعوا بالمدينة أنّ الرّوم قد اجتمعوا يريدون غزو رسول الله ﷺ في عسكر عظيم وأنّ هرقل^(٦) قد سار في جنوده، وجلب معهم غسان^(٧)، وجذام^(٨)، وبهراء^(٩)، وعاملة^(١٠)، وقد قدم عساكره البلقاء^(١١)، ونزل هو حصص^(١٢)، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه ليتهيّؤوا^(١٣) إلى تبوك، وهي من بلاد البلقاء، وبعث إلى القبائل حوله وإلى مكّة

١ - الشقة - بالضمّ والكسر -: البعد، والناحية يقصدها المسافر، والسفر البعيد، مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٩٤، مادة «شقق».

٢ - جوامع الجامع: ج ٢، ص ٥٥.

٣ - صانعة القوم: ميرتهم في الصيف، والصانعة: غزوة الروم لأنهم يغزون صيفاً لمكان البرد والتلج. الصحاح: ج ٤، ص ١٣٨٩، مادة «صيف».

٤ - الدرّمك: دقيق الحواري، الصحاح: ج ٤، ص ١٥٨٣، مادة «درمك».

٥ - النبط والنبيط: قوم يزلون بالبطائح بين العراقيين، والجمع أنباط. يقال: رجل نبطي ونباطي ونباط مثل يمني ويمني ويمان، الصحاح: ج ٣، ص ١١٦٢، مادة «نبط».

٦ - هزقل: ملك الروم، على وزن خندف، ويقال أيضاً: هزقل، على وزن دمشق. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٤٩.

٧ - غسان: اسم ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه، منهم بنو جفنة رهط الملوك. غسان اسم قبيلة، الصحاح: ج ٦، ص ٢١٧٤، مادة «غسن».

٨ - جذام: قبيلة من اليمن نزل بجبال حشمي. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٨٤، مادة «جزم».

٩ - بهراء: قبيلة من قضاة، والنسبة إليهم بهراني مثال بحراني، الصحاح: ج ٢، ص ٥٩٨، مادة «بهر».

١٠ - عاملة: حي من اليمن، وهو عاملة بن سبأ ويزعم نساب مُضَرَ أنّهم من ولد قاسط، الصحاح: ج ٥، ص ١٧٧٥، مادة «عمل».

١١ - البلقاء: مدينة بالشام، الصحاح: ج ٤، ص ١٤٥١، مادة «بلق».

١٢ - حصص: بلد، يذكر ويؤنث، الصحاح: ج ٣، ص ١٠٣٤، مادة «حصص».

١٣ - وفي نسخة: [بالتهيؤ] كما في المصدر.

إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

وإلى من أسلم من خزاعة^(١) ومزينة^(٢) وجهينة^(٣) وحثهم على الجهاد، وأمر رسول الله بعسكره فضرب في ثنية الوداع، وأمر أهل الجدة أن يعينوا من لا قوة به، ومن كان عنده شيء أخرجه وحملوا وقورا^(٤) وحثوا على ذلك، ثم خطب خطبة ورغب الناس في الجهاد، قال: وقدمت القبائل من العرب بمن استنفرهم وقعد عنه قوم من المنافقين وغيرهم^(٥).

أقول: وسنذكر بقايا هذه القصة متفرقة عند تفسير الآيات الآتية إلى آخر السورة.

﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: وغرورها.

﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾: بدل الآخرة ونعيمها.

﴿فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾: في جنب الآخرة.

﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾: مستحقر.

﴿إِلَّا تَنْفَرُوا﴾: إلى ما استنفرتم إليه.

﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: خيرا منكم، وأطوع.

١ - خزاعة: هي من الأزد، سموا ذلك لأن الأزد لما خرجت من مكة لتستفرق في البلاد تخلفت عنهم خزاعة وأقامت بها. الصحاح: ج ٣، ص ١٢٠٣.

٢ - مُزَيْنَةُ: قبيلة من مضر، وهو مُزَيْنَةُ بْنُ أَذْنِ بْنِ طَابِجَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ والنسبة إليهم مزي. الصحاح: ج ٦، ص ٢٢٠٤، مادة «مزن».

٣ - جهينة: قبيلة. الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٩٦ والقاموس المحيط: ج ٤، ص ٢١١، مادة «جهن».

٤ - الوقر - بالكسر -: الحمل. يقال جاء يحمل وقره. قد أقر بغيره، وأكثر ما يستعمل الوقر في حمل البغل والحمار، والوسق في حمل البعير، الصحاح: ج ٢، ص ٨٤٨، مادة «وقر».

٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٠.

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

﴿وَلَا تَنْصُرُوهُ شَيْئًا﴾: إذ لا يقدح تشاقلكم في نصرته دينه شيئاً فإنه الغنى عن كل شيء وعن كل أمر، أو لا تضروا النبي شيئاً لأن الله وعده أن ينصره ويعصمه من الناس، ووعد الله كائن لا محالة.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فيقدر على التبديل وتغيير الأسباب والنصرة بلا

عدد.

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾: إن تركتم نصرته فسينصره الله كما نصره.
 ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾: لم يكن معه إلا رجل واحد.
 ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾: غار ثور، وهو جبل في يمين مكة على مسيرة ساعة.
 ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾: وهو أبو بكر.
 ﴿لَا تَحْزَنْ﴾: لا تخف.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾: بالعصمة والمعونة، في الكافي: عن الباقر عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله أقبل يقول لأبي بكر في الغار: اسكن فإن الله معنا وقد أخذته الرعدة وهو لا يسكن، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله حاله قال له: تريد أن أريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدثون. وأريك جعفر وأصحابه في البحر يغوصون، قال: نعم فمسح رسول الله صلى الله عليه وآله بيده على وجهه فنظر إلى الأنصار يتحدثون، ونظر إلى جعفر وأصحابه في البحر يغوصون،

فأضمر تلك الساعة أنه ساحر^(١).

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾: أمنتها التي تسكن إليها القلوب.

﴿عَلَيْهِ﴾: في الكافي: عن الرضا عليه السلام أنه قرأها «على رسوله» قيل له: هكذا، قال: هكذا نقرأها، وهكذا تنزيلها^(٢).

والعياشي: عنه عليه السلام إنهم يحتجون علينا بقول الله تعالى: «ثاني اثنين إذ هما في الغار» وما لهم في ذلك من حجة، فوالله لقد قال الله: «فأنزل الله سكينته على رسوله» وما ذكره فيها بخير، قيل: هكذا نقرأها؟ قال: هكذا قرأتها^(٣).

وعن الباقر عليه السلام: «فأنزل الله سكينته على رسوله»، قال: ألا ترى أن السكينة إنما نزلت على رسوله ﷺ^(٤).

وفي الجوامع: نسب القراءة إلى الصادق عليه السلام أيضاً^(٥).

﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾: يعني الملائكة، قد سبق فيه كلام في تفسير: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا»^(٦) من^(٧) سورة الأنفال.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾: العياشي: عن الباقر عليه السلام، وهو الكلام الذي يتكلم به عتيق^(٨). والقمي: ما في معناه^(٩).

﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾: القمي: هو قول رسول الله ﷺ^(١٠).

وقيل: هي التوحيد أو دعوة الإسلام^(١١).

أقول: المستفاد مما سبق في سورة الأنفال إن كلمتهم: ما كانوا يمحرون به من إثباته أو

١- الكافي: ج ٨، ص ٢٦٢، ح ٣٧٧. ٢- الكافي: ج ٨، ص ٣٧٨، ح ٥٧١.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٨-٨٩، ح ٥٨. ٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٩، ذيل حديث ٥٨.

٥- جوامع الجامع: ج ٢، ص ٥٦. ٦- الأنفال: ٣٠.

٧- وفي نسخة: [في]. ٨- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٨-٨٩، ح ٥٨.

٩- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٠. ١٠- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٠.

١١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤١٦.

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا
 قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ
 لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ
 لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾

قتله أو إخراجاه وكلمة الله: نصره وغلبته عليهم.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: في أمره وتدبيره.

﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾: القمّي قال: شَبَانًا وشيوخًا، يعني إلى غزوة تبوك^(١).

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: بما تيسر لكم منها.

﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ * لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا: أي لو كان مادعوا

إليه نفعاً دنيوياً قريباً سهلاً المأخذ. القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول: غنيمة قريبة^(٢).

﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: متوسطاً.

﴿لَاتَّبَعُوكَ﴾: لو افقوك.

﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾: المسافة التي تقطع بمشقة، القمّي: يعني إلى تبوك^(٣).

وفي التوحيد^(٤)، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام كان في علم الله لو كان عرضاً قريباً
 وسفراً قاصداً لفعلوا^(٥).

٢- تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٩٠.

١- تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٩٠.

٤- التوحيد: ص ٣٥١، ح ١٥، باب ٥٦- الإستطاعة.

٣- تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٩٠.

٥- تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٨٩، ح ٥٩.

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ ﴿٤٣﴾

﴿وَسَيُخْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾: أي المتخلفون إذا رجعت من تبوك معتذرين.
﴿لَوْ أَسْتَطَعْنَا﴾: يقولون لو كان لنا استطاعة العدة أو البدن.
﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾: وهذا إخبار بما سيقع قبل وقوعه.
﴿يُهِلْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾: بإيقاعها في العذاب.
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: في التوحيد: عن الصادق عليه السلام كذبهم الله في قولهم:
«لو استطعنا لخرجنا معكم» وقد كانوا مستطيعين للخروج^(١).
﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾: في القعود حين استأذنوك واعتلوا بالكاذيب وهلا
توقفت.

﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾: في الاعتذار.
﴿وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾: القمي: عن الباقر عليه السلام يقول لتعرف أهل الغدر والذين
جلسوا بغير عذر^(٢).

في الجوامع: وهذا من لطيف المعاتبة بدأ بالعفو قبل العتاب، ويجوز العتاب من الله فيما
غيره أولى سيما^(٣) للأنبياء، وليس كما قال جار الله: من أنه كناية عن الجنائية، وحاشا سيّد
الأنبياء وخير بني حواء من أن ينسب إليه الجنائية^(٤).
وفي العيون: عن الرضا (عليه الصلاة والسلام) في جواب ما سأله المأمون من عصمة

١- التوحيد: ص ٣٥١، ح ١٦، باب ٥٦- الإستطاعة.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٤. ٣- وفي نسخة: [لا سيما].

٤- جوامع الجامع: ج ٢، ص ٥٧- ٥٨.

لَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزَّاتَبَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾

الأنبياء: هذا مما نزل بآيائك أعني واسمعي يا جارة خاطب الله تعالى بذلك نبيه وأراد به أمته^(١).

﴿لَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾: أي ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وأن الخلف منهم مبادرون^(٢) إليه ولا يوقفونه على الإذن فيه، فضلاً عن أن يستأذنوك في التخلف عنه، أو ليس من عادتهم أن يستأذنوك في التخلف كراهة أن يجاهدوا.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾: شهادة لهم بالتقوى وعده لهم بثوابه.

﴿إِنَّمَا يَسْتَنْذِرُكَ﴾: في التخلف.

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزَّاتَبَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾: يتحيرون، في الخصال: عن أمير المؤمنين عليه السلام من تردد في الريب سبقه الأولون، وأدركه الآخرون، ووطأته سنابك الشياطين^(٣).

١ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٠٢، سطر ١٤، ح ١، باب ١٥ - ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٢ - وفي نسخة: [يتبادرون].

٣ - الخصال: ص ٢٣٣، ح ٧٤، باب ٤ - الأشياء التي كل واحدة منها على أربعة. وفيه «قطعة سنابك الشياطين».

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ
فَتَبَطَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا
زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَنْفَعُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ
سَمْعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ﴾: للخروج.

﴿عُدَّةً﴾: أهبة، العياشي: مضمراً يعني بالعدة: النية، يقول: لو كان لهم نية

لخرجوا^(١).

﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾: نهضهم للخروج إلى الغزو لعلهم بأنهم لو خرجوا

لكانوا يمشون بالتيممة بين المسلمين.

﴿فَتَبَطَّطَهُمْ﴾: بطأهم، وجبتهم، وكسلهم، وخذلهم.

﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾: مع النساء والصبيان وهو إذن رسول الله ﷺ لهم

في القعود، وفي هذا دلالة على أن إذنه لم يكن قبيحاً، وإن كان الأولى أن لا يأذن لهم ليظهر للناس نفاقهم.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ﴾: بخروجهم.

﴿إِلَّا خَبَالًا﴾: فساداً وشرّاً.

﴿وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ﴾: ولأسرعوا ركابهم بينكم بالفساد، القمي: أي هربوا

عنكم^(٢).

﴿يَنْفَعُونَكُمْ الْفِتْنَةَ﴾: يريدون أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم والرعب في

١ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٩، ح ٦٠.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٤. وفيه: «هربوا عنكم».

لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ
وَوَظَّهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُوا ۖ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَئِذْنَ لِي وَلَا
تَفْتِنِّي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ۚ

قلوبكم وإفساد نيّاتكم في غزوتكم.

﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾: أي عيون نّامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم، أو
فيكم قوم يسمعون قول المنافقين ويقبلونه ويطيعونهم، يريد من كان ضعيف الإيمان من
المسلمين.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: المصّرّين على الفساد، يعلم ضمائرهم وما يتأتّى منهم.
﴿لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ﴾: تشتيت شملك، وتفريق أصحابك.
﴿مِنْ قَبْلُ﴾: قيل: يعني يوم أحد^(١)، وقيل: هي وقوفهم على النّية ليلة العقبة
ليفتكوا به^(٢).

﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾: أي دبروا لك الحيل والمكائد، واحتالوا في إبطال أمرك.
﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾: وهو تأييدك ونصرك.
﴿وَوَظَّهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: وغلب دينه، وعلا أهله.
﴿وَهُمْ كَرِهُوا﴾: أي على رغم منهم، والآيتان لتسلية الرّسول ﷺ والمؤمنين على
تخلّفهم، وبيان ما ثبّطهم الله لأجله، وهتك أستارهم، وإزاحة إعتذارهم، تداركاً لما فات
الرّسول بالمبادرة إلى الإذن.

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَئِذْنَ لِي﴾: في القعود.
﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾: ولا توقني في الفتنة، أي العصيان والمخالفة بأن لا تأذن لي فإني إن

إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا
أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥﴾

تخلفت بغير إذنك أمت، أو في الفتنة بنساء الروم، كما يأتي ذكره.
﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾: أي إن الفتنة هي التي سقطوا فيها، وهي فتنة التخلف
وظهور التفاف.

﴿وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: أي بهم لأن آثار إحاطتها بهم معهم فكأنهم
في وسطها، القمي: لى رسول الله ﷺ الجد بن قيس فقال له: يا أبا وهب ألا تنفر معنا في هذه
الغزوة؟ لعلك أن تحتفد من بنات الأصفر، فقال: يا رسول الله والله إن قومي ليعلمون أنه
ليس فيهم أحد أشدّ عجباً بالنساء وأخاف إن خرجت معك أن لا أصبر إذا رأيت بنات
الأصفر فلا تفتني، وإئذن لي أن أقيم، وقال الجماعة من قومه: لا تخرجوا في الحرّ، فقال ابنه:
تردّ على رسول الله ﷺ وتقول ما تقول، ثم تقول لقومك: لا تنفروا في الحرّ والله لينزلن الله
في هذا قرآناً يقرؤه الناس إلى يوم القيامة، فأنزل الله على رسوله ﷺ في ذلك: «وَمِنْهُمْ مَنْ
يَقُولُ إِنِّدْنِي إِلَى» الآية، ثم قال الجد بن قيس: أيطمع محمد أن حرب الروم مثل حرب غيرهم لا
يرجع من حرب هؤلاء أحد أبداً^(١).

﴿إِنْ تُصِيبَكَ﴾: في بعض غزواتك.
﴿حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾: لفرط حسدهم.
﴿وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾: تبجحوا بانصرافهم
واستحمدوا آراءهم في التخلف.
﴿وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾: مسرورون، القمي: عن الباقر عليه السلام أما الحسنة: فالغنيمة

قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ وَنَحْنُ
 نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا
 فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٧﴾

والعافية، وأما المصيبة: فالبلاء والشدة^(١).

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾: ناصرنا ومتولي أمرنا.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: لأن حق المؤمن أن لا يتوكل إلا على الله.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾: تنتظرون بنا.

﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ﴾: القمي: يقول الغنيمة والجنة^(٢).

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾: إحدى السوتين.

﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾: بقارة من السماء.

﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾: وهو القتل على الكفر.

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾: ما هو عاقبتنا.

﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾: ما هو عاقبتكم، في نهج البلاغة^(٣)، وفي الكافي: عن أمير

المؤمنين عليه السلام وكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر إحدى الحسينين إما داعي الله فما

عند الله خير له، وإما رزق الله فإذا هو ذو أهل، ومال، ومعه دينه ونسبه^{(٤)(٥)}.

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام إلا إحدى الحسينين، قال: أما موت في طاعة الله أو إدراك

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٢. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٢.

٣- نهج البلاغة: ص ٦٤، الخطبة ٢٣. ٤- وفي نسخة: [وحسبه].

٥- الكافي: ج ٥، ص ٥٧، ح ٦، س ١٤، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّنْ يَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا
فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعُهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ
إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٥٤﴾

ظهور الإمام، ونحن نتربص بهم مع ما نحن فيه من الشدة أن يصيبهم الله بعذاب من عنده، قال: هو المسخ أو بأيدينا، وهو القتل، قل: تربصوا قال: التربص: انتظار وقوع البلاء بأعدائهم^(١).

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّنْ يَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ﴾: أمر في معنى الخبر، أي لن يتقبل منكم نفقاتكم، أنفقتم طائعين أو مكرهين.

﴿إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: تعليل.

﴿وَمَا مَنَعُهُمْ أَنْ تُقْبَلَ﴾: وقرء بالياء.

﴿مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ﴾: أي وما منعهم قبول نفقاتهم

إلا كفرهم، في الكافي: عن الصادق عليه السلام لا يضر مع الإيمان عمل، ولا ينفع مع الكفر عمل، ألا ترى أنه تعالى قال: «وَمَا مَنَعُهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ» عليه السلام^(٢). والعياشي ما في معناه^(٣).

﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى﴾: متثاقلين.

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾: لأنهم لا يرجون بها ثواباً ولا يخافون على

١- الكافي: ج ٨، ص ٢٨٦، ح ٤٣١.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٤٦٤، ح ٣، باب إن الإيمان لا يضر معه سيئة والكفر لا ينفع معه حسنة.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٩، ح ٦١.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللهِ
 إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ
 مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَّوَلُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

تركها عقاباً.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾: فَإِنَّ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ وَبِالْأَمْرِ، فِي
 الْمَجْمَعِ: الْخُطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْمَرَادُ: جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَقِيلَ: الْخُطَابُ لِلْسَّامِعِ ^(١).

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بِسَبَبِ مَا يَكَابِدُونَ ^(٢) لَجْمَعِهَا
 وَحِفْظُهَا مِنَ الْمُتَاعِبِ وَمَا يَرُونَ فِيهَا مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْمَصَائِبِ وَلِيَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِنْفَاقُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.
 ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾: فَيَمُوتُونَ كَافِرِينَ مُشْتَغِلِينَ بِالْمَتَمَتِّعِ عَنِ النَّظَرِ فِي

العاقبة، وَأَصْلُ الزَّهْوِ الْخُرُوجُ بِصُعُوبَةٍ.

﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾: لِمَنْ جُمِلَ الْمُسْلِمِينَ.

﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾: لِكُفْرِ قُلُوبِهِمْ.

﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾: يَخَافُونَ مِنْكُمْ أَنْ تَفْعَلُوا بِهِمْ مَا تَفْعَلُونَ بِالْمُشْرِكِينَ مِنَ
 الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ فَيُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ تَقِيَّةً.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾: حَصَنًا يُلْجَأُونَ إِلَيْهِ.

﴿أَوْ مَغْرَبَاتٍ﴾: غَيْرَانَا.

١- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٣٩.

٢- الكيد - بالتحريك - : الشدة والمشقة، من المكابدة للشيء، وهي تحمل المشاق في شيء، مجمع البحرين: ج

٣، ص ١٣٥، مادة «كيد».

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾

﴿أَوْ مَدَّحَلًا﴾: موضع دخول، القمّي: قال: موضعاً يلجأون^(١) إليه^(٢).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام أسراباً في الأرض^(٣).

﴿لَوْلُوا إِلَيْهِ﴾: لأقبلوا نحوه.

﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: أي يعرضون عنكم، يسرعون إسراعاً لا يردّهم شيء كالفرس الجموح.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ﴾: يعيبك، وقرئ يلامزك.

﴿فِي الصَّدَقَاتِ﴾: في قسمتها.

﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾: يعني إن

رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين، في المجمع: عن الباقر عليه السلام بينا رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم قسماً إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي، وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج، فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل... الحديث إلى أن قال: فنزلت^(٤).

والقمّي: نزلت لما جاءت الصدقات، وجاء الأغنياء وظنّوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله يقسمها بينهم، فلما وضعها في الفقراء تغامزوا رسول الله صلى الله عليه وآله، ولمزوه، وقالوا: نحن الذين نقوم في الحرب وتنفر معه ونقوي أمره، ثم يدفع الصدقات إلى هؤلاء الذين لا يعينونه ولا

١- وفي نسخة: [يلتجئون إليه] كما في المصدر. ٢- تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٩٨.

٣- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٤٠.

٤- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٤٠. وفيه: «ابن أبي ذي الخويصرة التميمي».

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ
 سَيُوتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا
 أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ
 قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ
 فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

يغنون عنه شيئاً^(١).

وفي الكافي^(٢)، والمجمع^(٣)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام إِنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْآيَةِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِي النَّاسِ^(٤).

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: ما أعطاهم الرسول عليه السلام من الغنيمة أو الصدقة، وذكر الله للتعظيم، والتنبيه على أَنَّ ما فعله الرسول عليه السلام كان بأمره. ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾: كفانا فضله.

﴿سَيُوتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: صدقة أو غنيمة أخرى.

﴿وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾: في أن يوسع علينا من فضله، وجواب الشرط محذوف تقديره لكان خيراً لهم.

﴿إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: الزكاة هؤلاء المعدودين دون غيرهم.

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٨.

٢ - الكافي: ج ٢، ص ٤١٢، ح ٤، باب المؤلفة قلوبهم.

٣ - مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٤١.

٤ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٩-٩٠، ح ٦٢.

﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾: فرض لهم فريضة.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: يضع الأشياء مواضعها، في الكافي^(١)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام الفقير الذي لا يسأل الناس، والمسكين أجهد منه، والبائس أجهدهم^(٢). وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام الفقير: هو المتعفف الذي لا يسأل، والمسكين الذي يسأل^(٣).

والقمي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل من هم؟ فقال: الفقراء هم الذين لا يسألون وعليهم مؤونات من عيالهم، والدليل على أنهم هم الذين لا يسألون قول الله عز وجل في سورة البقرة: «لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسَبَاهِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا»^(٤)، والمسكين هم أهل الزمانة من العميان، والعرجان، والمجذمين^(٥)، وجميع أصناف الزمنى من الرجال، والنساء، والصبيان، والعاملين عليها: هو السعاة والجبابرة في أخذها وجمعها وحفظها حتى يؤدوها إلى من يقسمها، والمؤلفة قلوبهم: قوم وحدوا الله ولم تدخل المعرفة قلوبهم - أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم - فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم، ويعلمهم كي ما يعرفوا فجعل الله لهم نصيباً في الصدقات لكي يعرفوا ويرغبوا، وفي الرقاب: قوم قد لزمهم كفارات في قتل الخطأ وفي الظهار، وقتل الصيد في الحرم وفي الأيمان وليس عندهم ما يكفرون، وهم مؤمنون فجعل الله لهم سهماً في الصدقات ليكفرو عنهم، والغارمين: قوم قد وقعت عليهم ديون أنفقوها في طاعة الله من غير إشراف فيجب على الإمام أن يقضي ذلك عنهم، ويكفيهم من مال الصدقات، وفي سبيل الله: قوم يخرجون في الجهاد وليس عندهم ما ينفقون، أو قوم من المسلمين ليس عندهم ما يحجّون به، أو في جميع سبيل الخير فعلى الإمام أن يعطيهم من مال الصدقات حتى يتقوا به على الحجّ

١- الكافي: ج ٣، ص ٥٠١، ح ١٦، باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق.

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩٠، ح ٦٥، وفيه «الفاقر: الذي يسأل، والمسكين: أجهد منه، والبائس:

أجهدهما». ٣- مجمع البيان: ج ٥، ص ٦٠، ح ٤١.

٤- البقرة: ٢٧٣. ٥- وفي نسخة: [والمجذمين].

والجهاد، وابن السبيل: أبناء الطريق الذين يكونون في الأسفار في طاعة الله فيقطع عليهم ويذهب ما لهم فعلى الإمام أن يردهم إلى أوطانهم من مال الصدقات، والصدقات تتجزئ ثمانية أجزاء فيعطى كل إنسان من هذه الثمانية على قدر ما يحتاجون إليه بلا إسراف ولا تقتير، يقوم في ذلك الإمام بعمل بما فيه الصلاح^(١).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام ما كانت المؤلفة قلوبهم قط أكثر منهم اليوم، وهم قوم وحدوا الله وخرجوا من الشرك ولم تدخل معرفة محمد صلى الله عليه وآله قلوبهم، وما جاء به فيألفهم رسول الله صلى الله عليه وآله، ويألفهم المؤمنون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لكي ما يعرفوا^(٢).
والعياشي عنه عليه السلام ما في معناه^(٣).

وفي الفقيه^(٤)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن مكاتب عجز عن مكاتبته وقد أدّى بعضها؟ قال: يؤدى عنه من مال الصدقة، إن الله عز وجل يقول في كتابه: «وفي الرقاب»^(٥).

وفي الكافي^(٦)، والعياشي: عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيما مسلم أو مؤمن مات وترك ديناً لم يكن في فساد ولا إسراف فعلى الإمام أن يقضيه، فإن لم يقضه فعليه إثم ذلك إن الله تعالى يقول: «أيما الصدقات للفقراء والمساكين» الآية، فهو من الغارمين وله سهم عند الإمام فإن حبسه فإثمه عليه^(٧).

وفيه عنه عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم صدقة أهل البوادي في أهل البوادي،

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٨-٢٩٩.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٤١٢، ح ٥، باب المؤلفة قلوبهم. وفيه: «فتألفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وتألفهم المؤمنون».

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩١، ح ٧٠.

٤- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٧٤، ح ٢٥٨/٣، باب ٥٠-المكاتب.

٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩٣، ح ٧٦.

٦- الكافي: ج ١، ص ٤٠٧، ح ٧، باب ما يجب من حق الإمام على الرعية وحق الرعية على الإمام.

٧- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩٤، ح ٧٨.

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٌ لَّكُمْ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

وصدقة أهل الحضرة في أهل الحضرة، ولا يقسمها بينهم بالسوية، وإنما يقسمها على قدر ما يحضره منهم وما يرى، وليس في ذلك شيء موقت موظف^(١).

وعنه عليه السلام سهم المؤلفة قلوبهم، وسهم الرقاب: عام، والباقي خاص^(٢).
يعني خاص بالعارف ولا يعطى غيره.

وفي الخصال: عن الباقر عليه السلام لا تحل الصدقة لبني هاشم إلا في وجهين: إن كانوا عطاشاً فأصابوا ماءً أفشروا، وصدقة بعضهم لبعض^{(٣)(٤)}.
﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾: يسمع كل ما يقال له ويصدق.

﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: تصديق لهم بأنه أذن ولكن لا على الوجه الذي ذمّه به بل من حيث أنه يسمع الخبر ويقبله، وقرئ اذن بالتخفيف.

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: يصدق به.

﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: يصدقهم، واللام للتفرقة بين التصدقين، القمي: قال: كان سبب نزولها أن عبد الله بن نفيل كان منافقاً، وكان يقعد إلى رسول الله ﷺ فيسمع كلامه

٢ - الكافي: ج ٣، ص ٥٥٤، ح ٨، باب الزكاة تبعث من بلد إلى بلد أو تدفع إلى من يقسمها فتضيع.

٢ - الكافي: ج ٣، ص ٤٩٦، ح ١، باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق.

٣ - وفي نسخة: [وصدقة بعضهم على بعض] كما في المصدر.

٤ - الخصال: ص ٦٢، ح ٨٨، باب الإثنين - لا تحل الصدقة لبني هاشم إلا في وجهين.

يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ
كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾

وينقله إلى المنافقين، ويتمّ عليه فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إنّ رجلاً من المنافقين يتمّ عليك، وينقل حديثك إلى المنافقين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من هو؟ فقال: الرجل الأسود كثير شعر الرأس ينظر بعينين كأنهما قدران، وينطق بلسان كأنه لسان شيطان، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فحلف أنّه لم يفعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد قبلت منك فلا تقعد، فرجع إلى أصحابه فقال: إنّ محمداً صلى الله عليه وسلم أذن أخبره الله أنّي أتمّ عليه وأنقل أخباره فقبل، وأخبرته أنّي لم أفعل فقبل، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: «ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين» أي يصدق الله فيما يقول له: ويصدقك فيما تعتذر إليه في الظاهر ولا يصدقك في الباطن، قوله: «ويؤمن للمؤمنين» يعني المقرّين بالإيمان من غير اعتقاد^(١).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام يعني يصدق الله، ويصدق المؤمنون لأنّه كان رؤفاً رحيماً بالمؤمنين^(٢).

﴿وَرَحْمَةً﴾: أي وهو رحمة، وقرئ بالجر.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾: لمن أظهر الإيمان حيث يقبله ولا يكشف سرّه، وفيه تنبيه على أنّه ليس يقبل قولكم جهلاً بحالكم بل رفقاً بكم وترحمًا.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: بإيذائه.

﴿يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾: على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلّفوا.

﴿لِيَرْضَوْكُمْ﴾: لترضوا عنهم، والخطاب للمؤمنين.

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا
 فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ
 سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزَّؤُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجُ مَا
 تَحْذَرُونَ ﴿١٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ
 أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٥﴾

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾: بالطاعة والوفاق، وتوحيد الضمير لتلازم
 الرضائين.

﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾: صدقاً، القمي: نزلت في المنافقين الذين كانوا يحلفون
 للمؤمنين أنهم منهم لكي يرضى عنهم المؤمنون^(١).
 ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يشاقق، من الحد لأن كلاً من المخالفين
 والمنافقين في حد غير حد صاحبه.

﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾: يحذر المنافقون أن تنزل
 عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم: وتهتك عليهم أستارهم.
 ﴿قُلِ اسْتَهِزَّؤُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ﴾: ولئن سألتهم ليقولنَّ إنما كنا
 نخوض ونلعب: القمي: كان قوم من المنافقين لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك
 يتحدثون فيما بينهم ويقولون: أيرى محمد ﷺ أن حرب الروم مثل حرب غيرهم؟ لا يرجع
 منهم أحد أبداً، فقال بعضهم: ما أخلقه^(٢) أن يخبر الله محمداً بما كنا فيه وبما في قلوبنا وينزل

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٠.

٢ - فلان خليف بكذا أي جدير. وقوله ﷺ «ما أخلقك أن تمرض سنة» كأن المعنى ما ألقى بك وأجدر بك ذلك.

عليه بهذا قرآنًا يقرأه النَّاسُ، وقالوا: هذا على حدِّ الاستهزاء، وقال رسول الله ﷺ لعِمَّار بن ياسر: الحق القوم فإنهم قد احترقوا^(١) فلحقهم عَمَّار فقال لهم: ما قلتم؟ قالوا ما قلنا شيئاً إنما كنَّا نقول شيئاً على حدِّ اللعب والمزاح فنزلت^(٢).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام نزلت في اثني عشر رجلاً وقفوا على العقبة إئتمروا بينهم ليقتلوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم لبعض: إن فطن نقول: - إنما كنَّا نخوض ونلعب - وإن لم يفطن تقتله، وذلك عند رجوعه من تبوك فأخبر جبرئيل رسول الله ﷺ بذلك وأمره أن يرسل إليهم ويضرب وجوه رواحلهم فضر بها حتى نَحَّاهم، فلما نزل قال لحذيفة: من عرفت من القوم؟ فقال: لم أعرف منهم أحداً، فقال رسول الله ﷺ فلان بن فلان، حتى عدَّهم، فقال حذيفة: ألا تبعث إليهم فنقتلهم، فقال: أكره أن يقول العرب: لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم^(٣).

وفي الجوامع: توافقوا^(٤) على أن يدفعوه عن راحلته إلى^(٥) الوادي إذ تسبَّح العقبة بالليل فأمر عَمَّار بن ياسر بخطام^(٦) ناقته يقودها، وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف^(٧) الإبل، وبقعقة السلاح، فالتفت فإذا قوم متلثمون فقال: إليكم يا أعداء الله، وضرب وجوه رواحلهم حتى نَحَّاهم^(٨)، الحديث، إلى آخر ما ذكره في

مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٥٨. أقول: وفي المقام: أي ما أجدر وأليق أن يخبر الله محمدًا بما كنَّا فيه... إلى آخره.

١- انحرف عنه. وتحزف واخزورف: أي مال وعدل. الصحاح: ج ٤، ص ١٣٤٣، مادة «حرف». وفي المقام: أي مالوا وعدلوا عن طريق الحق.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٠.

٣- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٤٦، في شأن النزول.

٤- وفي نسخة: [توافقوا] كما في المصدر.

٥- وفي نسخة: [في].

٦- الخطام - بالكسر -: زمام البعير، لأنَّه يقع على الخطم وهو الأنف وما يليه، مجمع البحرين: ج ٦، ص ٥٩، مادة «خطم».

٧- الأخفاف: أي الصوت الخفيف الحاصل من سقوط أخفافها على الأرض وتصدمها بها. منه يَخْفُ.

٨- جوامع الجامع: ج ٢، ص ٧٠-٧١.

لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ
نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ
بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَنكِرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ
وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾

المجمع أوردته عند تفسير «يحلِفون بالله ما قالوا»^(١)، من هذه السورة كما يأتي.
﴿قُلْ أِبِلَّهِ وَعَآيَتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ لَا تَعْتَذِرُوا: لا تشغلوا
باعذاراتكم فإنها معلومة الكذب.

﴿قَدْ كَفَرْتُمْ﴾: قد أظهرتم الكفر.

﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: بعد إظهاركم الإيمان.

﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾: لتوبتهم وإخلاصهم.

﴿نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: مصرّين على التفاق، وقرئ بالتّون فيها.

القمي: عن الباقر عليه السلام في قوله «لا تعتذروا» قال: هؤلاء قوم كانوا مؤمنين صادقين ارتابوا
وشكّوا وناقفوا بعد إيمانهم وكانوا أربعة نفر، وقوله: «إن نعف عن طائفة منكم» كان أحد
الأربعة: مختبر بن الحمير فاعترف وتاب، وقال: يا رسول أهلكني اسمي فسأه رسول
الله صلى الله عليه وآله: عبد الله بن عبد الرحمن، فقال: يا ربّ اجعلني شهيداً حيث لا يعلم أين أنا، فقتل
يوم البجامة، ولم يعلم أحد أين قتل فهو الذي عفي عنه^(٢).

﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾: تكذيب لهم فيما حلفوا أنّهم لمنكم.

وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

وتحقيق لقوله: «وَمَا هُمْ مِنْكُمْ». القمي: فحكم^(١).

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾: بالكفر والمعاصي.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾: عن الإيمان والطاعة.

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾: شحاً بالخيرات والصدقات.

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾: أغفلوا ذكره.

﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: فتركهم عن رحمته وفضله، في التوحيد^(٢)، والعباشي: عن أمير

المؤمنين عليه السلام يعني نساوا الله في دار الدنيا فلم يعملوا بطاعته، فنسيهم في الآخرة أي لم يجعل لهم في ثوابه نصيباً. فصاروا منسيين عن الخير^(٣).

والعباشي: عن الباقر عليه السلام نساوا الله: تركوا طاعة الله فنسيهم، قال: فتركهم^(٤).

﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: هم الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ

حَسْبُهُمْ﴾: عقاباً وجزاءً، فيه دلالة على عظم عذابها. نعوذ بالله منها.

﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أبعدهم من رحمته، وأهانهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: لا ينقطع فيها، ويجوز أن يكون المراد به ما يقاسونه من

تعب التفاق وما يخافونه أبداً من الفضيحة.

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠١، س ٦. وفيه: «فإنه محكم».

٢ - التوحيد: ص ٢٥٩، ح ٥، باب ٣٦ - الرد على الفتوى والزنادقة.

٣ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩٦، ح ٨٦. ٤ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩٥-٩٦، ح ٨٥.

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكَثَرُ أَمْوَالًا وَأُولَدًا
فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ
يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ
وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: أنتم مثلهم.
﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكَثَرُ أَمْوَالًا وَأُولَدًا﴾: بيان لتشبههم بهم، وتمثيل
حالهم بحالهم.

﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾: نصيبهم من ملاذ الدنيا.
﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾: ذم الأولين
باستمتاعهم بحظوظهم الفانية، وإتهامهم بها عن النظر في العاقبة، والسعي في تحصيل اللذات
الحقيقية الباقية تمهيداً لذم المخاطبين لمشايتهم بهم وإقتنائهم أثرهم.
﴿وَخُضْتُمْ﴾: دخلتم في الباطل.

﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾: كالخوض الذي خاضوه.
﴿وَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: لم يستحقوا عليها ثواباً في
الدارين.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: الذين خسروا الدنيا والآخرة.
﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾: كيف أغرقوا بالطوفان.

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ

﴿وَعَادٍ﴾: كيف أهلكوا بالزَّيْج.

﴿وَنُوحٍ﴾: كيف أهلكوا بالزَّحْفَة.

﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾: كيف أهلك غرود ببعوض، وأهلك أصحابه.

﴿وَأَصْحَابِ مَذِينٍ﴾: قوم شعيب كيف أهلكوا بالنَّار يوم الظَّلَّة.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةِ﴾: قرى قوم لوط كيف ائتفكت بهم، أي انقلبت وصارت عاليها

سافلها، في الكافي: عن الصادق عليه السلام إِنَّهُ سئل عن المؤتفكات؟ قال: أولئك قوم لوط ائتفكت عليهم، أي انقلبت^(١).

﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: يعني الكل.

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: حيث عرضوها

للعقاب بالكفر والتعذيب.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: في مقابلة: «المنافقون

والمنافقات بعضهم من بعض»^(٢).

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾: لا محالة، فإن السَّيْن مؤكدة للوقوع.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريد.

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ
أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٧﴾

﴿حَكِيمٌ﴾: يضع الأشياء مواضعها.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ﴾: يطيب فيها العيش.

﴿فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾: إقامة وخلود، في المجمع: عن النبي ﷺ عدن: دار الله التي لم ترها عين، ولم تخطر على قلب بشر، لا يسكنها غير ثلاثة: النبيين، والصديقين، والشهداء، يقول الله تعالى: «طوبى لمن دخلك»^(١).

وفي الخصال: عنه ﷺ من سره أن يحبي حياقي ويموت مماتي، ويسكن جنتي التي وعدني ربي جنات عدن، قضيب غرسه الله بيده، ثم قال له: «كن فيكون»^(٢) فليوال علي بن أبي طالب وذريته ﷺ من بعده^(٣).

وعن أمير المؤمنين ﷺ: إنه سأله يهودي أين يسكن نبيكم من الجنة؟ فقال: في أعلاها درجة، وأشرفها مكاناً في جنات عدن، فقال: صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى^(٤).

وفي الفقيه: في حديث بلال «جنة عدن» في وسط الجنان سورها ياقوت أحمر،

١- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٥٠. ٢- يس: ٨٢.

٣- الخصال: ص ٥٥٨، ح ٣٠، أبواب الأربعين وما فوقه، احتجاج أمير المؤمنين ﷺ على أبي بكر بثلاث وأربعين خصلة.

٤- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٣٧، احتجاجه ﷺ على بعض اليهود وغيره في أنواع شق من العلوم.

يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَا أَوْلَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾

حسابواها^(١) اللؤلؤ^(٢).

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: يعني وشيء من رضوانه أكبر من ذلك كله، لأنَّ رضاه سبب كلِّ سعادة، وموجب كلِّ فوز، وبه تنال كرامته التي أكبر أصناف الثواب.
﴿ذَلِكَ﴾: أي الرضوان.

﴿هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: الذي يستحقُّ دونه كلَّ لذة وبهجة.

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾: قيل: بالسيف^(٣).

﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾: قيل: بإلزام الحجّة، وإقامة الحدود^(٤).

القمي: عن الباقر عليه السلام جاهد الكفار والمنافقين بإلزام الفرائض^(٥).

وفي المجمع: في قراءة أهل البيت عليه السلام جاهد الكفار بالمنافقين، قالوا لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يكن يقاتل المنافقين، ولكن كان يتألفهم، ولأنَّ المنافقين لا يظهرون الكفر، وعلم الله بكفرهم لا يبيح قتلهم إذا كانوا يظهرون الإيمان^(٦).

وفيه: في سورة التحريم عن الصادق عليه السلام إنه قرأ «جاهد الكفار بالمنافقين» قال: إنَّ

١- الحصباء: صغار الحصى، واحداها حصبية كقصة. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤٣، مادة «حصب».

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١٩٣، س ٤، ح ٩٠٥/٤٣، باب ٤٤، الأذان والإقامة وثواب المؤذنين.
وفيه: «وحصاها»

٣- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٢٣، السطر الأخير.

٤- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٢٣، السطر الأخير.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠١.
٦- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٥٠.

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ
 إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولَاؤُا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَعْمُوا إِلَّا أَنْ أَعْنَاهُمْ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ
 اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ
 وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

رسول الله ﷺ لم يقاتل منافقاً قط إنما كان يتألفهم (١).

والقمي أيضاً: إنما نزلت «يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين» لأن النبي ﷺ لم
 يجاهد المنافقين بالسيف، قاله هنا (٢).

وفي سورة التحريم عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «يا أيها النبي جاهد الكفار
 والمنافقين» (٣) هكذا نزلت فجاهد رسول الله ﷺ الكفار، وجاهد علي عليه السلام المنافقين،
 فجاهد علي عليه السلام جهاد رسول الله ﷺ (٤).

﴿وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ * يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا
 وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولَاؤُا بِمَا لَمْ يَنَالُوا: القمي: نزلت في
 الذين تحالفوا في الكعبة أن لا يردوا هذا الأمر في بني هاشم، فهي كلمة الكفر، ثم قعدوا الرسول
 الله ﷺ في العقبة وهموا بقتله، وهو قوله: «وهموا بما لم ينالوا» (٥).

وقال في موضع آخر: فلما أطلع الله نبيه وأخبره حلفوا له أنهم لم يقولوا ذلك ولم يهتوا

٢- أي في سورة التوبة، تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠١.

١- مجمع البيان: ج ٩-١٠، ص ٣١٩.

٤- تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٧٧.

٣- التحريم: ٩.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠١.

به حتى أنزل الله تعالى: «يحلِفون بالله ما قالوا» الآية (١).

وعن الصادق عليه السلام: لما أقام رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علياً عليه السلام يوم غدِير خَمَّ كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين، وهم: أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، والمغيرة بن شعبة، قال عمر: أما ترون عينيها كأنهما عينا مجنون يعني النبي ﷺ الساعة يقوم ويقول: قال لي ربي، فلما قام قال: يا أيها الناس من أولى بكم من أنفسكم، قالوا: الله ورسوله، قال: اللهم فاشهد، ثم قال ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، وسلموا عليه بإمرة المؤمنين، فنزل جبرئيل وأعلم رسول الله ﷺ بمقالة القوم فدعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا فأنزل الله: «يحلِفون بالله ما قالوا» (٢).

وفي المجمع: نزلت في أهل العقبة فإنهم أضرموا أن يقتلوا رسول الله ﷺ في العقبة حين مرجعهم من تبوك وأرادوا أن يقطعوا أنساع (٣) راحلته ثم ينخسوا به، فأطلع الله على ذلك، وكان من جملة معجزاته، لأنه لا يمكن معرفة ذلك إلا بوحي من الله فبادر رسول الله ﷺ في العقبة وحده، وعمارو حذيفة أحدهما يقود ناقته والآخر يسوقها، وأمر الناس كلهم بسلوك بطن الوادي وكان الذين هموا بقتله اثني عشر رجلاً أو خمسة عشر عرفهم رسول الله ﷺ وسألهم بأسمائهم، قال: وقال الباقر عليه السلام: كانت ثمانية منهم من قريش، وأربعة من العرب (٤). أقول: قد مضى بعض هذه القصة عند تفسير «يا أيها الرسول بلغ» من المائدة (٥)، وعند تفسير: «إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ» (٦) من هذه السورة.

والعياشي: عن الصادق عليه السلام لما قال النبي ﷺ: ما قال في غدِير خَمَّ، وصاروا بالأخبية مرَّ المقداد بجماعة منهم يقولون: إذا دنا موته وفنيت أيامه وحضر أجله أراد أن

١ - تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٥٨. ٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠١.

٣ - النسخ - بالكسر - سير ينسج عريضاً يشد به الرجال، القطعة منه نُسْجَة، ويسمى نسجاً لطوله، وجمعه نُسُجٌ بالضم، وأنساع. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٩٧، مادة «نسج».

٤ - مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٥١. وفيه: «إلا بوحي من الله تعالى فصار».

٥ - المائدة ٦٧. ٦ - التوبة ٦٥.

وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ
مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٦﴾

يولينا علياً من بعده، أما والله ليعلمنّ، قال: فضى المقداد وأخبر النبي ﷺ به فقال: الصلاة جامعة، قال: فقالوا: قد رمانا المقداد فقوموا نحلف عليه، قال: فجاؤوا حتى جثوا بين يديه فقالوا: بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله، والذي بعثك بالحقّ، والذي كرمك بالنبوة ما قلنا ما بلغك، والذي اصطفاك على البشر، قال: فقال رسول الله (١) ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا» بك يا محمد ليلة العقبة (٢).

﴿وَمَا نَقَمُوا﴾: وما أنكروا وما عابوا.

﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: قال: كان أحدهم يبيع الرّؤوس، وآخر يبيع الكراع (٣) ويفتل القرامل (٤) فأغناهم الله برسوله، ثم جعلوا حدّهم وحديدتهم عليه (٥).

والمعنى إنهم جعلوا موضع شكر النعمة كفرانها، وكان الواجب عليهم أن يقابلوها بالشكر.

﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾: بالإصرار على التفاق.
﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: بالقتل، والنار.
﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: فينجيهم من العذاب.
﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنْ

١- وفي نسخة: [النبي] كما في المصدر. ٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩٩-١٠٠، ح ٩٠.

٣- الكراع من الدواب: مادون الكعب، ومن الإنسان مادون الركبة، مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٨٥، مادة «كراع».

٤- القرامل: هي ما تشد المرأة في شعرها من الخيوط: ج ٥، ص ٤٥٣، مادة «قرل».

٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩٩-١٠٠، ذيل ح ٩٠.

فَلَمَّا ءَاتَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾
 فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا
 وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾

الصَّالِحِينَ: القمي: عن الباقر عليه السلام هو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عوف، كان محتاجاً
 فعاهد الله فلما أتاه بخل به (١).

وفي الجوامع: هو ثعلبة بن حاطب، قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال:
 يا ثعلبة قليل تؤدّي شكره خير من كثير لا تطيقه، فقال: والذي بعثك بالحق لأن رزقني
 مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فدعا له فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها
 المدينة، فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة، وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله المصدق ليأخذ
 الصدقة فأبى وبخل، وقال: ما هذه إلا أخت الجزية، فقال صلى الله عليه وآله: يا وبيج ثعلبة (٢).
 وفي الجمع: روى ذلك مرفوعاً (٣).

﴿فَلَمَّا ءَاتَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾: منعوا حق الله منه.
 ﴿وَتَوَلَّوْا﴾: عن طاعة الله.
 ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾: فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ: فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في
 قلوبهم.

﴿إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾: يلقون الله، في التوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام: هو
 البعث (٤).

٢- جوامع الجامع: ج ٢، ص ٧٢.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠١-٣٠٢.

٣- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٥٣.

٤- التوحيد: ص ٢٦٧، ح ٥، باب ٣٦- الرد على النوبة والزنادقة.

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ
الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي
الْصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ
اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

﴿بِمَا أَخْلَقُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
سِرَّهُمْ: ما أسروه في أنفسهم من التفاق.

﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾: وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: لا يخفى عليه شيء.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾: يعيبون.

﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾: المتطوعين.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: إلا طاقتهم

فيتصدقون بالقليل، وفي الحديث: أفضل الصدقة جهد المقل^(١).

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾: يستهزؤون.

﴿سَخَرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾: جازاهم جزاء السخرية، كذا في العيون عن الرضا عليه السلام^(٢).

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: القمي: جاء سالم بن عمير الأنصاري بصاع من تمر، فقال: يا

رسول الله كنت ليلتي أجزر الجري^(٣) حتى عملت بصاعين من تمر. فأما أحدهما فأمسكته

١- مجمع البيان: ج ٥- ٦، ص ٥٥.

٢- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٢٦، ح ١٩، باب ١١ - ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليه السلام من الأخبار في التوحيد.

٣- الجرير الحبل الذي يجرب به البعير، يريد أنه استقى الناس على اجرة صاعين، منه يجر.

أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ
 اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾

وأما الآخر فأقرضته ربّي، فأمر رسول الله ﷺ أن ينثره في الصدقات، فسخر منه المنافقون، فقالوا: والله إن كان الله لغني عن هذا الصّاع ما يصنع الله بصاعه شيئاً ولكن أبا عقيل أراد أن يذكر نفسه ليعطى من الصدقات فنزلت (١).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام آجر أمير المؤمنين عليه السلام نفسه على أن يستقي كلّ دلو بتمرة بخيارها فجمع قرأ، فأتي به النبي ﷺ، وعبدالرحمن بن عوف على الباب فلمزه، أي وقع فيه فنزلت هذه الآية «الذين يلمزون» (٢).

﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾: لا فرق بين الأمرين في عدم الإفادة لهم.
 ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾: قيل: السبعون جارٍ في كلامهم مجرى المثل للتكثير (٣).

وروت العامة أنه ﷺ قال: والله لأزيدن على السبعين فنزلت: «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» (٤) (٥).

وفي لفظ آخر قال: لو علمت أنه لو زدت على السبعين مرة غفر لهم لفعلت (٦).

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٢، بتفاوت. ٢ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠١، ح ٩٣.

٣ - قاله الزمخشري في تفسيره الكشف: ج ٢، ص ٢٩٥.

٤ - المنافقون: ٦.

٥ - الكشف: ج ٢، ص ٢٩٤، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٢٥.

٦ - الدر المنثور: ج ٣، ص ٢٦٤ - ٢٦٥، وجمع البيان: ج ٥ - ٦، ص ٥٥.

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ
جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾

والعياشي عن الرضا عليه السلام إن الله قال لمحمد ﷺ: إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فاستغفر لهم مائة مرة ليغفر لهم فأُنزل الله: «سواء عليهم أستغفرت لهم» الآية، وقال: ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره فلم يستغفر لهم بعد ذلك ولم يقم على قبر أحد منهم (١).

أقول: لا يبعد استغفار النبي ﷺ لمن يرجو إيمانه من الكفار، وإنما لا يجوز استغفاره لمن يئس من إيمانه وهو قوله عز وجل: «ما كان للبيّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعدما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم» (٢) إلى قوله: «تبرأ منه» (٣) ويأتي تمام الكلام في هذا المقام عن قريب إن شاء الله تعالى.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: إشارة إلى أن اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منّا ولا لقصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصّارف عنها.
﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: المتمردين (٤) في كفرهم.
﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ﴾: بعودهم عن الغزو، وخلفه يقال: أقام خلاف القوم، أي: بعدهم.

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٠، ح ٩٢. ٢- التوبة: ١١٣.

٣- التوبة: ١١٤.

٤- مرد يرد من باب قتل وسرق وكرم: إذا عثي، فهو مارد. و«مردوا على التفاق» أي عتوا واستمروا عليه. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٤٥، مادة «مرد».

فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جِزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾
 فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَّنْ
 تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنَ تُقْتَلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ
 أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَائِلِينَ ﴿٨٣﴾

﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: إيثارة للدعة والحفظ^(١) على طاعة الله.

﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾: قاله بعضهم لبعض، وقد سبق قصة الجد بن قيس في ذلك عند تفسير «ومنها من يقول إنذن لي»^(٢) وهذا تفضيح له من الله سبحانه.

﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾: وقد أثرتموها بهذه المخالفة.
 ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾: إن ما بهم إليها وأنها كيف هي ما اختاروها بإيثارة الدعة على الطاعة.

﴿فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾: إما على ظاهر الأمر، وإما إخبار عما يؤول إليه حالهم في الدنيا والآخرة، يعني: فيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً، أخرجه على صيغة الأمر للدلالة على أنه حتم واجب، ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كناية عن السرور والغم.

﴿جِزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من الكفر النفاق والتخلف.
 ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾: فإن ردك إلى المدينة، وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم ممن لم يتب ولم يكن له عذر صحيح في التخلف.

١ - الحفظ: الراحة والسكون، يقال: هو في خفض من العيش أي في سعة وراحة. مجمع البحرين: ج ٤، ص

وَلَا تُصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ
كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَآ تَوْأَوْهُمْ فَسَيَقُومُونَ ٨٤

﴿فَاسْتَنْذُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾: إلى غزوة أخرى بعد تبوك.
﴿فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تَقْتُلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾: إخبار في معنى النهي للمبالغة.

﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: تعليل له، وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم أول مرة وهي الخرجة إلى غزوة تبوك.
﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَلِيفِينَ﴾: أي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان.
﴿وَلَا تُصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّاتَ أَبَدًا﴾: بأن تدعوه وتستغفر.
﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾: للدعاء له، وفي المجمع: فإنه عليه السلام كان إذا صلى على ميت يقف على قبره ساعة ويدعو له فيها الله عن الصلاة على المنافقين والوقوف على قبرهم والدعاء لهم ثم يبين سبب الأمرين (١).

﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَآ تَوْأَوْهُمْ فَسَيَقُومُونَ﴾: القمّي: في آية الإستغفار السابقة إنها نزلت لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ومرض عبدالله بن أبي وكان ابنه عبدالله مؤمناً فجاء إلى النبي ﷺ وأبوه يجود بنفسه، فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إنك إن لم تأت أبي كان ذلك عاراً علينا، فدخل عليه رسول الله ﷺ والمنافقون عنده فقال له ابنه عبدالله بن عبدالله: يا رسول الله استغفر له، فاستغفر له فقال عمر: ألم ينهك الله يا رسول الله أن تصلي عليهم أو تستغفر لهم؟ فأعرض عنه رسول الله ﷺ فأعاد عليه، فقال له: ويملك إنِّي خيّرت فاخترت إن الله يقول: «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة

فلن يغفر الله لهم»^(١) فلما مات عبدالله جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله إن رأيت أن تحضر جنازته، فحضر رسول الله ﷺ وقام على قبره، فقال له عمر: يا رسول الله أولم ينهك الله أن تصلي على أحد منهم مات أبدأ وأن تقوم على قبره؟ فقال له رسول الله ﷺ: وبلك وهل تدري ما قلت له؟ إنما قلت: اللهم احش قبره ناراً، وجوفه ناراً، واصله النار، فبدا من رسول الله ﷺ ما لم يكن يحب^(٢).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام أن النبي ﷺ قال لابن عبدالله بن أبي: إذا فرغت من أبيك فأعلمني، وكان قد توفي فأتاه فأعلمه فأخذ رسول الله ﷺ نعليه للقيام، فقال له عمر: أليس قد قال الله: «ولا تصل على أحد منهم مات أبدأ ولا تقم على قبره»؟ فقال له: ويحك أو ويلك إنما أقول: اللهم إملأ قبره ناراً، واملأ جوفه ناراً، وأصله يوم القيامة ناراً^(٣).

وفي رواية أخرى أنه ﷺ أخذ بيد ابنه في الجنازة ومضى فتصدى له عمر ثم قال: أما هناك ربك عن هذا أن تصلي على أحد مات منهم أبدأ؟ أو تقوم على قبره؟ فلم يجبه، فلما كان قبل أن ينتهوا به إلى القبر أعاد عمر ما قاله أولاً، فقال النبي ﷺ لعمر عند ذلك: ما رأيتنا صلياً له على جنازة ولا قننا له على قبر، ثم قال: إن ابنه رجل من المؤمنين وكان يحق علينا أداء حقّه، فقال عمر: أعوذ بالله من سخط الله، وسخطك يا رسول الله^(٤).

أقول: وكان رسول الله ﷺ حياً كريماً كما قال الله عز وجل، «فَيَسْتَجِىَ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِىَ مِنَ الْحَقِّ»^(٥)، فكان يكره أن يفتضح رجل من أصحابه ممن يظهر الإيمان، وكان يدعو على المنافق، ويوري أنه يدعو له^(٦) وهذا معنى قوله ﷺ لعمر: ما رأيتنا صلياً له على جنازة ولا قننا له على قبر، وكذا معنى قوله ﷺ في حديث القمي: خيّرْتَ فاخترت^(٧)، فوزى ﷺ

١- التوبة: ٨٠. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٢. وفيه: «ألم ينهك».

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠١، ح ٩٤. ٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٢، ح ٩٥.

٥- الأحزاب: ٥٣.

٦- وفي نسخة: [وكان يدعو على المنافقين ويوري أنه يدعو لهم].

٧- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٢.

وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي
الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

باختيار الإستغفار، وأما قوله فيه: «فاستغفر له» فلعله استغفر لابنه لما سأل لأبيه
الإستغفار، وكان يعلم أنه من أصحاب الجحيم، ويدل على ما قلناه قوله ﷺ: «فبدا من رسول
الله ﷺ ما لم يكن يجب»، هذا إن صح فيه حديث القمي فإنه لم يستند إلى المعصوم، والإعتناد
على حديث العياشي هنا أكثر منه على حديث القمي، لإستناذه إلى قول المعصوم دونه، ولأن
سياق كلام القمي تارة يدل على أنه كان سبب نزول الآية قصّة ابن أبي، وأخرى يدل على
نزولها قبل ذلك.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام كان رسول الله ﷺ يكبر على قوم خمساً، وعلى قوم
آخرين أربعاً فإذا كبر على رجل أربعاً تهم يعني بالتفاق (١).

وفيه (٢)، والعياشي: عنه عليه السلام كان رسول الله ﷺ إذا صلى على ميت كبر وتشهد، ثم
كبر وصلى على الأنبياء، ثم كبر ودعا للمؤمنين، ثم كبر الرابعة ودعا للميت، ثم كبر
وانصرف فلما نهاه الله عز وجل عن الصلاة على المنافقين كبر وتشهد، ثم كبر وصلى على
النبيين، ثم كبر ودعا للمؤمنين، ثم كبر الرابعة وانصرف ولم يدع للميت (٣).

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾: بما
يلحقهم فيها من المصائب والغموم وبما يشق عليهم إخراجها من الزكاة والإنفاق في سبيل الله.
﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾: قد مرّ تفسير الآية، وإنما كررت للتأكيد، أو

١- الكافي: ج ٣، ص ١٨١، ح ٢، باب علة تكبير الخمس على الجنائز.

٢- الكافي: ج ٣، ص ١٨١، ح ٣، باب علة تكبير الخمس على الجنائز.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٢، ح ٩٦.

وَإِذَا أَنْزِلْتُ سُورَةَ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ
 اسْتَذْنَكَ أَوْ لَوْ الطَّوْلُ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾
 رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا
 يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا
 بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾

هذه في فريق غير الأول.

﴿وَإِذَا أَنْزِلْتُ سُورَةَ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَذْنَكَ أَوْ لَوْ
 الطَّوْلُ مِنْهُمْ﴾: ذو الفضل والسعة.

﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾: الذين قعدوا العذر.

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾: جمع خالفة، العياشي: عن الباقر عليه السلام قال: مع
 النساء ^(١).

﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾: ما في الجهاد وموافقة الرسول من
 السعادة، وما في التخلف عنه من الشقاوة.

﴿لَكِنَّ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾: إن تخلف
 هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم.

﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾: منافع الدارين ^(٢): النصر والغنيمة في الدنيا، والجنة
 ونعيمها في الآخرة.

٢- وفي نسخة: [منافع الدين والدنيا].

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٣، ح ٩٧.

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ
 الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ
 وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى
 الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا
 عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بالمطالب.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ
 الْعَظِيمُ﴾: وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ: أهل البدو.

﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾: المعذرون والمقصرون - من عذر في الأمر - م إذا تواني، ولم يجد فيه،
 وحقيقته أن يوهم أن له عذراً فيما يفعل، ولا عذر له، ويجوز أن يكون من إعتذر^(١) إذا مهد
 العذر بادغام التاء في الذال، ونقل حركتها إلى العين، وهم الذين يعتذرون بالباطل.

﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: في ادعاء الإيمان فلم يجيبوا ولم يعتذروا.

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: بالقتل والتأثر.

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾: كاهرمى والزمنى.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾: لفقرهم.

﴿حَرَجٌ﴾: إثم في التأخير.

﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: بالإيمان والطاعة في السر والعلانية.

وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ
عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا
يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾

﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾: لا جناح عليهم ولا عتاب.
﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ: يعني معك.
﴿لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾: تسيل.
﴿مِنَ الدَّمْعِ﴾: أي تسيل دمعها فإن «من» للبيان كأن العين كلها دمع فائض.
﴿حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا﴾: لثلاً يجدوا.
﴿مَا يُنْفِقُونَ﴾: في مغزاهم، العياشي: عنها عليه السلام عبدالله بن يزيد بن ورقاء الخزاعي
أحدهم ^(١).

والقَمِي: في قصة غزوة تبوك، وجاء البكاؤون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعة نفر من
بني عمرو بن عوف بن سالم بن عمير قد شهد بدرًا لا اختلاف ^(٢) فيه، ومن بني واقف
مرمي ^(٣) ابن عمير، ومن بني ^(٤) عالية عليّة بن زيد، وهو الذي تصدق بعرضه وذلك أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أمر بالصدقة فجعل الناس يأتون بها فجاء عليّة فقال: يا رسول الله ما عندي ما
أتصدق به وقد جعلت عرضي حلاً، فقال له رسول الله: قد قبل الله صدقتك، ومن بني مازن
ابن النجار أبو ليلى عبدالرحمن بن كعب، ومن بني سلمة عمرو بن غنيمة، ومن بني زرين ^(٥)

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٤-١٠٥، ذيل ح ١٠٠.

٢- وفي نسخة: [لا خلاف فيه]. ٣- وفي نسخة: [هرمي].

٤- وفي نسخة: [حارثة]، وفي الأصل: «بني جارية».

٥- وفي نسخة: [زريق] كما في المصدر.

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتُنْذِرُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا
بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا
لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَزِيدُونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾

سلمة بن صخر، ومن بني المعز ماضرة بن سارية السلمي هؤلاء جاءوا إلى رسول الله ﷺ ليكون، فقالوا: يا رسول الله ليس بنا قوة أن نخرج معك فأنزل الله تعالى فيهم «ليس على الضعفاء ولا على المرضى» إلى قوله: «ألا يجدوا ما ينفقون»^(١) قال: وإنما سأل هؤلاء البكاؤون نعلًا يلبسونها^(٢).

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتُنْذِرُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾: قال: كانوا ثمانين رجلاً من قبائل شتى، والخوالف: النساء^(٣).

﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: حتى غفلوا عن وخامة العاقبة.

﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: مغبته.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾: في التخلف.

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: من الغزوة.

﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا﴾: بالمعاذير الكاذبة.

﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾: لن نصدقكم.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٣.

١- التوبة: ٩٢.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٣.

سَيَخْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا أُنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُغْرِضُوا عَنْهُمْ
فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوِيَهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾

﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾: أعلمنا بالوحي إلى نبيي بعض أخباركم، وهو ما في ضمايركم من الشر والفساد.

﴿وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾: أتتوبون عن الكفر؟ أم تثبتون عليه؟
﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي إليه، فوضع الوصف موضع الضمير
للدلالة على أنه مطلع على سرهم وعلنهم، لا يفوت عن عمله شيء من ضمايرهم وأعمالهم.
﴿فَيُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالتوبيخ، والعقاب عليه.

﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا أُنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُغْرِضُوا عَنْهُمْ﴾: فلا تعاتبوهم.
﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾: ولا توبخوهم.

﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾: لا ينفع فيهم التوبيخ والتصح والعتاب، ولا سبيل إلى تطهيرهم.
﴿وَمَا أَوَيْنَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ * يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا
عَنْهُمْ﴾: بحلفهم فتستديموا عليهم بما كنتم تفعلون بهم.

﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾: ولا ينفهمهم
رضاكم إذا كان الله ساخطاً عليهم، في المجمع: عن النبي ﷺ من إثمك رضى الله بسخط
الناس، رضى الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن إثمك رضى الناس بسخط الله، سخط الله
عليه، وأسخط عليه الناس^(١).

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا
 يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾

القمي: لما قدم النبي ﷺ من تبوك كان أصحابه المؤمنون يتعرّضون للمنافقين
 ويؤذونهم، وكانوا يحلفون لهم أنهم على الحقّ وليسوا هم بمنافقين لكي يعرضوا عنهم
 ويرضوا عنهم فأنزل الله «سيحلفون بالله لكم» الآية (١).

﴿الْأَعْرَابُ﴾: أهل البدو.

﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾: من أهل الحضر، لتوحشهم، وقساوتهم، وجفائهم، ونشوهم

في بعد من مشاهدة العلماء وسماع التّزليل.

﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾: وأحقّ بأن لا يعلموا.

﴿حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾: من الشرائع فرائضها وسننها.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: يعلم حال كلّ أحد من أهل الوبر والمدر.

﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقاباً وثواباً.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ﴾: يعدّ.

﴿مَا يُنْفِقُ﴾: يصرفه في سبيل الله ويتصدّق به.

﴿مَغْرَمًا﴾: غرامة وخسراناً إذ لا يحتسبه عند الله، ولا يرجو عليه ثواباً، وإنّما ينفق

رياءً وتقيةً.

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ
قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ
اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ أَفْوَزُ الْعَظِيمِ ﴿١٠٠﴾

﴿وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَّائِرُ﴾: دوائر الزَّمان، وعقباته، وحوادثه، لينقلب الأمر عليكم فيتخلص من الإنفاق.

﴿عَلَيْهِمْ ذَايِرَةٌ السُّوءِ﴾: اعتراض بالدَّعاء عليهم بنحو ما يترَبصونه، أو إخبار عن وقوع ما يترَبصون عليهم، وقرئ بضم السين.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لما يقولون عند الإنفاق.

﴿عَلِيمٌ﴾: بما يضمرون.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ﴾:

سبب قربات.

﴿عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾: وسبب دعواته لأنَّه كان يدعو للمتصدِّقين

بالخير والبركة ويستغفر لهم.

﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾: شهادة من الله لهم بصحَّة معتقدهم، وتصديق لرجائهم.

﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: وعدَّهم بإحاطة الرَّحمة عليهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: تقرير لهم.

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾: القمِّي: هم التَّقباء، وأبو ذر،

وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا
عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ
إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٤﴾

والمقداد، وسلمان، وعمار، ومن آمن وصدّق وثبت على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ^(١).
وفي نهج البلاغة: لا يقع اسم الهجرة على أحد إلا بمعرفة الحجة في الأرض، فمن عرفها
وأقر بها فهو مهاجر ^(٢).

﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ﴾: بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة، وفي الكافي ^(٣)،
والعياشي: عن الصادق عليه السلام في حديث فبدأ بالمهاجرين الأولين على درجة سبقهم، ثم ثنى
بالأنصار، ثم ثلث بالتابعين باحسان فوضع كل قوم على قدر درجاتهم ومنازلهم عنده ^(٤).

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾: بقبول طاعتهم وإرضاء أعمالهم.
﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾: بما نالوا من نعمه الدنيوية والدنيوية.
﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾: وقرئ من تحتها كما هو في سائر
المواضع.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: ومن حول بلدتكم
يعني المدينة.

﴿مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾: عطف على من حولكم.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٣. ٢- نهج البلاغة: ص ٢٨٠، الخطب: ١٨٩.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٤١، ح ١، باب السبق إلى الإيمان.

٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٥، ح ١٠٤.

وَأَخْرُونَ أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا
عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

﴿مَرَدُّوْا عَلَى الْفِتَاقِ﴾: صفة للمنافقين، أي تمهروا^(١) فيه وتمزنوا^(٢).

﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾: لا تعرفهم بأعيانهم، وهو تقرير لمهارتهم فيه، يعني يخفون عليك مع

فطنتك وصدق فراستك لفرط تحاميمهم مواقع الشك في أمرهم.

﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾: ونطلع على أسرارهم.

﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾: في الجوامع: هما ضرب الملائكة وجوهمهم وأدبارهم عند

قبض أرواحهم، وعذاب القبر^(٣).

﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: عذاب النار.

﴿وَأَخْرُونَ أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن

يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: القمي^(٤)، وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام نزلت في أبي لبابة

ابن عبد المنذر^(٥)، وقد سبقت قصته عند تفسير «لا تخونوا الله والرسول» من سورة

الأنفال^(٦).

وفي الكافي^(٧)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام أولئك قوم مؤمنون يحدثون في إيمانهم من

١- الماهر: الحاذق بكل شيء، يقال: مهر في العلم وغيره وتمهّر بفتحتين فهو ماهر أي حاذق، بجمع

البحرين: ج ٣، ص ٨٦، مادة «مهر».

٢- مرن الشيء يرن مروناً، إذا لان، والجمع موارن، بجمع البحرين: ج ٦، ص ٣١٦، مادة «مرن».

٣- جوامع الجامع: ج ٢، ص ٨١. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٣.

٥- بجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٦٧. ٦- الأنفال: ٢٧.

٧- الكافي: ج ٢، ص ٤٠٨، ح ٢، باب أصحاب الأعراف.

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ
صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾

الذنوب التي يعيها المؤمنون ويكرهونها فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم^(١).
والعياشي: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: - عسى - من الله واجب وإنما نزلت في شيعتنا
المذنبين^(٢).

وفي رواية أخرى: قوماً اجترحوا ذنوباً مثل قتل حمزة وجعفر الطيار، ثم تابوا، ثم قال:
ومن قتل مؤمناً لم يوفق للتوبة إلا أن الله لا يقطع طمع العباد فيه، ورجاءهم منه، قال: وقال:
هو وغيره إن - عسى - من الله واجب^(٣).

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾: القمّي: نزلت حين أطلق أبو لبابة وعرض ماله
للتصدق^(٤).

﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾: الصدقة أو أنت.

﴿وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾: أي تنسبهم إلى الزكاء، والتزكية: مبالغة في التطهير وزيادة فيه،
أو بمعنى الإنماء والبركة في المال.

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: وترحم عليهم بالدعاء لهم بقبول صدقاتهم وغيره.
﴿إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾: تسكن إليهم نفوسهم، وتطمئن بها قلوبهم، وقرئ
صلواتك بالجمع.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: يسمع دعاءك لهم.

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٦، ح ١٠٩. ٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٥، ح ١٠٥.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٥-١٠٦، ح ١٠٦.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٤.

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ
وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ أَتَوْابُ الرَّحِيمِ ﴿١٠٤﴾

﴿عَلِيمٌ﴾: يعلم ما يكون منهم، في المجمع: عن النبي ﷺ إنه كان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهم صلّ عليهم»^(١).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية أجارية هي في الأمام بعد رسول الله ﷺ قال: نعم^(٢).

وفي الكافي: عنه عليه السلام لما نزلت آية الزكاة: «خذ من أموالهم صدقة» وأنزلت في شهر رمضان فأمر رسول الله ﷺ مناديه فنأدى في الناس إن الله فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصلاة، ففرض الله عليهم من الذهب والفضة، وفرض عليهم الصدقة من الإبل والبقر والغنم، ومن الحنطة والشعير والتمر والزبيب، ونأدى بهم في شهر رمضان، وعفى لهم عما سوى ذلك، قال: ثم لم يفرض^(٣) لشيء من أموالهم حتى حال عليهم الحول من قابل فصاموا وأفطروا فأمر مناديه فنأدى في المسلمين أيها المسلمون زكوا أموالكم تقبل صلاتكم، قال: ثم وجه عمال الصدقة وعمال الطسوق^{(٤)(٥)}.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾: إذا صحت.
﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾: إذا صدرت عن خلوص النية يقبلها قبول من يأخذ شيئاً ليؤدّي بدله، في التوحيد: عن الصادق عليه السلام في حديث والأخذ في وجه القبول منه، كما قال:

١- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٦٨. ٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٦، ح ١١١.

٣- وفي نسخة: [لم يتعزّض].

٤- الطسوق بالفتح: ما يوضع من الخراج على الجربان. منه يذبح.

٥- الكافي: ج ٣، ص ٤٩٧، ح ٢. باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق وفيه: «فنادى فيهم بذلك».

«ويأخذ الصدقات» أي يقبلها من أهلها ويشب عليها^(١).

وفي الكافي: عنه عليه السلام إن الله يقول ما من شيء إلا وقد وكلت به من يقبضه غيري إلا الصدقة فإنني أتلقفها بيدي تلقفاً^(٢) حتى أن الرجل ليتصدق بالتمرّة أو بشق التمرة فأرسيها له كما يرسي الرجل فلوله وفصيله فيأتي يوم القيامة وهو مثل أحد أو أعظم من أحد^(٣).

والعياشي عن السجاد عليه السلام ضمنت على ربي أن الصدقة لا تقع في يد العبد حتى تقع في يد الرب وهو قوله: «هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات»^(٤).

وعنه عليه السلام أنه كان إذا أعطى السائل قبل يد السائل، ف قيل له: لم تفعل ذلك؟ قال: لأنها تقع في يد الله قبل يد العبد، وقال: ليس من شيء إلا وكل به ملك إلا الصدقة فإنها تقع في يد الله، قال الراوي: أظنه يقبل الخبز أو الدرهم^(٥).

وفي الكافي^(٦)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام كان أبي إذا تصدق بشيء وضعه في يد السائل ثم ارتده منه وقبله وشتمه ثم ردّه في يد السائل^(٧).

وفي الخصال: عن أمير المؤمنين عليه السلام إذا ناولتم السائل شيئاً فاسألوه أن يدعو لكم فإنه يجاب له فيكم ولا يجاب في نفسه لأنهم يكذبون، وليردّ الذي ناوله يده إلى فيه فيقبلها فإن الله عز وجل يأخذها قبل أن تقع في يده كما قال عز وجل: «ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات»^(٨).

﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾: من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم.

١- التوحيد: ص ١٦٢، ح ٢، باب ١٧ - تفسير قوله عز وجل: «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة».

٢- التلقف: التلق. والفلو - بالكسر - كعدو وسمو - ولد الحمار والفرس. والفصيل: ولد الناقة والبقرة. منه يتلقف.

٣- الكافي: ج ٤، ص ٤٧، ح ٦، باب النوادر. ٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٨، ح ١١٨.

٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٨، ح ١١٧. ٦- الكافي: ج ٤، ص ٩، ح ٣، باب صدقة الليل.

٧- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٧-١٠٨، ذيل ح ١١٤.

٨- الخصال: ص ٦١٩، ح ١٠، حديث أربعاء - علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربع مائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه.

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ
إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾: ما شئتم.

﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: خيراً كان أو شراً، في الكافي^(١)،

والعياشي: عن الباقر عليه السلام أنه ذكر هذه الآية فقال: هو والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢).

وعن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال: والمؤمنون: هم الأئمة عليهم السلام^(٣).
والقمي: عنه عليه السلام مثله^(٤).

وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: إيانا عني^(٥).

وعنه عليه السلام إنه قرئ عنده هذه الآية فقال: ليس هكذا هي إنما هي والمؤمنون فنحن
المؤمنون^(٦).

وفيه^(٧)، والعياشي: عنه عليه السلام قال: تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله وأعمال العباد
كل صباح أبراها وفجّارها فاحذروها، وهو قول الله تعالى: «وقل اعملوا» الآية^(٨).

١- الكافي: ج ١، ص ٢٢٠، ح ٥، باب عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٠، ح ١٢٧. ٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٩، ح ١٢٥.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٤.

٥- لم نثر عليه في الكافي، والظاهر أنه سهو من قلمه الشريف بل وجدناه في الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٤٠٩، ح ٩١٨/٦٦، المجلس الرابع عشر.

٦- الكافي: ج ١، ص ٤٢٤، ح ٦٢، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

٧- الكافي: ج ١، ص ٢١٩، ح ١، باب عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.

٨- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٩، ح ١٢٣.

والعياشي: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: إنَّ الله شاهد في أرضه وإنَّ أعمال العباد تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

وفي الكافي: عنه عليه السلام ما لكم تسيؤون رسول الله صلى الله عليه وآله، فقليل: كيف نسيؤه؟ فقال: أما تعلمون أنَّ أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى معصية فيها ساءه ذلك فلا تسيؤوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسرّوه (٢).

وعن الرضا عليه السلام: أنَّه قيل له: أدع الله لي ولأهل بيتي فقال: أولست أفعل والله إنَّ أعمالكم لتعرض عليَّ في كلِّ يوم وليلة، قال: فاستعظمت ذلك، فقال: أما تقرأ كتاب الله عزَّ وجلَّ: «وقل اعملوا فسير الله عملكم ورسوله والمؤمنون»، قال: هو والله عليَّ بن أبي طالب (٣).

والقمي: عن الصادق عليه السلام إنَّ أعمال العباد تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله كلَّ صباح أبرارها وفجَّارها فاحذروها وليستحي أحدكم أن يعرض على نبيِّه العمل القبيح (٤).

وعنه عليه السلام (٥)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام ما من مؤمن يموت أو كافر يوضع في قبره حتَّى يعرض عمله على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أمير المؤمنين عليه السلام وهلمَّ جرًّا إلى آخر من فرض الله طاعته على العباد. فذلك قوله: «وقل اعملوا فسير الله عملكم ورسوله والمؤمنون» (٦).

﴿وَسَرُّدُونَ إِلَىٰ عَلِيمٍ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: بالموت.

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٩، ح ١٢٦.

٢- الكافي: ج ١، ص ٢١٩، ح ٣، باب عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام. وفيه: «ما لكم تسوؤون رسول الله صلى الله عليه وآله، فقليل: كيف نسوؤه؟.... - إلى أن قال -: فلا تسوؤوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسرّوه».

٣- الكافي: ج ١، ص ٢١٩، ح ٤، باب عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٤. وفيه: «فاحذروا فليستحي».

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٤.

٦- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٩، ح ١٢٤، والنص للأوّل.

وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا
وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ
قَبْلُ وَلَيُخْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾

﴿فَيَسْبُكُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالمجازاة.

﴿وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ﴾: مؤخرون أي موقوف أمرهم من أرجأته إذا أخرته، وقرئ
مرجون بالواو وهو بمعناه.

﴿لِأَمْرِ اللَّهِ﴾: في شأنهم.

﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بأفعالهم ^(١).

﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يفعل بهم، في الكافي ^(٢)، والعياشي عن الباقر ^(٣)، والقمي: عن
الصادق ^(٤) في هذه الآية قوم كانوا مشركين فقتلوا مثل حمزة وجعفر وأشباههما من
المؤمنين ثم إنهم دخلوا في الإسلام فوحدوا الله وتركوا الشرك ولم يعرفوا الإيمان بقلوبهم
فيكونوا من المؤمنين فتجب لهم الجنة، ولم يكونوا على جحودهم فيكفروا فتجب لهم النار
فهم على تلك الحال إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ اللَّهُ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ^(٥).

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾: وقرئ الذين بدون الواو لأنه قصة برأسها، وفي

١- وفي نسخة: [بأحوالهم].

٢- الكافي: ج ٢، ص ٤٠٧، ح ١، باب المرجون لأمر الله.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٠، ح ١٣٠.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٤. وفيه: «فهم على تلك الحالة مرجون لأمر الله إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ».

الجوامع: روي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا وصلى فيه رسول الله ﷺ حسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف^(١)، وقالوا: نبني مسجداً نصلي فيه ولا نحضر جماعة محمد ﷺ، فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قبا، وقالوا لرسول الله ﷺ: وهو يتجهز إلى تبوك إنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال: إني على جناح سفر، ولما انصرف من تبوك نزلت فأرسل من هدم المسجد وأحرقه وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة^(٢).

﴿ضِرَارًا﴾: مضارة للمؤمنين أصحاب مسجد قبا.

﴿وَكُفْرًا﴾: وتقوية للكفر الذي كانوا يضمرونه.

﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قبا، أرادوا أن

يتفرقوا عنه، وتختلف كلمتهم.

﴿وَإِرْصَادًا﴾: وإعداداً وترقباً.

﴿لَمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾: يعني أبا عامر الزاهد^(٣).

قيل: بنوه على قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر إذا قدم من الشام^(٤).

في الجوامع: أنه كان قد ترهب في الجاهلية، ولبس المسوح، فلما قدم النبي ﷺ المدينة حسده وحزب عليه الأحزاب، ثم هرب بعد فتح مكة وخرج إلى الزوم وتنصر، وكان هؤلاء يتوقعون رجوعه إليهم وأعدوا هذا المسجد له ليصلي فيه، ويظهر على رسول الله ﷺ^(٥)، وأنه كان يقاتل رسول الله ﷺ في غزواته إلى أن هرب إلى الشام ليأتي من

١ - غنم بن عوف: بطن من الخزرج، من الأزد، من القحطانية، وهم بنو غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن

الخزرج معجم قبائل العرب: ج ٢، ص ٨٣٤. ٢ - جوامع الجامع: ج ٢، ص ٨٤.

٣ - وهو من أشرف قبيلة خزرج وله مهارة في علم التوراة والإنجيل وكان يحدث نعت النبي ﷺ على أهل المدينة فلما بعث النبي ﷺ وقدم بالمدينة حسده وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة الذي قتل مع النبي ﷺ يوم أحد وكان جنباً ففسلته الملائكة.

٤ - مجمع البيان: ج ٥ - ٦، ص ٧٢ - ٧٣.

٥ - جوامع الجامع: ج ٢، ص ٨٤ - ٨٥.

فيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ومات بقنسرين^(١) وحيداً^(٢).

﴿وَلْيَخْلَفُنْ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾: ما أردنا بينائه إلا الخصلة الحسنى وهي الصلاة والذكر، والتوسعة على المصلين.

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: في حلفهم، القمّي: كان سبب نزولها أنه جاء قوم من المنافقين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أتأذن لنا أن نبي مسجداً في بني سالم للعليل، والليلة المطيرة، والشيخ الفاني، فأذن لهم رسول الله ﷺ وهو على الخروج إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله لو أتيتنا فصليت فيه، قال: أنا على جناح السفر فإذا وافيت إن شاء الله أتيتته فصليت فيه، فلما أقبل رسول الله ﷺ من تبوك نزلت عليه هذه الآية في شأن المسجد، وأبي عامر الزاهد، وقد كانوا حلفوا لرسول الله ﷺ أنهم يبنون ذلك للصّلاح والحسنى، فأنزل الله على رسوله «والذين اتّخذوا مسجداً» الآية، قال: «إرصاداً لمن حارب الله» يعني أبا عامر الزاهد كان يأتهم فيذكر رسول الله ﷺ وأصحابه^(٣).

وفي تفسير الإمام عليّ عليه السلام عند قوله: «وَلَا تَقُولُوا رَاعِنًا» من سورة البقرة^(٤) إن رسول الله ﷺ كان تأتبه الأخبار عن صاحب دومة الجندل^(٥) وكان ملك التّواحي له مملكة

١ - قنسرين: مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العوامص، وما زالت عامرة أهلة إلى أن كانت سنة ٣٥١ وغلبت الروم على مدينة حلب وقتلت جميع ما كان بريضا فخاف أهل قنسرين وتفرقوا في البلاد.

وقيل: كان خراب قنسرين في سنة ٣٥٥ قبل موت سيف الدولة بأشهر كان قد خرج إليها ملك الروم وعجز سيف الدولة عن لقائه فأمال عنه فجاء إلى قنسرين وخرّبها وأحرق مساجدها ولم تعمر بعد ذلك. معجم البلدان:

ج ٤، ص ٤٠٤. ٢ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٣٢.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٥. ٤ - البقرة: ١٠٤.

٥ - دومة الجندل - بضم أوله وفتح - : حصن، وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طي وعليها سور يُتحصّن به، وفي داخل السور حصن منيع يقال له مارد، وهو حصن أكيدر الملك بن عبد الملك، وكان النبي ﷺ وجه إليه خالد بن الوليد من تبوك، وقال: ستلقاه يصيد الوحش، وجاءت بقرة وحشية فحككت قرونها بحصنه فنزل إليها ليلاً ليصيدها فهجم عليه خالد فأسره، وقتل أخاه حسان بن عبد الملك وافتتحها خالد عنوة، وذلك في سنة تسع للهجرة، ثم إن النبي ﷺ صالح أكيدر على دومة وآمنه وقرره عليه وعلى أهله الجزية، وكان نصرانياً فأسلم

عظيمة مما يلي الشَّام وكان يهدّد رسول الله ﷺ بقصده، وقتل أصحابه، وكان أصحاب رسول الله ﷺ خائفين وجلين من قبله، قال: ثُمَّ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ اتَّفَقُوا وَبَايَعُوا الْأَبِي عَامِرَ الرَّاهِبِ الَّذِي سَمَّاهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْفَاسِقَ وَجَعَلُوهُ أَمِيرًا عَلَيْهِمْ وَبَجَعُوا^(١) لَهُ بِالطَّاعَةِ، فَقَالَ لَهُمُ: الرَّأْيُ أَنْ أُغَيَّبَ عَنِ الْمَدِينَةِ لَثَلَا أَتُهُمْ إِلَى أَنْ يَتِمَّ تَدْبِيرُكُمْ، وَكَاتَبُوا أُكَيْدَرَ - صَاحِبَ دَوْمَةَ الْجَنْدَلِ - لِيَقْصِدَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَرَفَهُ مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى تَبُوكَ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا أَرَادَ غَزَوْا وَرَى بَغْيَهُ إِلَّا غَزَاةَ تَبُوكَ فَإِنَّهُ أَظْهَرَ مَا كَانَ يَرِيدُهُ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَزَوَّدُوا هَلَا، وَهِيَ الْغَزَاةُ الَّتِي افْتُضِحَ فِيهَا الْمُنَافِقُونَ وَذَمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَنْبَاطِهِمْ عَنْهَا، وَأَظْهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ سَيُظْهِرُهُ بِأُكَيْدَرَ حَتَّى يَأْخُذَهُ وَيَصَالِحَهُ عَلَى أَلْفِ أَوْقِيَةِ ذَهَبٍ فِي رَجَبٍ وَمِائَتِي حُلَّةٍ وَأَلْفِ أَوْقِيَةِ فِي صَفَرٍ وَمِائَتِي حُلَّةٍ وَبِنَصْرَفٍ سَالِمًا إِلَى ثَمَانِينَ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ: إِنَّ مُوسَى وَعَدَ قَوْمَهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَإِنِّي أَعِدُّكُمْ ثَمَانِينَ لَيْلَةً أَرْجِعَ سَالِمًا غَانِمًا ظَافِرًا بَلَا حَرْبٍ يَكُونُ وَلَا يَشْتَكِي^(٢) أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: لَا وَاللَّهِ وَلَكِنَّهَا آخِرُ كَسْرَاتِنَا^(٣) الَّتِي لَا يَنْجِبُ بَعْدَهَا إِنَّ أَصْحَابَهُ لَيَمُوتُ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الْحَرْبِ، وَرِيَّاحُ الْبُودَادِيِّ، وَمِيَاهُ الْمَوَاضِعِ الْمُؤْذِيَةِ الْفَاسِدَةِ، وَمَنْ سَلِمَ مِنْ ذَلِكَ فَبَيْنَ أَسِيرٍ فِي يَدِ أُكَيْدَرَ، وَقَتِيلٍ وَجَرِيحٍ، وَاسْتَأْذَنَهُ الْمُنَافِقُونَ بَعْلِلَ ذِكْرُهَا بَعْضُهُمْ يَبْعَلُّ بِالْحَرْبِ وَبَعْضُهُمْ بَمَرَضٍ بِمَجْسَدِهِ، وَبَعْضُهُمْ بِمَرَضٍ فِي عِيَالِهِ، وَكَانَ يَأْذَنُ لَهُمْ فَلَمَّا أَصْبَحَ وَصَحَّ عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الرِّحْلَةِ إِلَى تَبُوكَ. عَمَدَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ فَبَنَوْا خَارِجَ الْمَدِينَةِ مَسْجِدًا، وَهُوَ مَسْجِدُ الضَّرَارِ يَرِيدُونَ الْإِجْتِمَاعَ فِيهِ، وَيَمُوتُونَ أَنَّهُ لِلصَّلَاةِ وَإِنَّمَا كَانَ لِيَجْتَمِعُوا فِيهِ لَعَلَّةَ الصَّلَاةِ فَيَتِمَّ تَدْبِيرُهُمْ، وَيَقَعُ هُنَاكَ مَا يَسْهَلُ بِهِ لَهُمْ مَا يَرِيدُونَ، ثُمَّ جَاءَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَيوتَنَا قَاصِيَةٌ عَنْ مَسْجِدِكَ فَإِنَّا نَكْرَهُ الصَّلَاةَ فِي غَيْرِ جَمَاعَةٍ، وَيَصْعَبُ عَلَيْنَا الْحَضُورُ وَقَدْ بَنَيْنَا مَسْجِدًا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَقْصِدَهُ وَتَصَلِّيَ فِيهِ لَنَتَّيْمَنَ وَتَتَبَرَّكَ بِالصَّلَاةِ فِي مَوْضِعٍ

أخوه حَزِيثٌ فَأَفَرَّهُ الَّذِي ﷺ عَلَى مَا فِي يَدِهِ. معجم البلدان: ج ٢، ص ٤٨٧.

١- بَجَعَ بِالْحَقِّ بَجْعًا - كَمَنَعَ -: أَقْرَبَهُ، وَخَضَعَ لَهُ. [جمع البحرين: ج ٤، ص ٢٩٧، مادة «بَجَعَ».]

٢- وفي نسخة: [يشتك] كما في المصدر. ٣- وفي المصدر: «آخر كراته التي لا ينجبر بعدها».

مصلاك فلم يعرفهم رسول الله ﷺ ما عرفه الله تعالى من أمرهم ونفاقهم، وقال: إئتوني بحماري فأتي باليعفور فركبه يريد نحو مسجدهم فكلما بعثه هو وأصحابه لم ينبعث، ولم يمش، فإذا صرف رأسه عنه إلى غيره سار أحسن سيره وأطيبه، قالوا: ولعل هذا الحمار قد رأى من الطريق شيئاً كرهه ولذلك لا ينبعث نحوه، فقال رسول الله ﷺ: إئتوني بفرس فركبه فلما بعثه نحو مسجدهم لم ينبعث، وكلما حركه نحوه لم يتحرك حتى إذا فتلوا رأسه إلى غيره سار أحسن سير، فقالوا: لعل هذا الفرس قد كره شيئاً في هذا الطريق، فقال: تعالوا نمش إليه فلما تعاطى هو ومن معه المشي نحو المسجد جفوا في مواضعهم، ولم يقدروا على الحركة وإذا هموا بغيره من المواضع خفت حركاتهم، ونقيت أبدانهم وبسطت قلوبهم، فقال رسول الله ﷺ: هذا أمر قد كرهه الله وليس يريده الآن وأنا على جناح سفر فأمهلوني حتى أرجع إن شاء الله، ثم أنظر في هذا نظراً يرضاه الله، وجد في العزم على الخروج إلى تبوك، وعزم المنافقون على اصطلام مخلفيهم إذا خرجوا فأوحى الله تعالى إليه يا محمد إن العلي الأعلى يقرؤك السلام ويقول: إنا أن تخرج أنت ويقم علي، وإنا أن يخرج علي وتقيم أنت، فقال رسول الله ﷺ: ذاك لعلي عليه السلام فقال: علي عليه السلام: السمع والطاعة لأمر الله وأمر رسوله، وإن كنت أحب أن لا أتخلف عن رسول الله ﷺ في حال من الأحوال، فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعدي، فقال: رضيت يا رسول الله، فقال له رسول الله: يا أبا الحسن إن أجر خروجك معي في مقامك بالمدينة، وإن الله قد جعلك أمة وحدك كما جعل إبراهيم أمة تمنع جماعة المنافقين والكفار هيبتك عن الحركة على المسلمين، فلما خرج رسول الله ﷺ وشيعته علي عليه السلام خاض المنافقون وقالوا: إنما خلفه محمد ﷺ بالمدينة لبغضه له وملاله منه، وما أراد بذلك إلا أن يببته المنافقون فيقتلوه، فاتصل ذلك برسول الله ﷺ فقال علي عليه السلام: أسمع ما يقولون يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ما يكفيك إنك جلدة ما بين عيني، ونور بصري، والروح في بدني، ثم سار رسول الله ﷺ بأصحابه، وقام علي بالمدينة، فكان كلما دبر المنافقون أن يوقعوا بالمسلمين فرعوا من علي وخافوا أن يقوم معه عليهم يدفعهم عن ذلك، وجعلوا يقولون فيما بينهم: هي كرة محمد التي لا يؤوب منها، ثم ذكر علي عليه السلام قصة رسول الله ﷺ

لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ
أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾

مع أكيدر وأخذه له وصلحه معه على ما مرّ ذكره، ثم قال: وعاد رسول الله ﷺ غانماً ظافراً وأبطل الله كيد المنافقين، وأمر رسول الله ﷺ بإحراق مسجد الضرار فأنزل الله تعالى: «والذين اتخذوا مسجداً ضراراً» الآيات ثم ذكر إن أبا عامر الراهب كان عجل هذه الأمة كعجل قوم موسى وأنه دمر الله عليه وأصابه بقولنج وبرص وفالج ولقوة^(١) وبقي أربعين صباحاً في أشدّ عذاب ثم صار إلى عذاب الله^(٢).

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾: أي لا تصلّ فيه أبداً، يقال: فلان يقوم بالليل أي يصلي.
﴿لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾: من أيّام وجوده، في الكافي: عن الصادق^(٣)، والعياشي: عنهما عليهما السلام ^(٤)، والقمي: يعني مسجد قبا^(٥).
قيل: أسّسه رسول الله ﷺ وصلى فيه أيّام مقامه بقبا^(٦).
﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾: أولى بأن تصلّي فيه، العياشي: قال: يعني من مسجد النفاق، وكان على طريقه رجل إذا أتى مسجد قبا فقام فينضح بالماء والسدر ويرفع ثيابه عن ساقيه

-
- ١- اللقوة - بالفتح -: داء بالوجه. مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٨٠، مادة «لقا». وقال الجوهري: اللقوة: داء في الوجه، الصحاح: ج ٦، ص ٢٤٨٥. وفي المصباح المنير: اللقوة: داء يصيب الوجه، ص ٥٥٨.
 - ٢- تفسير الإمام العسكري: ص ٤٨١-٤٨٨، ح ٣٠٩.
 - ٣- الكافي: ج ٣، ص ٢٩٦، ح ٢، باب بناء مسجد النبي ﷺ.
 - ٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١١، ح ١٣٦. ٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٥.
 - ٦- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٣٢.

أَفَنُ أَسَسَ بُنْيَنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَن
 أَسَسَ بُنْيَنَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا
 يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾

ويعشي على حجر في ناحية الطريق ويسرع المشي ويكره أن يصيب ثيابه منه شيء فسألته هل كان النبي ﷺ يصلي في مسجد قبا؟ قال: نعم (١).

﴿فِيهِ رِجَالٌ مُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾: العياشي: عن الصادق عليه السلام هو الاستنجاء بالماء (٢).

والقمي: كانوا يتطهرون بالماء (٣).

وفي المجمع: عن الباقر والصادق عليه السلام يحبون أن يتطهروا بالماء عن الغائط والبول (٤).

وعن النبي ﷺ أنه قال لأهل قبا: ماذا تفعلون في طهركم؟ فإن الله قد أحسن عليكم الشئاء، قالوا نفسل أثر الغائط، فقال: أنزل الله فيكم «والله يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ» (٥).

﴿أَفَنُ أَسَسَ بُنْيَنَهُ﴾: بنیان دینه.

﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾: على قاعدة محكمة هي الحق الذي هو التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة.

﴿خَيْرٌ أَمْ مَن أَسَسَ بُنْيَنَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾: على قاعدة هي أضعف القواعد وأقلها بقاءاً، وهو الباطل والتفاق الذي مثله مثل «شفا جرف هار» في قلّة الثّبات، والشّفا: الشّفير، وجرف الوادي: جانبه الذي ينحفر أصله بالماء وتجرفه السيول، والهار:

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١١-١١٢، ح ١٣٦.

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٢، ح ١٣٧. ٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٥.

٤- مجمع البيان: ج ٦، ص ٧٣. ٥- مجمع البيان: ج ٦، ص ٧٣.

لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمْ آلِدَىٰ بَنَوَارِيَّةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

الهاير الَّذِي أَشْفَىٰ عَلَى السَّقُوطِ والهدم، وقرئ أُسِّسَ عَلَى الْبِنَاءِ للمفعول، وجرف بالتخفيف.
﴿فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: لَمَّا جَعَلَ الْجَرْفَ وَالْهَارَ مَجَازاً عَنِ الْبَاطِلِ قِيلَ: فَاِنْهَارَ بِهِ
فِي نَارِ جَهَنَّمَ، والمعنى: فَهَوَىٰ بِهِ الْبَاطِلُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَكَأَنَّ الْمَبْطَلَ أُسِّسَ بِنْيَاناً عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ
فَطَاحَ بِهِ إِلَى قَعْرِهَا، الْقَمِي: عَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام مَسْجِدَ الضَّرَارِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى شَفَا جَرْفِ هَارِ
فَاِنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ^(١).

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحٌ وَنَجَاةٌ.

﴿لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمْ آلِدَىٰ بَنَوَارٍ﴾: يَعْنِي مَسْجِدَ الضَّرَارِ.

﴿رِيَّةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾: سَبَبُ شَكِّ وَازْدِيَادِ نِفَاقٍ فِي قُلُوبِهِمْ لَا يَضْمَحَلُّ أَثَرُهُ، ثُمَّ لَمَّا

هَدَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَسَخَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَازْدَادَ بِحَيْثُ لَا يَزُولُ رَسْمُهُ.

﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾: قَطْعاً بِحَيْثُ لَا يَبْقَىٰ لَهَا قَابِلِيَّةُ الْإِدْرَاكِ وَالْإِضْهَارِ، فِي

الْجَوَامِعِ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام إِنَّهُ قَرَأَ «إِلَى أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ» ^(٢).

وَالْقَمِي: يَعْنِي «حَتَّى تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ» ^(٣). وَقرئ تَقَطَّعَ بِمَعْنَى يَنْقَطِعُ.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بِنِيَّتَاتِهِمْ.

﴿حَكِيمٌ﴾: فِيمَا أَمَرَ يَهْدِمُ بَنَائِهِمْ، الْقَمِي: فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَالِكََ بْنَ دَخْشَمٍ

الْحِزَاعِي، وَعَامِرَ بْنَ عَدِي أَخَا بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ عَلَى أَنْ يَهْدِمُوهُ وَيَحْرِقُوهُ فَجَاءَ مَالِكُ
فَقَالَ لِعَامِرٍ: أَنْتَظِرْنِي حَتَّى أَخْرَجَ نَاراً مِنْ مَنْزِلِي فَدَخَلَ وَجَاءَ بِنَارٍ وَأَشْعَلَ فِي سَعَفِ النَّخْلِ ثُمَّ

٢- جوامع الجامع: ج ٢، ص ٨٦.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٥.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٥.

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ
يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ
الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ
الْحَمِيدُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ
وَالْتَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

أشعله في المسجد فتفرقوا، وقعد زيد بن حارثة حتى احترقت البنية ثم أمر بهدم حائطه^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾: تمثيل لإثابة الله
إياهم بالجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله.

﴿يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾: استئناف لبيان ما لأجله الشرى،
وقرئ بتقديم المبني للمفعول.

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾: وعد ذلك على نفسه وعداً
ثابتاً مثبتاً في الكتب الثلاثة.

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾: أي لا أحد أوفى بعهده من الله.
﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾: فافرحوا به غاية الفرح إذ بعتهم فانياً
بباق، وزائلاً بدام.

﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: رفع على المدح أي هم التائبون، وفي
قراءة الباقر والصادق عليه السلام التائبين إلى قوله والمحافظة في رواها في الجمع عنها عليه السلام جرّاً على

الصفة للمؤمنين^(١).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام إنه تلى عنده «التائبون العابدون»، فقال: لا، اقرأ «التائبين العابدين» إلى آخرها، فسئل عن العلة في ذلك، فقال: اشترى من المؤمنين التائبين العابدين^(٢).

﴿الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّائِحُونَ الرَّكْعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام لما نزلت هذه الآية «إن الله اشترى من المؤمنين» قام رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا نبي الله أرأيتك الرجل يأخذ سيفه فيقاتل حتى يقتل إلا أنه يقترب من هذه المحارم أشهد هو؟ فأنزل الله على رسوله «التائبون العابدون» الآية فبشر النبي صلى الله عليه وآله المجاهدين من المؤمنين الذين هذه صفتهم وحليتهم بالشهادة والجنة، وقال: «التائبون»: من الذنوب، «العابدون»: الذين لا يعبدون إلا الله ولا يشركون به شيئاً، «الحامدون»: الذين يحمدون الله على كل حال في الشدة والرخاء، «والسائحون»: الصائمون، «الراكعون الساجدون»: الذين يواظبون على الصلوات الخمس، «الحافظون»: لها والمحافظون عليها بركوعها وسجودها والخشوع فيها وفي أوقاتها الآمرون بالمعروف بعد ذلك، والعاملون به، والناهون عن المنكر، والمنتهون عنه، قال: فبشر من قتل وهو قائم بهذه الشروط بالشهادة والجنة الحديث^(٣).

أقول: إنما فسر السياحة بالصيام لقول النبي صلى الله عليه وآله: سياحة أمتي الصيام^(٤).

وعنه عليه السلام لقي عباد البصري علي بن الحسين عليه السلام في طريق مكة فقال له: يا علي بن

١- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٧٤.

٢- الكافي: ج ٨، ص ٣٧٧-٣٧٨، ح ٥٦٩، تفسير بعض آيات القرآن.

٣- الكافي: ج ٥، ص ١٥، ح ١، باب من يجب عليه الجهاد ومن لا يجب.

٤- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٣٤.

الحسين تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحجّ ولينته إنّ الله يقول: «إنّ الله اشترى من المؤمنين» الآية، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: أتمّ الآية فقال: «التائبون العابدون» الآية، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحجّ^(١).

والقمي: لقي الزّهرى علي بن الحسين عليه السلام إلى آخر الحديث^(٢).

العيّاشي: قال: هم الأئمّة عليهم السلام^(٣).

والقمي: قال نزلت الآية في الأئمّة عليهم السلام لأنّه وصفهم بصفة لا تجوز في غيرهم فالآمرون بالمعروف: هم الذين يعرفون المعروف كلّ صغيره وكبيره ودقيقه وجليله^(٤)، والتّاهون عن المنكر: هم الذين يعرفون المنكر كلّ صغيره وكبيره، والحافظون لحدود الله: هم الذين يعرفون حدود الله صغيرها وكبيرها، ودقيقها وجليلها^(٥) ولا يجوز أن يكون بهذه الصّفة غير الأئمّة عليهم السلام^(٦).

وفي نهج البلاغة: أنّه ليس لأنفسكم ثمن إلّا الجنّة فلا تتبعوها إلّا بها^(٧).

وفيه: فلا أموال بذلتوها للذي رزقها ولا أنفس خاطرتم بها للذي خلقها^(٨).

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن قول الله تعالى «إنّ الله اشترى» الآية فقال:

يعني في الميثاق، ثمّ قرأت عليه «التائبون العابدون»، فقال: لا إقرأها «التائبين العابدين» إلى آخر الآية، فقال: إذا رأيت هؤلاء فعند ذلك هؤلاء اشترى منهم أنفسهم وأموالهم يعني في الرّجعة^(٩).

١- الكافي: ج ٥، ص ٢٢، ح ١، باب الجهاد الواجب مع من يكون.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٦. ٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٣، ح ١٤٢.

٤- وفي نسخة: [جليله]. ٥- وفي نسخة: [جليلها].

٦- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٦. ٧- نهج البلاغة: ص ٥٥٦، قصار الحكم: ٤٥٦.

٨- نهج البلاغة: ص ١٧٤، ١١٧- ومن كلام له عليه السلام يوتخ البخلاء بالمال والنفس.

٩- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٢-١١٣، ح ١٤٠.

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾
وَمَا كَانَ أَسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: بموتهم على الشرك أو بوحى من الله أنهم لن يؤمنوا.

﴿وَمَا كَانَ أَسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾: قطع استغفاره، العياشي: عن الصادق عليه السلام إنه قال: ما يقول الناس في قول الله عز وجل: «وما كان استغفار إبراهيم لأبيه»؟ ف قيل: يقولون: إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له، قال: ليس هو هكذا، إن أبا إبراهيم وعده أن يسلم فاستغفر له، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ^(١).

وفي رواية أخرى لما مات تبين له أنه عدو لله فلم يستغفر له ^(٢).

أقول: لا ينافي هذا التفسير ما رواه القمي: إن إبراهيم عليه السلام قال لأبيه: إن لم تعبد الأصنام أستغفرت لك، فلما لم يدع الأصنام تبرأ منه ^(٣)، وذلك لجواز وقوع كلا الوعدين وكون استغفار إبراهيم عليه السلام له مشروطاً بإسلامه، وكون المراد بالوعد في هذه الآية وعد أبيه إياه، ويدل على وعد إبراهيم إياه قوله تعالى: «إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك» ^(٤)

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٤، ح ١٤٨.

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٤، ح ١٤٦.

٤- المحتحنة: ٤.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٦.

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَّا
يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾: في الكافي: عن الباقر^(١)، وفي المجمع عن الصادق^(٢):
الأَوَّاه: هو الدَّعاء^(٣).

والقَمِي: عن الباقر^(٤) الأَوَّاه: المتضرَّع إلى الله في صلاته، وإذا خلا في قفرة^(٥) من
الأرض، وفي الخلوات^(٦).

وقيل: هو الذي يكثر التأوُّه والبكاء، والدَّعاء، ويكثر ذكر الله عزَّ اسمه^(٧).

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ﴾: ليخذل.

﴿قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ﴾: للإسلام.

﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَّا يَتَّقُونَ﴾: ما يجب إتقاؤه، في الكافي^(٨)، والعياشي^(٩).

والتوحيد: عن الصادق^(١٠) حَتَّى يَعْرِفَهُمْ ما يرضيه وما يسخطه^(١١).

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: يعلم أمرهم في الحالين.

١- الكافي: ج ٢، ص ٤٦٦، ح ١، باب فضل الدعاء والحث عليه.

٢- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٧٧.

٣- القفر من الأرض: المفازة التي لا ماء فيها ولا نبات، والجمع قفار، ودار قفر وقفار: أي خالية من أهلها،
واقفرت الدار: خلت. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٦٣، مادة «قفر».

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٦.

٥- قاله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع: ج ٢، ص ٨٩.

٦- الكافي: ج ١، ص ١٦٣، ح ٣، باب البيان والتعريف ولزوم الحجّة.

٧- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٥، ح ١٥٠.

٨- التوحيد: ص ٤١١، ح ٤، باب ٦٤- التعريف والبيان والحجّة والهداية.

إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: يعني ولا يتأتى ولاية ولا نصره إلا من الله فتوجهوا بشرائركم^(١) إليه وتبرؤوا عما عداه.

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾: في الاحتجاج: عن الصادق^(٢)، وفي المجمع: عن الرضا^(٣) إنها قرأوا لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين^(٣).
والقمي: عن الصادق^(٤) هكذا نزلت.

وفي الاحتجاج: عن أبان بن تغلب، فقلت له يا ابن رسول الله إن العامة لا تقرأ كما عندك، قال: وكيف تقرأ يا أبان؟ قال: قلت: إنها تقرأ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار، فقال: ويلهم وأي ذنب كان لرسول الله ﷺ حتى تاب الله منه إنما تاب الله به على أمته^(٥).

١ - الشراشر: الأتقال، الواحدة شُرْشُرَة، يقال: ألقي عليه شرارته، أي نفسه، حرصاً ومحبة. الصحاح: ج ٢، ص ٦٩٦، مادة «شر».

٢ - الإحتجاج: ج ١، ص ٩٨، باب ذكر طرف مما جرى بعد وفاة رسول الله ﷺ من اللجاج والحجاج في أمر الخلافة من قبل من استحقها ومن لم يستحق.

٣ - مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٨٠.

٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٤.

٥ - الإحتجاج: ج ١، ص ٩٨، باب ذكر طرف مما جرى بعد وفاة رسول الله ﷺ من اللجاج والحجاج في أمر

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾: القمى: في قصة تبوك هم أبو ذر، وأبو خيثمة،

وعميرة بن وهب الذين تخلّفوا ثم لحقوا برسول الله ﷺ، وقال: تخلّف عن رسول الله ﷺ قوم من أهل ثبات وبصائر لم يكن يلحقهم شك ولا ارتياب، ولكنهم قالوا: نلحق برسول الله، منهم أبو خيثمة وكان قوياً وكان له زوجتان وعريشان^(١) فكانتا زوجتاه قد رشتا عريشيه، قال: لا والله ما هذا بإنصاف، رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر قد خرج في الضح^(٢) والريج وقد حمل السلاح يجاهد في سبيل الله، وأبو خيثمة قويّ قاعد في عريشه وامرأتين حسناوين، لا والله ما هذا بإنصاف ثم أخذ ناقته فشدّ عليها رحله فلحق برسول الله ﷺ ونظر الناس إلى راكب على الطريق فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة فكان أبا خيثمة، أقبل فأخبر النبي ﷺ بما كان فجزاه خيراً ودعا له، وكان أبو ذر رضي الله عنه تخلّف عن رسول الله ﷺ ثلاثة أيّام، وذلك أنّ جملة كان أعجف^(٣) فلحق بعد ثلاثة أيّام ووقف عليه جملة في بعض الطريق فتركه، وحمل ثيابه على ظهره فلمّا ارتفع النهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا ذر، فقالوا: هو أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: أدركوه بالماء فإنّه عطشان، فأدركوه بالماء ووافى أبو ذر رسول الله ﷺ، ومعه أداوة فيها ماء فقال رسول الله ﷺ له: يا أبا ذر معك ماء وعطشت؟ فقال: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي انتهيت إلى صخرة وعليها ماء السماء فذقته فإذا هو عذب بارد، فقلت لا أشربه حتّى يشربه حبيبي رسول الله، فقال رسول الله ﷺ له: يا أبا ذر رحمك الله تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك، وتدخل

الخلافة من قبل من استحقها ومن لم يستحق.

١ - العريش: ما يستظل به، يبنى من سعف النخل مثل الكوخ فيقيمون فيه مدّة إلى أن يصرم النخل، والعريش: خيمة من خشب ونمام، والجمع عُرش مثل قليب وقلب، مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٤٣، مادة «عرش».

٢ - الضح: الشمس. ويقال: جاء فلان بالضح والريج، أي بما طلعت عليه الشمس وما جرت عليه الريح، يعني من الكثرة. الصحاح: ج ١، ص ٣٨٥-٣٨٦ مادة «ضح».

٣ - الأعجف: المهزول، والأنثى: عجفاء. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٩٢ مادة «عجف».

الجَنَّةَ وحدك، يسعد بك قوم من العراق يتولَّون غسلك، وتجهيزك، ودفنك^(١).

وفي الجوامع: والعسرة: حالهم في غزوة تبوك كان يعتقب العشرة على بغير واحد وكان زادهم الشَّعِير المسوس، والتمر المدوَّد، والإهالة السَّنْخَة^(٢) وبلغت الشدَّة بهم إلى أن اقتسم التمرة اثنان، وربما مصَّها الجماعة ليشربوا عليها الماء، وكانوا في حمّازة^(٣) القَيْظ^(٤)، وفي الضَّيِّقة الشَّديدة من القحط وقلة الماء^(٥).

﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾: عن الثَّبات على الإيمان ومن اتَّباع الرِّسول في تلك الغزوة، وقرء يزيع بالياء^(٦)، قيل: إنَّ قوماً منهم همَّوا بالإنصراف من^(٧) غزاتهم بغير استئذان فعصمهم الله حتَّى مضوا مع النبي ﷺ^(٨).

القَمِي: وكان مع رسول الله ﷺ بتبوك رجل يقال له: المضرب، لكثرة ضرباته التي أصابته بيدٍ واحد، فقال له رسول الله ﷺ: عد لي أهل العسكر، فعُدَّدهم، فقال: هم خمسة وعشرون ألف رجل، سوى العبيد والتَّباع، فقال: عدَّ المؤمنين فعُدَّدهم، فقال: خمسة وعشرون رجلاً^(٩).

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: الله.

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

٢ - السَّنْخَة - بالمهملة والنون والحاء المعجمة -: المستغيثة الريح. منه تَنْجُو. وقال الجوهري: وسَنَخَ الدهن - بالكسر، لغة في زَنَخَ إذا فسد وتغيَّرت ريحه، الصحاح: ج ١، ص ٤٢٤، مادة «سنخ».

٣ - بالحاء المهملَة والزاء المعجمة: شدته. منه تَنْجُو.

٤ - القَيْظ: صميم الصيف، وقاظ يوماً: اشتدَّ حره، مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٩٠، مادة «قَيْظ».

٥ - جوامع الجامع: ج ٢، ص ٩٠. وفيه: «كانوا في حمّازة القَيْظ». قال الطريحي: وحمّازة القَيْظ - بتشديد الراء لا غير -: شدة حرّه. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٧٦، مادة «حر».

٦ - قرأ حمزة - وحفص عن عاصم يزيع بالياء، وهي قراءة الأعشى. والباقون تزيع بالثاء. راجع مجمع البيان: ج ٥ - ٦، ص ٧٨ في القراءة.

٧ - وفي نسخة: [عن].

٨ - قاله الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج ٥ - ٦، ص ٨٠.

٩ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٦.

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾: تداركهم برأفته ورحمته.

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾: العياشي: عن الصادق عليه السلام هم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية^(١).

وفي المجمع: عن السجّاد، والباقر، والصادق عليه السلام إنهم قرأوا «خالفوا»^(٢).
والقمي: قال العالم عليه السلام: إنما نزل وعلى الثلاثة الذين خالفوا، ولو - خُلِفُوا - لم يكن عليهم عتب^(٣).

في الكافي^(٤)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام لو كانوا خُلِفُوا لكانوا في حال طاعة^{(٥)(٦)}.

﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: أي مع سعتها، وهو مثل لخيرتهم في أمرهم كأنهم لا يجدون في الأرض موضع قرار.
﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾: أي قلوبهم من فرط الوحشة، والغم.

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٥، ح ١٥١. ٢- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٧٨.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٧-٢٩٨. ٤- الكافي: ج ٨، ص ٣٧٧، ح ٥٦٨.

٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٥، ح ١٥٢.

٦- وأما ما في رواية العياشي، والكافي: إن الثلاثة عثمان وصاحبه وأن الله سلط عليهم الخوف فاستمعوا صوت كافر [حافر] ولا تقف على حجر إلا قالوا أتيناه فأقالهم الله وما تابوا فلعله تأويل للآية وإجراء لها فيهم. منه ^{نقل}.
راجع نفس المصدر السابق فيها.

﴿وَطُتُّوْا﴾: وعلموا.

﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ﴾: من سخطه^(١).

﴿إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: ثم رجع عليهم بالقبول، في المعاني: عن الصادق عليه السلام هي الإقالة^(٢).

﴿لِيَتُوبُوا﴾: ليعودوا إلى حالتهم الأولى.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾: لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة، وقد مضى تحقيق معنى التوبة من الله ومن العبد في سورة البقرة^(٣).

والقضي: في قصّة غزوة تبوك وقد كان تخلف عن رسول الله قوم من المنافقين، وقوم من المؤمنين مستبصرين لم يعثر عليهم في نفاق، منهم: كعب بن مالك الشاعر، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية الواقفي، فلما تاب الله عليهم، قال كعب: ما كنت قط أقوى مني في ذلك الوقت الذي خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك، وما اجتمعت لي راحلتان إلا في ذلك اليوم فكنت أقول: أخرج غداً أخرج بعد غد، فإني قوي وتوانيت وبقيت بعد خروج النبي ﷺ أياماً أدخل السوق ولا أقضي حاجة فلقيت هلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وقد كانا تخلفاً أيضاً فتوافقنا أن نبكر إلى السوق ولم نقض حاجة، فما زلنا نقول: نخرج غداً وبعد غد حتى بلغنا إقبال رسول الله ﷺ فندمنا، فلما وافى رسول الله ﷺ استقبلناه نهته بالسلامة، فسلمنا عليه، فلم يرد علينا السلام، فأعرض عنا، وسلمنا على إخواننا فلم يردوا علينا السلام، فبلغ ذلك أهلونا فقطعوا كلامنا، وكنا نحضر المسجد فلا يسلم علينا أحد ولا يكلمنا فجاءت نساؤنا إلى رسول الله ﷺ فقلن: قد بلغنا سخطك على أزواجنا أفنعتزلهن، فقال رسول الله ﷺ: لا تعترلنهم ولكن لا يقربوكن، فلما رأى كعب بن مالك وصاحبه ما قد حل بهم، قال: ما يقعدنا بالمدينة ولا يكلمنا رسول الله ﷺ ولا إخواننا ولا أهلونا فهلّموا

١- وفي نسخة: [من سخط الله].

٢- معاني الأخبار: ص ٢١٥، ح ١، باب توبة الله عز وجل على الخلق.

٣- البقرة: ذيل الآية ٣٧.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
الصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾

نخرج إلى هذا الجبل فلا نزال فيه حتى يتوب الله علينا أو نموت، فخرجوا إلى ذناب جبل بالمدينة فكانوا يصومون، وكان أهلهم يأتونهم بالطعام فيضعونه ناحية، ثم يولّون عنهم فلا يكلمونهم، فبقوا على هذه الحالة أياماً كثيرة يبكون بالليل والنهار، ويدعون الله أن يغفر لهم، فلما طال عليهم الأمر، قال لهم كعب: يا قوم قد سخط الله علينا، ورسوله قد سخط علينا، وإخواننا قد سخطوا علينا، وأهلونا سخطوا علينا، فلا يكلمنا أحد فلم لا يسخط بعضنا على بعض، فتفرّقوا في الليل وحلفوا أن لا يكلم أحد منهم صاحبه حتى يموت أو يتوب الله عليه فبقوا على هذه ثلاثة أيام كلّ منهم في ناحية من الجبل لا يرى أحد منهم صاحبه ولا يكلمه فلما كان في الليلة الثالثة، ورسول الله ﷺ في بيت أم سلمة نزلت توبتهم على رسول الله ﷺ قال: «حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ» حيث لم يكلمهم رسول الله ﷺ، ولا إخوانهم، ولا أهلهم، فضاقت المدينة عليهم حتى خرجوا منها، وضاقت عليهم أنفسهم حيث حلفوا أن لا يكلم بعضهم بعضاً فتفرّقوا وتاب الله عليهم لما عرف صدق نياتهم^(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام إيانا عنى^(٢).

وعن الرضا عليه السلام الصادقون: هم الأئمة عليهم السلام والصديقون بطاعتهم^(٣).

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٦-٢٩٨.

٢- الكافي: ج ١، ص ٢٠٨، ح ١، باب ما فرض الله عز وجل ورسوله ﷺ من الكون مع الأئمة عليهم السلام.

٣- الكافي: ج ١، ص ٢٠٨، ح ٢، باب ما فرض الله عز وجل ورسوله ﷺ من الكون مع الأئمة عليهم السلام.

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا
يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ
مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ
عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠﴾

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام قال مع آل محمد عليه السلام (١).

والقمي: قال: هم الأئمة عليه السلام (٢).

وفي الإكمال: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال في جمع من المهاجرين والأنصار أيام
خلافة عثمان أسألكم بالله أتعلمون أنه لما نزلت هذه الآية قال سلمان: يا رسول الله عامّة هذه
الآية أم خاصّة؟ فقال عليه السلام: أمّا المأمورون فعامّة المؤمنين أمروا بذلك، وأمّا الصادقون
فخاصّة لأخي علي وأوصيائي من بعده إلى يوم القيامة، قالوا: اللهم نعم (٣).

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام إنه قرأ «من الصادقين» (٤).

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾: بل عليهم أن يصحبوه على البأساء والضراء، ويكابدوا
معه الشدائد برغبة ونشاط كما فعله أبو ذرّ وأبو خيثمة.
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾: شيء من العطش.
﴿وَلَا نَصَبٌ﴾: تعب.

١- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٨١. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٧.

٣- إكمال الدين وإقام النعمة: ص ٢٧٨، ج ٢٥، باب ٢٤ - ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في النص على القائم عليه السلام.

٤- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٨٠، في القراءة.

وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ
لَهُمْ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ
الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَأَفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ
لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

﴿وَلَا تَخْصَصَةٌ﴾: جماعة.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في طريق الجهاد.

﴿وَلَا يَطَّوْنُ﴾: لا يدوسون بأرجلهم، وبحوافر خيولهم، وأخفاف رواحلهم.

﴿مَوْطِئًا﴾: موضعاً.

﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾: وطأهم إياه ويضيق صدورهم بتصرفهم في أرضهم.

﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً﴾: يقتل أو أسر أو نهب.

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾: واستوجبوا الثواب عند الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ * وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا

يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾: أرضاً في مسيرهم، والوادي: كل منعرج^(١) ينفذه السيل. فشاع بمعنى الأرض.

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾: ذلك الإنفاق وقطع الوادي.

﴿لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ﴾: بذلك.

﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: جزاء أحسن أعمالهم، أو أحسن جزاء أعمالهم.

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَأَفَّةً﴾: وما استقام لهم أن ينفروا جميعاً لنحو غزو

١ - منعرج الوادي: منعطفه. منه نَزَّ، وقال الجوهري: وانعرج الشيء أي انعطف. ومنعرج الوادي: منعطفه

١ - بمنة ويسرة، الصحاح: ج ١، ص ٣٢٨، مادة «عرج».

وطلب علم كما لا يستقيم لهم أن يتشبّطوا^(١) جميعاً.

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ﴾: فهلاً نفر من كلّ جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة.

﴿طَائِفَةٌ﴾: جماعة قليلة.

﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾: ليتكفّلوا الفقاهة فيه، ويتجشّموا^(٢) مشاقّ تحصيلها.

﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾: فيه دلالة على أنّه ينبغي أن يكون غرض

المفتقّه أن يستقيم ويقيم. لا الترفع على الناس والتبسّط^(٣) في البلاد.

﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾: إرادة أن يحذروا عمّا يندرون منه، في العلل: عن الصادق عليه السلام

أنه قيل له: إنّ قوماً يروون أنّ رسول الله ﷺ قال: اختلاف أمّتي رحمة، فقال عليه السلام: صدقوا،

ف قيل: إن كان إختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب؟ قال عليه السلام: ليس حيث تذهب وذهبوا، إنّما أراد

قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ الآية فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله ﷺ

ويختلفوا إليه فيتعلموا، ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم إنّما أراد إختلافهم من البلدان لا

إختلافاً في دين الله، إنّما الدين واحد^(٤).

وفي الكافي: قيل للصادق عليه السلام: إذا حدث على الإمام حدث كيف يصنع الناس؟

فقال: أين قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ الآية. قال: قلت: فما حالهم؟ قال: هم

في عذر ماداموا في الطلب، وهؤلاء الذين ينتظرونهم في عذر حتّى يرجع إليهم

أصحابهم^(٥).

١ - وفي نسخة: [أن يتشبّطوا]. قال الطبري: فتشبّطهم: أي حبسهم بالجبن، يقال: شبّطه عن الأمر: أي أثقله

وأقعدّه. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٤٠، مادة «شبّط».

٢ - التجشّم: وهو التكلف على المشقة. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٩، مادة «جشم».

٣ - بسط الشيء: نشره، وتبسّط في البلاد، أي سار فيها طويلاً وعرضاً. الصحاح: ج ٣، ص ١١١٦، مادة

«بسط» والمراد هنا الإشتهار في البلاد.

٤ - علل الشرائع: ص ٨٥، ح ٤، باب ٧٩ - العلة التي من أجلها صار بين الناس الإلتلاف والإختلاف.

٥ - الكافي: ج ١، ص ٣٧٨، ح ١، باب ما يجب على الناس عند مضي الإمام.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا
فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٣﴾

والعياشي: عنه عليه السلام ما في معناه ^(١).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام كان هذا حين كثر الناس فأمرهم الله أن ينفر منهم طائفة،
ويقيم طائفة للشفقة، وأن يكون الغزو نوباً ^(٢).

أقول: يعني يبقى مع النبي صلى الله عليه وآله طائفة للشفقة وإنذار النافرة فيكون النفر للغزو
والقعود للشفقة.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام ^(٣)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام تفقهوا في الدين فإنه من
لم يتفقه منكم في الدين فهو أعرابي، إن الله يقول في كتابه: «ليستفقهوا في الدين ولينذروا
قومهم إذا رجعوا إليهم» ^(٤).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ﴾: أمروا بقتال الأقرب
منهم فالأقرب، نظيره «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» ^(٥)، فإن الأقرب أحق بالشفقة
والإستصلاح، في الكافي ^(٦)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام قال: الذيلم ^(٧).

والقمي: يجب على كل قوم أن يقاتلوا من يليهم ممن يقرب من الإمام ولا يجوزوا
ذلك الموضع ^(٨).

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٧، ح ١٥٩. ٢- مجمع البيان: ج ٥، ص ٦، ح ٨٣.

٣- الكافي: ج ١، ص ٣١، ح ٦، باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه.

٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٨، ح ١٦٢. ٥- الشعراء: ٢١٤.

٦- لم نثر عليه في الكافي والظاهر أنه سهو من قلمه الشريف، بل وجدناه في تهذيب الأحكام: ج ٦،

ص ١٧٤، ح ٣٤٥/٢٣، باب ٧٩- النوادر. ٧- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٨، ح ١٦٣.

٨- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٧.

وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَتُكْمَرُ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾

﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غُلْظَةً﴾: شدة وصبراً على القتال، القمي: أي إغلظوا لهم القول والقتل^(١).

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: بالحراسة والإعانة.

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ﴾: فن المنافقين.

﴿مَنْ يَقُولُ﴾: إنكاراً واستهزاء.

﴿أَتُكْمَرُ زَادَتْهُ هَذِهِ﴾: السورة.

﴿إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيْمَانًا﴾: بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الإيمان بها وبما فيها.

﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بنزولها، لأنه سبب زيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم، القمي: وهو رد على من يزعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص^(٢).

وفي الكافي^(٣)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام إن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها ثم بين عليه ذلك، قيل: قد فهمت نقصان الإيمان وتماه فمن أين جاءت زيادته، قال: قول الله عز وجل: «وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ» الآية، وقال: «وَزِدْنَاهُمْ هَدًى»^(٤)، ولو كان كله واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد منهم فضل على الآخر، ولا استوت التعم فيه، ولا استوى الناس وبطل

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٧. ٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٨.

٣ - الكافي: ج ٢، ص ٣٧، ذيل ح ١، باب في أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها.

٤ - الكهف: ١٣.

وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ
وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوْ لَا يَرْوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ
عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا
مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِّنْ أَحَدٍ
ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾

التفضيل، ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة، وبالإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله، وبالنقصان دخل المفرطون النار^(١). وقد مضى لهذا المعنى زيادة بيان في سورة الأنفال^(٢).

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾: القسَمي^(٣).
والعياشي: عن الباقر عليه السلام يقول: شكاً إلى شكهم^(٤).

﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾: واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه.
﴿أَوْ لَا يَرْوْنَ﴾: يعني المنافقين.

﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾: يبتلون بأصناف البليات أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيعانيون ما يظهر عليهم من الآيات، والقسَمي: يمرضون^(٥).

﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾: من نفاقهم.
﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾: لا يعتبرون.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾: تغامزوا بالعيون، إنكاراً لها

٢- الأنفال: ذيل الآية ٤.

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٢٤، ح ١٢.

٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٨، ح ١٦٤.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٨.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٨.

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ
عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾

وسخرية، أو غيظاً لما فيها من عيوبهم^(١).

﴿هَلْ يَرْتَكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾: أي يقولون: هل يراكم من أحد من المسلمين إن قُتِم وانصرفتم؟ فإننا لا نصبر على استماعه، وترامقوا^(٢) يتشاورون في تدبير^(٣) الخروج والإنسال، فإن لم يرههم أحد قاموا وإن يرههم أحد أقاموا.

﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾: تفرّقوا مخافة الفضيحة.

﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: عن الإيمان والإنشراح به بالخذلان، والقَمَي: عن الحق إلى الباطل باختيارهم الباطل على الحق^(٤).

وقيل: ويحتمل الدعاء^(٥).

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسبب أنهم.

﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: لسوء فهمهم وعدم تدبرهم.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: من جنسكم عربي، القَمَي: مثلكم في الحلقة، قال: ويقرأ «مِنْ أَنفُسِكُمْ» أي من أشرفكم^(٦).

في الجوامع: قيل: هو قراءة رسول الله ﷺ وفاطمة عليها السلام^(٧).

١- اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٣٧.

٢- رmqه بعينه رmqاً- من باب قتل -: أطال النظر إليه. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٧٣، مادة «رمق».

٣- وفي نسخة: [تدبير]. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٨.

٥- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٣٨.

٦- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٨. ٧- جوامع الجامع: ج ٢، ص ٩٤.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾: شديد شاق.

﴿مَا عِنْتُمْ﴾: عنتكم ولقاؤكم المكروه، والقمي: ما أنكرتم وجددتم^(١).

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾: على إيمانكم، وصلاح شأنكم حتى لا يخرج أحد منكم عن

الاستسعاد بدينه الذي جاء به.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾: منكم ومن غيركم.

﴿رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: فَإِنْ تَوَلَّوْا: عن الإيمان بك.

﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾: استعن بالله فإنه يكفيك أمرهم وينصرك عليهم.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: فلا أرجو غيره ولا أخاف إلا منه.

﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: في التوحيد: عن الصادق عليه السلام أي الملك العظيم^(٢).

العياشي: عنه عليه السلام «رسول من أنفسكم» قال: فينا، «عزیز عليه ما عنتم» قال: فينا،

«حريص عليكم» قال: فينا، «بالمؤمنين رؤوف رحيم» قال: يشركنا المؤمنون في هذه الرابعة،

وثلاثة لنا^(٣).

وفي رواية أخرى: فلنا ثلاثة أرباعها، وليشعنتا ربعها^(٤).

وفي الكافي: عنه عليه السلام هكذا أنزل الله تعالى «لقد جاءنا رسول من أنفسنا عزيز عليه

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٨.

٢- التوحيد: ص ٣٢١، ح ١، باب ٥٠- العرش وصفاته.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٨، ح ١٦٥.

٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٨، ح ١٦٦.

ما عتتنا حريص علينا بالمؤمنين رؤف رحيم»^(١).

في ثواب الأعمال^(٢)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام من قرأ سورة الأنفال وسورة البراءة في كل شهر لم يدخله نفاق أبداً، وكان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وزاد العياشي: ويأكل يوم القيامة من موائد الجنة مع شيعته حتى يفرغ الناس من الحساب^(٣).



١- الكافي: ج ٨، ص ٣٧٨، ح ٥٧٠.

٢- ثواب الأعمال: ص ١٠٦، باب ثواب من قرأ سورة الأنفال وسورة التوبة.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٣.

1870. 1871. 1872. 1873. 1874. 1875. 1876. 1877. 1878. 1879. 1880.

1881. 1882. 1883. 1884. 1885. 1886. 1887. 1888. 1889. 1890. 1891.

1892. 1893. 1894. 1895. 1896. 1897. 1898. 1899. 1900. 1901. 1902.

1903. 1904. 1905. 1906. 1907. 1908. 1909. 1910. 1911. 1912. 1913.

1914. 1915. 1916. 1917. 1918. 1919. 1920. 1921. 1922. 1923. 1924.

1925. 1926. 1927. 1928. 1929. 1930.

1931. 1932. 1933. 1934. 1935. 1936.

1937. 1938. 1939. 1940. 1941. 1942.

1943. 1944. 1945. 1946. 1947. 1948.

1949. 1950. 1951. 1952. 1953. 1954.

1955. 1956. 1957. 1958. 1959. 1960.

1961. 1962. 1963. 1964. 1965. 1966.

1967. 1968. 1969. 1970. 1971. 1972.

1973. 1974. 1975. 1976. 1977. 1978.

1979. 1980. 1981. 1982. 1983. 1984.

1985. 1986. 1987. 1988. 1989. 1990.

1991. 1992. 1993. 1994. 1995. 1996.

1997. 1998. 1999. 2000. 2001. 2002.

2003. 2004. 2005. 2006. 2007. 2008.

2009. 2010. 2011. 2012. 2013. 2014.

2015. 2016. 2017. 2018. 2019. 2020.

2021. 2022. 2023. 2024. 2025. 2026.

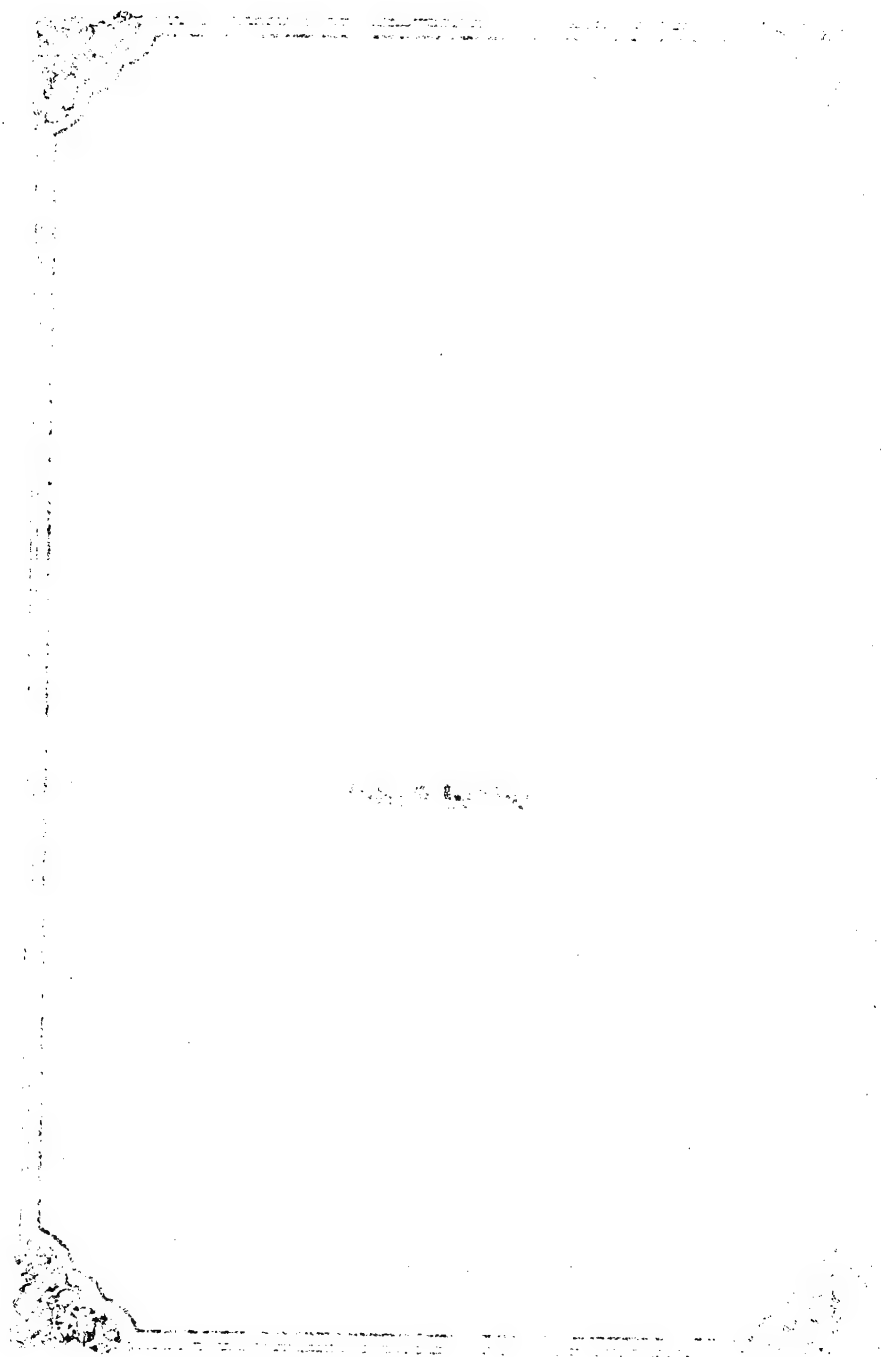
2027. 2028. 2029. 2030. 2031. 2032.

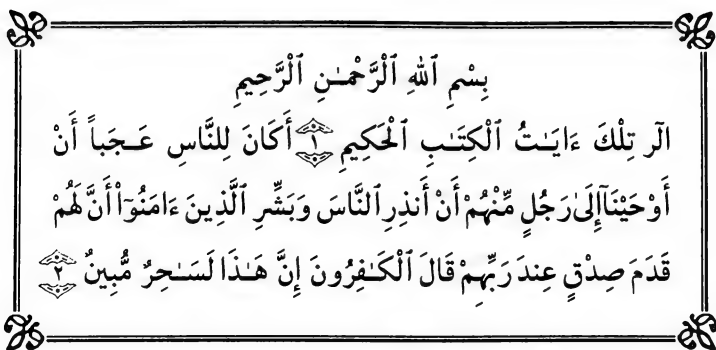
2033. 2034. 2035. 2036. 2037. 2038.

2039. 2040. 2041. 2042. 2043. 2044.

2045. 2046. 2047. 2048. 2049. 2050.

سورة يونس





سورة يونس: هي مكية في قول الأكثرين، وروي عن ابن عباس، وقتادة إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، «فإن كنت في شك»^(١) إلى آخرهن، عدد آياتها مائة وتسع آيات.



﴿الر﴾: القمي: «الر» هو من حروف الإسم الأعظم المنقطع^(٢) في القرآن، فإذا ألفه الرسول أو الإمام فدعا به أجيب^(٣).

أقول: وقد سبق مثله في تأويل «الم» في أول سورة البقرة، وفي المعاني: عن الصادق عليه السلام و «الر» معناه أنا الله الرؤف^(٤).

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾: ذي الحكمة، أو المحكم آياته.
﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾: إنكار لتعجبهم من أنه عزَّ

٢- وفي نسخة: [المنقطع].

١- يونس: ٩٤.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٨.

٤- معاني الأخبار: ص ٢٢، ح ١، باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن.

وجلّ بعث بشراً رسولاً، كما سبق ذكره في سورة الأنعام أو من أنّه سبحانه بعث يتياً غير ذي جاه ومال وبسطة، وهذا من فرط حماقتهم، وقصور نظرهم على الأمور العاجلة، وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة.

﴿أَنْ أُنْذِرَ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: أي سابقةً وفضلاً، سميت قدماً لأنّ السبق بها كما سميت النعمة يداً لأنّها باليد تعطى، وإضافتها إلى الصدق لتحقيقها والتنبيه على أنّهم إنّما ينالونها بصدق القول والنية.

في المجمع: عن الصادق عليه السلام إنّ معنى: «قدم صدق» شفاعته محمد ﷺ (١).

وفي الكافي (٢)، والعياشي (٣)، والقمي: عنه عليه السلام هو رسول الله ﷺ (٤).

أقول: وهذا يرجع إلى ذلك (٥).

وفي الكافي (٦)، والعياشي: عنه عليه السلام بولاية أمير المؤمنين عليه السلام (٧).

أقول: وهذا لأنّ الولاية من شروط الشّفاعته، وهما متلازمان.

﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا﴾: يعنون الكتاب وما جاء به الرّسول ﷺ.

﴿لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: وقرئ لساحر (٨) على أنّ الإشارة إلى الرّسول، وفيه اعتراف

١- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٨٩. ٢- الكافي: ج ٨، ص ٣٦٤، ح ٥٥٤.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٠، ح ٥. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٩.

٥- أي ما ورد في الكافي، والعياشي، والقمي بأنّ المراد من «قدم صدق» هو رسول الله ﷺ فإنّه يرجع إلى ما ورد في المجمع والعياشي عن الصادق عليه السلام بأنّ المراد هو شفاعته محمد رسول الله ﷺ للتلازم بينهما لأنّ من اعترف بشفاعة محمد ﷺ فهو معترف برسالته أيضاً.

٦- الكافي: ج ١، ص ٤٢٢، ح ٥٠، باب فيه نكت وننف من التنزيل في الولاية.

٧- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٩، ح ٤.

٨- قرأ ابن كثير وأهل الكوفة «لساحر» بالألف، واستدلّ عليه بقوله تعالى: «قال الكافرون هذا ساحر كذاب»، ض: ٤، وقرأ الباقر: «لسحر» بكسر السين وبغير ألف، واستدلّ عليه بقوله تعالى: «قالوا هذا ساحر وإنا به كافرون»، الزخرف: ٣٠، فن قرأ «ساحر» أراد الرجل، ومن قرأ «سحر» أراد الذي أوحى «سحر». مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٨٧، في القراءة، والحجّة.

إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
 اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ
 إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ إِلَيْهِ
 مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
 لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢﴾

بأنهم صادفوا منه أموراً خارقة للعادة معجزة إياهم عن المعارضة.

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى
 الْعَرْشِ﴾: قد سبق تفسيره في سورة الأعراف عند ذكر آية السخرة (١).

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: يقدره ويقضيه ويرتبه في مراتبه على أحكام عواقبه، والتدبير
 النظر في أدبار الأمور لتجيء محمودة العاقبة، والأمر أمر الخلق كله.

﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾: تقرير لعظمته وعزّ جلاله وردّ على من زعم أنّ
 أهتهم تشفع لهم عند الله.

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ﴾: أي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للألوهية والربوبية.

﴿وَرَبُّكُمْ﴾: لا غير إذ لا يشاركه أحد في شي من ذلك.

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾: وحده، لا تشركوا به شيئاً.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: يعني أنّه أدنى تذكّر ينبّه على الخطأ فيما أنتم عليه، وعلى أنّه

المستحقّ للعبادة لا ما تعبدونه.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾: إليه رجوعكم في العاقبة فاستعدوا للقائه.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ
لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ
يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾: وعد وعداً حقاً.
﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
بِالْقِسْطِ﴾: يعده أو بعدلهم في أمورهم.
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾: قيل:
غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب، والتنبيه على أن المقصود بالذات من الإبداء
والإعادة هو الإنابة، وأما العقاب فواقع بالعرض وأنه تعالى يتولى إنابة المؤمنين بما يليق
بلطفه وكرمه ولذلك لم يعيَّنه، وأما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم
أفعالهم^(١).

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾: وقرئ بهمزتين حيث وقع.
﴿وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾: وقدر القمر ذا منازل، أو قدر مسيره منازل، وهذا
كقوله سبحانه: «وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ»^(٢).
﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾: حساب الأوقات من الأشهر والأيام
والليالي.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: الذي هو الحكمة البالغة.

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٣٩ - ٤٤٠.

إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا
وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا
غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَاوِيَهِمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِآيَاتِهِمْ
تَجْرِي مِنَ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾

﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: وقرئ بالياء^(١)، فإيَّاهم المستفوعون بالتأمل

فيها.

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَعْتَقُونَ﴾: العواقب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: لا يتوقعونه لإنكارهم البعث وذهولهم
بالمحسوسات عما وراءها.

﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: من الآخرة لغفلتهم عنها.

﴿وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾: وسكنوا إليها سكون من لا يزعج عنها.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾: ذاهبون عن تأملها ذاهلون عن النظر فيها.

﴿أُولَئِكَ مَاوِيَهِمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: بما واضطربوا عليه وتمرنوا به من

المعاصي.

١ - قرأ أهل البصرة، وابن كثير، وحفص، والعجلي: «يُفَصِّلُ» بالياء، والباقون «نُفَصِّلُ» بالنون. بمجموع البيان:

دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ
 دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ
 لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا
 يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾: بسبب
 إيمانهم للإستقامة على سلوك الطريق المؤدي إلى الجنة.

﴿تَجْرِي مِنَ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: لأن التمسك بسبب السعادة
 كالوصول إليها.

﴿دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ﴾: دعاؤهم فيها اللهم إنا نسيحك تسبيحاً،
 العياشي: عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن التسبيح؟ فقال: اسم من أسماء الله تعالى، ودعوى
 أهل الجنة (١).

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾: وخاتمة دعائهم.
 ﴿أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ * وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ: الذي دعا به
 عند ضجر أو بطر كقولهم: «رفعني الله من بينكم»، وكقولهم: «فأمطر علينا حجارة من
 السماء، أو الشر الذي استحقوه».

﴿اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾: كما يعجل لهم بالخير ويحييهم إليه حين استعجلوه، قيل:
 وضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم في الخير حتى

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا
كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ
لِلْمُتَسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

كان استعجالهم به تعجيل لهم (١).

﴿لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾: لأُمتوا وأهلكوا، وقرئ «لَقَضَى» على البناء للفاعل (٢).

القمي: قال: لو يعجل الله لهم الشر كما يستعجلون الخير لقضى إليهم أجلهم، أي فرغ من أجلهم (٣).

﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: يعني لا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم بل غفلهم إهمالاً.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾: لدفعه مخلصاً فيه.

﴿لِجَنبِهِ﴾: أي مضطجعاً.

﴿أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً﴾: يعني أنه لا يزال داعياً في جميع حالاته لا يفتقر حتى يزول

عنه الضر.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾: على طريقته الأولى قبل أن مسه الضر أو مرّ عن

موقف الدعاء والتضرع لا يرجع إليه.

﴿كَانَ لَمْ يَدْعُنَا﴾: كأنه لم يدعنا.

﴿إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾: كشف الضر.

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٤١، س ٨.

٢- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٤١. ٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٩.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ
 ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ
 تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا
 يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتَ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ
 لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي
 أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التزيين.

﴿زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: من الإنهاسك في الشهوات والإعراض

عن العبادات عند الرِّخاء.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾: بالتكذيب.

﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالحجج الدالة على صدقهم.

﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: لفساد استعدادهم وخذلان الله لعلمه بإصرارهم على

الكفر وأنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن لزمهم الحجة بإرسال الرسل.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾: كل مجرم.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾: استخلفناكم في الأرض.

﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: من بعد القرون التي أهلكناهم.

﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: خيراً أو شراً.

﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتَ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ

هَذَا﴾: قرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذم عبادة الأوثان، والوعيد لعابديها.

قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَيْكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ
عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾

﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾: ^(١) بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة، وتسقط ذكر الآلهة، وذم

عبادتها.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي﴾: ما يصح لي.

﴿أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِ نَفْسِي﴾: من قبل نفسي من غير أن يأمرني بذلك ربي.

﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾: ليس إليّ تبديل ولا نسخ.

﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾: في التبديل والنسخ من عند نفسي ^(٢).

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَيْكُمْ بِهِ: ولا

أعلمكم الله به على لساني، وقرئ ولأدراكم بلام التأكيد أي ولأعلمكم به على لسان
غيري، يعني أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإحداثه أمراً عجبياً خارقاً للعادة، وهو أن
يخرج رجل أمي لم يتعلم ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه العلماء فيقرأ عليكم كتاباً
بهر ^(٣) بفصاحته كل كلام فصيح مشحوناً بعلم ما كان وما يكون.

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾: فقد أقمت فيما بينكم ناشئاً وكهلاً مقدار أربعين

سنة فلم تعرفوني متعاطياً شيئاً من نحو ذلك فتتهموني باختراعه.

١ - في الكافي، والقمي، والعياشي: عن الصادق عليه السلام، قالوا: أو بدّل عليّاً عليه السلام منه ﷺ. النص للأول، راجع

الكافي: ج ١، ص ١٩٤، ح ٣٧، وتفسير القمي: ج ١، ص ٣١٠، س ٣، وتفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٠، ح ١٠ - ١١.

٢ - العياشي: عن الصادق عليه السلام قال لم يزل رسول الله ﷺ يقول: «إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ»
حتى نزلت سورة الفتح، فلم يعد إلى ذلك الكلام. منه ﷺ، راجع تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٠ - ١٢١، ح ١٢.

٣ - البهر: الغلبة، يقال: بهز القمر الكواكب، كمنع: إذا أضاء وغلب ضوءه ضوءها. مجمع البحرين: ج ٣،

ص ٢٣١، مادة «بهر».

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
 الْأَجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
 وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ
 فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾
 وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ
 رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا أنه ليس إلا من

عند الله.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا
 يُفْلِحُ الْأَجْرِمُونَ﴾ * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
 وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ: يتشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا
 والآخرة.

﴿قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: أنخبرونه بما ليس

بمعلوم للعالم بجميع المعلومات، يعني بما ليس بموجود.

﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: وقرئ بالتاء، القمي: كانت قريش يعبدون

الأصنام ويقولون إنما نعبدكم ليقربونا إلى الله زلفى فإننا لا نقدر على عبادة الله، فرد الله
 عليهم، فقال: قل لهم يا محمد: «أتنبئون الله بما لا يعلم» أي ليس يعلم فوضع حرفاً مكان
 حرف، أي ليس له شريك يعبد^(١).

وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ
فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً
مِّن بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسْتَهُمِ إِذَا هُمْ مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ
مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٤١﴾

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: يعني قبل بعث نوح عليه السلام كانوا على الفطرة لا مهتدين ولا ضالاً كما مضى بيانه في سورة البقرة^(١) عند تفسير هذه الكلمة.

﴿فَاخْتَلَفُوا﴾: باتباع الهوى، أو ببعثه الرسل فتبعهم طائفة وأضراب أخرى.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: بتأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة.

﴿لَتَقْضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾: عاجلاً.

﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: ولتتميز الحق من المبطّل، ولكن الحكمة أوجبت أن تكون هذه الدّار للتكليف والاختبار، وتلك للثّواب والعقاب.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: أي من الآيات التي اقترحوها.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾: هو المختصّ بعلمه، ولكلّ أمر أجل.

﴿فَانظُرُوا﴾: لنزول ما اقترحتموه.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾: لما يفعل الله بكم.

﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾: صحّة وسعة.

﴿مِّن بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسْتَهُمِ﴾: كمرض وقحط.

﴿إِذَا هُمْ مَّكْرٌ﴾: فاجؤوا وقوع المكر منهم.

هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ
 بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ
 مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
 الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿فِي آيَاتِنَا﴾: بالظن والإحتيال في دفعها، قيل: قحط أهل مكة سبع سنين حتى
 كادوا يهلكون، ثم لما رحمهم الله بالمطر طفقوا^(١) يقدحون في آيات الله، ويكيدون
 رسوله^(٢).

﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾: منكم قد دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدكم، والمكر:
 إخفاء الكيد، وهو من الله تعالى الإستدراج، والجزاء على المكر.
 ﴿إِنْ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمَكُرُونَ﴾: إعلام بأن ما يظنونونه خافياً غير خاف على الله
 وتحقيق للإنتقام.

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾: يحملكم على السير ويمكنكم منه بتهيئة أسبابه.
 ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾: في السفن.
 ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾: بمن فيها، عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة كأنه يذكر لغيرهم
 ليتعجب من حالهم.

﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾: لينة الهبوب.

﴿وَفَرِحُوا بِهَا﴾: بتلك الريح.

﴿جَاءَتْهَا﴾: جاءت السفن.

١ - طفق يفعل كذا يَطْفُقُ طَفْقًا: أي جعل يفعل كذا. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٠٧، مادة «طفق».

٢ - قاله الزمخشري في تفسيره الكشف: ج ٢، ص ٣٣٧.

فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ
إِنَّمَا بِغْيِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ
فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: شديدة الهبوب.

﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾: من أمكنة الموج.

﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ أَحِيطَ بِهِمْ﴾: أي أهلكوا يعني سدّت عليهم مسالك الخلاص كمن

أحاطت به العدو، وهو مثل في الهلاك.

﴿دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: لأنهم لا يدعون حينئذ غيره معه.

﴿لَئِنْ أَتَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكْرِينَ﴾: على إرادة القول.

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ﴾: إجابة لدعائهم.

﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: فاجتؤوا الفساد فيها، وسارعوا إلى ما كانوا عليه.

﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: مبطلين فيه، وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة فإنها

إفساد بحق.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغْيِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾: فإن وبالاً عليكم أو أنه على أمثالكم

وأبناء جنسكم.

﴿مَتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها، وهو خبر بغيكم

أو خبر محذوف، وقرئ بالتصّب أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا، العياشي: عن الصادق عليه

ثلاث يرجعن على صاحبهن: التّكث، والبغي، والمكر، ثم تلا هذه الآية (١).

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ
الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىهَا
أَتَتْهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ
كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

﴿ثُمَّ إِنَّا مَرَجَعَكُمُ فَتُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: حالها
العجيبة في سرعة تقضيها، وذهاب نعيمها بعد اقبالها، واغترار الناس بها.

﴿كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ
وَالْأَنْعَامُ﴾: من الزروع والبقول والحشيش.

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: زينتها.

﴿وَازَّيَّنَتْ﴾: وتزينت بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة كعروس أخذت
من ألوان الثياب والزین فتزينت بها.

﴿وَوَظَّنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىهَا﴾: متمكنون من حصدها ورفع غلتها.

﴿أَتَتْهَا أَمْرًا﴾: ضربتها عاهة وآفة بعد أمنهم وإيقانهم أن قد سلم.

﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا﴾: فجعلنا زرعها.

﴿حَصِيدًا﴾: شبيهاً بما يحصد من الزرع من أصله.

﴿كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ﴾: كأن لم يوجد زرعها فيما قبله، والأمس: مثل في الوقت

القريب، والممثل به في الآية مضمون الحكاية، وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاماً
بعد ما كان غصناً والتف وزين الأرض حتى طمع فيه أهله وظنوا أنه قد سلم من الآفات، لا
الماء و«إن» وليه حرف التشبيه لأنه من التشبيه المركب.

وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ
قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾

﴿كَذَٰلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ﴾: فإنهم المنتفعون به.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾: أي دار الله، في المعاني: عن الباقر عليه السلام في هذه

الآية قال: إن السلام: هو الله عز وجل، وداره التي خلقها لعباده وأوليائه: الجنة ^(١).

﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: بالتوفيق.

﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: الذي هو طريقها.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾: المثوبة الحسنی.

﴿وَزِيَادَةٌ﴾: وما يزيد على المثوبة تفضلاً، القمي: هي النظر إلى رحمة الله ^(٢).

وعن الباقر عليه السلام أما الحسنی: فالجنة، وأما الزيادة: فالدنیا، ما أعطاهم الله في الدنيا لم

يحاسبهم به في الآخرة، ويجمع لهم ثواب الدنيا والآخرة ^(٣).

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام الزيادة: غرفة من لؤلؤة واحدة، لها أربعة أبواب ^(٤).

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾: ولا يغشاها.

﴿قَتَرٌ﴾: غبرة فيها سواد.

﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: أثر هوان.

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: دائمون لازوال فيها ولا انقراض لنعيمها.

١- معاني الأخبار: ص ١٧٦ - ١٧٧، ح ٢، باب معنى دار السلام. وفيه: «وداره التي خلقها لأوليائه: الجنة».

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١١. ٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١١.

٤- مجمع البيان: ج ٥ - ٦، ص ١٠٤.

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَزْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ
 مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا
 أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَخْشِرُهُمْ
 جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا
 بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾: أي أن تجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزداد عليها، وفيه دلالة على أن المراد بالزيادة: الفضل.

﴿وَتَزْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾: لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه، أو ما لهم من عند الله من يعصمهم كما يكون للمؤمنين.

﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾: لفرط سوادها وظلمتها، وقرئ قطعاً بسكون الطاء.

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: القمي: عن الباقر عليه السلام هؤلاء أهل البدع والشبهات والشهوات يسود الله وجوههم ثم يلقونه، قال: ويلبسهم الذلّة والصغار^(١).

وفي الكافي^(٢)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام أما ترى البيت إذا كان الليل كان أشد سواداً، فكذلك هم يزدادون سواداً^(٣).

﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُهُمْ جَمِيعًا﴾: يعني الفريقين.
 ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾: ألزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا

٢- الكافي: ج ٨، ص ٢٥٢ - ٢٥٣، ح ٣٥٥.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١١.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٢، ح ١٧، وفيه: «وجوههم».

فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ ﴿٢٩﴾
هُنَالِكَ تَبْلُغُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ
وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

ما يفعل بكم.

﴿أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: ففَرَقْنَا بينهم وقَطَعْنَا الوصل التي كانت بينهم،
والقَمِي: يبعث الله ناراً تَزِيلُ ^(١) بين الكفار والمؤمنين ^(٢).

﴿وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَّا كُنْتُمْ إِتَانَا تَعْبُدُونَ﴾: لأنهم إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم
التي حملتهم على الإشرار لا ما أشركوا به أو الشياطين حيث أمروهم أن يتخذوا الله أنداداً
فأطاعوهم.

﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: فإنه العالم بكنه الأمر.
﴿إِنْ كُنَّا﴾: أنه كنا.

﴿عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ﴾ * هُنَالِكَ: في ذلك المقام.
﴿تَبْلُغُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾: تختبر ما قَدِّمْتَ من عمل فتعابن نفعه وضره،
وقرئ تتلو أي تقرأ من التلاوة أو تتبع من التلو.

﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾: ربهم الصادق ربوبيته، المتولي لأمرهم على
الحقيقة، لا ما اتخذوه مولى.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾: وضاع عنهم.
﴿مَّا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾: يدعون أنهم شركاء الله وأنهم تشفع لهم.

١ - زَيَّلَتْهُ فَزَيَّلَ: أي فرقه ففترق. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٨٩، مادة «زيل».

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٢.

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ
وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ قَدْ لَكُمْ اللَّهُ
رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾
كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: جميعاً بأسباب سماوية وأرضية.
﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾: أَمَّنْ يستطيع خلقهما وتسويتها وحفظهما من
الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من أدنى شيء.
﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: من يحيي ويميت.
﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: ومن يلي تدبير أمر العالم.
﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾: إذ لا يقدرُونَ على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه.
﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: عقابه في عبادة غيره.
﴿قَدْ لَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ﴾: أي المتولَّى لهذه الأمور المستحق للعبادة: هو ربكم
الثابت ربوبيته لأنه الذي أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم.
﴿فَإِذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾: يعني: لا واسطة بينهما، فمن تخطأ^(١) الحق وقع في
الضلال.

﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾: عن الحق.
﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: وحكمه.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾

﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾: تمردوا في كفرهم وخرجوا من ^(١) الرشد.
 ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بدل من الكلمة، أي حق عليهم انتفاء الإيمان أو أريد بالكلمة
 العدة بالعذاب، وهو ^(٢) تعليل، وقرئ كلمات.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾: جعل الإعادة كالإبداء في الإلزام بها لظهور برهانها وإن لم
 يساعدوا عليها ولذلك أمر الرسول بأن ينوب عنهم في الجواب.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾: بنصب الحجج وإرسال الرسل،
 والتوفيق للنظر والتدبر.

﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي﴾: لا
 يهتدي، وقرئ بفتح الهاء وتشديد الدال وبالكسر والتشديد.

﴿إِلَّا أَن يُهْدَى﴾: يهديه غيره، القمي: عن الباقر عليه السلام فأما من يهدي إلى الحق فهو
 محمد وآل محمد عليهم السلام من بعده، وأما من لا يهدي إلا أن يهدي، فهو من خالف من قریش
 وغيرهم أهل بيته من بعده ^(٣).

﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: بالباطل.

١- وفي نسخة: [عن الرشد]. ٢- وفي نسخة: [وهذا تعليل].

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٢.

وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
 عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ
 اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ
 فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَسَهُ قُلٌّ فَأَتُوا بِسُورَةٍ
 مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾

﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ﴾: فيما يعتقدون.

﴿إِلَّا ظَنًّا﴾: مستنداً إلى خيالات فاسدة.

﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾: من الاعتقاد الحق.

﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: وعيد على اتباعهم الظن وإعراضهم عن

البرهان.

﴿وَمَا كَانَ﴾: ما صح وما استقام.

﴿هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أن يكون افتراء من الخلق.

﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب المنزلة لأنه معجز دونها وهو

عبار عليها شاهد لصحتها.

﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾: وتبيين ما شرع وفرض من الأحكام من قوله كتاب الله

عليكم.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ * أَمْ يَقُولُونَ﴾: بل يقولون؟

﴿افْتَرَسَهُ﴾: اختلقه.

﴿قُلْ﴾: إن افتريته كما زعمتم.

﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾: في البلاغة، وحسن النظم على وجه الافتراء فإنكم مثلي في

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابٌ كَذَّبَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾

العربية والفصاحة.

﴿وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ﴾: أن تدعوه للإستعانة به على الإتيان بمثله.

﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾: سوى الله فإنه وحده قادر على ذلك لا غير.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إنه افتراء.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾: بل كذبوا بالقرآن قبل أن

يعلموا كنه أمره، ويقفوا على تأويله ومعانيه. لنفورهم عما يخالف ما ألفوه من دين آبائهم ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب، أي عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق، يعني أنه كتاب معجز من جهتين: إعجاز نظمه، وما فيه من الإخبار بالغائبات فسارعوا إلى التكذيب قبل أن ينظروا في بلوغه حد الإعجاز، وقبل أن يختبروا إخباره بالمغيبات، العياشي: عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن الأمور العظام من الرجعة وغيرها، فقال: إن هذا الذي تسألوني عنه لم يأت أوانه قال الله: «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ»^(١)، ومثله: عن الصادق عليه السلام^(٢).

والقمي: قال: نزلت في الرجعة كذبوا بها أي أنها لا تكون^(٣).

في الكافي^(٤)، والمجمع^(٥)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام إن الله خص هذه الأمة بآيتين

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٢، ح ٢٠. ٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٢، ح ١٩.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٢.

٤- الكافي: ج ١، ص ٤٣، ح ٨، باب النهي عن القول بغير علم.

٥- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ١١٠.

وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤١﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ
بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾

من كتابه ألا يقولوا ما لا يعلمون، وأن لا يردوا ما لا يعلمون، ثم قرأ «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق»^(١) وقوله: «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ»^{(٢)(٣)}.

﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أنبيائهم.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾: وعيد لهم بما عوقب به من قبلهم.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾: في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند، أو ومنهم من يؤمن به في المستقبل.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾: في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره أو فيما يستقبل ويصر على الكفر، القتي: عن الباقر عليه السلام هم أعداء محمد وآل محمد عليه السلام من بعده^(٤).

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾: بالمعاندين أو المصترين.

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾: وإن يثبت من إجابتهم وأصرّوا على تكذيبك.

﴿فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

لا تؤاخذون بعلمي ولا أوأخذ بعملكم، يعني تبرأ منهم وخلّهم فقد أعذرت إليهم، قيل: هي

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٣، ح ٢٢.

١- الأعراف: ١٦٩.

٣- لفظ الحديث رواية العياشي، والمعنى مشترك. منه يتبرأ.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٢.

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا
يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى وَلَوْ
كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾

منسوخة بآية القتال^(١).

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا
يقبلون كالأصم الذي لا يسمع.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾: تقدر على إسماعهم.

﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾: ولو انضم إلى صممهم عدم تعقلهم، وفيه تنبيه على أن
حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه، ولهذا لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتى إلا
باستعمال العقل السليم في تدبره، وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومشايعة الألف
والتقليد تعذر أفهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الألفاظ عليهم غير ما
ينتفع به البهائم من كلام الناق^(٢).

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾: ويعاينون دلالات نبوتك ولكن لا يصدقون.

﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى﴾: تقدر على هدايتهم.

﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾: وإن انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة فإن المقصود
من الإبصار هو الإعتبار والإستبصار، والعمدة في ذلك البصيرة، ولذلك يحسد الأعمى
المستبصر ويتفطن ما لا يدركه البصير الأحمق والآية مؤكدة للأمر بالتدبر والإعراض عنهم.

١ - قاله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع ج ٢، ص ١١٣.

٢ - النعيق: صوت الراعي بغنمه، وقد نَقَى الراعي بغنمه ينقى بالكسر نَعِيقًا ونُعَاقًا ونَعَقَانًا: أي صاح بها
وزجرها. الصحاح ج ٤، ص ١٥٥٩، مادة «نق».

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾
 وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ
 بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾
 وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ
 اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾: لا ينقصهم شيئاً مما يتصل بمصالحهم من الحواس والعقول.

﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بإفسادها وتفويت منافعها عليهم، في الكافي: عن الباقر عليه السلام إِنَّ اللَّهَ الْحَلِيمَ الْعَلِيمَ إِنَّمَا غَضِبَهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ رِضَاهُ، وَإِنَّمَا يَنْعَمُ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ عَطَاءَهُ، وَإِنَّمَا يَضِلُّ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ هِدَاةَ ^(١) الْحَدِيثِ.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: وقرئ بالياء.

﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾: يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا أو القبور لهول ما يرون.

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلاً، قيل: إِنَّ ذَلِكَ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الْقُبُورِ ثُمَّ يَنْقَطِعُ التَّعَارُفُ لَشِدَّةِ الْأَمْرِ عَلَيْهِمْ ^(٢).

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ * وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ

١- الكافي: ج ٨، ص ٥٢-٥٣، رسالة أبي جعفر عليه السلام إلى سعد الخير.

٢- قاله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع: ج ٢، ص ١١٤. وفيه: «ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم».

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾

الَّذِي نَعِدُهُمْ: من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر، القمّي: من الرجعة وقيام
القائم عليه (١).

﴿أَوْ تَتَوَفَّيْتَك﴾: قبل أن نريك.

﴿فَالَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: فنريكه في الآخرة.

﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾: مجاز عليه ذكر الشهادة وأراد مقتضاها ولذلك
رتبها على الرجوع به أو المراد يشهد على أفعالهم يوم القيامة.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾: بالبينات فكذبوه أو يوم القيامة ليشهد
عليهم.

﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الرسول ومكذبيه.

﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل، فأنجي الرسول، وعذب المكذبون.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: العياشي: عن الباقر عليه السلام تفسيرها في الباطن أن لكل قرن من

هذه الأمة رسولا من آل محمد - صلوات الله عليهم - يخرج إلى القرن الذي هو إليهم رسول وهم
الأولياء، وهم الرسل، وأما قوله: «فإذا جاء رسوله بينهم بالقسط» فإن معناه أن
رسل الله يقضون بالقسط وهم لا يظلمون (٢).

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: استعجال لما وعدوا من العذاب، أو استبعاد له.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: شاركوا النبي والمؤمنين في الخطاب.

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ
 إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتُخْرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ
 أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: فكيف أملك لكم الضر.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: أن أملكه أو ما شاء الله وقوعه فيقع.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: لهلاكهم.

﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتُخْرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: إذا جاء ذلك الأجل

أنجز وعدكم، العياشي: عن الصادق عليه السلام هو الذي سمي لملك الموت في ليلة القدر^(١).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني.

﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾: الذي تستعجلونه.

﴿بَيِّنَاتٍ﴾: وقت بيات واشتغال بالنوم.

﴿أَوْ نَهَارًا﴾: حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم.

﴿مَّاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾: أي شيء من العذاب يستعجلونه وليس شيء

منه يوجب الاستعجال، وضع المجرمون موضع الضمير للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي أن

يفزعوا لمحيء العذاب لا أن يستعجلوه، القمي: عن الباقر عليه السلام هذا عذاب ينزل في آخر

الزمان على فسقة أهل القبلة، وهم يجحدون نزول العذاب عليهم^(٢).

وفي الجمع: عنه عليه السلام ما في معناه^(٣).

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٢.

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٣، ح ٢٤.

٣- مجمع البيان: ج ٥، ص ١١٥.

أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ءَالْأَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٢﴾
 قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ
 تَكْسِبُونَ ﴿٥٣﴾ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا
 أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٤﴾

﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾: بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان به.
 ﴿ءَالْأَنَ﴾: على إرادة القول، أي قيل لهم: إذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم.
 ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾: تكذيباً واستهزاءً.
 ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾:
 من الكفر والمعاصي.

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾: ويستخبرونك.
 ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾: أحق ما تقول من الوعد والوعيد وغير ذلك، وفي الكافي: عن
 الصادق عليه السلام ما تقول في علي عليه السلام (١).

وفي المجالس (٢)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام ويستنبئك أهل مكة عن علي إمام هو (٣).
 والقمي: مثله (٤).

﴿قُلْ إِي﴾: نعم.
 ﴿وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: فائتين إياه.

١- الكافي: ج ١، ص ٤٣٠، ح ٨٧، باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية.

٢- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٥٣٥ - ٥٣٦، ح ١٧ المجلس السادس والتسعون.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٣، ح ٢٥. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٣.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا
 النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا
 يُظْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ
 اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾: من خزائنها وأموالها.
 ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾: لجعلته فدية لها من العذاب.

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾: لأنهم هبتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من
 فظاعة الأمر وهوله، القمّي: ظلمت يعني آل محمد - صلوات الله عليهم - حقهم لافتدت به، يعني
 في الرجعة^(١).

في المجمع^(٢)، والقمّي^(٣)، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام إنه سئل ما ينفعهم إسرار
 الندامة وهم في العذاب؟ قال: كرهوا شاة الأعداء^(٤).

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾: أي بين الظالمين والمظلومين.
 ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ * أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: تقرير لقدرته
 تعالى على الإنابة والعقاب.

﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: لا خلف فيه.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لأن علمهم لا يتجاوز الظاهر من الحياة الدنيا.

٢- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ١١٦.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٣.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢٣، ح ٢٦.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٣.

يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي
الْصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ
فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ * يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ: أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد، في الإلهيلجة: عن الصادق عليه السلام إنه شفاء من أمراض الخواطر، ومشتبهات الأمور (١).

وفي الكافي: في الحديث القدسي من نفث (٢) الشيطان (٣).
والعياشي: عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه شكاه إليه رجل وجعاً في صدره فقال استشف بالقرآن فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «وشفاء لما في الصدور» (٤).
والقمي: قال: بعد ذكر الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والقرآن (٥).
﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾: أي إن فرحوا بشيء فيها ليفرحوا.
﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: من حطام الدنيا، وقرئ بالتاء، في المجمع (٦)، والجوامع:

١ - بحار الأنوار: ج ٣، ص ١٥٢، ح ١، باب ٥ - الخبر المروي عن المفضل بن عمر في التوحيد المشتهر بالألهيلجة.

٢ - النفث: شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل لأن التفل لا يكون إلا ومعه شيء من الريق، والنفث نفخ لطيف بلا ريق، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٦٦، مادة «نفث».

٣ - الكافي: ج ٢، ص ٦٠٠، ح ٧، كتاب فضل القرآن.

٤ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٤، ح ٢٧.

٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٣.

٦ - مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ١١٧.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا
وَحَلَالًا قُلْ ءَاَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾

عن الباقر عليه السلام فضل الله: رسول الله، ورحمته: علي بن أبي طالب ^(١).

وزاد القمي: فبذلك فليفرح شيعتنا هو خير مما أعطوا أعداءنا من الذهب والفضة ^(٢).

والعياشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام ما في معناه ^(٣).

وفي المجالس: عن النبي صلى الله عليه وآله فضل الله: نبوة نبيكم، ورحمته: ولاية علي بن أبي طالب، فبذلك: قال: بالنبوة والولاية، فليفرحوا: يعني الشيعة، هو خير مما يجمعون: يعني مخالفهم من الأهل والمال والولد في دار الدنيا ^(٤).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام ما يقرب منه ^(٥).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني.

﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ﴾: حلال كله.

﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾: فجعلتم بعضه حراماً وبعضه حلالاً مثل «هَذِهِ

أَنْعَامٌ وَحَرِّثُ جِبْرَ» «مَا فِي بَطُونِ هَذِهِ أَلَا نَعْمُ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَرْوَاجِنَا» ^(٦).

﴿قُلْ ءَاَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾: في التحريم والتحليل فتقولون: ذلك بحكمه.

﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾: في نسبة ذلك إليه.

١- جوامع الجامع: ج ٢، ص ١١٧. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٣.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٤، ح ٢٨.

٤- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٩٩ - ٤٠٠، ح ١٣، المجلس الرابع والسبعون.

٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٤، ح ٢٩. ٦- الأنعام: ١٣٨ - ١٣٩.

وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ
 لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا
 تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ
 إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ
 مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا
 أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: أي شيء ظنهم.
 ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: أيحسبون أن لا يجازوا عليه؟ وهو تهديد عظيم حيث أتهم الأمر.
 ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: بما فعل بهم من ضروب الأنعام.
 ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: نعمه.
 ﴿وَمَا تَكُونُ﴾: يا محمد.
 ﴿فِي شَأْنٍ﴾: في أمر.
 ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ﴾: من الشأن.
 ﴿مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ﴾: أنتم جميعاً.
 ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: نخوضون فيه وتندفعون.
 في المجمع: عن الصادق ^(١) والقمي: قال: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ هذه الآية بكى
 بكاءً شديداً ^(٢).

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾: وما يبعد وما يغيب عن علمه، وقرئ بكسر الزاي.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٢﴾ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ٦٣

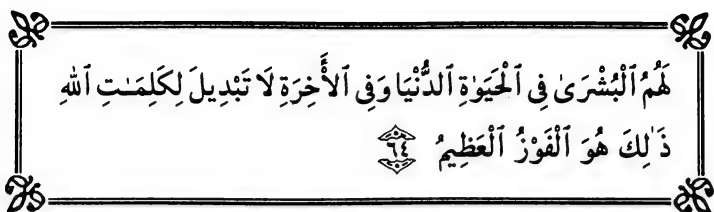
﴿مِنْ مَثْقَلِ ذَرَّةٍ﴾: ما يوازن غلّة صغيرة أو هباء.
 ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ
 مُبِينٍ﴾: إستئناف مقرر لما قبله، وقرئ بالرفع فيها.
 ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: من لحوق مكروهه.
 ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: بفوات مأمول.
 ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: بيان لأولياء الله أو استئناف خبره ما بعده،
 العياشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام هم نحن، وأتباعنا ممن تبعنا من بعدنا طوبى لنا، وطوبى لهم،
 وطوباهم أفضل من طوبانا، قيل: ما شأن طوباهم أفضل من طوبانا؟ ألسنا نحن وهم على
 أمر؟ قال: لا، أنتم حملوا ما لم تحملوا، وأطاقوا ما لم تطيقوا^(١).
 وفي الإكمال: عن الصادق عليه السلام طوبى لشيعتنا قائمنا المنتظرين لظهوره في غيبته،
 والمطيعين له في ظهوره، أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون^(٢).
 وفي الجوامع عن النبي صلى الله عليه وآله إنه سئل عن أولياء الله؟ فقال: هم الذين يذكر الله
 برؤيتهم يعني في السمّت^(٣) والهيئة^(٤).

١ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٤، ح ٣٠. وفيه: «قال: لا، لأنهم حملوا».

٢ - إكمال الدين وإقام النعمة: ص ٣٥٧، ح ٥٤، باب ٣٣ - ما روي عن الصادق عليه السلام من النص على القائم عليه السلام وذكر غيبته وأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام.

٣ - السمّت: عبارة عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار، وحسن السيرة والطريقة، واستقامة النظر والهيئة. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٠٦، مادة «سمّت».

٤ - جوامع الجامع: ج ٢، ص ١١٩.



وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله من عرف الله وعظمه منع فاه من الكلام، وبطنه من الطعام، وعن نفسه بالصيام والقيام، قالوا بآبائنا وأمّهاتنا يا رسول الله هؤلاء أولياء الله؟ قال: إن أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً، ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة، لولا الآجال التي كتبت عليهم لم تقرّ أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب^(١).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب علي بن الحسين عليه السلام «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» إذا أدّوا فرائض الله، وأخذوا بسنن رسول الله صلى الله عليه وآله، وتورّعوا عن محارم الله، وزهدوا في عاجل زهرة الدنيا، ورجعوا فيما عند الله، واكتسبوا الطيب من رزق الله لا يريدون التفاخر والتكاثر، ثم أنفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبة. فأولئك الذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا ويثابون على ما قدّموا لآخرتهم^(٢).

وفي المجمع: عن السجاد عليه السلام مثله^(٣).

﴿هُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾: في الكافي^(٤)، والفقيه عن

النبي صلى الله عليه وآله^(٥)، والقمي: «البشرى في الحياة الدنيا»: هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن فيبشر

١- الكافي: ج ٢، ص ٢٣٧، ح ٢٥، باب المؤمن وعلاماته وصفاته.

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٤، ح ٣١. ٣- مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ١٢٠.

٤- الكافي: ج ٨، ص ٩٠، ح ٦٠- حديث الأعلام والحجة على أهل ذلك الزمان.

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٧٩-٨٠، ح ٣٥٦/١١، باب ٢٣- غسل الميت.

بها في دنياه^(١).

وزاد في الفقيه: وأما قوله «في الآخرة»: فإنها بشارة المؤمن عند الموت يبشر بها عند موته، إن الله عز وجل قد غفر لك ولمن يملكك إلى قبرك^(٢).

والقمي: «وفي الآخرة»: عند الموت، وهو قوله تعالى: «الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَذْخُلُوا الْجَنَّةَ»^{(٣)(٤)}.

وفي الجوامع: عن النبي ﷺ هي في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه، أو يرى له، وفي الآخرة الجنة^(٥).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية يبشرهم بقيام القائم، وبظهوره، وبقتل أعدائهم، وبالنجاة في الآخرة، والورود على محمد وآله الصادقين على الحوض^(٦).

وعن الصادق عليه السلام إن الرجل إذا وقعت نفسه في صدره يرى رسول الله ﷺ فيقول له أنا رسول الله أبشر، ثم يرى علي بن أبي طالب عليه السلام فيقول له: أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبه، أنا أنفك اليوم، قال: وذلك في القرآن قوله عز وجل: «الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ»^(٧).

وفيه^(٨)، والعياشي: في معناه أخبار أخر^(٩).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام إنما أحدكم حين يبلغ نفسه هاهنا ينزل عليه ملك الموت

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٤.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٧٩-٨٠، ح ٣٥٦/١١، باب ٢٣- غسل الميت.

٣- النحل: ٣٢. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٤.

٥- جوامع الجامع: ج ٢، ص ١١٩. وفيه: «أو ترى له».

٦- الكافي: ج ١، ص ٤٢٩-٤٣٠، ذيل ح ٨٣، باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية.

٧- الكافي: ج ٣، ص ١٣٣، ح ٨، باب ما يعاين المؤمن والكافر.

٨- الكافي: ج ٣، ص ١٣٢-١٣٣، ح ٥٥ و ٧، باب ما يعاين المؤمن والكافر.

٩- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٥، ح ٣٣.

وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا
 إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ
 يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
 يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾

فيقول له: أما ما كنت ترجو فقد أعطيته، وأما ما كنت تخافه فقد أمنت منه ويفتح له باب إلى منزله من الجنة، ويقال له: أنظر إلى مسكنك من الجنة، وأنظر هذا رسول الله وأمير المؤمنين والحسن والحسين - صلوات الله عليهم - رفقاً و هو قول الله: «الذين آمنوا وكانوا يتقون»^(١)، الآية.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده، وهو اعتراض.
 ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين.
 ﴿هُوَ أَفْزَرُ الْعَظِيمِ﴾ * وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾: تكذيبهم وتديبرهم في إبطال أمرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك.

﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: إنَّ القهر والغلبة جميعاً لله لا يملك أحد شيئاً منها غيره، فهو يغلبهم وينصرك عليهم: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا»^(٢).

﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾: لما يقولون.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بما يعزمون فيكافئهم بذلك.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: من الملائكة والتقلين، وإذا كان هؤلاء عبيداً له وهم في مملكته لا يصلح أحد منهم للإلهية مع كونهم عقلاء مميّزون فما لا

١ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٤ - ١٢٥، ح ٣٢.

٢ - غافر: ٥١.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

يُمَيِّزُ وَلَا يَعْقِلُ أَحَقُّ أَنْ لَا يَكُونَ شَرِيكَاً لَهُ.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾: اقتصر على أحدهما، أي شركاء على الحقيقة وإن كانوا يسمونها شركاء أو المعنى وما يَتَّبِعُونَ يقيناً، فحذف لدلالة ما بعده عليه.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: إِلَّا ظَنَّهُمْ أَمْهُمْ شركاء.
 ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يَقْدِرُونَ تَقْدِيرًا بَاطِلًا، وَبِجُوزِ أَنْ يَكُونَ «مَا» استسهامية يعني وأي شيء يَتَّبِعُونَ؟ أو موصولة عطفاً على «مَنْ» بمعنى والله ما يَتَّبِعُونَهُ.
 ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: سَمَاعٌ تَدَبَّرَ وَتَفَهَّمَ.
 ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: يَعْنِي بَنِيًّا.

﴿سُبْحَنَهُ﴾: تَنْزِيهِهُ لَهُ وَتَعْجَبٌ مِنْ كَلِمَتِهِمُ الْحَمَاءَ.

﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾: لَا يَحْتَاجُ إِلَى اتِّخَاذِ الْوَلَدِ.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: تَقْرِيرٌ لِّغَنَاهُ.

﴿إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا﴾: مَا عِنْدَكُمْ مِنْ حُجَّةٍ بِهَذَا الْقَوْلِ.

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: تَوْبِيخٌ وَتَقْرِيعٌ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ وَجَهْلِهِمْ لِمَا نَفَى

قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونَ ﴿٧١﴾

عنهم الحجة جعلهم غير عالمين فدل ذلك على أن كل قول ليس عليه برهان فهو جهل ليس بعلم.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: باتخاذ الولد وإضافة الشريك إليه.
﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾: لا ينجون من النار، ولا يفوزون بالجنة.

﴿مَتَّعُ فِي الدُّنْيَا﴾: افتراؤهم تمتع في الدنيا سير، يقيمون به رئاستهم في الكفر.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: بالموت فيلقون الشقاء المؤبد.

﴿ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾: بسبب كفرهم.

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنْ كَانَ كَبُرَ﴾: عظم وشق.

﴿عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾: مكاني أو إقامتي بينكم مدة مديدة، أو قياسي على الدعوة.

﴿وَتَذَكِيرِي﴾: إياكم.

﴿بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾: فيه وثقت.

﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾: فاعزموا على ما تريدون.

﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾: مع شركاءكم واجتمعوا على السعي في إهلاكه.

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: مستوراً واجعلوه ظاهراً مكشوفاً من غمته إذا

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَتَبَايَعُوا مَعَهُ فِي الْفُلِكِ
وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَتِفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكِبِينَ ﴿٧٣﴾

ستره، والقمي: لا تفتنوا^(١).

﴿ثُمَّ أَفْضُوا إِلَيَّ﴾: أدوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون بي، والقمي: ثم ادعوا علي^(٢).

﴿وَلَا تُنْظِرُونَ﴾: ولا تمهلوني.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم عن تذكيري.

﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾: يوجب توليكم لثقله عليكم، واتهامكم إياي لأجله.

﴿إِنْ أَجَرِيَ﴾: ما ثوابي على الدعوة والتذكير.

﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾: لا تعلق له بكم يشيني به آمتم به أو توليتم.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين لحكمه لأخالف أمره، ولا أرجو

غيره.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: فأصروا على تكذيبه بعد ما ألزمهم الحجّة، وكان تكذيبهم له في آخر

المدة الطويلة كنتكذيبهم في أولها.

﴿فَتَبَايَعُوا مَعَهُ فِي الْفُلِكِ﴾: من الغرق.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَتِفَ﴾: خلفاء لمن هلك بالغرق.

﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: بالطوفان.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَبَجَاءُواهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا
كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذٰلِكَ نَطْبِعُ عَلَىٰ قُلُوبِ
الْمُتَعَدِّينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَآئِيهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَدْرِبِينَ﴾: تعظيم لما جرى عليهم، وتحذير لمن كذب
الرسول عن مثله وتسليية له.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾: أرسلنا من بعد نوح.
﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾: يعني هوداً، وصالحاً، وإبراهيم، ولوطاً، وشعيباً، كلاً إلى
قومه.

﴿فَبَجَاءُواهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم.
﴿فَمَا كَانَُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: فما استقام لهم أن يؤمنوا الشدة تصممهم على الكفر.
﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾: يعني في الذر، وقد مضت الأخبار في هذا المعنى في سورة
الأعراف (١).

﴿كَذٰلِكَ نَطْبِعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُتَعَدِّينَ﴾: بالخذلان لإنهاكهم في الضلال واتباع
المألوف.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: من بعد هؤلاء الرسل.
﴿مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَآئِهِ﴾: وحزبه.
﴿بِآيَاتِنَا﴾: بالآيات التسع.

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ
 مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلَحُ
 السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
 وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾: عن اتباعها.

﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: معتادين الإجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم،
 واجتروا على ردها.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾: وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة
 للشك^(١).

﴿قَالُوا﴾: من فرط تمردهم.

﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾: ظاهر.

﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾: إنه لسحر حذف محكي القول لدلالة ما

قبله وما بعده عليه، والمعنى: أتعيبون الحق وتطعنون فيه؟

﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾: استئناف بانكار ما قالوه وليس بمحكي القول لأنهم بتوا القول.

﴿وَلَا يُفْلَحُ السَّاحِرُونَ﴾: من تمام كلام موسى.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾: لتصرفنا.

﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: من عبادة الأصنام.

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾: أي الملك فيها لا تصاف الملوك بالكبر.

١ - اقتباس من أنوار التنزيل، ج ١، ص ٤٥٤، س ٢٠، وفيه: «بتظاهر المعجزات الباهرة المزيعة للشك».

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى
 مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ
 ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَمَّا أَمْنٌ
 لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن
 يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾

﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾: مصدقين فيما جئنا به.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾: حاذق فيه، وقرئ ساحر^(١).
 ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾: فلما ألقوا قال موسى
 مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ: أي الذي جئتم به، لا ما سميتموه سحراً، وقرئ السحر بقطع الألف
 ومدّها على الاستفهام، فـ«ما» استفهاميّة.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾: سيمحقه ويظهر بطلانه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾: لا يثبتّه ولا يقويه.

﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ﴾: يثبتّه.

﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾: بأوامره، وقضاياه.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾: فأما أمن لموسى: في مبدء أمره.

١ - وفي نسخة: [سحار]. وقال الطبرسي: قرأ أهل الكوفة غير عاصم بكل سحار بالتشديد، والباقون ساحر
 على وزن فاعل، وقرأ أبو جعفر، وأبو عمرو: السحر بقطع الألف ومدّها على الاستفهام، والباقون السحر
 موصولة على الخبر. مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ١٢٥، في القراءة.

وَقَالَ مُوسَى يَنْقُومُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَىٰ اللّٰهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾

﴿إِلَّا ذُرِّيَّتَهُ مِّنْ قَوْمِهِ﴾: إلا أولاد من قوم موسى يعني بني إسرائيل، أو قوم فرعون. قيل: دعاهم فلم يجيبوه خوفاً من فرعون إلا طائفة من شبانهم^(١).
 ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾: أي حزب آل فرعون.
 ﴿أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾: أن يعذبهم فرعون.
 ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾: لقاها فيها.
 ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾: في الكبر والعتو والظلم والفساد حتى ادّعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء.

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾: لما رأى تحوُّف المؤمنين به.
 ﴿يَنْقُومُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾: فتقوا به وأسندوا أمركم إليه، واعتمدوا عليه.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾: مستسلمين لقضاء الله مخلصين له، وليس هذا تعليق الحكم بشرطين فإنَّ المعلق بالإيمان وجوب التوكُّل فإنَّه المقتضى له والمشرط بالإسلام حصوله، فإنَّه لا يوجد مع التخليط، ونظيره إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت.
 ﴿فَقَالُوا عَلَىٰ اللّٰهِ تَوَكَّلْنَا﴾: لأنَّهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك أُجيبَت دعوتهم.
 ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾: موضع فتنة.
 ﴿لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا أو يعذبونا، في المجمع

وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ
وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾

عنها عليه السلام (١)، والعياشي: مقطوعاً لا تسلطهم علينا فتفتنهم بنا (٢).

والقمي: عن الباقر عليه السلام إن قوم موسى استعبدهم آل فرعون وقالوا: لو كان لهؤلاء كرامة كما يقولون ما سلطنا عليهم، وقال موسى لقومه: «يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ» الآية (٣). أقول: هذه الرواية تفسير الرواية الأولى.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: من كيدهم واستعبادهم إيانا.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا﴾: اتخذاً مباءة أي مرجعاً.

﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾: ترجعون إليها للعبادة.

﴿وَأَجْعَلُوا﴾: أنما وقومكما.

﴿بُيُوتَكُمْ﴾: تلك البيوت.

﴿قِبْلَةً﴾: مصلًى.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: فيها (٤)، القمي: عن الكاظم عليه السلام لما خافت بنو إسرائيل

جبارتها أوحى الله إلى موسى وهارون «أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً»، قال: أمروا أن يصلوا في بيوتهم (٥).

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى، في العلل (٦)، والعياشي:

٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٧، ح ٣٨.

١- مجمع البيان: ج ٥، ص ٦٢٨.

٤- أي في بيوتكم.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٤.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٥.

٦- علل الشرائع: ص ٢٠١-٢٠٢، ح ٢، باب ١٥٤- العلة التي من أجلها سد رسول الله صلوات الله عليه وآله الأبواب كلها

وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ
وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٨﴾

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خطب النَّاسَ فقال: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ مُوسَى وَهَارُونَ أَنْ يَبْنِيَا لِقَوْمِهِمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا، وَأَمَرَهُمَا أَنْ لَا يَبْنِيَا فِي مَسْجِدِهِمَا جَنْبَ، وَلَا يَقْرَبُ فِيهِ النِّسَاءَ إِلَّا هَارُونَ وَذَرِيَّتَهُ، وَأَنْ عَلِيًّا مَتَى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْرَبَ النِّسَاءَ فِي مَسْجِدِي، وَلَا يَبْنِي فِيهِ جَنْبًا إِلَّا عَلِيٌّ وَذَرِيَّتُهُ، فَمَنْ سَاءَ ذَلِكَ فَهَاهُنَا وَضَرَبَ بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ^(١)، وَفِي الْعِيُونِ: مَا يَقْرَبُ مِنْهُ^(٢).

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً﴾: مَا يَتَزَيَّنُ بِهِ مِنَ اللَّبَاسِ وَالْفَرَشِ وَالْمَرَاقِبِ وَنَحْوِهَا.

﴿وَأَمْوَالًا﴾: وَأَنْوَاعًا مِنَ الْمَالِ.

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوْا عَنْ سَبِيلِكَ﴾: الْقَمِي: أَيِ يَفْتِنُوا النَّاسَ بِالْأَمْوَالِ لِيَعْبُدُوهُ وَلَا يَعْبُدُواكَ وَاللَّامُ لِلْعَاقِبَةِ^(٣).

﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾: أَهْلَكْهَا وَاحْمَقْهَا.

﴿وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: وَاقْسِهَا، وَاطْبَعْ عَلَيْهَا حَتَّى لَا تَنْشُرَ لِلْإِيمَانِ.

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: لَمَّا لَمْ يَبْقَ لَهُ طَمَعٌ فِي إِيْمَانِهِمْ اشْتَدَّ غَضَبُهُ

١ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٧، ح ٣٩.

إلى المسجد وترك باب علي عليه السلام.

٢ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٣٢، ح ١، باب ٢٣ - ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٥.

العترة والأئمة.

قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا

يَعْلَمُونَ ١٨٩

عليهم فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره ليشهد عليهم أنهم لا يستحقون إلا الخذلان، وأن يخلّى بينهم وبين إضلالهم، ومعنى الطمس على الأموال: تغييرها عن جهتها إلى جهة لا ينتفع بها، قيل: صارت جميع أموالهم حجارة^(١).

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾: يعني موسى وهارون، قيل: كان موسى داعياً وهارون يؤمن فسمّاهما داعيين^(٢).

في الكافي: عن النبي ﷺ دعا موسى وأمن هارون وأمنت الملائكة، قال الله تعالى: «قد أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا» ومن غزا في سبيل الله أُستجيب له كما أُستجيب لهما يوم القيامة^(٣).

﴿فَاسْتَقِيَا﴾: فأثبتنا على ما أُنتم عليه من الدعوة، وإلزام الحجة، ولا تستعجلا فإنّ ما طلبتما كائن، ولكن في وقته.

في الكافي^(٤)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام كان بين قول الله عزّ وجلّ: «قد أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا» وبين أخذ فرعون أربعين سنة^(٥).

وفي الخصال: عن الباقر عليه السلام أملى^(٦) الله لفرعون ما بين الكلمتين^(٧) أربعين سنة، ثمّ

١- جوامع الجامع: ج ٢، ص ١٢٦.

٢- قاله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع: ج ٢، ص ١٢٦.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٥١٠، ح ٨، باب من تستجاب دعوته.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٤٨٩، ح ٥، باب من أبطأت عليه الإجابة.

٥- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٧، ح ٤٠.

٦- أملى الله له: أمهله وطوّله. مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٩٧، مادة «ملا».

٧- أي قوله تعالى: «أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى» النازعات: ٢٤، وقوله: «مَنْ عَظِمَتْ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي» القصص: ٣٨.

وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا
وَعَدُوا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي
ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾

أخذه الله نكال الآخرة والأولى، وكان بين ما قال الله لموسى وهارون: «قد أُجيبَت دعوتكما» وبين أن عرّفه الإجابة أربعين سنة، ثم قال: قال جبرئيل ﷺ نازلت ربي في فرعون منازلة شديدة فقلت: يا رب تدعه وقد قال: «أنا ربكم الأعلى»؟^(١) فقال: إنما يقول: مثل هذا عبد مثلك^(٢).

﴿وَلَا تَتَّبِعَانَّ﴾: قرئ بتخفيف النون.

﴿سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: طريق الجهلة في الاستعجال وعدم الوثوق، والإطمئنان بوعده الله.

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾: عبرنا بهم حتى جاوزوه سالمين.
﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾: لحقهم.

﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوا﴾: باغين وعادين، العياشي مرفوعاً: لما صار موسى في البحر أتبعه فرعون وجنوده، قال: فتهيب فرس فرعون أن يدخل البحر فتمثل له جبرئيل على رَمَكَة^(٣) فلما رأى فرس فرعون الرمكة أتبعها فدخل البحر هو وأصحابه فغرقوا^(٤).

١- النازعات: ٢٤.

٢- الخصال: ص ٥٣٩ - ٥٤٠، ح ١١، باب أُملي الله تبارك وتعالى لفرعون بين كلمتيه أربعين سنة. أبواب الأربعين وما فوقه.

٣- الرمك والرمكة - بالتحريك فيها -: الأنثى من البراذين. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٦٩، مادة «رمك».

٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٧ - ١٢٨، ح ٤١.

ءَالْسَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ
 تُنْجِيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ
 ءَايَتِنَا لَعَافِلُونَ ﴿٩٢﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ﴾: وقد قرئ بالكسر على الإستئناف.
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتَ بِهِ بُنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: كَرَّرَ المعنى
 الواحد ثلاث مرَّات بثلاث عبارات حرصاً على القبول، ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته،
 وقاله في وقت الإلجاء، وكانت المرَّة الواحدة كافية وقت الإختيار، وبقاء التكليف.
 ﴿ءَالْسَنَ﴾: تؤمن وقد آيسست من نفسك ولم يبق لك إختيار.

﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾: قبل ذلك، مدَّة عمر.

﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾: الضالين المضلين عن الإيمان، القمِّي: عن الصادق عليه السلام
 ما أتى جبرئيل عليه السلام رسول الله ﷺ إلَّا كنيباً حزيناً ولم يزل كذلك منذ أهلك الله فرعون فلما أمره الله
 بنزول هذه الآية «وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» نزل عليه وهو ضاحك مستبشر،
 فقال له رسول الله ﷺ: ما أتيتني يا جبرئيل إلَّا وتبينت الحزن من وجهك حتَّى الساعة، قال:
 نعم يا محمد ﷺ لما غرق الله فرعون «قَالَ ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتَ بِهِ بُنُو إِسْرَءِيلَ
 وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ»، فأخذت حمة فوضعتها في فيه ثم قلت له: «ءَالْسَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ
 وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» وعملت ذلك من غير أمر الله عزَّ وجلَّ ثم خفت أن تلحقه الرِّحمة من الله
 عزَّ وجلَّ ويعذَّبني الله على ما فعلت، فلما كان الآن وأمرني الله عزَّ وجلَّ أن أؤدِّي إليك ما قلته
 أنا لفرعون أمنت وعلمت أن ذلك كان لله تعالى رضاءاً^(١).

﴿فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ بِدَنِكَ﴾: ننقذك عارياً من الرُّوح ممَّا وقع فيه قومك من البحر،

ونلقيك على نجوة من الأرض، وهي المكان المرتفع ليراك بنو إسرائيل.

﴿لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ﴾: لمن وراءك وهم بنو إسرائيل.

﴿آيَةٌ﴾: علامة يظهر لهم عبوديتك ومهانتك، وإن ما كنت تدعيه من الربوبية

محال إذ كان في أنفسهم أن فرعون أجلّ شأنًا من أن يغرق.

القمي: أن موسى أخبر بني إسرائيل أن الله قد أحرق فرعون فلم يصدقوه فأمر الله

عز وجل البحر فلفظ به على ساحل البحر حتى رآوه ميتاً^(١)، ويأتي تمام الكلام فيه.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَفُلُونَ﴾: لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون

بها، في العيون: عن الرضا عليه السلام أنه سئل لأيّ علّة غرق الله تعالى فرعون وقد آمن به وأقرّ

بتوحيده؟ قال: لأنه آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول، وذلك حكم

الله تعالى ذكره في السلف والخلف قال الله تعالى: «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا

بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا»^(٢)، وقال عز وجل: «يَوْمَ يَأْتِي

بَعْضُ ءَايَتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»^(٣).

وهكذا فرعون لما أدركه الغرق قال: «ءَأَمَّنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا

مِنَ الْمُتَسْلِمِينَ»، فقيل له: «ءَالْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ

لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً» وقد كان فرعون من قرنه إلى قدمه في الحديد وقد لبسه على بدنه فلما

غرق ألقاه الله تعالى على نجوة من الأرض ببدنه ليكون لمن بعده علامة فيرونه مع تنقله

بالحديد على مرتفع من الأرض، وسبيل الثّقل أن يرسب ولا يرتفع، فكان ذلك آية وعلامة،

ولعلّة أخرى أغرقه الله عز وجل وهي: أنه استغاث بموسى لما أدركه الغرق ولم يستغث بالله

تعالى فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى لم تُغث فرعون لأنك لم تخلقه ولو استغاث بي

لأغثته^(٤).

٢- غافر: ٨٤ - ٨٥.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٦.

٣- الأنعام: ١٥٨.

٤- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٧٧-٧٨، ح ٧، باب ٣٢- في ذكر ما جاء عن الرضا عليه السلام من العلل.

وَالْقَمِي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قالوا: يا موسى ادع الله تعالى أن يجعل لنا ممّا نحن فيه فرجاً، فدعا فأوحى الله إليه أن سر بهم، قال: يا رب البحر أمامهم، قال: امض فإنّي أمره أن يطيعك فينفرج لك، فخرج موسى ببني إسرائيل وأتبعهم فرعون حتّى إذا كاد أن يلحقهم ونظروا إليه قد أظلم قال موسى للبحر: انفرج لي، قال: ما كنت لأفعل، وقالت بنو إسرائيل لموسى غررتنا وأهلكتنا فليتك تركتنا يستعبدنا آل فرعون ولم نخرج الآن نقتل قتلة، قال: «كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ»^(١)، واشتدّ على موسى ما كان يصنع به عامّة قومه، وقالوا: يا موسى «إِنَّا لَمَدْرُكُونَ»^(٢)، زعمت أنّ البحر ينفرج لنا حتى غضي ونذهب وقد رهقنا^(٣) فرعون وقومه وهم هؤلاء تراهم قد دنوا منا، فدعا موسى ربّه فأوحى الله إليه «أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ»^(٤) فضربه فانفلق البحر فضى موسى وأصحابه حتّى قطعوا البحر وأدركهم آل فرعون فلمّا نظروا إلى البحر قالوا لفرعون: أما تعجب ممّا ترى؟ قال: أنا فعلت هذا فرّوا وامضوا فيه فلمّا توسّط فرعون ومن معه أمر الله البحر فأطبق عليهم فغرقهم أجمعين فلمّا أدرك فرعون الغرق، قال: «ءَاْمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاْمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ» يقول الله عزّ وجلّ: «ءَاَلَسْنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» يقول: كنت من العصاةين «فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً» قال: إنّ قوم فرعون ذهبوا جميعاً^(٥) في البحر فلم يُر منهم أحد هو وافي البحر إلى النّار، وأمّا فرعون فنبذه الله عزّ وجلّ وحده فألقاه بالسّاحل لينظروا إليه وليعرفوه ليكون لمن خلفه آية ولثلاً يشكّ أحد في هلاكه أنّهم كانوا اتخذوه ربّاً فأراهم الله عزّ وجلّ إيّاه جيئةً ملقاةً بالسّاحل ليكون لمن خلفه عبرة وعظة، يقول الله: «وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَعَافُونَ»^(٦).

٢- الشعراء: ٦١.

١- الشعراء: ٦٢.

٣- رَهَقْتُ الشَّيْءَ - من باب تعب -: قربت منه. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٧٥، مادة «رهب».

٥- وفي نسخة: [أجمعين]، وهكذا في المصدر.

٤- الشعراء: ٦٣.

٦- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٥-٣١٦.

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صَدَقِ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا
 اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا
 كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ
 الَّذِينَ يَتْلَوْنَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا
 تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صَدَقِ﴾: منزلاً صالحاً مرضياً وهو الشام ومصر.
 القمي: ردّهم إلى مصر وغرق فرعون^(١).

﴿وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: من اللذائذ.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾: في أمر دينهم وما تشعبوا شعباً.

﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾: بدين الحق وقرؤوا التوراة وعلّموا أحكامها، أو في أمر

محمد ﷺ إلا من بعد ما علّموا صدقه بنعوته وتظافر معجزاته.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: فيميّز الحق من

المبطل بالإنجاء والإهلاك.

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَتْلَوْنَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٦.

٢ - قيل: المعنى إذا وقع لك شك فرضاً وتقديراً فاسأل علماء أهل الكتاب فإنهم يحيطون علماً بصحة ما أنزل إليك.

وقيل: بل خطب رسول الله ﷺ والمراد أمته، والمعنى فإن كنتم في شك.

وقيل: الخطاب للسامع من يجوز عليه الشك، كقولهم: إذا عزا أخوك فهن. ولا يخفى ما في هذه الأقوال من

التهافت، فإن أهل الكتاب كيف يصدّقونه، وهو في شك من أمره وإن لم يصدّقونه فهم إذن يدعونه إلى دينهم وما أنزل من الوحي إنما أنزل إليه ولم ينزل إلى الأمة فكيف تخاطب به الأمة. منه ﷺ.

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا

الْخُسِرِينَ ﴿٩٥﴾

لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُعْتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخُسِرِينَ ﴿٩٥﴾: في العلل^(١)، والعياشي: عن الهادي عليه السلام أنه سأله أخوه موسى عن هذه الآية حين كتب إليه يحيى بن أكثم يسأله عن مسائل فيها أخبرني من المخاطب بالآية فإن كان المخاطب به النبي ﷺ وليس قد شك فيما أنزل الله إليه، وإن كان المخاطب به غيره فعلى غيره إذن أنزل الكتاب، قال موسى: فسألت أخي علي بن محمد عليه السلام عن ذلك فقال: المخاطب بذلك رسول الله ﷺ ولم يكن في شك مما أنزل الله ولكن قالت الجهلة كيف لا يبعث إلينا نبياً من الملائكة ليفرق بينه وبين غيره في الاستغناء عن المأكّل والمشرب والمشي في الأسواق فأوحى الله إلى نبيه: «فَسْئَلِ الَّذِينَ يقرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ» بحضر من الجهلة هل بعث الله رسولا قبلك إلا وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ولك بهم أسوة وإنما قال: «فإن كنت في شك» ولم يكن ولكن ليتبعهم كما قال: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ»^(٢)، ولو قال: «تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم» لم يكن يحييون للمباهلة وقد عرف أن نبيه ﷺ مؤدّ عنه رسالته، وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النبي ﷺ أنه صادق فيما يقول ولكن أحب أن ينصف من نفسه^(٣).

١ - علل الشرائع: ص ١٢٩، ح ١، باب ١٠٧ - العلة التي من أجلها قال الله عز وجل لنبيه ﷺ «فإن كنت في شك بما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك».

٢ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٨، ح ٤٢.

٣ - آل عمران: ٦١.

إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ
كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

وفي العلل: قال رسول الله ﷺ لا أشك ولا أسأل^(١).

والقمي: عن الصادق عليه السلام لما أسري برسول الله ﷺ إلى السماء، وأوحى الله إليه في علي عليه السلام ما أوحى: من شرفه، ومن عظمته عند الله، ورد إلى البيت المعمور، وجمع له النبيين وصلوا خلفه عرض في نفس رسول الله ﷺ من عظم ما أوحى إليه في علي عليه السلام فأنزل الله: «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ». يعني الأنبياء، فقد أنزلنا إليهم في كتبهم من فضله ما أنزلنا إليك في كتابك «لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِشَايئِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ» فقال الصادق عليه السلام: فوالله ما شك وما سئل^(٢).

والعياشي: ما يقرب منه^(٣)، وفي معناه أخبار آخر ويأتي نظيرها في سورة الزخرف^(٤) إن شاء الله، وعلى كلتا الروايتين فالخطاب من قبيل إياك أعني واسمعي يا جارة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ﴾: ثبتت.

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: بأنهم يموتون على الكفر.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: إذ لا يكذب كلامه، ولا ينتقص قضاؤه.

﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: وحيث لا ينفعهم كما لم ينفع

١ - علل الشرائع: ص ١٣٠، ح ٢، باب ١٠٧ - العلة التي من أجلها قال الله عز وجل لنبيه ﷺ «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ».

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٦ - ٣١٧.

٣ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٨، ح ٤٣.

٤ - ذيل الآية: ٤٥، من سورة الزخرف.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَتَنْفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا
ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ
إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾

فرعون، القمي: الَّذِينَ جحدوا أمير المؤمنين ﷺ عرضت عليهم الولاية وفرض الله عليهم الإيمان بها فلم يؤمنوا بها^(١).

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾: فهَلَا كانت قرية من القرى التي أهلكتها آمنت قبل معاناة العذاب، ولم تؤخَّر إليها كما أخر فرعون إلى أن أدركه الغرق.

﴿فَتَنْفَعَهَا إِيمَنُهَا﴾: بأن يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها.

﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾: لكن قوم يونس.

﴿لَمَّا ءَامَنُوا﴾: أول ما رأوا إِمارة العذاب ولم يؤخِّروه إلى حلوله.

﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: ويجوز أن

يكون الجملة في معنى التني لتضمن حرف التخصيص معناه فيكون الإستثناء متصلاً كأنه قيل: ما آمنت قرية من القرى المهلكة إلا قوم يونس.

في الجوامع: وكان يونس قد بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضباً فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجَّوا وبكوا فصرف الله عنهم العذاب، وكان قد نزل وقرب منهم^(٢).

والعياشي: عن أبي عبيدة الحذاء، عن الباقر ﷺ قال: كتب أمير المؤمنين ﷺ قال:

حدثني رسول الله ﷺ أَنَّ جبرئيل ﷺ حَدَّثَهُ أَنَّ يُونُسَ بن مَتَّى ﷺ بعثه الله إلى قومه وهو ابن ثلاثين سنة وكان رجلاً تعتره الهدأة وكان قليل الصبر على قومه والمداواة لهم، عاجزاً

عَمَّا حُمِّلَ مِنْ ثَقَلِ حِمْلِ أَوْقَارِ النُّبُوَّةِ وَأَعْلَامِهَا وَأَنَّهُ تَفْسَخُ^(١) تَحْتَهَا كَمَا يَتَفَسَّخُ الْجَذَعُ تَحْتَ حِمْلِهِ وَأَنَّهُ أَقَامَ فِيهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّصَدِّيقَ بِهِ وَاتَّبَاعَهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ وَلَمْ يَتَّبِعْهُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا رَجُلَانِ اسْمُ أَحَدِهِمَا رُوبِيلٌ، وَاسْمُ الْآخَرِ تَنُوخَا، وَكَانَ رُوبِيلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْعِلْمِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ، وَكَانَ قَدِيمَ الصُّحْبَةِ لِيُونُسَ بْنِ مَتَّى عليه السلام مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْعَثَهُ اللَّهُ بِالنُّبُوَّةِ، وَكَانَ تَنُوخَا رَجُلًا مُسْتَضْعَفًا عَابِدًا زَاهِدًا مِنْهُمْ كَأَنَّ فِي الْعِبَادَةِ، وَلَيْسَ لَهُ عِلْمٌ وَلَا حُكْمٌ، وَكَانَ رُوبِيلٌ صَاحِبَ غَنَمٍ يَرْعَاهَا وَيَتَقَوَّتُ مِنْهَا، وَكَانَ تَنُوخَا رَجُلًا حَطَّابًا يَحْتَطِبُ عَلَى رَأْسِهِ وَيَأْكُلُ مِنْ كِسْبِهِ، وَكَانَ لِرُوبِيلٍ مَنزِلَةٌ مِنْ يُونُسَ غَيْرَ مَنزِلَةِ تَنُوخَا لِعِلْمِ رُوبِيلٍ وَحِكْمَتِهِ، وَقَدِيمِ صُحْبَتِهِ، فَلَمَّا رَأَى يُونُسَ أَنَّ قَوْمَهُ لَا يُجِيبُونَهُ وَلَا يُؤْمِنُونَ ضَجَرَ وَعَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ قَلَّةَ الصَّبْرِ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى رَبِّهِ وَكَانَ فِيَا شَكَا أَنْ قَالَ: يَا رَبِّ إِنَّكَ بَعَثْتَنِي إِلَى قَوْمِي وَلِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، فَلَبِثْتُ فِيهِمْ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِكَ، وَالتَّصَدِّيقَ بِرِسَالَتِي، وَأُخَوِّفُهُمْ مِنْ عَذَابِكَ وَنَقْمَتِكَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَكَذَّبُونِي وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِي، وَجَحَدُوا نُبُوَّتِي وَاسْتَخَفُّوا بِرِسَالَتِي، وَقَدْ تَوَعَّدُونِي وَخَفْتُ أَنْ يَقْتُلُونِي، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ عَذَابَكَ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ، قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى يُونُسَ أَنَّ فِيهِمُ الْحَمْلَ وَالْجَنِينَ وَالطِّفْلَ، وَالشَّيْخَ الْكَبِيرَ، وَالْمَرْأَةَ الضَّعِيفَةَ، وَالْمُسْتَضْعَفَ الْمُهِينِ، وَأَنَا الْحَكَمُ الْعَدْلُ، سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي، لَا أَعُذِّبُ الصَّغَارَ بِذُنُوبِ الْكِبَارِ مِنْ قَوْمِكَ، وَهُمْ يَا يُونُسَ عِبَادِي وَخَلْقِي وَبَرِيَّتِي فِي بِلَادِي، وَفِي عِيْلَتِي أَحَبُّ أَنْ أَتَأَنَّهُمْ وَأَرْفُقَ بِهِمْ وَأَنْتَظِرُ تَوْبَتَهُمْ، وَإِنَّمَا بَعَثْتُكَ إِلَى قَوْمِكَ لِتَكُونَ حَفِيزًا عَلَيْهِمْ تَعْطِفُ عَلَيْهِمْ بِسَجَالِ^(٢) الرَّحْمَةِ الْمَاسَةِ مِنْهُمْ، وَتَأَنَّهُمْ بِرَأْفَةِ النُّبُوَّةِ، وَتَصْبِرَ مَعَهُمْ بِأَحْلَامِ الرِّسَالَةِ، وَتَكُونَ لَهُمْ كَهَيْئَةِ الطَّبِيبِ الْمَدَاوِي الْعَالِمِ بِمَدَاوَاةِ الدَّوَاءِ، فَخَرَجْتَ بِهِمْ وَلَمْ تَسْتَعْمَلْ قُلُوبَهُمْ

١ - الفسخ: الضعف، والجهل، والطرح، وإفساد الرأي، والنقض، والتفريق، والضعيف العقل والبدن، كالفسخة، ومن لا يظفر بمجاسته، ولا يصلح لأمره كالفسخ، القاموس المحيط: ج ١، ص ٢٦٦، مادة «فسخ».

٢ - السجل - كفلس -: الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء قل أو كثر، وقوله: «وسجل عطيتك» من هذا المعنى

على الإستعارة، مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٩٤. مادة «سجل».

أقول: وهكذا في المقام يكون المعنى على الإستعارة.

بالرفق ولم تسسهم بسياسة المرسلين، ثم سألتني عن سوء نظرك العذاب لهم عند قلة الصبر منك، وعبيدي نوح كان أصبر منك على قومه، وأحسن صحبة وأشد تأنيباً في الصبر عندي، وأبلغ في العذر، فغضبت له حين غضب لي، وأجبتة حين دعاني، فقال يونس: يا رب إنما غضبت عليهم فيك، وإنما دعوت عليهم حين عصوك، فوعزتك لا أتعطف عليهم برأفة أبداً ولا أنظر إليهم بنصيحة شفيق بعد كفرهم وتكذيبهم إيتاي وجحدهم نبوتي فأنزل عليهم عذابك فإنهم لا يؤمنون أبداً، فقال الله تعالى: يا يونس إنهم مائة ألف أو يزيدون من خليقي يعمرّون بلادهم ويلدون عبادي ومحبي إن أتاناهم للذي سبق من علمي فيهم وفيك، وتقديري وتديري غير علمك وتقديرك وأنت المرسل، وأنا الرب الحكيم، وعلمي فيهم يا يونس باطن في الغيب عندي لا يعلم ما منتهاه وعلمك فيهم ظاهر لا باطن له، يا يونس قد أجبتك إلى ما سألت من إنزال العذاب عليهم وما ذلك يا يونس بأوفر لحظك عندي ولا أحمد لشأنك وسيأتيهم عذاب في شوال يوم الأربعاء وسط الشهر بعد طلوع الشمس فأعلمهم ذلك، قال: فسرت ذلك يونس ولم يسؤه ولم يدر ما عاقبته فانطلق يونس إلى تنوخا العابد وأخبره بما أوحى الله إليه من نزول العذاب على قومه في ذلك اليوم، وقال له: إنطلق حتى أعلمهم بما أوحى الله إلي من نزول العذاب، فقال تنوخا: فدعهم في غمرتهم ومعصيتهم حتى يعذبهم الله، فقال له يونس: بل نلق روبيل فنشاوره فإنه رجل عالم حكيم من أهل بيت النبوة فانطلقا إلى روبيل فأخبره يونس بما أوحى الله إليه من نزول العذاب على قومه في شوال يوم الأربعاء في وسط الشهر بعد طلوع الشمس، فقال له: ما ترى؟ إنطلق بنا حتى أعلمهم بذلك، فقال له روبيل: ارجع إلى ربك رجعة نبي حكيم، ورسول كريم، واسأله أن يصرف عنهم العذاب فإنه غني عن عذابهم، وهو يحب الرفق بعباده وما ذلك بأضر لك عنده، ولا أسرى لمنزلتك لديه، ولعل قومك بعد ما سمعت ورأيت من كفرهم وجحودهم يؤمنون يوماً فصابرهم وتأنأهم، فقال له تنوخا: ويحك يا روبيل ما أشرت على يونس وأمرته به بعد كفرهم بالله وجحدهم لنبيه وتكذيبهم إياه وإخراجهم إياه من مساكنه وما هموا به من رجه، فقال روبيل لتنوخا: اسكت فإنك رجل عابد لا علم لك، ثم أقبل على

يونس فقال: رأيت يا يونس إذا أنزل الله العذاب على قومك أنزله فيهلكهم جميعاً أو يهلك بعضاً ويبقي بعضاً، فقال له يونس: بل يهلكهم جميعاً وكذلك سألته ما دخلتني لهم رحمة تعطف فأراجع الله فيهم وأسأله أن يصرف عنهم، فقال له روبيل: أندري يا يونس لعل الله إذا أنزل عليهم العذاب فأحسنوا به أن يتوبوا إليه ويستغفروا فيرحمهم فإنه أرحم الراحمين، ويكشف عنهم العذاب من بعد ما أخبرتهم عن الله تعالى أنه ينزل عليهم العذاب يوم الأربعاء فتكون بذلك عندهم كذباً، فقال له تنوخا: ويحك يا روبيل لقد قلت عظيماً يخبرك النبي المرسل أن الله أوحى إليه أن العذاب ينزل عليهم، فتردّ قول الله تعالى وتشكّ فيه، وفي قول رسوله إذ ذهب فقد حبط عملك، فقال روبيل لتنوخا: لقد فسد رأيك ثم أقبل على يونس فقال: أنزل الوحي والأمر من الله فيهم على ما أنزل عليك فيهم من إنزال العذاب عليهم، وقوله الحق رأيت إذا كان ذلك فهلك قومك كلهم وخربت قريتهم أليس يحو الله اسمك من النبوة وتبطل رسالتك وتكون كبعض ضعفاء الناس، ويهلك على يدك مائة ألف من الناس؟ فأبى يونس أن يقبل وصيته فانطلق ومعه تنوخا إلى قومه فأخبرهم أن الله أوحى إليه أنه مئزل العذاب عليهم يوم الأربعاء في شوال وسط الشهر بعد طلوع الشمس فردّوا عليه قوله وكذبوه وأخرجوه من قريتهم إخراجاً عنيفاً. فخرج يونس ومعه تنوخا من القرية وتنحيتاً عنهم غير بعيد، وأقاما ينتظران العذاب وأقام روبيل مع قومه في قريتهم حتى إذا دخل عليهم شوال صرخ روبيل بأعلى صوته في رأس الجبل إلى القوم أنا روبيل الشفيق عليكم الرحيم بكم إلى ربّه قد أنكرتم عذاب الله هذا شوال قد دخل عليكم وقد أخبركم يونس نبيكم ورسول ربكم أن الله أوحى إليه أن العذاب ينزل عليكم في شوال في وسط الشهر يوم الأربعاء بعد طلوع الشمس، ولن يخلف الله وعده ورساله. فانظروا ماذا أنتم صانعون؟ فأفزعهم كلامه فوقع في قلوبهم تحقيق نزول العذاب فأجفلوا^(١) نحو روبيل.

١ - أجفل القوم: أي هربوا مسرعين، وانجفل القوم، أي انتقلوا كلهم فضوا. الصحاح: ج، ص ١٦٥٧، مادة

وقالوا له: ماذا أنت مشير به علينا يا روبيل؟ فإنك رجل عالم حكيم لم نزل نعرفك بالرقّة علينا والرّحمة لنا، وقد بلغنا ما أشرت به على يونس فرنا بأمرك وأشر علينا برأيك، فقال لهم روبيل: فإنّي أرى لكم وأشير عليكم أن تنتظروا وتعمدوا إذا طلع الفجر يوم الأربعاء في وسط الشهر أن تعزلوا الأطفال عن الأمّهات في أسفل الجبل في طريق الأودية، وتقفوا النساء في سفح الجبل، ويكون هذا كلّه قبل طلوع الشّمس فعبّجوا عجيج الكبير منكم والصغير بالصّراخ والبكاء والتضرّع إلى الله والتّوبة إليه والإستغفار له، وارفعوا رؤوسكم إلى السماء، وقولوا: ربنا ظلمنا وكذبنا نبيّك وتبنا إليك من ذنوبنا وإن لا تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين المعذبين، فاقبل توبتنا وارحمنا يا أرحم الراحمين، ثمّ لا تملّوا من البكاء والصّراخ والتضرّع إلى الله، والتّوبة إليه حتّى توارى الشمس بالحجاب أو يكشف الله عنكم العذاب قبل ذلك، فأجمع رأي القوم جميعاً على أن يفعلوا ما أشار به عليهم روبيل، فلمّا كان يوم الأربعاء الذي توقّعوا العذاب تنحّى روبيل عن القرية حيث يسمع صراخهم ويرى العذاب إذا أنزل، فلمّا طلع الفجر يوم الأربعاء فعل قوم يونس ما أمرهم روبيل به فلمّا بزغت الشمس أقبلت ريح صفراء مظلمة مسرعة لها صرير^(١) وحفيف^(٢) فلمّا رأوها عبّجوا جميعاً بالصّراخ والبكاء والتضرّع إلى الله وتابوا إليه واستغفروه، وصرخت الأطفال بأصواتها تطلب أمّهاتها، وعجّت سخال البهائم تطلب الثّدي، وسعت الأنعام تطلب الرّعا فلم يزلوا بذلك، ويونس وتنوخا يسمعان صيحتهم وصراخهم ويدعوان الله بتغليظ العذاب عليهم، وروبيل في موضعه يسمع صراخهم وعجيجهم ويرى ما نزل وهو يدعو الله بكشف العذاب عنهم، فلمّا أن زالت الشمس وفتحت أبواب السماء وسكن غضب الربّ تعالى رحمهم الرّحمان، فاستجاب دعاءهم، وقبل توبتهم، وأقالهم عثرتهم، وأوحى إلى إسرافيل أن اهبط إلى قوم يونس فإنّهم قد عبّجوا إليّ بالبكاء والتضرّع وتابوا إليّ واستغفروني فرحمهم وتبت عليهم وأنا الله التواب

١ - الصّرة: الضّجّة والصيحة. الصحاح: ج ٢، ص ٧١٠، مادة «صَرَزَ».

٢ - حَفّ الفرس أيضاً يحفّ حفيفاً، وأحففته أنا، إذا حملته على أن يكون له حفيف، وهو دوي جريه. وكذلك حفيف جناح الطائر. الصحاح: ج ٤، ص ١٣٤٥، مادة «حَفَفَ».

الرحيم، أسرع الى قبول توبة عبدي النائب من الذنب، وقد كان عبدي يونس ورسولي سألني نزول العذاب على قومه وقد أنزلته عليهم وأنا الله أحق من وفي بعده وقد أنزلته عليهم ولم يكن اشتراط يونس حين سألني أن أنزل عليهم العذاب أن أهلكتهم فاهبط إليهم فاصرف عنهم ما قد نزل بهم من عذاب، فقال اسرافيل: يا رب إن عذابك قد بلغ أكنافهم وكاد أن يهلكهم وما أراه إلا وقد نزل بساحتهم فإلى أين أصرفهم؟ فقال الله كلاً إنني قد أمرت ملائكتي أن يصرفوه ولا ينزلوه عليهم حتى يأتيهم أمري فيهم، وعزيتي فاهبط يا إسرافيل عليهم واصرف عنهم، واصرف به إلى الجبال وناحية مفاض العيون، ومجاري السيول في الجبال العاتية العادية المستطيلة على الجبال فأذهبا به وليتها حتى تصير ملتئمة حديداً جامداً فهبط إسرافيل ونشر أجنحته فاستاق بها ذلك العذاب حتى ضرب بها تلك الجبال التي أوحى الله إليه أن يصرفه إليها، قال أبو جعفر عليه السلام: وهي الجبال التي بناحية الموصل اليوم فصارت حديداً إلى يوم القيامة، فلما رأى قوم يونس أن العذاب قد صرف عنهم هبطوا إلى منازلهم من رؤوس الجبال وضموا إليهم نساءهم، وأولادهم وأموالهم وحمدوا الله على ما صرف عنهم، وأصبح يونس وتنوخا يوم الخميس في موضعها الذي كان فيه لا يشك أن العذاب قد نزل بهم وأهلكهم جميعاً لما خفيت أصواتهم عنها، فأقبلنا ناحية القرية يوم الخميس مع طلوع الشمس ينظران إلى ما صار إليه القوم، فلما دنوا من القوم واستقبلهم الخطابون والحجارة^(١) والرعاة بأعناقهم ونظروا إلى أهل القرية مطمئنين، قال يونس لتنوخا: يا تنوخا كذبني الوحي وكذبت وعدي لقومي لا وعزة ربي لا يرون لي وجهاً أبداً بعد ما كذبني الوحي فانطلق يونس هارباً على وجهه مغاضباً لربه ناحية بحر ايلة^(٢) مستنكراً فراراً من أن يراه أحد من قومه فيقول له: يا كذاب فلذلك قال الله: «وَذَا لُئُونَ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ

١- الحجارة: أصحاب الحمير في السفر، الواحد حمار، مثل جمال ويقال. الصحاح: ج ٢، ص ٦٣٦، مادة «حمر».

٢- أيلة: جبل بين مكة والمدينة قرب ينبع، ومدينة بين ينبع ومصر. القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٣٢، مادة

نَقَدَرِ عَلَيْهِ^(١)، الآية ورجع تنوخا إلى القرية فلقى روبيل، فقال له: يا تنوخا أيّ الزّائرين كان أصوب وأحقّ أرايبي أو رأيك؟ فقال له تنوخا: بل رأيك كان أصوب ولقد كنت أشرت برأي العلماء والحكماء، وقال له تنوخا: أما إنّي لم أزل أرى إنّي أفضل منك لزهدني وفضل عبادتي حتى استبان فضلك لفضل علمك، وما أعطاك ربك من الحكمة مع التقوى أفضل من الزهد والعبادة بلا علم، فاصطحبا فلم يزالا مقيمين مع قومهما، ومضى يونس على وجهه مغاضباً لربه فكان من قصّته ما أخبره الله به في كتابه فأمنوا فتعناهم إلى حين، قال أبو عبيدة: قلت لأبي جعفر عليه السلام: كم كان غاب يونس عن قومه حتى رجع إليهم بالنبوة والرسالة فأمنوا به وصدّقوه؟ قال: أربعة أسابيع سبعا منها في ذهابه إلى البحر، وسبعا في بطن الحوت، وسبعا تحت الشجرة بالعراء^(٢)، وسبعا منها في رجوعه إلى قومه، فقلت له: وما هذه الأسابيع شهراً أو أيام أو ساعات؟ فقال: يا أبا عبيدة إنّ العذاب أتاهاهم يوم الأربعاء في النّصف من شوال وصرف عنهم من يومهم ذلك فانطلق يونس مغاضباً قضى يوم الخميس سبعة أيام في مسيره إلى البحر، وسبعة أيام في بطن الحوت، وسبعة أيام تحت الشجرة بالعراء، وسبعة أيام في رجوعه إلى قومه، فكان ذهابه ورجوعه ثمانية وعشرين يوماً، ثمّ أتاهاهم فأمنوا به وصدّقوه واتبعوه فلذلك قال الله: «فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ»^(٣).

وعنه عليه السلام: إنّ يونس لما أذاه قومه دعا الله عليهم فأصبحوا أوّل يوم ووجوههم صفر، وأصبحوا اليوم الثاني ووجوههم سود، قال: وكان الله واعداهم أن يأتيهم العذاب حتّى نالوه برماحهم ففرّقوا بين النّساء وأولادهنّ، والبقر، وأولادها، ولبسوا المسوح والصّوف، ووضعوا الحبال في أعناقهم والرماد على رؤوسهم وضجّوا ضجّة واحدة إلى ربّهم، وقالوا:

١ - الأنبياء: ٨٧.

٢ - العراء - بالمدّ: فضاء لا يتورأى فيه شجر أو غيره، ويقال: العراء - وجه الأرض. مجمع البحرين: ج ١، ص

٣ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٩ - ١٣٥، ح ٤٤.

٢٨٨، مادة «عرا».

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ
النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾

آمناً بالله يونس فصرف الله عنهم العذاب، وأصبح يونس وهو يظن أنه هلكوا فوجدهم في عافية^(١).

وفي العلل: عن الصادق عليه السلام أنه سئل لأي علة صرف الله العذاب عن قوم يونس وقد أظلمهم ولم يفعل كذلك بغيرهم من الأمم؟ قال: لأنه كان في علم الله أنه سيصرفه عنهم لتوبتهم، وإنما ترك إخبار يونس بذلك لأنه عز وجل أراد أن يفرغه لعبادته في بطن الحوت فيستوجب بذلك ثوابه وكرامته^(٢).

وفي الكافي: عنه عليه السلام إن جبرئيل استثنى في هلاك قوم يونس ولم يسمعه يونس^(٣).
والقمي: وافق العياشي في ذكر القصة إلا أنه اختصرها وذكر في اسم العابد مليخا مكان تنوخا وأورد في آخرها أشياء أخر^(٤) نوردتها في سورة الصافات^(٥) إن شاء الله تعالى، ويأتي بعض قصته في سورة الأنبياء^(٦) أيضاً إن شاء الله تعالى.
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ﴾: بحيث لا يشذ منهم أحد.
﴿جَمِيعاً﴾: مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه.

١- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٣٦، ح ٤٦.

٢- علل الشرائع: ص ٧٧، ح ١، باب ٦٦- العلة التي من أجلها صرف الله عز وجل العذاب عن قوم يونس وقد أظلمهم ولم يصرف العذاب عن أمة قد أظلمهم غيرهم.

٣- لم نعثر عليه في الكافي، والظاهر إنه من سهو قلمه الشريف، بل وجدناه في تفسير القمي: ج ٢، ص ٧٤.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٧-٣١٩. ٥- ذيل الآيات: ١٣٩-١٤٨.

٦- ذيل الآية: ٨٧.

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى
الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْأَيُّتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾

﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا
بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ ﴿١٠٠﴾: وقرئ بالنون.

﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: في العيون: عن الرضا عليه السلام إنه سأله المأمون عن هذه الآية فقال: حدثني أبي عن آباءه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثير عددنا وقومنا على عدونا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما كنت لألقى الله تعالى ببدعة لم يحدث إلي فيها شيئا، وما أنا من المتكلفين فأنزل الله عليه يا محمد: «ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعا» على سبيل الإلجاء والإضطرار في الدنيا كما يؤمن عند المعاناة ورؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا مني ثواباً ولا مدحاً ولكي أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرين ليستحقوا مني الزلفى والكرامة ودوام الخلود في جنة الخلد «أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» وأما قوله: «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها ولكن على معنى إنها ما كانت لتؤمن إلا بإذن الله وإذنه أمره لها بالإيمان ما كانت متكلّفة متعبدة، وإلجاؤه إليها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبّد عنها، فقال المأمون: فرجت عني فرج الله عنك (١).

﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: من عجائب صنعه ليدلّكم على

١ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٣٥، ح ٣٣، باب ١١ - ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليه السلام من الأخبار في التوحيد.

فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا
إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

وحدته وكمال قدرته.

﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يتوقع إيمانهم و«ما» نافية
أو استفهامية للإنكار، في الكافي^(١)، والقمي: عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن هذه الآية، فقال:
الآيات: الأئمة عليه السلام، والنذر: الأنبياء عليه السلام^(٢).

﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: مثل وقائعهم ونزول
بأس الله بهم، إذ لا يستحقون غيرها.

﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾: لذلك، العياشي: عن الرضا عليه السلام إن
انتظار الفرج من الفرج، إن الله يقول: «انْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ»^(٣).
﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾: وقرئ بالتخفيف.

﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: عطف على محذوف دلّ عليه ما قبله كأنه قيل: نهلك
الأمم ثم ننجي رسلنا ومن آمن معهم.

﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾: وقرئ بالتشديد، أي مثل ذلك الإنجاء ننجي
المؤمنين منكم حين نهلك المشركين، وحققاً علينا اعراض يعني حق ذلك علينا حقاً، في
المجمع^(٤)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام ما يمنعكم أن تشهدوا على من مات منكم على هذا

١- الكافي: ج ١، ص ٢٠٧، ح ١، باب أن الآيات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هم الأئمة عليه السلام.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٢٠.

٣- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٣٨، ح ٥٠.

٤- مجمع البيان: ج ٥، ص ١٣٨، س ٢٦.

قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا
لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾

الأمر أنه من أهل الجنة إن الله تعالى يقول: «كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ» (١).

﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي﴾: وصحته.

﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم﴾:

وهو الحقيق بأن يخاف ويرجى ويعبد وإنما خصّ التوفى بالذكر للتهديد.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدقين بالتوحيد فهذا ديني.

﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: عطف على أن أكون غير أن صلة أن محكية

بصفة الأمر، والمعنى أمرت بالإستقامة والسداد في الدين بأداء الفرائض والانتها عن

القبائح.

﴿وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ * وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾: إن

دعوته.

﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾: إن خذلته.

﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾: فإن دعوته.

﴿فَإِنَّكَ إِذَا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾: فإن الشرك لظلم عظيم، القمي: مخاطبة للنبي ﷺ

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ
فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ
فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾

والمعنى الناس^(١).

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: وإن يصبك به.

﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾: يدفعه.

﴿إِلَّا هُوَ﴾: إلا الله.

﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ﴾: فلا دافع.

﴿لِفَضْلِهِ﴾: الذي أرادك به، قيل: ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم

الأمرين للتنبيه على أن الخير مراد بالذات وإن الضر إنما مسهم لا بالقصد الأول ووضع

الفضل موضع الضمير للدلالة على أنه متفضل بما يريد بهم من الخير لا إستحقاق لهم عليه

ولم يستثن لأن مراد الله لا يمكن رده^(٢).

﴿يُصِيبُ بِهِ﴾: بالخير.

﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾: فتعزوا لرحمته بالطاعة ولا

تياسوا من غفرانه بالمعصية.

﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: ولم يبق لكم عذر.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٢٠.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٥٩ - ٤٦٠.

وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ
الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

﴿فَمَن أَهْتَدَىٰ﴾: اختار الهدى بالإيمان والطاعة.
﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾: لأن نفعه لها.
﴿وَمَن ضَلَّ﴾: اختار الضلال بالجحود.
﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: لأن وبالها عليها.
﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: بحفيظ موكول إلي أمركم، وحملكم على ما أريد، إنما أنا
بشير ونذير.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾: بالإمتثال والتبليغ.
﴿وَأَصْبِرْ﴾: على دعوتهم واحتمال أذاهم.
﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾: لك بالنصر عليهم والغلبة.
﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾: لأنه لا يحكم إلا بالحق والعدل.
في ثواب الأعمال: عن الصادق عليه السلام من قرأ سورة يونس في كل شهرين أو ثلاثة لم
يخف عليه أن يكون من الجاهلين، وكان يوم القيامة من المقرّين^(١).
إلى هنا ينتهي الجزء الثالث حسب تجزئتنا، ويليه الجزء الرابع إن شاء الله وأوله
سورة هود، وذلك في غرة جمادي الثاني سنة ١٤١٦ هـ.

قم المقدسة

السيد محسن الحسيني الأميني

Let $f(x) = x^2 + 2x + 1$ and $g(x) = x^2 - 2x + 1$.
 Find $(f+g)(x)$ and $(f-g)(x)$.

Let $f(x) = x^2 + 2x + 1$ and $g(x) = x^2 - 2x + 1$.

Find $(f+g)(x)$ and $(f-g)(x)$.

Let $f(x) = x^2 + 2x + 1$ and $g(x) = x^2 - 2x + 1$.

Find $(f+g)(x)$ and $(f-g)(x)$.

Let $f(x) = x^2 + 2x + 1$ and $g(x) = x^2 - 2x + 1$.

Find $(f+g)(x)$ and $(f-g)(x)$.

Let

$f(x) = x^2 + 2x + 1$ and $g(x) = x^2 - 2x + 1$.

Find $(f+g)(x)$ and $(f-g)(x)$.

Let $f(x) = x^2 + 2x + 1$ and $g(x) = x^2 - 2x + 1$.

Find $(f+g)(x)$ and $(f-g)(x)$.

Let $f(x) = x^2 + 2x + 1$ and $g(x) = x^2 - 2x + 1$.

Find $(f+g)(x)$ and $(f-g)(x)$.

Let $f(x) = x^2 + 2x + 1$ and $g(x) = x^2 - 2x + 1$.

Find $(f+g)(x)$ and $(f-g)(x)$.

Let $f(x) = x^2 + 2x + 1$ and $g(x) = x^2 - 2x + 1$.

Find $(f+g)(x)$ and $(f-g)(x)$.

Let $f(x) = x^2 + 2x + 1$ and $g(x) = x^2 - 2x + 1$.

Find $(f+g)(x)$ and $(f-g)(x)$.

Let $f(x) = x^2 + 2x + 1$ and $g(x) = x^2 - 2x + 1$.

الفهرس

﴿سورة الأنعام﴾

(٦)

| رقم الآية | رقم الصفحة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|-----------|------------|-----------|------------|
| ١ | ٧ | ٢٩-٣١ | ٢٤ |
| ٢ | ٨ | ٣٢ | ٢٥ |
| ٣ | ٩ | ٣٣ | ٢٦ |
| ٤-٦ | ١٠ | ٣٤ | ٢٧ |
| ٧-٨ | ١١ | ٣٥ | ٢٨ |
| ٩ | ١٢ | ٣٦-٣٧ | ٢٩ |
| ١٠-١١ | ١٣ | ٣٨ | ٣٠ |
| ١٢ | ١٤ | ٣٩-٤٠ | ٣٢ |
| ١٣-١٤ | ١٥ | ٤١-٤٣ | ٣٣ |
| ١٥-١٦ | ١٦ | ٤٤-٤٥ | ٣٤ |
| ١٧-١٩ | ١٧ | ٤٦ | ٣٥ |
| ٢٠-٢١ | ١٩ | ٤٧-٤٩ | ٣٦ |
| ٢٢-٢٣ | ٢٠ | ٥٠ | ٣٧ |
| ٢٤ | ٢١ | ٥١-٥٢ | ٣٨ |
| ٢٥-٢٦ | ٢٢ | ٥٣ | ٣٩ |
| ٢٧-٢٨ | ٢٣ | ٥٤ | ٤٠ |

| رقم الآية | رقم الصفحة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|-----------|------------|-----------|------------|
| ٥٦-٥٥ | ٤١ | ٩٢ | ٦٧ |
| ٥٨-٥٧ | ٤٢ | ٩٣ | ٦٨ |
| ٥٩ | ٤٣ | ٩٤ | ٧٠ |
| ٦١-٦٠ | ٤٥ | ٩٥ | ٧١ |
| ٦٢ | ٤٦ | ٩٦ | ٧٢ |
| ٦٥-٦٣ | ٤٧ | ٩٧ | ٧٣ |
| ٦٨-٦٦ | ٤٩ | ٩٨ | ٧٤ |
| ٦٩ | ٥٠ | ٩٩ | ٧٥ |
| ٧٠ | ٥١ | ١٠٠ | ٧٦ |
| ٧١ | ٥٢ | ١٠١ | ٧٧ |
| ٧٣-٧٢ | ٥٣ | ١٠٢-١٠٣ | ٧٨ |
| ٧٤ | ٥٤ | ١٠٤-١٠٥ | ٨٠ |
| ٧٥ | ٥٥ | ١٠٦-١٠٧ | ٨١ |
| ٧٨-٧٦ | ٥٧ | ١٠٨ | ٨٢ |
| ٧٩ | ٥٨ | ١٠٩ | ٨٤ |
| ٨٠ | ٦٠ | ١١٠-١١١ | ٨٥ |
| ٨٢-٨١ | ٦١ | ١١٢ | ٨٦ |
| ٨٣ | ٦٢ | ١١٣ | ٨٧ |
| ٨٥-٨٤ | ٦٣ | ١١٤-١١٥ | ٨٨ |
| ٨٩-٨٦ | ٦٤ | ١١٦ | ٨٩ |
| ٩٠ | ٦٥ | ١١٧-١١٩ | ٩٠ |
| ٩١ | ٦٦ | ١٢٠-١٢١ | ٩١ |

| رقم الآية | رقم الصفحة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|-----------|------------|-----------|------------|
| ١٢٢ | ٩٣ | ١٤٥ | ١١٥ |
| ١٢٣-١٢٤ | ٩٥ | ١٤٦-١٤٧ | ١١٩ |
| ١٢٥ | ٩٦ | ١٤٨-١٤٩ | ١٢٠ |
| ١٢٦ | ٩٩ | ١٥٠ | ١٢١ |
| ١٢٧-١٢٨ | ١٠٠ | ١٥١ | ١٢٢ |
| ١٢٩ | ١٠١ | ١٥٢ | ١٢٣ |
| ١٣٠ | ١٠٢ | ١٥٣ | ١٢٥ |
| ١٣١-١٣٣ | ١٠٣ | ١٥٤ | ١٢٦ |
| ١٣٤-١٣٥ | ١٠٤ | ١٥٥-١٥٧ | ١٢٧ |
| ١٣٦ | ١٠٥ | ١٥٨ | ١٢٨ |
| ١٣٧-١٣٨ | ١٠٦ | ١٥٩ | ١٣١ |
| ١٣٩ | ١٠٧ | ١٦٠ | ١٣٢ |
| ١٤٠-١٤١ | ١٠٨ | ١٦١ | ١٣٤ |
| ١٤٢-١٤٣ | ١١٢ | ١٦٢-١٦٣ | ١٣٥ |
| ١٤٤ | ١١٣ | ١٦٤ | ١٣٦ |

﴿سورة الأعراف﴾

(٧)

| رقم الآية | رقم الصفحة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|-----------|------------|-----------|------------|
| ١-٢ | ١٤١ | ٥-٧ | ١٤٣ |
| ٣-٤ | ١٤٢ | ٨-٩ | ١٤٤ |

| رقم الآية | رقم الصفحة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|-----------|------------|-----------|------------|
| ١٠-١١ | ١٤٦ | ٤٧-٤٩ | ١٧٩ |
| ١٢ | ١٤٧ | ٥٠-٥١ | ١٨١ |
| ١٣-١٥ | ١٤٩ | ٥٢ | ١٨٢ |
| ١٦-١٧ | ١٥٠ | ٥٣ | ١٨٣ |
| ١٨ | ١٥١ | ٥٤ | ١٨٤ |
| ١٩ | ١٥٢ | ٥٥-٥٦ | ١٨٨ |
| ٢٠-٢٢ | ١٥٣ | ٥٧-٥٨ | ١٩٠ |
| ٢٣-٢٦ | ١٥٥ | ٥٩ | ١٩١ |
| ٢٧ | ١٥٦ | ٦٠-٦٣ | ١٩٣ |
| ٢٨-٢٩ | ١٥٧ | ٦٤-٦٥ | ١٩٤ |
| ٣٠ | ١٥٨ | ٦٦-٦٩ | ١٩٦ |
| ٣١ | ١٥٩ | ٧٠ | ١٩٧ |
| ٣٢ | ١٦٢ | ٧١-٧٢ | ١٩٨ |
| ٣٣ | ١٦٦ | ٧٣ | ١٩٩ |
| ٣٤-٣٦ | ١٦٨ | ٧٤-٧٥ | ٢٠٠ |
| ٣٧ | ١٦٩ | ٧٦-٧٨ | ٢٠١ |
| ٣٨ | ١٧٠ | ٧٩ | ٢٠٢ |
| ٣٩-٤٠ | ١٧١ | ٨٠ | ٢٠٦ |
| ٤١-٤٢ | ١٧٢ | ٨١ | ٢٠٧ |
| ٤٣ | ١٧٣ | ٨٢-٨٤ | ٢٠٨ |
| ٤٤ | ١٧٤ | ٨٥ | ٢٠٩ |
| ٤٥-٤٦ | ١٧٥ | ٨٦ | ٢١٠ |

| رقم الآية | رقم الصفحة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|-----------|------------|-----------|------------|
| ٨٧ | ٢١١ | ١٤٠-١٤٢ | ٢٣٤ |
| ٨٨-٨٩ | ٢١٢ | ١٤٣ | ٢٣٥ |
| ٩٠-٩١ | ٢١٣ | ١٤٤ | ٢٤٠ |
| ٩٢-٩٥ | ٢١٤ | ١٤٥ | ٢٤١ |
| ٩٦-٩٧ | ٢١٥ | ١٤٦ | ٢٤٣ |
| ٩٨-١٠٠ | ٢١٦ | ١٤٧-١٤٨ | ٢٤٤ |
| ١٠١ | ٢١٧ | ١٤٩-١٥٠ | ٢٤٥ |
| ١٠٢ | ٢١٨ | ١٥١-١٥٣ | ٢٤٨ |
| ١٠٣ | ٢١٩ | ١٥٤-١٥٥ | ٢٤٩ |
| ١٠٤-١٠٥ | ٢٢٠ | ١٥٦ | ٢٥٠ |
| ١٠٦-١٠٨ | ٢٢١ | ١٥٧ | ٢٥١ |
| ١٠٩-١١٥ | ٢٢٢ | ١٥٨ | ٢٥٤ |
| ١١٦-١١٨ | ٢٢٣ | ١٥٩-١٦٠ | ٢٥٥ |
| ١١٩-١٢٣ | ٢٢٤ | ١٦١-١٦٣ | ٢٥٧ |
| ١٢٤-١٢٧ | ٢٢٥ | ١٦٤-١٦٥ | ٢٥٨ |
| ١٢٨ | ٢٢٦ | ١٦٦ | ٢٥٩ |
| ١٢٩ | ٢٢٧ | ١٦٧ | ٢٦٢ |
| ١٣٠-١٣١ | ٢٢٨ | ١٦٨ | ٢٦٣ |
| ١٣٢-١٣٣ | ٢٢٩ | ١٦٩ | ٢٦٤ |
| ١٣٤-١٣٦ | ٢٣٠ | ١٧٠ | ٢٦٥ |
| ١٣٧ | ٢٣٢ | ١٧١-١٧٢ | ٢٦٦ |
| ١٣٨-١٣٩ | ٢٣٣ | ١٧٣-١٧٤ | ٢٦٨ |

| رقم الآية | رقم الصفحة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|-----------|------------|-----------|------------|
| ١٧٥ | ٢٧٠ | ١٩١-١٩٢ | ٢٨١ |
| ١٧٦ | ٢٧١ | ١٩٣-١٩٥ | ٢٨٢ |
| ١٧٧-١٧٩ | ٢٧٢ | ١٩٦-١٩٩ | ٢٨٣ |
| ١٨٠ | ٢٧٣ | ٢٠٠ | ٢٨٤ |
| ١٨١-١٨٢ | ٢٧٤ | ٢٠١ | ٢٨٥ |
| ١٨٣-١٨٥ | ٢٧٦ | ٢٠٢-٢٠٤ | ٢٨٦ |
| ١٨٦-١٨٧ | ٢٧٧ | ٢٠٥ | ٢٨٨ |
| ١٨٨-١٨٩ | ٢٧٩ | ٢٠٦ | ٢٩٠ |
| ١٩٠ | ٢٨٠ | | |

﴿سورة الأنفال﴾

(٨)

| رقم الآية | رقم الصفحة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|-----------|------------|-----------|------------|
| ١ | ٢٩٣ | ٢٠-٢١ | ٣٢٠ |
| ٢-٤ | ٢٩٦ | ٢٢-٢٤ | ٣٢١ |
| ٥-٧ | ٢٩٧ | ٢٥-٢٦ | ٣٢٣ |
| ٨-٩ | ٢٩٨ | ٢٧ | ٣٢٤ |
| ١٠-١١ | ٢٩٩ | ٢٨ | ٣٢٥ |
| ١٢-١٤ | ٣٠١ | ٢٩-٣٠ | ٣٢٦ |
| ١٥-١٧ | ٣١٧ | ٣١-٣٢ | ٣٣١ |
| ١٨-١٩ | ٣١٩ | ٣٣-٣٤ | ٣٣٢ |

| رقم الآية | رقم الصفحة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|-----------|------------|-----------|------------|
| ٣٥ | ٣٣٦ | ٥٤ | ٣٥٢ |
| ٣٦-٣٧ | ٣٣٧ | ٥٥-٥٧ | ٣٥٣ |
| ٣٨ | ٣٣٨ | ٥٨-٦٠ | ٣٥٤ |
| ٣٩ | ٣٣٩ | ٦١ | ٣٥٥ |
| ٤٠-٤١ | ٣٤٠ | ٦٢ | ٣٥٦ |
| ٤٢ | ٣٤٣ | ٦٣-٦٤ | ٣٥٧ |
| ٤٣-٤٤ | ٣٤٥ | ٦٥-٦٦ | ٣٥٨ |
| ٤٥ | ٣٤٦ | ٦٧ | ٣٥٩ |
| ٤٦-٤٧ | ٣٤٧ | ٦٨-٧٠ | ٣٦٠ |
| ٤٨ | ٣٤٨ | ٧١ | ٣٦١ |
| ٤٩ | ٣٤٩ | ٧٢ | ٣٦٢ |
| ٥٠ | ٣٥٠ | ٧٣ | ٣٦٣ |
| ٥١-٥٣ | ٣٥١ | ٧٤-٧٥ | ٣٦٤ |

﴿سورة التوبة﴾

(٩)

| رقم الآية | رقم الصفحة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|-----------|------------|-----------|------------|
| ١-٢ | ٣٦٩ | ٧-٨ | ٣٧٧ |
| ٣ | ٣٧٣ | ٩-١١ | ٣٧٨ |
| ٤-٥ | ٣٧٥ | ١٢ | ٣٧٩ |
| ٦ | ٣٧٦ | ١٣ | ٣٨٠ |

| رقم الآية | رقم الصفحة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|-----------|------------|-----------|------------|
| ١٥-١٤ | ٣٨١ | ٤١-٤٢ | ٤١٤ |
| ١٦ | ٣٨٢ | ٤٣ | ٤١٥ |
| ١٧ | ٣٨٣ | ٤٤-٤٥ | ٤١٦ |
| ١٨ | ٣٨٤ | ٤٦-٤٧ | ٤١٧ |
| ١٩ | ٣٨٥ | ٤٨-٤٩ | ٤١٨ |
| ٢٠-٢٢ | ٣٨٦ | ٥٠ | ٤١٩ |
| ٢٣-٢٤ | ٣٨٧ | ٥١-٥٢ | ٤٢٠ |
| ٢٥ | ٣٨٨ | ٥٣-٥٤ | ٤٢١ |
| ٢٦ | ٣٩٠ | ٥٥-٥٧ | ٤٢٢ |
| ٢٧-٢٨ | ٣٩٣ | ٥٨ | ٤٢٣ |
| ٢٩ | ٣٩٤ | ٥٩-٦٠ | ٤٢٤ |
| ٣٠ | ٣٩٧ | ٦١ | ٤٢٧ |
| ٣١ | ٣٩٩ | ٦٢ | ٤٢٨ |
| ٣٢ | ٤٠٠ | ٦٣-٦٥ | ٤٢٩ |
| ٣٣ | ٤٠١ | ٦٦-٦٧ | ٤٣١ |
| ٣٤ | ٤٠٣ | ٦٨ | ٤٣٢ |
| ٣٥ | ٤٠٤ | ٦٩-٧٠ | ٤٣٣ |
| ٣٦ | ٤٠٧ | ٧١ | ٤٣٤ |
| ٣٧ | ٤٠٨ | ٧٢ | ٤٣٥ |
| ٣٨ | ٤٠٩ | ٧٣ | ٤٣٦ |
| ٣٩ | ٤١١ | ٧٤ | ٤٣٧ |
| ٤٠ | ٤١٢ | ٧٥ | ٤٣٩ |

| رقم الآية | رقم الصفحة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|-----------|------------|-----------|------------|
| ٧٦-٧٧ | ٤٤٠ | ١٠٥ | ٤٦٠ |
| ٧٨-٧٩ | ٤٤١ | ١٠٦-١٠٧ | ٤٦٢ |
| ٨٠ | ٤٤٢ | ١٠٨ | ٤٦٧ |
| ٨١ | ٤٤٣ | ١٠٩ | ٤٦٨ |
| ٨٢-٨٣ | ٤٤٤ | ١١٠ | ٤٦٩ |
| ٨٤ | ٤٤٥ | ١١١-١١٢ | ٤٧٠ |
| ٨٥ | ٤٤٧ | ١١٣-١١٤ | ٤٧٣ |
| ٨٦-٨٨ | ٤٤٨ | ١١٥ | ٤٧٤ |
| ٨٩-٩١ | ٤٤٩ | ١١٦-١١٧ | ٤٧٥ |
| ٩٢ | ٤٥٠ | ١١٨ | ٤٧٨ |
| ٩٣-٩٤ | ٤٥١ | ١١٩ | ٤٨٠ |
| ٩٥-٩٦ | ٤٥٢ | ١٢٠ | ٤٨١ |
| ٩٧-٩٨ | ٤٥٣ | ١٢١-١٢٢ | ٤٨٢ |
| ٩٩-١٠٠ | ٤٥٤ | ١٢٣ | ٤٨٤ |
| ١٠١ | ٤٥٥ | ١٢٤ | ٤٨٥ |
| ١٠٢ | ٤٥٦ | ١٢٥-١٢٧ | ٤٨٦ |
| ١٠٣ | ٤٥٧ | ١٢٨ | ٤٨٧ |
| ١٠٤ | ٤٥٨ | ١٢٩ | ٤٨٨ |

﴿سورة يونس﴾

(١٠)

| رقم الآية | رقم الصفحة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|-----------|------------|-----------|------------|
| ١-٢ | ٤٩٣ | ٣-٤ | ٤٩٥ |

| رقم الآية | رقم الصفحة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|-----------|------------|-----------|------------|
| ٥ | ٤٩٦ | ٥٠-٤٩ | ٥١٨ |
| ٦-٩ | ٤٩٧ | ٥١-٥٣ | ٥١٩ |
| ١٠-١١ | ٤٩٨ | ٥٤-٥٦ | ٥٢٠ |
| ١٢ | ٤٩٩ | ٥٧-٥٨ | ٥٢١ |
| ١٣-١٥ | ٥٠٠ | ٥٩ | ٥٢٢ |
| ١٦ | ٥٠١ | ٦٠-٦١ | ٥٢٣ |
| ١٧-١٩ | ٥٠٢ | ٦٢-٦٣ | ٥٢٤ |
| ٢٠-٢١ | ٥٠٣ | ٦٤ | ٥٢٥ |
| ٢٢ | ٥٠٤ | ٦٥-٦٦ | ٥٢٧ |
| ٢٣ | ٥٠٥ | ٦٧-٦٨ | ٥٢٨ |
| ٢٤ | ٥٠٦ | ٦٩-٧١ | ٥٢٩ |
| ٢٥-٢٦ | ٥٠٧ | ٧٢-٧٣ | ٥٣٠ |
| ٢٧-٢٨ | ٥٠٨ | ٧٤-٧٥ | ٥٣١ |
| ٢٩-٣٠ | ٥٠٩ | ٧٦-٧٨ | ٥٣٢ |
| ٣١-٣٣ | ٥١٠ | ٧٩-٨٣ | ٥٣٣ |
| ٣٤-٣٥ | ٥١١ | ٨٤-٨٥ | ٥٣٤ |
| ٣٦-٣٨ | ٥١٢ | ٨٦-٨٧ | ٥٣٥ |
| ٣٩ | ٥١٣ | ٨٨ | ٥٣٦ |
| ٤٠-٤١ | ٥١٤ | ٨٩ | ٥٣٧ |
| ٤٢-٤٣ | ٥١٥ | ٩٠ | ٥٣٨ |
| ٤٤-٤٦ | ٥١٦ | ٩١-٩٢ | ٥٣٩ |
| ٤٧-٤٨ | ٥١٧ | ٩٣-٩٤ | ٥٤٢ |

الجزء الثالث، الفهرس ٥٦٩

| رقم الآية | رقم الصفحة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---------------|------------|-----------|------------|
| ٩٥ | ٥٤٣ | ١٠٢-١٠٣ | ٥٥٤ |
| ٩٦-٩٧ | ٥٤٤ | ١٠٤-١٠٦ | ٥٥٥ |
| ٩٨ | ٥٤٥ | ١٠٧-١٠٨ | ٥٥٦ |
| ٩٩ | ٥٥٢ | ١٠٩ | ٥٥٧ |
| ١٠٠-١٠١ | ٥٥٣ | | |
| الفهرس | | ٥٥٩ | |
| مصادر التحقيق | | ٥٧١ | |



1872

1873

1874

1875

1876

1877

1878

1879

1880

1881

1882

1883

1884

1885

1886

1887

1888

1889

1890

1891

1892

1893

1894

1895

1896

1897

1898

1899

1900

1901

1902

1903

1904

1905

1906

1907

1908

1909

1910

1911

1912

1913

1914

1915

1916

1917

1918

1919

1920

1921

1922

1923

1924

1925

1926

مصادر التحقيق

- ١- الإحتجاج: لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، منشورات القدس-إيران.
- ٢- إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي، منشورات دار الفكر - بيروت.
- ٣- إرشاد القلوب: للشيخ أبو محمد الحسن بن محمد الديلمي، منشورات الشريف الرضي، إيران - قم.
- ٤- أسرار الصلاة: للشهيد رحمته الله.
- ٥- الاعتقادات في دين الإمامية: للشيخ الصدوق، منشورات محلاتي إيران - قم.
- ٦- اعلام الوري لأعلام الهدى: للشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - قم.
- ٧- أقبال الأعمال: للسيد ابن طاووس، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران.
- ٨- الأمالي للشيخ الصدوق: منشورات الأعلمي، بيروت - لبنان.
- ٩- الأمالي للشيخ الطوسي: منشورات دار الثقافة، إيران - قم.
- ١٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لعبدالله بن عمر البضاوي، أفسر إيران.
- ١١- بحار الأنوار: للعلامة المجلسي، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران.
- ١٢- البرهان في تفسير القرآن: للعلامة السيد هاشم البحراني، منشورات اسماعيليان، إيران - قم.
- ١٣- بصائر الدرجات: للشيخ محمد بن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي، إيران - طهران.

- ١٤ - تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، منشورات دار الهداية، تحقيق مصطفى حجازي.
- ١٥ - التبيان: للشيخ الطوسي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٦ - تحف العقول: لابن شعبة الحراني، منشورات النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم.
- ١٧ - تفسير أبي السعود: للقاضي أبي السعود، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٨ - التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، منشورات مدرسة الإمام المهدي، إيران - قم.
- ١٩ - تفسير البغوي: لحسين بن مسعود الفراء البغوي، منشورات دار المعرفة، بيروت.
- ٢٠ - تفسير روح البيان: للعلامة الشيخ إسماعيل حق، طبع بيروت.
- ٢١ - تفسير روح المعاني: للعلامة الآلوسي البغدادي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٢ - تفسير العياشي: لمحمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي، منشورات المكتبة العلمية الإسلامية، إيران - طهران.
- ٢٣ - تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للعلامة حسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، منشورات دار الجليل - بيروت.
- ٢٤ - تفسير فرات الكوفي: لفرات بن إبراهيم الكوفي، تحقيق محمد كاظم، إيران.
- ٢٥ - تفسير القرآن العظيم: لإسماعيل بن كثير، منشورات دار القلم.
- ٢٦ - تفسير القرآن الكريم: لصدر المتألهين الشيرازي، منشورات بيدار، إيران - قم.
- ٢٧ - تفسير القمي: لعلي بن إبراهيم القمي، منشورات دار الكتاب للطباعة والنشر، إيران - قم.
- ٢٨ - تفسير الكبير للفخر الرازي: الطبعة الثالثة، إيران - قم.

٢٩- تفسير الكبير المسمى البحر المحيط: لأبي حيان، منشورات مؤسسة التاريخ العربي دار إحياء التراث العربي.

٣٠- التوحيد: للشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران - قم.

٣١- تهذيب الأحكام: للشيخ الطوسي، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران.

٣٢- ثواب الأعمال: للشيخ الصدوق، منشورات الشريف الرضي، إيران - قم.

٣٣- جامع الأصول: لابن أثير الجزري، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٣٤- جامع البيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، منشورات دار

الجيل - بيروت.

٣٥- الجامع الصغير للإمام السيوطي: منشورات دار الفكر، بيروت.

٣٦- الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، منشورات دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣٧- جوامع الجامع: للشيخ الطبرسي، منشورات جامعة طهران، إيران - طهران.

٣٨- الخرائج والجرائح: لقطب الدين الراوندي، منشورات مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام

إيران - قم.

٣٩- الخصال: للشيخ الصدوق، نشر جماعة المدرسين، إيران - قم.

٤٠- الدر المنثور: للإمام السيوطي، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي،

إيران - قم.

٤١- ديوان الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، منشورات الشريف الرضي - قم.

٤٢- الذريعة: للشيخ أغا بزرك الطهراني، منشورات دار الأضواء، بيروت.

٤٣- روضة الواعظين: للفتال النيسابوري، منشورات الرضي، إيران - قم.

٤٤- سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار: للمحدث الشيخ عباس القمي، دار الاسوة

للطباعة والنشر، إيران - قم.

٤٥- سنن أبي داود: لأبي داود السجستاني، منشورات دار إحياء السنة النبوية.

٤٦- سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى بن سورة، منشورات دار الفكر - بيروت.

- ٤٧- سنن النسائي: لأحمد بن شعيب النسائي، منشورات دار المعرفة، بيروت.
- ٤٨- شواهد التنزيل: للحاكم الحسكاني، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلامية التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران - طهران.
- ٤٩- الصحاح: لابن عميل بن حماد الجوهري، منشورات دار العلم للملايين، بيروت.
- ٥٠- صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري، منشورات دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت.
- ٥١- الصحيفة الكاملة السجادية: لزين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران.
- ٥٢- عدة الاصول: للشيخ الطوسي، منشورات مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر، إيران.
- ٥٣- علل الشرائع: للشيخ الصدوق، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥٤- عوالي اللآلي العزيزية: لابن أبي جمهور، منشورات العراق - إيران.
- ٥٥- عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام: للشيخ الصدوق، منشورات جهان، إيران - طهران.
- ٥٦- كتاب الغيبة: للشيخ الطوسي، منشورات مكتبة بصيرتي، إيران - قم.
- ٥٧- كتاب الفهرست للنديم: لأبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بالنديم.
- ٥٨- القاموس المحيط: للشيخ الفيروز آبادي، منشورات دار المعرفة، بيروت.
- ٥٩- الكافي: للشيخ الكليني، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران.
- ٦٠- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: منشورات أدب الحوزة، إيران.
- ٦١- كشف الغمّة في معرفة الأئمة: للعلامة أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي فتح الإربلي، منشورات دار الكتاب الإسلامي، بيروت - لبنان.
- ٦٢- كمال الدين وتقام النعمة: للشيخ الصدوق، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، إيران - قم.
- ٦٣- كنز العمال: للعلامة علي التقي الهندي، منشورات مؤسسة الرسالة، لبنان.
- ٦٤- لسان العرب: لابن منظور، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ٦٥- مجازات النبوية: للشريف الرضي، منشورات مكتبة البصري، إيران - قم.
- ٦٦- مجمع البحرين: للشيخ الطريحي، منشورات المكتبة المرتضوية، إيران - قم.
- ٦٧- مجمع البيان: للشيخ الطبرسي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٦٨- المجموع شرح المذهب: للإمام النوري، منشورات دار الفكر - بيروت.
- ٦٩- محجة البيضاء: للفيض الكاشاني، منشورات جماعة العلماء بقم، إيران - قم.
- ٧٠- المحاسن: لأحمد بن محمد بن خالد البرقي، منشورات المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، إيران - قم.
- ٧١- مستدرك وسائل الشيعة: للشيخ الحر العاملي، منشورات مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، إيران - قم.
- ٧٢- مصابيح السنة: لحسين بن مسعود الفراء البغوي، منشورات دار المعرفة بيروت.
- ٧٣- مصباح الشريعة: للإمام الصادق عليه السلام، منشورات الأعلمي للطبوعات، بيروت.
- ٧٤- مصباح المتهجد وسلاح المستعبد: للشيخ الطوسي، منشورات إسماعيل الأنصاري، إيران.
- ٧٥- المصباح المنير: للفيومي، منشورات دار الهجرة، إيران - قم.
- ٧٦- معاني الأخبار: للشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرسين، إيران - قم.
- ٧٧- معجم البلدان: للشيخ الحموي الرومي البغدادي، منشورات دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٧٨- مفاتيح الغيب: لصدر الدين الشيرازي، منشورات مركز الثقافي، إيران.
- ٧٩- مناقب آل أبي طالب: لأبي جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، منشورات مؤسسة انتشارات علامة، إيران - قم.
- ٨٠- من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران.
- ٨١- الميزان في تفسير القرآن: للعلامة الطباطبائي، منشورات إسماعيليان، إيران - قم.

- ٨٢- نور الثقلين: للعلامة الحويزي، منشورات دار الكتب العلمية إسماعيليان، إيران - قم.
- ٨٣- النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، منشورات المكتبة الإسلامية، بيروت.
- ٨٤- نهج البلاغة: للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق صبحي صالح، منشورات دار الهجرة، إيران - قم.
- ٨٥- الوافي: للفيض الكاشاني، منشورات مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، اصفهان - إيران.
- ٨٦- وسائل الشيعة: للشيخ الحر العاملي، منشورات المكتبة الإسلامية، إيران - طهران.